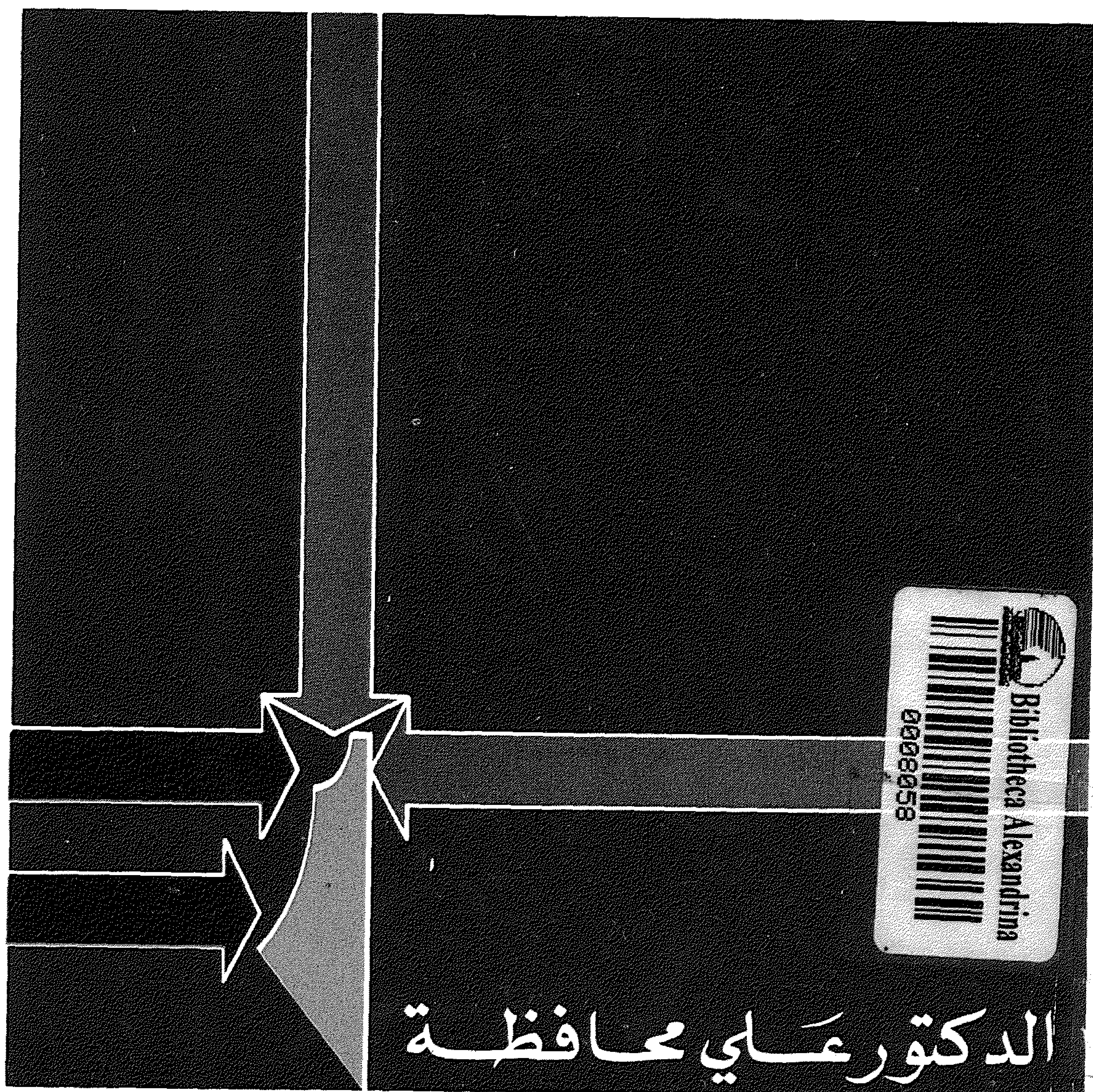
المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

العلاقات الألمانية الفلسطينيّة
١٨٤١ - ١٩٤٥



الدكتور علي محافظة

العلاقات الألمانية ـ الفلسطينية

من إنشاء مطرانية القدس البروتستانتية

وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية

١٨٤١ ـ ١٩٤٥

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

بناية برج الكارلتون ـ ساقية الجنزير ـ ت ١/ ٨٠٧٩٠٠
برقياً ـ موكيالي ـ بيروت ـ ص.ب: ٥٤٦٠/١١ بيروت

الطبعة الأولى
١٩٨١

الدكتور علي محافظة

العلاقات الألمانية - الفلسطينية

من إنشاء مطرانية القدس البروتستانتية وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية

١٨٤١ - ١٩٤٥

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير - ت ٨٠٧٩٠٠/١
برقياً - موكيالي - بيروت - ص.ب ١١/٥٤٦٠ بيروت

المحتويات

مقدمة

تهدف هذه الدراسة الى القاء الضوء على طبيعة العلاقات الالمانية ـ الفلسطينية منذ انشاء مطرانية القدس البروسية ـ الانكليزية المشتركة عام ١٨٤١ وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية. وهي تشمل بيان دور المانيا في النشاط التبشيري البروتستانتي والكاثوليكي في الأرض المقدسة، ومدى صلة هذا النشاط بالسياسة الخارجية الألمانية ومواقف السلطات العثمانية والسكان العرب من هذا النشاط. كما تتناول انشاء المستعمرات الألمانية في فلسطين والدوافع الدينية والسياسية والاقتصادية التي كانت وراءها، وعلاقة هذه المستعمرات بالمخططات السياسية الألمانية في الدولة العثمانية، ونوعية العلاقات التي نشأت بين المستعمرين الألمان والسكان العرب وبينهم وبين المستعمرين اليهود، والسياسة العثمانية نحو الاستيطان الألماني في فلسطين. وتستعرض هذه الدراسة ايضاً النشاط الصهيوني في المانيا وتنظيماته، والمساعي التي بذلتها الحركة الصهيونية من أجل نيل دعم المانيا لخططها الرامية الى استعمار فلسطين تحت الحماية الألمانية، ومدى استجابة المانيا القيصرية للضغوط الصهيونية، وممارسة نفوذها لدى الحكومة العثمانية من أجل تحقيق بعض المطالب الصهيونية. كما تعالج تطور العلاقات الألمانية ـ الفلسطينية في فترة ما بين الحربين على الصعيدين السياسي والاقتصادي، وإبرام اتفاقية هعفارا بين الوكالة اليهودية والمانيا النازية التي استغلت هجرة عشرات الآلاف من اليهود الالمان الى فلسطين وتحويل أموالهم إليها. وتكشف هذه الدراسة، أخيراً، عن طبيعة العلاقة بين الحركة الوطنية العربية في فلسطين والرايخ الثالث، وتطور هذه العلاقة خلال السنوات الاثنتي عشرة من الحكم النازي في المانيا.

ان افتقار المكتبة العربية الى دراسة جادة حول موضوع هذه الدراسة، وندرة الابحاث التي تتناوله في اللغات الأجنبية هي التي حدت بي الى خوضه. واذا استثنينا الدراسة الجيدة التي اعدها

ألكس كارمل بعنوان « مستعمرات الهيكليين الفورتمبرغريين في فلسطين ١٨٦٨ ـ ١٩١٨ Alex Carmel: Die Siedlungen der Wuerttembergischen Templer in Palaestina 1868 - 1918. » والمنشورة عام ١٩٧٣ ، والدراسة التي قدمها ايسياه فريدمان بعنوان « المانيا وتركيا والصهيونية » Isaiah Fridman: Germany, Turkey and Zionism » المنشورة عام ١٩٧٧ ، نكاد لا نجد دراسة منهجية جادة تناولت الجوانب الأخرى من هذا الموضوع .

لقد اعتمدت في هذه الدراسة على وثائق الارشيف السياسي في وزارة الخارجية الألمانية في بون ، ووثائق ارشيف الدولة في شتوتغارت ، وبعض الوثائق المتوفرة في الارشيف الدبلوماسي بوزارة الخارجية الفرنسية في باريس ، وبعض الوثائق الخاصة بوزارتي الخارجية والمستعمرات البريطانيتين في مكتب السجلات العامة في لندن . كما لجأت الى الوثائق العربية والألمانية المنشورة المتعلقة بفلسطين . وكان لمذكرات الشخصيات السياسية والدينية والعلمية وادب الرحلات أهمية خاصة في الكشف عن جوانب مهمة من الموضوع لم تتناولها الوثائق السابقة الذكر .

ولا بد أن أذكر في هذا المقام الفرصة التي أتيحت لي للاطلاع على تلك الوثائق والمؤلفات الألمانية بفضل المنحة الدراسية التي قدمتها الي مؤسسة الكسندر فون همبولدت الألمانية Alexander Von Humboldt - Stiftung والتي مكنتني من الاقامة في المانيا الاتحادية مدة ستة أشهر . فالى المؤسسة المذكورة أقدم جزيل شكري وامتناني . وأود أيضاً أن اعرب عن تقديري للصديق الاستاذ الدكتور شتيفان فيلد Stephan Wild ، مدير معهد الاستشراق في بون ، الذي سهل لي الاتصال بالارشيف السياسي الألماني وفتح لي أبواب مكتبته الخاصة في منزله في بون .

ولا يفوتني أن أنوه بجهود المسؤولين عن المكتبة في الجامعة الاردنية ، وللآنسة سميرة عيسى الصايغ التي تبرعت بضرب مخطوطة الكتاب على الآلة الكاتبة وافر شكري .

وختاماً آمل أن تساهم هذه الدراسة في المجهود العام الذي يبذل في كتابة تاريخ فلسطين الحديث ، وأن تفي بالغرض المنشود والله من وراء القصد .

عمان في ٦ أيلول ١٩٨٠

الدكتور علي محافظة
كلية الآداب ـ الجامعة الاردنية

مصطلحات مختصرة

وزارة الخارجية الالمانية	A.A.: Auswaertiges Amt
دائرة ، قسم	Abt: Abteilung
منظمة الشؤون الخارجية في الحزب النازي	A.O.: Austlands Organisation
مجلد	Bd. : Band
مجلدات	Bde.: Baende
وزارة المستعمرات البريطانية	C.O.: Colonial Office
وثائق عن سياسة المانيا الخارجية	D.G.F.P.: Documents on German Foreign Policy
وزارة الخارجية البريطانية	F.O.: Foreign Office
وثائق عن العلاقات الخارجية للولايات المتحدة الامريكية	F.R.U.S. : Foreign Relations of the United States.
وزارة الخارجية الفرنسية	M.A.E.: Ministère des Affaires Etrangères
القيادة العليا للقوات المسلحة الألمانية	O.K.W.: Oberkommando der Wehrmacht
الارشيف السياسي في وزارة الخارجية الالمانية	P.A.: Politiche Archiv
صندوق استكشاف فلسطين	P.E.F.: Palestine Exploration Fund
شؤون سياسية	PO. : Politik
عصبة الأمم	S.D.N.: Societé des Nations
سكرتير الدولة الألماني	ST. S.: Staatssekretaer

مـــــــدخـــــل

النفوذ الألماني في الدولة العثمانية

كان النفوذ الألماني في الدولة العثمانية قبل قيام الوحدة الألمانية ضعيفاً يكاد لا يذكر ، ويقتصر على نشاط مملكة بروسيا ، اكبر الدول والامارات الالمانية ، في الميدانين التبشيري والثقافي . صحيح أن السلطان محمود الثاني قد اعتمد على بعثة عسكرية المانية برئاسة الكابتن في الحرس الملكي البروسي هلموت فون مولتكه Helmuth Von Moltke لتنظيم الجيش العثماني ، وان هذه البعثة قد قامت بمهمتها في الفترة الواقعة بين تشرين الثاني عام ١٨٣٥ وحزيران عام ١٨٣٩[١] ، غير أنها لم تساهم بصورة مباشرة في تعزيز النفوذ الألماني في الدولة العثمانية . والواقع أن الثورة الصناعية التي شهدتها المانيا والنمو الصناعي السريع الذي رافقها أديا الى تحويل المانيا الى قوة اقتصادية كبرى ، وبخاصة بعد قيام وحدتها القومية التي تحققت على يد مستشارها أوتو فون بسمارك Otto Von Bismarck عام ١٨٧١ ، بزعامة مملكة بروسيا . وتميز الاقتصاد الألماني الذي ساهمت الدولة في كثير من قطاعاته ، عن الاقتصاد الحر التقليدي في الدول الاوروبية الأخرى ، فكان مزيجاً وسطاً يقع بين الاقتصاد الحر واقتصاد الدولة[٢] . كما اتجه نحو تشكيل الكارتلات Kartell والتروتستات Trust . وتحكمت الدولة الألمانية بالاسعار في الأسواق المحلية وبسياسة المكوس الجمركية لتتجنب كل منافسة أجنبية في اسواقها . واستطاعت بانتهاج سياسة الحماية الجمركية أن تحمي صناعاتها وأن تطورها في منجى من المنافسة الأجنبية ، وأن تزيد من صادراتها بحيث تكون قادرة على منافسة الصناعات الاوروبية في الأسواق الأجنبية[٣] . وادى هذا

---

١) حول تفاصيل اقامة فون مولتكه في اسطنبول انظر:

Moltke, Helmuth Von: Briefe ueber Zustaende und Begebenheiten in der Tuerkei aus den Jahren 1835 bis 1839, Berlin, 1893.

Wagner, R.: Moltke und Muelbach zusammen unter dem Halbmonde (1837-1839), Berlin, 1893.

٢) Dahrendorf, Ralf: Gesellschaft und Demokratie in Deutschland, p. 45.

Watti,M.M.: Analyse des Nationales interesses, am Beispiel der Deutsch Arabisch Beziehung p. 43.

٣) Hallgarten, G . und Radkan J.: Deutsche Industrie und Politik Von Bismark bis heute, pp. 69-70.

Watti, M.M.: Op. Cit., p 44.

التطور الاقتصادي الى انتهاج سياسة توسعية على الصعيد العالمي .

كانت سياسة التوسع الالمانية سياسة واقعية **Realpolitik** هدفها الدخول في المنافسة الاقتصادية السلمية وتوسيع نطاق التجارة الالمانية فيها وراء البحار . واعتمدت مبدأ التوسع الحر **Laissez - Faire - Expansion** وكان مثلها الاعلى في ذلك انكلترا . وفي عام ١٨٨٣ حدث تحول مهم في السياسة الخارجية الالمانية . ذلك أن أطماع بريطانيا وفرنسا في الهيمنة على افريقيا والبحار الجنوبية ، والأزمة الداخلية التي تعرضت لها الأنظمة الاقتصادية الرأسمالية تركت في المانيا انطباعاً بأن نهاية التوسع التجاري الحر قد اقتربت وأن لا بد من اتخاذ تدابير الحماية الاقتصادية على الصعيدين القومي والخارجي . واتجهت الشركات الاحتكارية الالمانية الى المطالبة بمستعمرات لألمانيا في العالم ، للحصول على المواد الأولية وإيجاد أسواق لتصريف منتوجاتها ولتخفيف حدة التوتر الاجتماعي في الداخل[٤] . وأملت المانيا في عهد بسمارك (١٨٧٠ - ١٨٩٠) ان تصبح قوة عالمية كانكلترا ، وتطلعت الى إعادة اقتسام المستعمرات بين الدول الاوروبية الكبرى بحيث تحصل على نصيب مماثل لنصيب كل من انكلترا وفرنسا وروسيا . وحاولت الاستفادة من كل فرصة سانحة من أجل تعزيز نفوذها في العالم[٥] .

اتجهت المانيا بانظارها الى الشرق سعياً وراء أسواق جديدة لمنتجاتها الصناعية ، وبحثاً عن مواد أولية لمصانعها ، وطمعاً في نفوذ سياسي تحتل به « مكانها تحت الشمس » على قدم المساواة مع الدول الاستعمارية الأخرى . وكان الشرق والممتلكات العثمانية بوجه خاص قد غدت منذ غزو نابليون لمصر عام ١٧٩٨ مسرحاً للصراع الدولي حيث تتسابق الدول الاوروبية الكبرى في الحصول على المزيد من الامتيازات **Capitulations** من الدولة العثمانية بعد أن اصابها الوهن والعجز . وكانت الخطوة الألمانية الأولى على طريق « الزحف نحو الشرق **Drangnach Osten** » المحاولة التي بذلتها الحكومة الالمانية في مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ للتوسط بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية[٦] . وأمل المسؤولون الألمان آنذاك أن تصبح بلادهم جسراً يربط اوروبا بالشرق . وخرجت المانيا من المؤتمر دولة كبرى اعطيت الفرصة لأن تلعب دورها في المسألة الشرقية ، فلم تفوتها ، ودخلت حلبة التنافس مع روسيا وفرنسا وانكلترا . وسعت الحكومة الالمانية ، الى أن تنفذ الى الشرق بالطرق السلمية **Pénétration Pacifique** بحيث تدخل رؤوس

---

٤) Weber, Max: Der Nationalstaat und die Volkswirtschafts politik, pp. 22-3.

٥) Watti, M.M.: OP. Cit, p. 49.
المصدر نفسه ، ص ١١٠ - ١١١
Fischer, Fritz: Griff nach der weltmacht, p.24.

٦) Hurewitz, J.C.: Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. I, pp. 189-190 (The Treaty of Berlin, 13 July 1879).
Watti, M.M.: Op. Cit, pp. 51-2.

اموالها ومنتجاتها الصناعية وان تنشر نفوذها السياسي والثقافي دون اللجوء الى القوة . غير أنها واجهت معارضة قوية من جانب الدول الاوروبية الكبرى التي كانت قد وطدت نفوذها في المنطقة منذ عهد بعيد(٧) .

لقد شاع الاعتقاد لدى العديد من المؤرخين الاوروبيين ان بسمارك عندما تولى منصب المستشارية لم يعر اهتماماً للمسألة الشرقية . ونقل عنه انه قال : « ان هذه المسألة لا تساوي عظام جندي بوميراني واحد » . وقد عزز هذا الاعتقاد قلة ما ورد في مذكرات بسمارك « Gedanken und Erinnerungen » عن هذه المسألة . غير ان مجرد نظرة بسيطة في ملفات وزارة الخارجية الالمانية منذ عام ١٨٨٠ تعطينا صورة مختلفة تماماً لهذا الاعتقاد . فمن المعروف ان الحرب العثمانية ـ الروسية (١٨٧٧ ـ ١٨٧٨) قد كشفت النقاب عن نقائص خطيرة في الجيش العثماني . وكان على الباب العالي أن يبذل جهوداً كبيرة لرفع مستوى قواته المسلحة حتى يتمكن من صد أية ضربة روسية في المستقبل . ورغبة من السلطان عبد الحميد الثاني في تجنب الاعتماد الكامل على بريطانيا وفرنسا في هذا المضمار فضل الاتجاه نحو المانيا ، إنطلاقاً من ضعف اهتمامها السياسي بالشرق مقارنة بالدول الأوروبية الأخرى ، وبسبب سمعتها العسكرية التي أحرزتها في الحرب الالمانية الفرنسية عام ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ .

وفي مطلع أيار عام ١٨٨٠ طلب الباب العالي من السفير الألماني في اسطنبول البارون فون هاتسفيلد Von Hatzfeld(٨) إرسال بعثة عسكرية المانية للاشراف على تنظيم وتدريب القوات العثمانية . ونقل السفير هذه الرغبة الى المستشار بسمارك الذي أوصى القيصر الألماني ، بعد مشاورات اجراها مع الحكومة النمساوية ، بالاستجابة لمطلب السلطان العثماني . وقد علق بسمارك على هامش المذكرة المقدمة للقيصر بالعبارة التالية : « إن وجود الضباط الالمان في الأراضي العثمانية سوف يهيىء لهم فرصة لتحسين تدريبهم العسكري وإثراء خبرتهم . كما أن الحكومة الألمانية قد تحصل على مزيد من وسائل النفوذ في تركيا »(٩) . وقد أبقى بسمارك خيوط القضية في يديه وأشرف شخصياً على المفاوضات الألمانية العثمانية في هذا الصدد . ولما عرض السفير الألماني في اسطنبول مقترحات الباب العالي بشأن رواتب ورتب أعضاء البعثة العسكرية ووضعهم في القوات العثمانية ، اعتبر بسمارك تلك العروض مغرية ، وأضاف بخط يده في اعلى الصفحة الأولى من التقرير الذي رفعه الى القيصر بأن البعثة قد تكون مفيدة جداً لأعضائها من

---

٧) Mann, Golo: Deutsche Geschichte des 19 und 20 Jahrhundert, pp. 506-530.

٨) رسالة السفير الالماني رقم ١٤٠ تاريخ ١٤ / ٥ / ١٨٨٠ A.A., P.A., Tuerkei 139, Vol. A. 2967..

٩) مذكرة بسمارك الى القيصر المؤرخة في ١ / ٦ / ١٨٨٠ Ibid., A 3173.

الناحية التدريبية ، كما أنها « سوف تزودنا بنفوذ وبمخبرين »[10] . وحتى لا يثير بسمارك حفيظة الدول الأوروبية الكبرى ، فضل أن يعين الضباط الألمان في الجيش العثماني بصفتهم ضباطاً متقاعدين لا بصفتهم ضباطاً معارين . غير أن إصرار رئيس هيئة الاركان في القوات الالمانية الماريشال هلموت فون مولتكه Helmuth Von Moltke على أن يكون للبعثة العسكرية الالمانية وضع واضح مماثل لبعثته في الثلاثينات من القرن التاسع عشر ، وحتى لا يعتبراعضاؤ هامن جملة المغامرين الاجانب في الجيش العثماني ، غيّر الوضع الخاص بالبعثة[11] .

وفي نهاية نيسان عام ١٨٨٢ وصلت البعثة العسكرية الالمانية الى اسطنبول برئاسة الجنرال أوتو كيلر Otto Kaehler ولكنه ما لبث أن توفي عام ١٨٨٥ ، فحل محله الكولونيل فون ديرغولتس Freiherr Von der Goltz الذي عين مفتشاً عاماً للمدارس العسكرية ومستشاراً في القيادة العامة للقوات العثمانية وبقي في منصبه هذا حتى عام ١٨٩٥ . ومن افراد هذه البعثة لويس كامبهوفنر Louis Kamphoevener الذي بلغ رتبة ماريشال في الجيش العثماني وتولى منصب المفتش العام لقوات المشاة . ومنهم هانس فون هوبي Hans Von Hobe الكابتن في سلاح الفرسان الالماني الذي عمل في البعثة بين عامي ١٨٨٢ و ١٨٩٤ ، وحل محله فون بروكدورف Freiherr Von Brockdorff كمفتش عام لسلاح الفرسان في الجيش العثماني . ومن هؤلاء الضباط الألمان الميجور رستوف Ristow الذي عمل مفتشاً في سلاح المدفعية بين عامي ١٨٨٢ و١٩١٨ ، والميجور كارل آولر Carl Auler الذي عمل مفتشاً لسلاح الهندسة بين عامي ١٩٠١ و ١٩٠٨ ، والكولونيل اريش فيبر Erich Weber الذي تولى المنصب نفسه منذ عام ١٩١٣ ، والميجور اوتو فون لوسوف Otto Von Lossow المدرب في الكلية الحربية العثمانية منذ عام ١٩١٠ .

ومع الانقلاب العثماني عام ١٩٠٨ ازداد التعاون العسكري الالماني ـ العثماني متانة . ومنذ أن استلمت جمعية الاتحاد والترقي السلطة تعزز هذا التعاون . وتقرر في عام ١٩١٣ ارسال بعثة عسكرية المانية برئاسة الجنرال اوتوليمان فون ساندرز Otto Liman Von Sanders الذي رفع الى رتبة ماريشال في الجيش العثماني واصبح القائد الاعلى في جبهة فلسطين عام ١٩١٨ . وكان من اعضاء هذه البعثة الكولونيل فريدريش برونزارت فون شيلندورف Friedrich Bronsart Von Schellendorff الذي عمل نائباً لرئيس هيئة الاركان العثماني تحت إمرة انور باشا حتى عام ١٩١٧ . ومنهم الميجور كريس فون كريسنشتاين Kress Von Kressenstein الذي

---

١٠) رسالة السفير الالماني رقم ١٩٨ تاريخ ٦ / ٧ / ١٨٨٠ Ibid., A 4170.

(١١ Wallach, J.L.: Germany and the Middle East, 1835-1959, P. 27.

عمل ضابط ركن في جبهة سيناء بين عامي ١٩١٤ و١٩١٧ ، وهلموث فيلمي Helmuth Felmy الذي عمل في سلاح الطيران على الجبهة الفلسطينية خلال عامي ١٩١٧ و١٩١٨ . وكان عدد ضباط هذه البعثة حوالي اربعين ضابطاً في البداية ثم ما لبث ان بلغ المئات اثناء الحرب العالمية الأولى[١٢] .

ورافق هذا التعاون العسكري الالماني ـ العثماني تعاون في المجالين السياسي والاقتصادي . فمنذ عام ١٨٧٦ رفع مستوى التمثيل الدبلوماسي بين الدولتين من مفوضية الى سفارة[١٣] . وازداد اهتمام المانيا بمستقبل الدولة العثمانيّة . ووجدت بين المسؤولين الألمان وجهات نظر ثلاث حول هذا الموضوع . تقول وجهة النظر الأولى بأن وجود دولة عثمانية قوية قادرة على الصمود في وجه الاطماع الاوروبية من أفضل الضمانات للتوسع الاقتصادي الالماني في الأناضول وآسيا العربية . وتقول وجهة النظر الثانية ان المصير النهائي للدولة العثمانية ان تصبح محمية المانية . اما وجهة النظر الثالثة فتقول ان إنقاذ المانيا لا يتم إلا بتحرير البحار من الهيمنة البريطانية . وإن الهيمنة الالمانية على الدولة العثمانية أمر ثانوي ومرتبط بهيمنة المانيا على البحار[١٤] .

أما النفوذ الاقتصادي الالماني فقد جاء متأخراً . ذلك أن الدولة العثمانية اضطرت الى الاستدانة من البنوك والمصارف الاوروبية منذ مطلع النصف الثاني للقرن التاسع عشر لمواجهة الأزمات المالية المتوالية والحروب العديدة التي خاضتها مع الدول الاوروبية المجاورة ، ونفقات تنظيم وتسليح قواتها المسلحة . فقد أبرمت الحكومة العثمانية أول قرض أجنبي بعد بداية حرب القرم في آب ١٨٥٤ مع شركة.Palmer and Co في لندن و Goldshmid et Cie في باريس نيابة عن بنكي Bank of England و Banque de France . وكان مقدار هذا القرض ثلاثة ملايين جنيه استرليني (٢,٥) مليون ليرة عثمانية ذهب بفائدة ٦٪ . وبعد ذلك بعام واحد ابرمت الحكومة العثمانية قرضاً ثانياً في ٢٧ حزيران ١٨٥٥ مع مؤسسة روتشيلد في لندن ، ومقداره (٥,٦٥) مليون ليرة عثمانية ذهب بفائدة ٤٪ . وكان ضمانة هذا القرض الضرائب الواردة من مصر والرسوم الجمركية الواردة من ولاية سورية ومن أزمير[١٥] . غير أن القروض المالية والموارد العادية للدولة لم تكف لتغطية نفقات حرب القرم (١٨٥٣ ـ ١٨٥٦) ، فقررت الحكومة إصدار

---

١٢) المصدر نفسه ، ص ٣٣ ـ ٤٠ .

١٣) Alonzo, Alphonse d' : Les Allemands en Orient, p. 47.

١٤) Lewin, Evans: The German Road to the East, P. 45.

١٥) Théry, Ed: Les Finances Ottomanes, P. 8.

بنكنوت بقرض داخلي سمي « اسهامي جديدي » (الأسهم الجديدة) طرحت في الأسواق بفائدة ٦٪ وزادت قيمتها عن خمسة ملايين ليرة عثمانية[١٦] .

وهكذا تورطت الحكومة العثمانية بالديون فلم تتمكن من تسديدها واضطرت الى اعلان افلاسها عام ١٨٧٥ . وفيما يلي جدول يبين مختلف القروض التي استدانتها الحكومة العثمانية بين عامي ١٨٥٤ و١٨٧٤ (أي قبيل اعلان الافلاس العثماني) :

القـرض	قيمة القرض بالفرنكات الفرنسية	القيمة التي قبضتها الحكومة العثمانية من القرض	الفائدة السنوية
١٨٥٤	٧٥٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠٠٠	٦٪
١٨٥٥	١٢٥٠٠٠٠٠٠	١٢٥٠٠٠٠٠٠	٤٪
١٨٥٨	١٢٥٠٠٠٠٠٠	٩٥٠٠٠٠٠٠	٦٪
١٨٦٠	٥٠٩٣٠٥٠٠	٣١٨٣١٥٦٢	٦٪
١٨٦٢	٢٠٠٠٠٠٠٠٠	١٣٦٠٠٠٠٠٠	٦٪
١٨٦٣	٢٠٠٠٠٠٠٠٠	١٤٢٠٠٠٠٠٠	٦٪
١٨٦٥	١٥٠٠٠٠٠٠٠	٩٩٠٠٠٠٠٠	٦٪
١٨٦٩	٥٥٥٥٥٥٥٠٠	٣٨٨٨٨٥٥٠٠	٦٪
١٨٧٠	٧٩٢٠٠٠٠٠٠	٢٥٤٤٣٠٠٠٠	٣٪
١٨٧١	١٤٢٠٠٠٠٠٠	١٠٤٠٢٥٠٠٠	٦٪
١٨٧٢	٢٧٨١٥٥٠٠٠	٢٧٩٩٧٢٦٧٥	٩٪
١٨٧٣	٦٩٤٤٤٤٥٠٠	٤١٣١٩٤٤٧٧	٦٪
الدين العام			
١٨٧٤	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٤٣٥٠٠٠٠٠٠	٥٪
المجموع	٥٢٩٧٦٧٦٥٠٠	٣٠١٨٨٨٤٧١٤	(١٧)

١٦) Suvla, Rafii-Sukru: The Ottoman Debt 1850-1939, in «The Economic History of the Middle East 1800-1914» pp. 99-100

١٧) Roumani, A.: Essai historique et technique sur la Dette publique ottomane, p. 52.

ولما اعلن الدستور العثماني الأول عام ١٨٧٦ لم تستطع الحكومة الجديدة أن تتخلص من الاستدانة التي اصبحت وباء استشرى في الدولة دون ان تتمكن من الحد منه[١٨] . وبلغ مجموع الديون التي ترتبت على الدولة العثمانية بين أول قرض ابرمته عام ١٨٥٤ وحتى اندلاع الحرب العثمانية ـ الروسية ١٨٧٧ ، (٢٥١٢٠٩٧٥٨) ليرة عثمانية ذهب . فلما انتهت الحرب وانعقد مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ اخذت الدول صاحبة الديون (فرنسا وبريطانيا وايطاليا) تواجه ضغطاً من الشركات صاحبة الأسهم من اجل ضمان دفع اموالها . وابرم اتفاق في ١٠ ـ ٢٠ تشرين الثاني عام ١٨٧٩ بين الحكومة العثمانية والبنك الامبراطوري العثماني Banque Imperiale Ottomane وعدد من البنوك في العاصمة العثمانية لتسوية الأمر . ولكن هذه الاتفاقية لم ترضِ الشركات المالية فتعرض الباب العالي لضغوط شديدة ادت الى صدور فرمان محرم الموافق (٨ ـ ٢٠) كانون الأول عام ١٨٨١ والذي نص على قيام إدارة الدين العمومي العثماني Administration de la Dette Publique Ottomane[١٩] لتتولى تسديد ديون الدولة الأجنبية والداخلية . وتشكل المجلس التنفيذي لهذه الادارة في عام ١٨٨٣ من ممثل عن البنك الامبراطوري العثماني وممثلين عن الدائنين الأجانب (عضو انكليزي وعضو فرنسي وعضو الماني (تعينهم النقابات المالية في باريس ولندن وفيينا) ، وعضو نمساوي ـ هنغاري وعضو ايطالي (تعينه غرفة تجارة المملكة الإيطالية) وعضو عثماني تعينه الهيئة العامة ، وممثل عن حملة الأسهم ذات الأولوية ويسميه البنك العثماني) . أما مهمة المجلس فجباية الضرائب والعائدات موضوع الاتفاق ، واستلام المبالغ المجباة مباشرة لصالح حملة الأسهم . وهو مسؤول أمام الحكومة العثمانية . ومنذئذٍ اصبحت ادارة الدين العام تشرف على الشؤون المالية للدولة العثمانية ، واصبحت دولة داخل دولة . وبلغ عدد موظفيها حوالي ستة آلاف موظف . وكان قيام هذه الادارة اعتداء صارخاً على سيادة الدولة .

ومن الجدير بالذكر ان المستشار الالماني بسمارك هو الذي نصح السلطان عبد الحميد الثاني بالاتصال بالبيت المالي الالماني بلايشريدر S. Bleichroeder في برلين للتفاوض مع نقابة الدائنين الألمان بشأن إيجاد حل لمسألة الدين العثماني . وعين بلايشريدر المستشار القانوني الهر بريمكر Primker مندوباً عنه فأصبح احد اعضاء مجلس ادارة الدين العثماني . وكان نصيب المانيا من هذا الدين العام ٤,٧٪[٢٠] .

أما اول القروض الرسمية الالمانية للدولة العثمانية فقد ابرم مع الدويتش بانك Deutsche Bank عام ١٨٨٨ ومقداره (١٦١٧٦٤٧) ليرة عثمانية ذهب بفائدة مقدارها ٥٪ ، وذلك من أجل دفع ثمن الذخيرة الحربية التي اشترتها الحكومة العثمانية من المانيا لقواتها العسكرية . وتعهدت ادارة الدين

(١٨ Suvla, R. S. : Op. Cit, p. 101.

(١٩ Thobie, Jacques: Intérêts et Impérialisme Français dand L'Empire Ottomane, pp. 95, 97-101.

(٢٠ Grunwald, Kurt: Pénétration pacifique, in «Germany and the Middle East, p. 86.

العام العثماني بدفع هذا القرض بالمارك الالماني.

وفي عام ١٨٩٤ عقدت الحكومة العثمانية قرضاً ثانياً بقيمة (١٧٦٠٠٠٠) ليرة عثمانية ذهب وبفائدة ٤٪ من اجل تسوية دين الخطوط الحديدية الشرقية مع الدويتش بانك. وابرمت الحكومة العثمانية قرضاً ثالثاً مع البنك نفسه مقداره (٢٣٧٦٠٠٠) ليرة عثمانية ذهب بفائدة ٤٪، من أجل تنفيذ المرحلة الأولى من انشاء سكة حديد بغداد[٢١]. وتلاه قرض مع الدويتش بانك بقيمة (٢٦٤٠٠٠٠) ليرة عثمانية ذهب بفائدة ٤٪ عام ١٩٠٥، لدفع ثمن التجهيزات العسكرية[٢٢]. كما منحت المانيا الحكومة العثمانية قرضاً بقيمة (١٠٨) مليون فرنك فرنسي عام ١٩٠٨ من أجل تنفيذ بناء اربعة فروع لسكة حديد بغداد طولها ٨٤٠ كيلومتراً خلال ثماني سنوات. وتولت شركة هولتسمان Holtzmann الالمانية تنفيذ هذا المشروع[٢٣]. وفي عام ١٩١١ حصلت الحكومة العثمانية على قرض من الدويتش بانك والمصارف الالمانية المتعاونة معه بقيمة (٧٠٤٠٠٠٠) مليون ليرة عثمانية ذهب بفائدة ٤٪ من أجل تغطية عجز الدولة. وهكذا فقد بلغت القروض الألمانية للدولة العثمانية بين عامي ١٨٨١ و١٩٠٨ (١٢٠٣١٤٤٧٣) مليون ليرة عثمانية ذهب، وبلغت هذه القروض بين عامي ١٩٠٨ و١٩١٤ (٤٦) مليون ليرة عثمانية ذهب[٢٤].

وبسبب هذه القروض ازدادت حصة المانيا في الدين العثماني العام حتى بلغت (١٢,١٪) عام ١٨٩٨ بينما انخفضت حصة بريطانيا الى ١٠٪ وازدادت حصة فرنسا التي كانت تنافس المانيا في هذا المضمار حتى بلغت ٤٤,٩٪[٢٥]. وفيما يلي بيان بنسب توزيع انصبة الدول في الدين العثماني العام في نهاية عام ١٩١٤ :

	فرنسا	بلجيكا وانكلترا وهولندا	المانيا	دول أخرى	المجموع
دين موحد	٪٥٩,٠١	٪١٤,٤٥	٪٢٢,١٠	٪٤,٤٤	٪١٠٠
دين قصير الأمد	٪٨١,٨٣	٪٩,٠٧	٪٢٠و٨	٪٠,٩٠	٪١٠٠
المجموع العام	٪٦٠,٣١	٪١٤,١٩	٪٢١,٣١	٪٤,١٩	٪١٠٠[٢٦]

---

٢١) Suvla, R.-S.: Op. Cit., P. 104.
٢٢) المصدر نفسه، ص ١٠٥.
٢٣) Poidevin, Raymond: Les Relations Economiques et Financieres entre la France et l'Allemagne, pp. 488-9.
٢٤) Suvla, R.-S.: Op. Cit., pp. 105-6.
٢٥) Grunwald, K.: Op. Cit., p. 87.
حول دور المصارف الالمانية في القروض الخارجية انظر ايضاً: Reisser, Dr.: Deutsche Bank 1870-1970, Frankfurt 1970
٢٦) Ducruet, J. Les Capitaux Européens en Proche- Orient, P. 133., Grunwald, K.: Op. Cit., p. 100.

أما أنصبة هذه الدول بملايين الفرنكات فهي كما يلي :
فرنسا ٢٤٥٤,٤ مليون فرنك
المانيا ٨٦٧,٦ مليون فرنك
بريطانيا وبلجيكا وهولندا ٥٧٨ مليون فرنك[٢٧] .

هذا وقد بلغت قروض الدولة العثمانية من المانيا اثناء الحرب العالمية الأولى (١١) مليون ليرة عثمانية ذهب، وبلغت المبادلات التجارية ٣٩ مليون ليرة عثمانية ذهب دفعت بالماركات[٢٨] . ومع بداية الحرب العالمية الأولى كان عشر الأموال الالمانية المستثمرة في الخارج والبالغة ٢٤ مليار مارك مستثمراً في الدولة العثمانية[٢٩] . فقد ارتفعت قيمة الواردات العثمانية من المانيا بين عامي ١٨٩٢ و ١٨٩٨ من ١٨,٤ مليون الى ٣٣ مليون قرش عثماني[٣٠] . ويعود ذلك الى الشروط الجيدة التي كانت تقدمها المصارف الالمانية للتجار الالمان، وانخفاض اسعار المنتجات الألمانية بالنسبة الى المنتجات الاوروبية .

وقد رحب العثمانيون بدخول الالمان ميدان التنافس مع الدول الاوروبية الأخرى، وبخاصة بعد المساعدة القيمة التي قدمتها المانيا للدولة العثمانية عام ١٨٩٧ أثناء حربها مع اليونان . فقد كان الانتصار العثماني نجاحاً للصناعة العسكرية الالمانية وللمستشارين وللمدربين العسكريين الالمان وللسكك الحديدية التي بناها الالمان والتي لعبت دوراً مهماً في هذه الحرب . ومنذئذٍ أصبحت المانيا تحتكر تجارة الاسلحة والمعدات والتجهيزات العسكرية مع الدولة العثمانية . وظهرت المانيا، في عيون العثمانيين المنقذة للدولة من التفكك والانهيار . وتقدمت الشركات الالمانية في مطلع العام التالي الى الدولة العثمانية بمشروع بناء سكة حديد تربط انقرة أو قونية ببغداد بهدف دعم السلطة العثمانية في الولايات العربية[٣١] .

---

٢٧) Ducruet, J.: Op. Cit., p. 7.
Grunwald,.: Op. Cit., p. 100.

٢٨) Grunwald, K.: Op. Cit., p. 95.
كانت اسعار العملات الاجنبية منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر وحتى نهاية الحرب العالمية كما يلي :
الجنيه الاسترليني =٤,٨٧ دولار = ١,١٠ ليرة عثمانية .
الفرنك الفرنسي = ٠,١٩٢ من الدولار .
المارك الالماني = ٠,٢٣٣ من الدولار .

٢٩) Friedman, I., Germany, Turkey and Zionism, p. 154.

٣٠) Poidevin, R.: Op. Cit., p. 150.

٣١) Earle, E.M.: Turkey, The Great Powers and the Bagdad Railway, p. 31.

وتعززت العلاقات بين المانيا والدولة العثمانية بالزيارة التي قام بها فيلهلم الثاني Wilhelm II قيصر المانيا للعاصمة العثمانية وسورية وفلسطين عام ١٨٩٨ ولم يتردد القيصر الالماني في أن يعلن في الخطاب الذي القاه في ساحة الجامع الأموي بدمشق : «لتتحقق امنيه جلالة السلطان وامنية الثلاثمائة مليون مسلم الذين يعيشون مبعثرين على هذه الأرض، ان يروا فيه خليفة لهم، وأننا نؤكد لهم بأن القيصر الالماني سيكون في جميع الاوقات صديقهم»[٣٢].

واسفرت هذه الزيارة عن منح الشركات الالمانية امتياز بناء سكة حديد بغداد. فقد ابرمت اتفاقية في برلين يومي ٥ و٦ أيار عام ١٨٩٩ بين البنك الالماني Deutsche Bank والبنك العثماني وشركة سكة حديد ازمير-قصبه نصت على تمويل مشروع بناء خط حديدي من قونية الى بغداد وان يكون نصيب البنك العثماني في المساهمة ٤٠٪ والبنك الالماني Deutsche Bank ومجموعته ٦٠٪[٣٣]. وبلغ التنافس الاوروبي اوجه حول هذا المشروع. فقد وجدت فيه انكلترا قضاء على امالها في ربط سواحل البحر الابيض المتوسط بالخليج الفارسي، كما رأت فيه تثبيتاً للنفوذ الالماني في الدولة العثمانية وهجوماً إقتصادياً وسياسياً ألمانياً على منطقة النفوذ البريطانية في الخليج وسواحل شبه الجزيرة العربية الشرقية والجنوبية. وسعت المانيا الى التعاون مع فرنسا لتنفيذ هذا المشروع. وبعد اتفاق مع الممولين الفرنسيين صدرت إرادة السلطان عبد الحميد الثاني في ١٦ كانون الثاني عام ١٩٠٢ بمنح شركة سكة حديد الاناضول الالمانية امتياز مد سكة حديد بغداد[٣٤]. وتلا ذلك انشاء شركة سكة حديد بغداد في ١٣ نيسان ١٩٠٣. ونص الامتياز على حق الشركة في التنقيب عن المعادن على طول سكة الحديد بعرض عشرين كيلومتراً من كل جانب من جانبي السكة[٣٥].

وفي الثاني من أيار عام ١٩٠٠ صدرت الارادة السلطانية بمناسبة اليوبيل الفضّي لتولي السلطان عبد الحميد الثاني العرش العثماني إنشاء سكة حديد الحجاز التي شارك المهندسون الالمان في بنائها وعلى رأسهم المهندس مايسنر Meissner[٣٦].

---

٣٢) Hohfeld, J.: Deutsche Reichsgeschichte in Dokumenten 1849-1926, p. 341.

Die Diplomatische Akten des A.A. (1871-1914), Bd. 12/2.

Akt Nr. 3345, pp. 575-6.

كانت اول زيارة قام بها القيصر الالماني فيلهلم الثاني الى دولة اجنبية منذ اعتلائه العرش الزيارة التي قام بها الى اسطنبول عام ١٨٨٩ . فكانت تلك الزيارة البداية التي فتحت باب التعاون بين البلدين .

٣٣) Poidevin, R.: Op. Cit., p. 254.

٣٤) المصدر نفسه ، ص ٢٥٨ .

٣٥) المصدر نفسه ، ص ٢٦٢ . Hoffman, K.: The Struggle for Oil in Iraq, p. 199.

٣٦) Hecker, M.: Railways 1888-1918, in «The Economic History of the Middle East», p. 252.

وتعاون البنك العثماني مع الدويتش بانك في انشاء الشركات في الدولة العثمانية، ومنها الاتحاد العثماني Union Ottomane للمشاريع الكهربائية التي مولتها المؤسسات المالية الألمانية والسويسرية والبلجيكية. وتشكلت ادارة حصر التبغ عام ١٨٨٣ باتفاق بين البنك العثماني وبعض المؤسسات المالية في برلين وفيينا من أجل احتكار التبغ لمدة ثلاثين سنة(٣٧). ومنذ عام ١٨٩٦ انشىء بنك فلسطين الالماني Die Deutsche Palaestina Bank في برلين وفتح له فروعاً في القدس (١٨٩٧) ويافا (١٨٩٩) وحيفا (١٩٠٤) وبيروت ودمشق وطرابلس الشام. وفي عام ١٩٠٦ انشىء بنك الشرق الالماني Deutsche Orient Bank غير ان هذين البنكين لم يبلغا في نشاطهما ما بلغه الدويتش بانك Deutsche Bank(٣٨).

وبلغ النفوذ الالماني في الدولة العثمانية ذروته بإبرام تحالف عسكري سري بين الدولتين في الثاني من آب عام ١٩١٤(٣٩)، فكان تتويجاً للجهود التي بذلتها المانيا منذ مطلع الثمانينات من القرن التاسع عشر. وبذلك ضمنت وقوف الدولة العثمانية الى جانبها في حالة قيام حرب عالمية، كما ضمنت ضرب المصالح البريطانية والفرنسية والروسية (دول الوفاق الودي) في الشرق. واعتمدت انها سوف تشغل القوات الروسية في منطقتي البحر الاسود والقفقاس، والقوات البريطانية في مصر، وتعطيل الملاحة في قناة السويس، الشريان المهم للمواصلات البريطانية مع الشرقين الاوسط والاقصى، في حالة قيام حرب مقبلة. وعلقت آمالاً على كسب ود العالم الإسلامي وبخاصة عند اعلان السلطان العثماني الجهاد على بريطانيا وفرنسا(٤٠). فلما اندلعت الحرب وقفت الدولة العثمانية الى جانب المانيا. وتحملت نتائج تلك المغامرة الخطيرة التي قطعت أوصالها وقضت عليها.

اهتمام الالمان بدراسة احوال فلسطين في القرن التاسع عشر:

بدأ اهتمام الباحثين والعلماء الالمان بالشرق العربي عامة وبفلسطين خاصة بداية مبكرة. وكان الرحالة اول المهتمين بفلسطين فقد زار براونه W.G. Browne مصر وسورية وقام بجولات فيهما بين عامي ١٧٩٢ و ١٧٩٨ ونشر انطباعاته في كتاب بعنوان: «Reisen in Afrika, Aegypten, und Syrien 1792 - 1798 رحلات في افريقيا ومصر وسوريا بين عامي ١٧٩٢ و ١٧٩٨» في برلين عام ١٨٠١. وزار العالم زيتسن U.J. Seetzen فلسطين في عامي ١٨٠٦ و ١٨٠٧. ولما عاد الى موطنه الف كتاباً بعنوان «رحلات في سورية وفلسطين وفينيقية وبلاد شرق الاردن وبتراء العربية ومصر السفلى،

(٣٧ Poidevin, R.: Op. Cit., p. 568.

(٣٨ Grunwald, K.: Op. Cit., p. 94.

(٣٩ Die Deutsche Dokumente Zum Kriegsausbruch 1914, Bd. 3 Akt Nr. 733. pp. 183-4.

(٤٠ Fischer F.: Op. Cit., p. 286.

Reisen durch Syrien, Palaestina Phoenicien, die Trans jordan Laender, Arabia Petraea und Unteraegypten» وقد نشر في اربعة مجلدات في برلين بين عامي ١٨٥٤ و ١٨٥٩ . ويتضمن هذا المؤلف معلومات جيدة عن القدس وبقية المدن الفلسطينية(٤١) . كما نشر كتاب الرحالة زيبر F.W. Sieber . «رحلة من القاهرة الى القدس Reise Von Cairo nach Jerusalem» في لايبتسيغ Leipzig عام ١٨٢٣ . وترجم مؤلف الرحالة السويسري بيركهاردت J.L. Burkhardt (١٧٨٤-١٨١٧) «Travels in Syria and the Holy Land, London 1822» الى اللغة الالمانية عام ١٨٢٣ وصدر في فايمار Weimar عام ١٨٢٤ بعنوان «Reisen in Syrien, Palaestina und der Gegend des Berges Sinai» كما ترجم كتابه «جولات في الجزيرة العربية» بعنوان «Reisen in Arabien» وصدر في فايمار عام ١٨٣٠ (وقد اعيد نشره في شتوتغارت عام ١٩٦٣ عن دار النشر F.A. Brockhaus) . وقام جون مارتن اوغست شولتس Hohn Martin August Schultz الأستاذ في كلية اللاهوت الكاثوليكية في جامعة بون Bonn بزيارة مصر وفلسطين وسورية خلال عامي ١٨٢٠ و ١٨٢١ ، وألف كتاباً عن رحلته هذه نشر في لايبتسيغ عام ١٨٢٢ بعنوان «رحلة في منطقة الاسكندرية والصحراء الليبية وسيوه ومصر وفلسطين وسورية في عامي ١٨٢٠ و ١٨٢١ Reise in die Gegend Zwischen Alexandrien und Paraetonium, die Lybische Wueste, Siwa, Egypten Palaestina und Syrien in den Jahren 1820 - 1821»(٤٢) . وفي عام ١٨٢٩ نشر في ليفورنو Livorno كتاب الرحالة روبل E. Ruppel «رحلات في النوبة وبتراء العربية Reisen in Nubien Und dem Petraeischen Arabien . كما نشر كتاب الضابط الالماني بروكيش فون أوستن A. Prokesch Von Osten الذي زار فلسطين ومصر ، في فيَنّا عام ١٨٣١ بعنوان «رحلة في الأرض المقدسة Reise ins Heilige Land in Jahre 1829»(٤٣) وفي العام نفسه قام الفيلسوف الالماني ارنست فون لاسولكس بزيارة فلسطين والشرق العربي وأقام عاماً كاملاً في المنطقة درس خلاله احوالها . اما ملاحظاته حول هذه الإقامة فقد نشرت بعد سبعين عاماً في كتاب شتولتسله R. Stolzle بعنوان «ارنست فون لاسولكس ١٨٠٥-١٨٦١ سيرة ذاتية ، Ernst Von Lassaulx (1805 - 1861, Ein Lebensbild Muenster, 1904» ، وزار الرحالة بالمه Pallme فلسطين وسورية عام ١٨٣٣ ونشر بعد عودته كتاباً بعنوان «جولاتي في سورية وفلسطين عام ١٨٣٣ Meine Reisen durch Syrien und Palaestina . وفي هذه الفترة اعيد نشر كتاب كارستن نيبور Carsten Niebuhr الذي زار الشرق العربي بين عامي ١٧٦١ و ١٧٦٧ والذي طبع لأول مرة عام ١٧٧٤ في مطبعة Nicolaus Moeller في كوبنهاغن في مجلدات ثلاث . ثم اعيد نشره في هامبورغ عن دار النشر

---

٤١) Ben Arieh, J.: The Population of the Large Towns in Palestine during the first eighty years of the 19th Century, p. 51.

٤٢) Hajjar, J.: L'Europe et les Destinées du Proche Orient, p. 169.

٤٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ .

F.NGloyer und Olshausen. عام ١٨٣٧ بعنوان «رحلة الى سورية وفلسطين وقبرص عبر آسيا الصغرى وتركيا والمانيا Reise nach Syrien und Palaestina Cypern durch Kleinasien und die Tuerkei nach Deutschland»[٤٤] وتضمنت هذه الرحلة وصفاً للقدس ولأوضاعها الادارية والمشاكل التي يواجهها الحجاج الأوروبيون في البلاد.

وقام الرحالة غوتهلف هاينرش شوبرت Gotthilf Heinrich Schubert برحلة دراسية الى مصر وسيناء وفلسطين وسورية بين عامي ١٨٣٦ و١٨٣٧ . ونشر مشاهداته في كتابه «جولة في المشرق Reise in das Morgenland» المؤلف من ثلاثة مجلدات عام ١٨٣٩ والذي تضمن معلومات كثيرة عن التاريخ الطبيعي للبلاد. ونشر مذكراته بين عامي ١٨٥٤ و١٨٥٦ في ثلاثة مجلدات بعنوان «سيرة ذاتية[٤٥] Selbst Biographie, Erlangen, 1854-6». كما زار الرحالة فيزينو J. N. Visino فلسطين عام ١٨٣٧ وألف كتاباً عن رحلته هذه بعنوان «رحلتي الى فلسطين Meine Wanderung nach Palaestina» نشر في باساو Passau عام ١٨٤٠ . وفي العام نفسه زار الرحالة النمساوي يوسف زالتسباخر Joseph Salzbacher فلسطين وألف كتاباً عن رحلته نشر في فيينا في العام نفسه بعنوان « ذكريات عن رحلتي للحج الى روما والقدس عام ١٨٣٧ Erinnerungen aus meiner Pilgerreise nach Rom und Jerusalem im Jahre 1837, Wien .1840»[٤٦] . وقام امير الماني من الاسرة المالكة في بافاريا هو الدوق مكسمليان يوسف Herzog Maxmillian Joseph بزيارة فلسطين في ربيع عام ١٨٣٨ ونشر مشاهداته في كتاب بعنوان «رحلة الى الشرق في عام ١٨٣٨ Wanderungen nach dem Orient im Jahre 1938» صدر في ميونيخ عام ١٨٣٩[٤٧]. ونشر الرحالة كارل كوخ Karl Koch رحلته في الشرق في فايمار عام ١٨٤٦ بعنوان «جولاتي في الشرق عامي ١٨٤٣ و ١٨٤٤ Wanderungen im Oriente, 1843 und 1844» وبعد ذلك بعام واحد نشر روسيجر J. Russegger رحلته في الشرق في مجلدات ثلاثة في مدينة شتوتغارت. ونشر كريجهر كتابه «ذكريات من الشرق Erinnerungen aus dem Orient» في تريستا Triest في العام نفسه . وقام فيرديناند دايكس Ferdinand Deycks بنشر مؤلف عن الطرق التي كان يسلكها الحجاج المسيحيون للوصول الى القدس مع الاشارة الى كتاب رحلات لودولف فون زوخن وعنوان الكتاب «Ueber aeltere Pilgerfahrten nach Jerusalem , mit besondere Ruecksicht auf Ludolph Von Suchen Reisebuch des Heiligen Landes» في مونستر

---

٤٤) المصدر نفسه ، ص ٢٠٦ .

٤٥) Ritter, C.: The Comparative Geography of Palestine and the Sinaitic Peninsula, Vol. I, p. 362.

P.E.F.: Thirty Years' Work in the Holy Land, p. 77.

٤٦) Hajjar, J.: Op. Cit., p. 208.

٤٧) المصدر نفسه ، ص ٢١٠ .

Muensterفي عام ١٨٤٨ . وفي العام نفسه نشر شتراوس F. A. Strauss كتابه «سيناء والجلجثة : جولة في الشرق Sinai und Golgotha, Reise in das Morgenland» في برلين[٤٨] .

ومن هؤلاء الرحالة شولتس E.Q. Schuz الذي زار فلسطين في الاربعينات من القرن التاسع عشر والف كتاباً بعنوان «رحلة في الأرض الحبيبة Reise in das Gelobte Land» نشر في ميلهايم Muellheim عام ١٨٥٢[٤٩] . وفي مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر زار يوهان هيلبر Johann Hilber فلسطين وألف كتاباً بعنوان «الحج الى الأرض المقدسة عام ١٨٥١-١٨٥٢ . Pilgerreise in das Heilige Land in 1851 - 2 » نشر في برينيك Brueneck عام ١٨٥٤ . وفي العام نفسه نشر روبنسون E. Robinson كتابه «ملخّص جولة في فلسطين عام ١٨٥٢ . Abriss einer Reise in Palaestina in 1852» وفي عام ١٨٥٥ نشر تسيجلر Ziegler كتابه «رحلتي في الشرق عام ١٨٥٣ Meine Reise in dem Orient (1853)» في لايبتسيغ . وفي العام نفسه نشر أونيزورغه Ohnesorge كتابه «الحاج الى صهيون Der Zion Pilger» في برلين. والف الرحالة ليبرتروت F. Liebertrut الذي زار القدس عام ١٨٥١ وأقام مدة فيها كتاباً بعنوان «رحلة الى الشرق والقدس والأرض المقدسة Reise nach dem Morgenland, Jerusalem und dem Heiligen Lande» نشر في هامبورغ في مجلدين عام ١٨٥٤[٥٠]. وفي العام التالي نشر الرحالة شفارتس J. Schwartz كتاباً عن رحلته الى فلسطين بعنوان «الأرض المقدسة Das Heilige Land» في فرانكفورت على الماين (عام ١٨٥٢) . والفت السيدة فايفر J. Pfeiffer النمساوية كتاباً عن رحلتها بعنوان «رحلة سيدة فينيّة الى الأرض المقدسة Reise eine Wienerin in das Heilige Land» كما الف غورجي Georgi كتاباً عن «الأماكن المقدسة Die Heiligen Staetten» نشر في لايبتسيغ عام ١٨٥٤ . وفي العام نفسه نشر يوسف شيلينج Joseph Schilling كتاباً بعنوان «وصف تفصيلي لرحلتي الى روما والقدس عام ١٨٤٦ Ausfuehrliche Beschreibung meiner Reisenach Rom und Jerusalem im 1846» في مدينة توتلنجن Tuttlingen . وفي العام نفسه نشر شولتهس J. H. Schulthess كتابه «رحلة في الشرق» في زوريخ . كما نشر فان دو فيلده C.W.M.Van de Velde كتابه «رحلة في سورية وفلسطين Reise durch Syrien und Palaestina» في مجلدين في لايبتسيغ عام ١٨٥٥- ١٨٥٦ . ونشر شيفيرله J. Schiferle كتابه «جولة في الأرض المقدسة Reise in das Heilige Land, 1851, 1856» ونشر كتاباً عن رحلته

---

٤٨) Ritter, C.: Op. Cit, Vol. I. p. 363.

٤٩) Ben Arieh, J.: Op. Cit., p. 66.

٥٠) المصدر نفسه ، ص ٥٢ .

الثانية الى القدس وروما بعنوان «حجي الثاني الى القدس وروما عام ١٨٥٨. Zweite Pilgerreise nach Jerusalem und Rom» كما صدر كتاب فيليب ماير Philip Mayer «ذكريات من القدس وفلسطين Erinnerungen aus Jerusalem und Palaestina» في ميونيخ عام ١٨٥٨. ونشر الرحالة النمساوي لودفيج اوغست فرانكل Ludwig August Frankl كتاباً بعنوان «الى القدس Nach Jerusalem» في لايبتسيغ عام ١٨٥٨. وصدر كتاب لورنسين F. N. Lorenzen «القدس: وصف لرحلتي الى الأرض المقدسة عام ١٨٥٨ Jerusalem: Beschreibung meiner Reise nach dem Heiligen Lande im Jahre 1858» في كيل Kiel عام ١٨٥٩. وصدر كتاب انتون كيرشباومر Anton Kerschbaumer «رسائل حاج من الأرض المقدسة Pilgerbriefe aus dem Heiligen Lande» في ڤينّا عام ١٨٦٣. ومن الرحالة الألمان الذين نشروا وصفاً لرحلاتهم الى فلسطين شليجل Th. Schlegel مؤلف «رحلة الى الأرض المقدسة Reise nach dem Heiligen Lande» وفورر K. Furrer مؤلف «جولات في فلسطين Wanderungen durch Palaestina» الصادر في زوريخ عام ١٨٦٥ وفون نوروف A.Von Noroff مؤلف «رحلتي الى فلسطين Meine Reise nach Palaestina» ويتشندورف C. Tischendorf مؤلف «من الأرض المقدسة Aus dem Heiligen Lande» الصادر في لايبتسيغ عام ١٨٦٢ وفليدنر Th. Fliedner «جولات في الأرض المقدسة Reisen in das Heiligen Land» الذي نشر في كايزرفيرث Kaiserswerth» دون تاريخ(٥١). وصدر كتاب بيتر شيج Peter Schegg «مذكرات رحلة حاج الى الأرض المقدسة Gedenkbuch einer Pilger - Reise nach dem Heiligen Lande» في ميونيخ عام ١٨٦٧. وأصدر اوريلي C. Orelli كتابه «في الأرض المقدسة Durchs Heilige Land» في بازل عام ١٨٧٨(٥٢). كما صدر كتاب مورتس بوش Moriz Busch «حج الى القدس Eine Wallfahrt nach Jersualem» في لايبتسيغ عام ١٨٨١.

ومن الجدير بالذكر ان الباحثين الغربيين ومنهم ادوارد روبنسون Edward Robinson استاذ اللاهوت الامريكي الذي كان له دور مهم في مسح الآثار والمواقع الفلسطينية والذي نشر ما توصل اليه من نتائج بالتعاون مع القس المستشرق عالي سميث Eli Smith، في ثلاث مجلدات بعنوان «الابحاث التوراتية في فلسطين وجبل سيناء والبتراء العربية عام ١٨٣٨، Biblical Researches in palestine Mount Sinai and Arabia Petraea in 1838». وجدوا في كافة المؤلفات التي نشرها الرحالة الغربيون عن فلسطين نقيصتين: أولهما أن الرحالة ساروا على آثار

---

(٥١) Ritter, C.: Op. Cit., Vol. II, pp. 400-409.

Geschichte der Deutschen Evangelischen Kirche und Mission im Heiligen Lande, p. 52, 97.

(٥٢) Benzinger, J.: Researches in Palestine, in «Exploration in Bible Land during the 19th Century», pp. 585-7.

الرهبان الكاثوليك والبروتستانت، وتلقى معظمهم العناية في الاديرة، وكان الرهبان ادلاءهم، وعنهم اخذوا معظم معلوماتهم. وكانوا من السذاجة بحيث أنهم صدقوا كل ما قيل لهم. ولذلك جاءت ملاحظاتهم عن البلاد متماثلة ووصفهم لها متشابهاً. واتجه روبنسون الى الشك في هذه المعلومات والتأكد من صحتها عن طريق الملاحظة الذاتية. والنقيصة الثانية جهل الرحالة باللغة العربية. اذ كان اتصالهم بالعرب، سكان البلاد، عن طريق المترجمين. وبذلك عجزوا عن إدراك حقيقة حياة العرب واخذوا صورة مشوهة عنها. وحاول روبنسون التغلب على هذه المشكلة حينما اختار المبشر الامريكي عالي سميث المتخصص في اللغة العربية. فقاما بالتأكد من الاسماء الصحيحة كما يلفظها السكان العرب. كما قاسا الطرق والمعالم الاثرية قياساً دقيقاً.(٥٣).

وأقبل المستشرقون الالمان على دراسة تاريخ فلسطين وآثارها. ففي عام ١٨١٣ صدرت في لايبتسيغ المجلة الدينية الألمانية «أرشيف التاريخ القديم والحديث للكنيسة Archiv fuer alte und neue Kirchengeschichte» بإدارة كل من شتادلين Stadlin وتشيرمر Tschirmer. وتناولت هذه المجلة دراسة الطوائف الدينية في بلاد الشام دراسة تاريخية(٥٤). وألف الراهب النمساوي هيرمان يوسف شميت Herman Joseph Schmitt كتابين عن الكنائس الشرقية صدر الأول منهما في فينّا عام ١٨٢٤ وعنوانه «التوافق بين الكنائس الشرقية والغربية Harmonie der Morgen-laendischen und Abendlaendischen Kirche, Wien, 1824» وصدر ثانيهما في ماينز على الراين Mainz/Rhein عام ١٨٢٦ بعنوان «الكنيسة اليونانية ونظمها وانفصالها Die Morgenlaendis-che Griechisch - Russische Kirche, oder Darstellung ihres Ursprung, ihres Lehre, ihrer Gebraeuche, ihrer Verfassung und ihrer Trennung, Mainz, 1826»(٥٥) كما صدر كتاب جون كارنه John Carne «الحياة والعادات في الشرق Leben und Sitte im Morgenlande» في دريسدن Dresden عام ١٨٢٦ في مجلدين. وكان فيلكن Fr. Wilken قد ألف كتاب «تاريخ الحروب الصليبية Geschichte der Kreuzzuege» نشر في لايبتسيغ عام ١٨٠٧. كما نشر روزن ميلر Rosen mueller عام ١٨٢٣ كتابه «دليل الآثار التوراتية Handbuch der biblischen Altertums Kunde» ونشر كارستن ريتر Carsten Ritter كتابه «تاريخ البتراء العربية Zur Geschicht des Petraeischen Arabiens» في برلين عام ١٨٢٤. ونشر كايل C.F. Keil بحثاً بعنوان «التنقيب عن الآثار التوراتية حول رحلة حيرام- سليمان البحرية الى اوفير وطرسيس Biblisch - archaologische untersuchung ueber die Hiram Salomonische

٥٣) Hajjar, J.: Op. Cit., p. 168.

٥٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٠.

٥٥) المصدر نفسه، ص ١٦٩.

Dorparter في ابحاث دوريات عن العلوم اللاهوتية «Schiffahrt nach Ophir und Tarsis الصادرة في هامبورغ عام ١٨٣٣ . وبين عامي Beitraegen Zur Theologische Wissenschaft ١٨٢٧ و ١٨٣٠ صدر كتاب المؤرخ النمساوي يوسف فون هامر Joseph Von Hammer «تاريخ المملكة العثمانية Geschichte des Osmanischen Reichs» في ستة مجلدات[٥٦].

وشعر المستشرقون الألمان بضرورة إصدار مجلة علمية لنشر ابحاثهم فكانت «مجلة أخبار الشرق Zeitschrift fuer die Kunde des Morgenlands التي صدرت في غوتنجن Goettingen عام ١٨٣٧ . وفي العام نفسه صدر كتاب فون راومر K. Von Raumer «خروج بني اسرائيل Der Zug der Israeliten» في مدينة لايبتسيغ . كما أصدر في العام التالي كتابه «فلسطين Palaestina» في لايبتسيغ . وألف هيتسيغ F. Hitzig كتابه «تاريخ الفلسطينيين القديم وعقائدهم الدينية Urgeschichte und Mythologie der Philistaer» الذي نشر في لايبتسيغ عام ١٨٤٥ . أما مجلة أخبار الشرق فقد توقف صدورها، وتشكلت هيئة جديدة من الباحثين والعلماء لإصدار مجلة بديلة عنها. فصدرت مجلة «جمعية المستشرقين الالمان Zeitschrift der deutschen Morgen-laendschen Gesellschaft» عام ١٨٤٧ التي لا تزال تصدر حتى اليوم[٥٧].

وبدأ المؤرخ اللاهوتي الألماني ديلنجر Doellinger في عام ١٨٣٨ مرحلة جديدة في الدراسات العربية لدى الألمان بنشر كتابه «دين محمد من خلال تطوره الداخلي وتأثيره على حياة الشعوب Mohammeds Religion nach ihrer inneren Entwicklung und ihren Einfluss auf das Leben der Voelker, Regensburg, 1838» كما نشر ليبتروت F. Liebetrut كتابه «القدس: ماضيها وحاضرها ومستقبلها Jerusalem , seine Vorzeit, Gegenwart, und Zukunft» عام ١٨٥٣ . ونشر راتجيبر A. Rathgeber كتابه: «فلسطين: الأرض والشعب، Palaestina Land und Volk» كما صدر كتاب زيب J.N. Sepp «القدس والأرض المقدسة Jerusalem und das Heilige Land» في مجلدين في شافهاوزن Schaffhausen عام ١٨٧٣ وفي ريجنزبورغ Regensburg عام ١٨٧٦ . وألف فيستنفيلد F. Wuestenfeld كتاباً بعنوان «فخر الدين الأمير الدرزي وعصره Fachr ed -Din der Drusenfuerst und Seine Zeitgenossen» صدر في غوتنجن عام ١٨٨٦ . كما ألف فون ميرباخ Freiherr Von Mirbach كتيباً بعنوان «القيصران الالمانيان في الأرض المقدسة في خريف ١٨٩٨ Das deutsche Kaiserpaar im Heiligen Lande im Herbst 1898, Berlin, 1899»[٥٨] .

---

٥٦) المصدر نفسه ، ص ٢٠٩ ، العقيقي ، نجيب ، المستشرقون ، ج ٢ ، ص ٦٨٨ - ٦٨٩ .

٥٧) Brugger, H: Die Deutschen Siedlungen in Palaestina p. 103.

٥٨) Benzinger, J.: Op. Cit., p. 611.

هذا وقد تأسست «جمعية فلسطين الالمانية Deutsche Palaestina Verein» في برلين عام ١٨٧٨ بهدف استكشاف الارض المقدسة بصورة علمية، على غرار جمعية صندوق استكشاف فلسطين Palestine Exploration Fund البريطانية التي تأسست في لندن عام ١٨٦٥. وتركز اهتمام علماء الآثار الألمان على التنقيب عن آثار فلسطين وشرق الأردن بدعم من جمعية فلسطين الألمانية. وكانت جهود الألمان في هذا الميدان محدودة جداً قبل انشاء الجمعية المذكورة. واذا استثنينا جهود القس كلاين F. Klein. مكتشف حجر الملك ميشا المؤابي في ذيبان عام ١٨٦٨[٥٩]، تكاد جهود الألمان في هذا الميدان لا تذكر.

وفي عام ١٨٨٠ قام العالمان الاثريان الالمانيان شيك Bauroth Conrad Schick (الذي أقام في المدينة المقدسة ثلاثين سنة ونيفاً منقباً عن آثارها) وغوته Guthe بنسخ بعض النقوش في القدس لحساب جمعية فلسطين الألمانية. واكتشفا النقوش في بركة سلوان[٦٠].

وفي عام ١٨٨٤ كلفت الجمعية غوتليب شوماخر Gottlieb Schumacher، أحد سكان المستعمرة الهيكلية الألمانية في حيفا، بوضع خارطة ودراسة أثرية شاملة لحوران وشمالي شرق الأردن. ونشرت الجمعية الخارطة عام ١٨٨٦، كما نشرت الدراسة الوصفية لحوران وعجلون عام ١٨٩٧[٦١]. وترجمت هذه الدراسة الى اللغة الانكليزية بعنوان «أبيلا، بيلا وشمال عجلون Abilla, Pella and Northern Ajlun» وألف شوماخر كتاباً آخر بعنوان «الناصرة المعاصرة Das Jetzige Nazereth» عام ١٨٩٠.

وتأسست في برلين وتحت رعاية القيصر الالماني شركة الشرق الالمانية Deutsche Orient Gesellschaft عام ١٨٩٨ بهدف تطوير الدراسات العلمية عن الشرق العربي. وتمكن استاذ الدراسات التوراتية في جامعة فيينا العالم الالماني ارنست سيلين Ernst Sellin من تنظيم بعثة للتنقيب عن الآثار في موقع تعنك على بعد خمسة اميال الى الجنوب الشرقي من موقع تل المتسلم (مجدو). واستطاعت البعثة خلال فترة عملها بين عامي ١٩٠١ و ١٩٠٤، ان تكشف عن قطع اثرية مهمة ترجع الى ما قبل فترة تل العمارنة. وتدرب شوماخر على يد سيلين وتولى رئاسة بعثة اثرية كشفت عن موقع مجدو المشهور (تل المتسلم) بين عامي ١٩٠٣ و ١٩٠٥.

وتولت بعثة اثرية المانية ـ نمساوية التنقيب عن الآثار في اريحا عام ١٩٠٧، واستمرت في عملها حتى عام ١٩٠٩، بإدارة سيلين وكارل فاتسنجر Carl Watzinger يساعدهما عدد من

---

٥٩) المصدر نفسه، ص ٦١٣. P.E.F.: Op. Cit., pp. 216-7

٦٠) Albright, W.F. : The Archaeology of Palestine, P. 28.Benzinger, J. Op. Cit., pp. 594-5.

٦١) Albright, W.F.: Op. Cit., pp. 32-4, 45-6

المهندسين المعماريين. ولما نشر تقرير البعثة عام ١٩١٣ تضمن مجموعة من الرسومات والصور الرائعة للقطع الأثرية. وتضمن التقرير وصفاً لسور اريحا في العصر البرونزي المتوسط. ولم يقتصر نشاط سيلين على ذلك، فقد بدأ التنقيب في بلاطه (شخيم القديمة) عام ١٩١٣ ثم استأنفه عام ١٩٢٦[٦٢].

واهتم الباحثون الالمان بدراسة جغرافية فلسطين ومنذ عام ١٨٣٠ وضع غريم J. L. Grimm خارطة لفلسطين نشرت في برلين بمقياس ١/ ٩٠٠٠٠٠. ونشر يوستوس أولزهاوزن Justus Olshausen كتاباً عن طبوغرافية القدس القديمة في كيل عام ١٨٣٣[٦٣]. وألف بيرجهاوس H. Berghaus كتاباً بعنوان «مذكرة جغرافية لتفسير وتوضيح خارطة سورية Geographisches Memoir Zur Erlaeuterung und Erklaerung der Karte Von Syrie» نشر في غوتا Gotha عام ١٨٣٥.

وساهم الجغرافي الألماني هاينريش كيبرت Heinrich Kiepert في المجهود العلمي الذي قام به ادوارد روبنسون والقس عالي سميث والذي نشر في ثلاثة مجلدات في لندن عام ١٨٤١ بعنوان «الابحاث التوراتية في فلسطين وجبل سيناء والبتراء العربية عام ١٨٣٨ Biblical Researches in Palestine, Mount Sinai and Arabia Petraea in 1838». وتولى كيبرت وضع أطلس بعنوان «أطلس لفلسطين روبنسون Atlas in fuenf Blatt Za Robinsons Palaestina» نشر في برلين خلال عامي ١٨٤٠ و ١٨٤١. وهو عبارة عن خرائط جغرافية بقياس ١/ ٤٠٠٠٠٠ من اجل ايضاح الابحاث التوراتية التي نشرها روبنسون وسميث. ووضع كيبرت خارطة أخرى لفلسطين بمقياس ١/ ٦٠٠٠٠٠ نشرت في برلين عام ١٨٤١ في دار النشر شروب Schropp.

وقام غادوف H. Gadow بنشر بحث في مجلة شركة الشرق الألمانية Zeitschrift der Deutsche Morgenland Gesellschaft المجلد الثاني عام ١٨٤٨ بعنوان «رحلة من القدس عبر اريحا الى نهر الأردن والبحر الميت ومار سابا» تضمنت وصفاً جغرافياً دقيقاً للمنطقة. وهو الذي كان قد نشر قبل عامين من ذلك التاريخ كتاباً بعنوان «معلومات عن القدس من يوميات شاهد عيان Mitteilungen ueber Jerusalem aus dem Tagebuche eines Augenzeugen , Koenigberg, 1846». كما ألف هوفمان A. G. Hoffmann كتاباً عن جغرافية القدس بعنوان «جولة في داخل القدس Ein Gang durch Jerusalem» عام ١٨٥٦. وألف فستفال Westphal كتاباً في مجلدين عن جغرافية منطقة القدس بعنوان «القدس وضواحيها Jerusalem und seine

---

٦٢) Ritter, C.: Op. Cit., Vol. III., pp. 16-18.

٦٣) Ibid, Vol. II, p. 102.

وفون شتيلبنا جل K. Von Raumer ووضع فون راومر naechsten Ungebrngen F. Von
Stuelpnagel خارطة لفلسطين معتمدة على المصادر التاريخية والجغرافية القديمة والحديثة، نشرت في غوتا. كما ألف شفارتس J.Schwartz. كتاباً بعنوان «الأرض المقدسة وطبيعتها الجغرافية القديمة والحديثة
Das Heilige Land nach seiner ehemaligen und jetzigen geographichen Beschaf-fenheit». وألف بليت Th. Plitt كتاباً بعنوان «مخططات من رحلة الى الأرض المقدسة Skizzen aus einer Reise nach dem Heiligen Land» ووضع تسمبل C.F. Zimpel كتاباً بعنوان «وصف طبوغرافي جديد لمدينة القدس العالمية Neue Oertliche Topographische Beleuchtung der Heilige Weltstaat Jerusalem» ووضع برناتس J. M. Bernatz البوما للأرض المقدسة بعنوان «Album des Heiligen Landes»(٦٤) .

ونشرت بين عامي ١٨٥٢ و ١٨٦٥ الخرائط التالية عن فلسطين:

- خارطة حائط لفلسطين لهاندتكه F. Handtke.
- خارطة القدس التوراتية لالتسنر A. Eltzner .
- الخارطة التاريخية التوراتية لهورنونغ D. Hornung .
- خارطة فلسطين لبايلنغ Beiling.
- خارطة حائط لفلسطين من وضع ريئيفي F. Reeive .
- خارطة فلسطين للمدارس من وضع كيبرت H. Kiepert .
- خارطة حائط لفلسطين من وضع كيبرت ايضاً.
- خارطة حائط للأرض المقدسة من وضع زالمان E. Sallmann.
- خارطة لفلسطين وبحيرة طبرية لزالمان أيضاً.
- خارطة فلسطين لبرجهاوس H. Berghaus .
- وخارطة بلاد التوراة لجرابز Grabs .
- وخارطة حائط لفلسطين من وضع فنكلمان E. Winkelmann .
- وخارطة حائط لفلسطين من وضع هيرجت C. Hergt .
- وخارطة لبلاد الكتاب المقدس من وضع رايس R. Reiss(٦٥).

---

٦٤) اعيدت طباعة الكتاب في مجلدات اربعة عام ١٩٦٨ لدى دار النشر الامريكية Greenwood Press في نيويورك .

٦٥) Baedecker, Karl. Palestine and Syria, p. Cii.

هذا وقد زار الجغرافي الألماني البروفسور كارل ريتر Karl Ritter فلسطين وسورية وشبه جزيرة سيناء، وألف كتاباً ضخماً في ستة مجلدات بعنوان «الجغرافية المقارنة لشبه جزيرة سيناء وفلسطين وسورية Vergleichende Erdkunde der sinai - Habinsel, Von Palaestina und Syrien» نشر في برلين بين عامي ١٨٤٨ و ١٨٥٥ . وترجم هذا المؤلف القيم إلى اللغة الانكليزية بعنوان : The Comparative Geography of Palestine and the Sinaitic Peninsula . نشر في لندن عام ١٨٦٦[٦٦].

هذا وقد أصدرت جمعية فلسطين الالمانية خارطة لشرق الأردن من عمل غوتليب شوماخر نشرت في لايبتسيغ من ١٢ قطعة بقياس ١/٦٣٣٦٠ أو أنش لكل ميل عام ١٩٠٨ . كما أصدرت الجمعية نفسها خارطة لضواحي القدس بالقياس نفسه (وضعها شيك Schick وبنسينجر Benzinger) في لايبتسيغ عام ١٨٩٧ . ووضع موزيل A. Musil خارطة للبتراء العربية في ثلاث قطع بقياس ١/٣٠٠٠٠٠ طبعت في فينا عام ١٩٠٦، وخارطة أخرى للمناطق المجاورة لوادي موسى بقياس ١/٢٠٠٠٠٠ نشرت في فينا عام ١٩٠٧ . كما وضع فيشر Fischer وغوته H. Guthe خارطة لفلسطين بقياس ١/٧٠٠٠٠٠ طبعت في لايبتسيغ عام ١٩٠٧ . ووضع غوته نفسه اطلساً للكتاب المقدس يحتوي على عشرين خارطة كبيرة و ٢٨ خارطة صغيرة وكشافاً باسماء المواقع، طبع في لايبتسيغ عام ١٩١١[٦٧].

واهتم الباحثون والعلماء الألمان بالأضافة الى ذلك بدراسة البحر الأحمر واملاح البحر الميت والأحوال الصحية في فلسطين. فقد نشر العالم الكيمياوي ايرنبرغ C.G. Ehrenberg كتاباً في برلين عام ١٨٣٤ بعنوان «حول طبيعة وتركيب الجزر المرجانية والشواطىء المرجانية في البحر الأحمر. Ueber die Natur und Bildung der Coralleninseln und Corallenbaenke im Rothen Meere.» كما أعد الدكتور بارتي G. Parthey بحثاً عن أملاح البحر الميت بعنوان «حول الغوص تحت سطح البحر Ueber die Einsenkungen unter das niveau des Meeres» عام ١٨٣٨ . وألف توبلر T. Tobler كتاباً عن الحالة الصحية في القدس بعنوان «تقرير عن الطبوغرافية الصحية للقدس Beitrag Zur Medizinischen Topographie Von Jerusalem» نشر في برلين عام ١٨٥٥ . وألف الطبيب الألماني نويمان B. Neumann الذي أقام مدة في بيت المقدس كتاباً بعنوان «المدينة المقدسة وسكانها Die Heilige stadt und deren Bewohner» نشر في هامبورغ عام ١٨٧٧[٦٨]. وقام العالم الجيولوجي الألماني الدكتور شتيبل Stuebel بزيارة فلسطين

---

٦٦) Ritter, Karl: Op. Cit., Vol. III, P.19

٦٧) Schmelz, U.O.: Some Demographic Peculiarities of the Jews of Jerusalem in the 19 th Century, in «Studies on Palestine during the Ottman Period» p. 126.

٦٨) Benzinger, J.: Op. Cit., p. 595.

وشرق الأردن عام ١٨٨٢ . واعتماداً على دراسته الشاملة للمنطقة أعدت جمعية فلسطين الألمانية خريطة جيولوجية للمنطقة(٦٩). ودرس الاطباء الألمان الذين خدموا في الإرساليات التبشيرية الحالة الصحية لسكان فلسطين، فألف الدكتور شفارتس Schwarz مدير مستشفى روتشيلد في القدس كتاباً بعنوان «الحالة الصحية في القدس «Die Sanitaeren Verhaeltnisse Jerusalems نشر في مجلدين في القدس ١٨٨٧ . كما ألف الدكتور بلودن Blueden كتاباً بعنوان «الحالة الصحية في صفد Ueber die sanitaeren Verhaeltnisse Safeds» نشر في القدس عام ١٨٨٩(٧٠).

وكان للمجلات العلمية والأدبية والصحف التي تصدرها المؤسسات الدينية والعلمية والأدبية الألمانية، في المانيا وفي فلسطين، دور مهم في تعريف الشعب الألماني بالأرض المقدسة. ومن هذه المجلات، بالاضافة الى ما ورد ذكره سابقاً «رقيب الهيكل Die Warte des Tempeles» المجلة الناطقة بلسان جمعية الهيكل الألمانية التي بدأت بالصدور عام ١٨٤٥ تحت هذا العنوان ثم ما لبثت ان اتخذت عنواناً جديداً في العام الأول من صدورها وهو «الرقيب الألماني الجنوبي Sueddeutsche Warte» وبقيت تحمل هذا العنوان حتى عام ١٩١٢ عندما اخذت اسماً جديداً بانتقالها من مدينة شتوتغارت الالمانية الى مدينة القدس هو «رقيب القدس Jerusalem Warte» وبقيت تصدر وهي تحمل هذا الأسم حتى عام ١٩١٧ . ومن هذه المجلات مجلة «شركة الشرق الألمانية Zeitschrift des Deutsche Morgenlandsche Gesellschaft» التي بدأت بالصدور عام ١٨٥٣ . كما كان للمجلة الناطقة باسم جمعية القبر المقدس الالمانية في كولون Verein Vom Heilige Grabe وعنوانها «الأرض المقدسة Das Heilige Land» دور مهم في التعريف بفلسطين منذ صدورها عام ١٨٥٧ . وتولى شتراوس F. A. Strauss وهوفمان W. Hoffmann . اصدار مجلة في برلين عام ١٨٥٧ تحمل اسم «احدث الاخبار من الشرق Neueste Nachrichten aus dem Morgenland» فعنيت عناية خاصة بشؤون فلسطين وأحوالها. وكان لمجلة جمعية فلسطين الألمانية التي بدأت بالصدور منذ قيام الجمعية المذكورة تحت عنوان «Zeitschrift des Deutschen Palaestina Verein» دور بارز في دراسة احوال فلسطين دراسة علمية. ومنذ عام ١٨٩٥ اخذت الجمعية المذكورة تصدر مجلة بعنوان «معلومات وأنباء عن جمعية فلسطين الالمانية Mitteilungen und Nachrichten des Palaestina Verein». بقيت في لايبتسيغ حتى عام ١٩١٢ . ومن هذه المجلات «صحيفة الادب الاستشراقي Orientalistishe Literatur Zeitung» التي بدأت بالصدور في برلين عام ١٩٠٢(٧١) . ومنها «احدث الاخبار من الشرق -Neueste Nachrich

---

٦٩) Schmelz, U.O.: Op. Cit., pp. 129, 172.

٧٠) Carmel, Alex: Geschichte Haifas, pp. 150 - 155.

٧١) Geschichte der deutschen evangelischen Kirche und Mission im Heiligen Lande, p. 97.

ten aus Morgenland « و» أوراق انجيلية من بيت لحم Evangelische Blaetter aus Beth-
lehem » اللتان كانتا تصدران عن جمعية بيت المقدس Jerusalem Verein التي تأسست في برلين عام ١٨٥٢ ، وصحيفة « رسول من صهيون Bote aus Zion » التي كانت تصدر عن دار الأيتام السورية في القدس . كما كان للصحيفة الناطقة بلسان بيوت « كايزرزفيرت دياكونيس Kaiserswerth Diakonissen والتي تحمل اسم « عرفان وذكريات Dank und Denkblaetter » دور بارز في هذا المجال . ومن المعروف أن معظم هذه المجلات والصحف كانت توزع مجاناً على المحسنين والمهتمين بشؤون فلسطين(٧٢) .

٧٢) العقيقي ، نجيب : المستشرقون ، ج ٢ ، ص ٦٨٩ .

الفصل الأول

النشاط التبشيري الالماني في فلسطين بين عامي ١٨٤١ و١٩١٨

كان النشاط التبشيري المسيحي في فلسطين قبل حكم محمد علي (١٨٣١ - ١٨٤٠) محصورا ومتعثرا بسبب العقبات العديدة التي واجهته . واول هذه العقبات وأهمها معارضة الحكومة العثمانية لهذا النشاط والعراقيل الرسمية التي كانت تضعها في طريقة . غير ان احتلال محمد علي باشا لفلسطين وبقية بلاد الشام في عام ١٨٣١ خلق المناخ المناسب لنمو الارساليات التبشيرية المسيحية . فمنذ بداية الحملة المصرية وجه القائد العام لها بيانا الى السلطات المدنية والدينية في فلسطين يطلب منها رفع القيود عن المسيحيين واليهود المقيمين في البلاد والزوار الاجانب[١] . وألغيت الرسوم المفروضة على الحجاج المسيحيين للقبر المقدس في القدس . وسمح لليهود ببناء كنيس لهم في القدس . ومنحت جمعية يهود لندن London Jews Society[٢] حرية العمل للتبشير في فلسطين . ومنذئذ شهدت فلسطين نشاطا تبشيريا مكثفا وتنافسا حادا بين الارساليات التبشيرية من مختلف الكنائس المسيحية . وبعد زوال حكم محمد علي عن البلاد ، اضطرت الدولة العثمانية الى ان تغمض عينيها ، على استمرار النشاط التبشيري في فلسطين ، بسبب مساندة الدول الأوروبية الكبرى في قهر محمد علي واعادة بلاد الشام الى سلطتها . كما انتهزت الدول الاوروبية والمؤسسات الدينية والتبشيرية هذا الوضع الجديد لتزيد من نفوذها

---

١) رستم ، أسد : الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا، ج ١ ، ص ٨٧ - ٨٩ .
ابو عز الدين ، سليمان : ابراهيم باشا في سورية ، ص ٧٦ .

Carmel, Alex: Geschichte Haifas in der Tuerkischen Zeit, 1516 - 1918, pp. 76—7

٢) تاسست جمعية يهود لندن في العاصمة البريطانية عام ١٨٠٩ بقصد نشر المذهب الانجليكاني بين اليهود في فلسطين .
لمعلومات وافية عن الجمعية انظر :

Tibawi, A.l.: Britisch Interests in Palestine, Oxford University press , london, 1961.

Geschichte der deutschen evangaelische Kirche und Mission im Heiligen Lande, Guetersloh , 1898, p. 3.

العارف ، عارف . المسيحية في القدس ، مطبعة دير الروم الارثوذكس القدس ، ١٩٥١ ، ص ١٥٨ .

ونشاطاتها المختلفة في الاقطار الشامية بوجه عام وفي فلسطين بوجه خاص .

أما النشاط التبشيري الالماني في فلسطين فيعود الى همة ملك بروسيا فريدريش فيلهلم الرابع ـ Friedrich Wilhelm IV . الذي عرف عنه اهتمامه بالشؤون الدينية منذ صباه . ولما أصبح وليا للعهد ، بلغ به الحماس الديني ان يفكر في انشاء وطن مسيحي في الأراضي المقدسة تتولى الدول الاوروبية الكبرى حمايته . ولما تسلم العرش البروسي عرض مشروعه الرومانسي هذا على امبراطور النمسا وقيصر روسيا فلم يبديا اهتماما به . فما كان منه الا ان تخلى عن المشروع واتجه الى السعي لمنح الكنيسة اللوثرية حقوقا مماثلة لتلك التي تتمتع بها الكنائس المسيحية الأخرى في القدس . ورأى أن ذلك لا يمكن ان يتم الا بالتعاون بين الكنيسة الانجيلية البروسية والكنيسة الانجليكانية في انكلترا ، وان الخطوة الأولى في هذا السبيل ستكون قيام مطرانية (اسقفية) بروتستانتية في القدس . وأمل ملك بروسيا ان تؤدي مساعيه ومساعي الحكومة البريطانية لدى الباب العالي الى اعتراف الحكومة العثمانية بالطائفة البروتستانتية كملة مسيحية مستقلة . وتطلع ايضا الى ان تقدم المطرانية دعما حقيقيا للتبشير البروتستانتي في اوساط اليهود في فلسطين والذي كان قد بدأ منذ عام ١٨٢٦ . كما توقع من هذه المطرانية المشتركة ان تمارس نفوذا قويا على الكنائس البروتستانتية في اوروبا من أجل اتحادها جميعا ، وبذلك تصبح مطرانية القدس المحور الذي تدور حوله كافة الكنائس البروتستانتية[٣] .

وفي صيف عام ١٨٤١ ، وقبل ان تنتهي مفاوضات الدول الاوروبية الكبرى في لندن الى وضع التسوية النهائية في الشرق العربي ، أرسل ملك بروسيا مستشاره البارون الدكتور كريستيان شارلز بونزن Christian Charles Bunsen[٤] الى انكلترا لاجراء اتصالات مع المسؤولين في الحكومة البريطانية والكنيسة الانجليكانية حول فكرة انشاء اسقفية بروتستانتية مشتركة في القدس . وجاء في التعليمات التي وجهها ملك بروسيا الى مستشاره الخاص بونزن والمؤرخة في ٢ حزيران ١٨٤١

---

٣) Richter, J.: A History of protestant Missions in the Near East, p. 237.
Tibawi, A.L.: op. cit., pp. 44 -.5.
Geschichteder deutschen evangaelischen kirche und mission im Heiligen Lande, p. 4.
وسيشار اليه فيما يلي بـ Geschichte .

٤) كريستيان بونـزون ابن جندي هولندي عاش في امارة فالديك Waldeck الالمانية . درس اللغات الكلاسيكية في جامعة غوتنجن وفي معهد اللغات الشرقية في باريس . ثم التحق بالسلك السياسي البروسي حتى بلغ رتبة وزير مفوض في روما . وأصبح بعد ذلك مستشارا لملك بروسيا .
Schmitz, L.: The late Baron Bunsen, pp. 32 - 9.
Bunsen, F.: A Memoir of Baron Bunsen, Vol. 1, pp. 593.

المبررات لانشاء مطرانية القدس :

« اولا : لقد اعتادت حكومة هذه البلاد (فلسطين) وشعبها ، منذ عهد بعيد ، على ان يريا جميع المؤمنين باية ديانة ملتئمين في تنظيم واحد ، ومجتمعين في هيئة واحدة ، وخاضعين للقوانين نفسها . وبهذه الصيغة قدمت نفسها طوائف اليهود واللاتين واليونان والارمن . واذا اراد المسيحيون الانجيليون اليوم المطالبة بالاعتراف بكنائسهم المختلفة بصورة منفردة (أي الكنيسة الانجليكانية L'Eglise anglicane Episcopales ، والكنيسة الكهنوتية العلمانية الاسكتلندية L'Eglise Presbytérienne D'Ecosse ، والكنيسة الانجيلية الموحدة L'Eglise Evangélique Unie ، والكنيسة اللوثرية L'Eglise Lutherienue ، والكنيسة الاصلاحية L'Eglise Réformée ، والكنيسة المعمدانية L'Eglise Baptiste ، والكنيسة الميثودية L'Eglise Méthodiste وكنيسة المستقلين L'Eglise des Indépendants ، . . . الخ) فقد تستجيب الحكومة التركية بصعوبة كبيرة لطلبها » . ثم يذكر الملك البروسي في رسالته ان العدد الضئيل من اتباع هذه الكنائس الانجيلية قد لا يشجع الباب العالي على الاعتراف بها . ويأتي بعد ذلك على استعراض الوضع السياسي في الدولة العثمانية مبينا أن الظروف السياسية آنذاك مواتية لمنح الكنيسة الانجيلية امتيازات مماثلة للكنائس الأخرى في فلسطين(٥) .

حمل البارون بونزن معه رسالة من الملك البروسي فريدريش فيلهلم الرابع الى ملكة بريطانيا مؤرخة في ٨ حزيران ١٨٤١(٦) . تتضمن الحجج والمبررات التي ساقها للقبول بمشروعه والواردة في تعليماته لمستشاره السابقة الذكر . ويؤكد في رسالته هذه ان وحدة البروتستانت هي الضمانة لنجاح كنيستهم في القدس . ويعرض بعد ذلك استعداده ، في حالة انشاء اسقفية بروتستانتية في القدس ، لتزويدها بالرهبان والمبشرين من الكنيسة الانجيلية البروسية الموحدة Die Evangelish-Unirte Kirche(٧) .

وصل بونزن الى لندن في ١٩ حزيران وشرع في التفاوض مع الحكومة البريطانية ورئيس اساقفة كانتربري الدكتور وليام هاولي Dr. William Howley واسقف لندن الدكتور شارلز جاك

---

٥) Alonzo, A. d': les Allemands en Orient, pp. 11 - 12.

٦) نص الرسالة باللغتين الالمانية والانكليزية في :
Helcher, W.H.: The Jerusalen Bishopric, pl. 11 (Documents), pp. 20 - 27.

٧) نص التعليمات الموجهة الى بونزن في : Alonzo, A. d': op. cit., pp. 11 - 18.

بلومفيلد Charles Jacques Blommfeld بصفته المسؤول الأول عن الرهبان الانجيليكان خارج المملكة المتحدة والاسقف الأول في المملكة بعد رئيس اساقفة كانتربري . ودامت هذه المفاوضات ثلاثة اسابيع انتهت بموافقة الحكومة البريطانية ورئيس اساقفة كانتربري على المقترحات البروسية من حيث المبدأ(٨) . وابرمت اتفاقية بين الطرفين نصت على تعيين اسقف انجليكاني بصورة دورية من قبل ملكة بريطانيا وملك بروسيا ، وعلى ان يخضع تعيين الاسقف الذي يختاره ملك بروسيا لموافقة رئيس اساقفة كانتربري ، وان يكون تعيين اول اسقف من قبل ملكة بريطانيا . واشترطت الاتفاقية تبعية الاساقفة المعينين لهذا المنصب لرئيس اساقفة كانتربري ، وكذلك الحال بالنسبة الى القسس والرهبان التابعين له(٩) . أما رجال الدين الالمان الذين سيتبعون الاسقفية الجديدة فلا بد من اعادة تكريسهم وفقا لتقاليد وتعاليم كنيسة انكلترا الانجليكانية(١٠) .

وتعبيرا عن اهتمام ملك بروسيا بالاتفاقية المذكورة تبرع بمبلغ مئة الف تال Thal (ما يساوي خمسة عشر الف جنيه استرليني انذاك) من ماله الخاص لوقفه على الاسقفية الجديدة . ووعد بتقديم الارباح السنوية لهذا المبلغ في بداية كل عام لتغطي نصف رواتب القسس السنوية . اما بالنسبة الى الجانب البريطاني فقد طرح اكتتابا عاماً بمبلغ عشرين الف جنيه استرليني ، دفعت جمعية يهود لندن ثلاثة آلاف جنيه منه(١١) .

انشاء مطرانية القدس البروسية - الانكليزية المشتركة

بعث وزير خارجية بريطانيا لورد بالمرستون Lord Palmerstone برسالة الى السفير البريطاني في اسطنبول في ٢٧ ايلول ١٨٤١ . ابلغه بنتائج المباحثات التي دارت بين البارون بونزن وبين رئيس اساقفة كانتربري ورئيس الوزراء البريطاني حول اسقفية القدس . وبيّن له انه لا ضرورة للحصول على اذن خاص من الباب العالي لهذه الغاية . باعتبار ان الاسقف الذي سيعين في القدس ، سيتمتع بحق الاقامة في اي جزء من الممتلكات العثمانية ، كأي مواطن بريطاني ، وباعتبار ان النشاط التبشيري الذي سيمارسه لن يتناول رعايا السلطان من المسلمين(١٢) .

وفي اثناء ذلك سعت الهيئة الكنسية البريطانية الى اختيار الرجل المناسب لتولي منصب

---

٨) Tibawi, A. L: op. cit., pp. 46. Alonzo , A. d' , op. cit., pp. 18 — 19.

٩) Tibawi, A. L.: op. cit., p. 49, Geschichte..., p. 6.

١٠) نص رسالة رئيس اساقفة كانتربري في: Alonzo, A.d'.: op. cit., pp. 29 - 30.

١١) Richter, J.: op. cit., p. 239.

١٢) Tibawi, A.L.: op. cit, p. 48.

مطران القدس . وعرض الأمر على الكسندر ماك كول Alexander MC Caul ، خريج معهد برلين التبشيري ، واحد المبشرين الأوائل في جمعية يهود لندن . غير انه رفض العرض ، واقترح ان يعتلي كرسي المطرانية « احد المنحدرين من نسل ابراهيم » . ولقي هذا الاقتراح صدى طيبا في نفوس كافة المسؤولين الانكليز . فوقع الاختيار على المبشر مايكل سولومون الكسندر Micheal Solomon Alexander من اعضاء جمعية يهود لندن .(١٣) وتمّ تكريسه على يد رئيس اساقفة كانتربري واسقف لندن واسقفين آخرين وبحضور البارون بونزن والسير سترافورد كاننغ Sir Straford Canning السفير البريطاني الجديد المعين لدى الباب العالي ، وعدد من كبار المسؤولين الانكليز ، في ٧ تشرين الثاني عام ١٨٤١ في كنيسة لامبث بالاس LambethPalace(١٤) وحمل المطران المعين رسالة من رئيس اساقفة كانتربري موجهة الى بطاركة الشرق واساقفته(١٥) .

نقل الاسقف الكسندر وافراد اسرته ومرافقوه على البارجة البريطانية Devastation الى بيروت حيث توقفت لتأخذ القنصل البريطاني العام الكولونيل هاف روز Colonel Hugh Rose لمرافقة الاسقف الى القدس(١٦) . ارست البارجة في يافا ، ودخل الاسقف والقنصل العام البريطاني الى القدس على رأس كوكبة من الفرسان في احتفال مهيب يوم ٢١ كانون الثاني عام ١٨٤٢(١٧) .

كان هم الاسقف الكسندر منصبا، في بداية الامر، على بناء كنيسة انجيلية في المدينة المقدسة . غير ان السلطات المحلية قاومت بشدة كل مسعى في هذا الصدد . وبذل القنصل العام البريطاني في بيروت جهودا كبيرة من اجل حمل السلطات العثمانية على الاعتراف بالكنيسة الانجليكانية والسماح لها ببناء كنيسة في القدس . وسعى السفير البريطاني السير كاننغ لدى

---

١٣) هو يهودي بولندي اسمه الحقيقي فولف Wolf من مواليد شينلاكه Schoenlake في دوقية بوزن Bosen الالمانية . جاء الى بريطانيا عام ١٨٢٠ وهو في الحادية والعشرين من عمره . وتولى تعليم التلموذ واللغة العبرية . ثم عين حاخاما في بلايموث Plymouth . تنصر عام ١٨٢٥ وعمل في جمعية يهود لندن مبشرا في دانتسغ Danzig . ثم عاد الى لندن عام ١٨٣٠ وبقي فيها حتى تاريخ اختياره لاسقفية القدس . وتولى أثناء اقامته في لندن تعليم اللغة العبرية في Kings College .

Tibawi, A.L.: op. cit, p. 50, Alonzo, A.d'.: op. cit. pp. 22-3.

Richter, J.: op. cit, p. 239.

١٤) Alonzo, A. d'. : op. cit, p. 23.

١٥) النص الكامل للرسالة في: Alonzo, A. d'. : op. cit, pp. 23-24.

١٦) Geschichte.., p. 11 , Tibawi, A.L.: op. cit, p. 51.

١٧) Geschichte.., p. 12, Tibawi, A.L.: op. cit, p. 58.

الباب العالي دون جدوى . وبعد جهود طويلة وضغوط عديدة استجاب الباب العالي للمطلب البريطاني واصدر فرمانا في اواخر شعبان سنة ١٢٦١ هـ / الموافق اوائل ايلول ١٨٤٥ ميلادية . موجها الى حاكم القدس ، ينص على السماح للاسقف الانجليكاني ببنـاء الكنيسة المطلوبة غير ان الحاكم العثماني ، الذي أطلع المجلس الاداري للمدينة المقدسة على صيغة الفرمان ، لجأ الى المماطلة في تنفيذ ما جاء فيه(١٨) .

وأخيراً وافق حاكم القدس على انشاء كنيسة صغيرة ملحقة بالقنصلية البريطانية في المدينة ، داخل مبنى القنصلية او داخل منزل القنصل . ودار جدل طويل بين حاكم القدس والقنصل البريطاني حول الموضوع ، باعتبار ان مكتب القنصلية البريطانية لم يكن مؤلفا الا من غرفة واحدة وانه من المتعذر بناء كنيسة فيها . واعيدت القضية الى اسطنبول ولندن . وتوفي في هذه الاثناء الاسقف الكسندر في ٢٦ تشرين الثاني ١٨٤٥ . وتدخل السفير البريطاني في اسطنبول من جديد فربح المعركة ، وصدر فرمان من الباب العالي بالسماح ببناء كنيسة انجليكانية في القدس ، بعد ان توسطت الحكومتان الفرنسية والروسية في الأمر(١٩) .

أما بالنسبة الى نشاط الاسقف الكسندر خلال هذه السنوات فقد تركز في الاوساط اليهودية في فلسطين . وبلغ عدد اليهود الذين تنصروا عند وفاته ٣١ فردا . وقد انشأ لهم منزل المهتدين The House of Converts الذي أصبح بعد فترة كلية تسمى الكلية العبرية The Hebrew College تم افتتاحها في أيار ١٨٤٢ ، وكانت بمثابة مركز لتدريب اعضاء الارسـالية التبشيـرية الانجليكانية ، يعلم فيها اللاهوت واللغات الانكليزية والالمانية والعبرية والحساب والموسيقى والترجمة . وانشأ الاسقف الكسندر المدرسة الصناعية The School of Industry التي افتتحت عام ١٨٤٣ ، فكانت مأوى للمتنصرين الجدد يتناولون فيه الغذاء الكامل ، ويقيمون فيه ، ويتدربون على الحرف اليدوية مثل النجارة وحفر الخشب والخياطة . ولاعداد المرشحين للكلية العبرية والمدرسة الصناعية اسس الاسقف الكسندر « منزل المبتدئين The Enquirers House عام ١٨٤٣ » ليتلقوا فيه التعليم الديني والتدريب الأولي في الحرف . وكان المرشحون يقيمون في هذا المنزل ويتناولون الغذاء فيه . وانشأ الاسقف المذكور بالاضافة الى ذلك ، مركزا للخدمة الطبية يحتوي على عيادة صغيرة وصيدلية . كما اوجد مخزنا للكتاب المقدس بقصد توزيعه باللغات العبرية والعربية واليونانية والانكليزية والالمانية (٢٠) .

(١٨ Helcher, W. h. : op. cit (Documents), pp. 128 - 9.
Tibawi, A. L.: op. cit, pp. 61 - 74.

(١٩ Tibawi, A. L.: op. cit, p. 75.

٢٠) المصدر نفسه ، ص ٧٥ ـ ٧٦ .

ولا بد من الاشارة هنا الى انه لم يوجد رهبنات بروسية او المـانية في فلسطين عند انشاء المطرانية الانجيلية في القدس . وانما وجد بعض الرهبان الالمان في خدمة جمعية يهود لندن وجمعية التبشير الكنائسية Church Missionary Society. ولذلك حث ملك بروسيا فريدريش فيلهلم الرابع وزير دولته ، برسالة مؤرخة في ٢٨ حزيران ١٨٤٢ ، على السعي لايفاد الرهبان الالمان الى فلسطين وجاء فيها : « على الرغم من غياب رهبنات بروتستانتية المانية في فلسطين ، والتي ينبغي ان نتطلع الى ايجادها في ظروف اكثر ملاءمة ، فان الرهبان الشبان من الكنيسة البروتستانتية الالمانية ، الذين يدفعهم حماسهم المتزايد للعمل في الارساليات التبشيرية الرامية الى تنصير اليهود ، والذهاب الى فلسطين ، سوف يجدون ان من المرغوب فيه الاستفادة من هذه العروض . . التي يقدمها رئيس اساقفة كانتربري والتي تستهدف الحصول على حرية كبيرة في العمل التبشيري وعلى نتيجة افضل ، بقبول حماية ورعاية الاسقف . .

انني على اتم الاستعداد لمساندة الرهبان الشبان من هذا الطراز ، بالأسلوب المناسب ، بعد فحصهم والتأكد من كفاءتهم ، وبخاصة اذا اثبتوا تمكنهم من المذهب البروتستانتي المبني على ملة اوغسبـــورغ وانني ادعوك الى ان تذكر لي اسماء مثل هؤلاء الاشخاص »[٢١] .

وعبر الملك البروسي عن اهتمامه البالغ بفلسطين وبانشاء الاسقفية الانجيلية في القدس ، بارسال اول قنصل بروسي الى المدينة المقدسة عام ١٨٤٣ . وقام ولي عهده بالحج الى الديار المقدسة في ذلك العام .

أما الاسقف الكسندر فقد اقام علاقات طيبة مع الالمان في فلسطين من مدنيين ورجال دين . وكان لالمامه باللغة الالمانية ، ووجود العنصر الالماني بين اعضاء بعثته التبشيرية دور كبير في ضمان الوئام والانسجام في صفوف بعثته[٢٢] .

المطران صموئيل غوبات Samuel Gobat[٢٣]

بوفاة المطران الكسندر أصبح اختيار خلف له من حق ملك بروسيا . وفي آذار ١٨٤٦ وقع

---

٢١) Smith, H.: The Protestant Bishopric in Jerusalem, pp. 124 - 5.

٢٢) Alonzo, A. d'.: op. cit., p. 32, Tibawi, A.L.: op. cit, p. 80.

٢٣) ولد صموئيل غوبات في ٢٦ كانون الثاني ١٧٩٩ في قرية صغيرة في منطقة جورا Jura الفرنسية التي ضمت بعد سقوط نابليون الى كانتون برن السويسرية . درس في مدرسة القرية حتى بلغ سن الخامسة عشرة . وتربى في احضان الكنيسة الاصلاحية في سويسرا . وتدرب على التبشير في معهد بازل Basel وتعلم اللغة العربية في باريس على يد المستشرق الفرنسي دوساسي De Sacy ثم سيم في الكنيسة الموحدة في مملكة بادن الكبرى حيث اتحدت الكنيستان اللوثرية

اختيار فريد ريش فيلهلم الرابع على صموئيل غوبات الذي كان يشغل آنذاك منصب نائب مدير الكلية البروتستانتية في مالطة . وسيم غوبات مطرانا للقدس في انكلترا في احتفال ديني مهيب . ونقل ، كسلفه ، ببارجة بريطانية من الاسطول الملكي ، الى فلسطين ، فوصل الى القدس في ٣٠ كانون الأول عام ١٨٤٦[٢٤] .

اختلف غوبات عن سلفه بان وجه اهتمامه التبشيري نحو العرب ، بعد ان كان الهدف من انشاء الكنيسة الانجليكانية في القدس والبعثة التبشيرية التابعة لها تنصير اليهود في فلسطين . وبدأ خطته بانشاء مدارس الكتاب المقدس لاطفال اليهود والنصارى والمسلمين لكنه ما لبث ان اعاد النظر فيها ، وركز جهوده على انشاء المدارس لابناء النصارى العرب في فلسطين وشرقي الاردن . واعترضته عقبات عديدة في تنفيذ خطته . اذ وجد نفسه وجها لوجه في صراع مع كنيسة الروم الأرثوذكس والكنيسة الكاثوليكية والطائفة اليهودية والسلطات المدنية والدينية الاسلامية وجمعية يهود لندن التبشيرية والقنصل البريطاني في القدس[٢٥] .

منذ وصول غوبات الى القدس أبدى بطريرك الروم الارثوذكس والاكليروس التابع له برودا نحو المطران الانجليكاني . حتى انهم لم يبادلوه المجاملات الاعتيادية[٢٦] . ومن المعروف ان كنيسة الروم الارثوذكس التي ترجع جذورها الى عهد المسيح كانت تضم اكبر الطوائف المسيحية في فلسطين . وكان اكليروس هذه الكنيسة ، بما في ذلك البطريرك المقيم في القدس وثمانية مطارنة ورؤ ساء المراكز الدينية التابعة لها من اليونان . اما رعايا الكنيسة فمن العرب سكان البلاد

= والاصلاحية في كنيسة واحدة . رحل غوبات الى انكلترا عام ١٨٢٥ حيث عينته جمعية التبشير الكنائسية C.M.S. مبشرا في الحبشة . وقبل أن يتولى مهمته الجديدة دخل كلية اسلنجتون Islington للتدرب فيها لبضعة اشهر . وفي طريقه الى مركز عمله الجديد ، قضى غوبات ما يزيد عن ثلاث سنوات في زيارة لمالطة وفلسطين وجبل لبنان ومصر حيث تمكّن من تحسين لغته العربية . ونقل من الحبشة الى مالطة حيث شارك في ترجمة الكتاب المقدس الى اللغة العربية ، وفي كتابة المنشورات التبشيرية التي كانت تصدرها مطبعة جمعية التبشير الكنائسية في مالطة . ولما انشئت الكلية البروتستانتية في مالطة سيم غوبات قسيسا في كنيسة انكلترا ، وعيّن نائبا لمدير الكلية . وبعد شهر واحد من افتتاح الكلية عام ١٨٤٦ ، تلقى غوبات دعوة من ملك بروسيا لتسميته مطرانا للقدس .

Tibawi, A.L.: op. cit.: pp. 86 - 7. Geschichte ... pp. 12 - 13,Alonzo , A. d'. : op. cit., p. 33.

لمزيد من التفاصيل عن حياة غوبات انظر مذاكراته التي نشرت في لندن عام ١٨٨٨ بعنوان :

Samuel Gobat, Bishop of Jerusalem His Life and Work.

٢٤) Geschichte... p. 13, Tibawi, A.L.: op.cit, p. 88.

٢٥) Richter, J.: op. cit, p. 239, Tibawi, A.L., op. cit, p. 90.

٢٦) Geschichte... p. 17.

الاصليين . واتخذ الاكليروس اليوناني كافة الاحتياطات للحيلولة دون وصول أي عربي الى مركز ديني مرموق . ونشأ مع الزمن نفور شديد بين الاكليروس اليوناني والرعايا العرب ، بسبب الاهمال الذي تعرض له الرعايا العرب ، وانشغال الاكليروس بقضاياهم الخاصة ، ولذلك كانت الطائفة الارثوذكسية مرتعا خصبا للنشاط التبشيري(٢٧) .

وفي بداية عام ١٨٤٨ جرى اتصال بين بعض الروم الارثوذكس في نابلس وبين المطران غوبات . وابدى هؤلاء رغبتهم في الانضمام الى الكنيسة الانجليكانية . غير ان غوبات نصحهم بالبقاء في حوزة كنيستهم خوفا مما قد يلحق بهم من أذى. ووعدهم بانشاء مدرسة لاطفالهم في مدينتهم . وما حدث في نابلس تكرر في غيرها من مدن فلسطين . ومنذ عام ١٨٤٩ أخذت ترد الى مطرانيةالقدس العرائض التي تتضمن الرغبة في دخول الكنيسة الانجيلية وارسال معلم لانشاء مدرسة للكتاب المقدس(٢٨) .

وجاء رد الفعل من البطريركية الارثوذكسية عنيفا وسريعا . فقد اعتبرت فتح المدارس البروتستانتية لابناء طائفتها عدوانا عليها وخرقا للحقوق الدينية للطائفة المعترف بها من قبل الدولة العثمانية . ولذا لوحق الآباء الذين يرسلون اطفالهم الى المدارس الانجيلية ، وهددوا بالفصل من الكنيسة . وفرض على الذين يترددون على اللقاءات التي يقرأ فيها الانجيل عقوبات مالية(٢٩) .

وكانت اول مظاهر العنف في مقاومة الكنيسة الارثوذكسية للتبشير الانجيلي أحداث السلط في نيسان ١٨٥١ . اذ اعتدى افراد الطائفة الارثوذكسية على معلم مدرسة الكتاب المقدس في البلدة وطردوه من بلدتهم واغلقوا المدرسة . اما الحادث الثاني فقد جرى في نابلس في تشرين الثاني عام ١٨٥٣ عندما هاجم جمهور من الروم الارثوذكس مقر الارسالية الانجيلية وطردوا من فيها .(٣٠) .

أما ردة فعل الكنيسة الكاثوليكية في فلسطين على النشاط التبشيري الانجيلي فكان أشد . اذ قام الكاثوليك بمنع توزيع الكتاب المقدس ، وجمعوا الكتب المقدسة ومنشورات الانجيليين

---

٢٧) انظر تفاصيل الخلاف بين البطريركية الارثوذكسية ورعاياها العرب في كتاب خليل قزاقيا : تاريخ الكنيسة الرسولية الاورشليمية ، مطبعة المقتطف ، القاهرة ١٩٢٤ .

٢٨) Geschichte... p. 34, Richter. J.: op. cit. p. 240.

٢٩) Geschichte... p. 36, Richter, p. 241.

٣٠) Tibawi, A. L.: op. cit, p. 108.

واحرقوها علنا . وكان كل كاثوليكي يشتري من كتب الانجيليين ولا يحرقها يلاحق ويعاقب من الكنيسة . وفي القدس قام الكاثوليك بطرد العديد من معتنقي المذهب الجديد من منازلهم . وفي طبريا اغلقت احدى المدارس التي انشأها غوبات بالقوة من قبل اتباع الكنيسة الرومانية الموحدة والكنيسة اللاتينية(٣١) . وفي الناصرة هاجم جمع من الروم الكاثوليك مدرسة البعثة التبشيرية الكنائسية (C.M.S.) في شباط ١٨٥٢ وحطموا أثاثها وشرعوا بهدم البناء، ورموا مبشريها بالحجارة(٣٢) .

اغاظت تصرفات غوبات ونشاطه التبشيري القنصل البريطاني بسبب استعداء كافة الطوائف المسيحية في فلسطين ، فاعترض عليها . غير ان غوبات حاول ان يبرر موقفه في رسالة بعث بها الى البارون بونزن الذي اصبح وزير بروسيا المفوض في لندن ونائب رئيس جميعة يهود لندن . وقد جاء فيها انه لا يرغب في قبول المسيحيين من الطوائف الأخرى في الكنيسة الانجيلية . وان كان من واجبه ان يشرح لهم عن حقيقة وحياة المسيح ، معَ البقاء في حظيرة الكنيسة التي ينتمون اليها . ولكنه لا يستطيع ان يمتنع عن قبول ، الذين تطردهم كنائسهم ، في الكنيسة الانجيلية . وطلب من البارون بونزن ومن رئيس اساقفة كانتربري ان يطلقا يده في التبشير وان يقدما له العون والتأييد(٣٣) .

وعلى الرغم من المقاومة العنيفة التي واجهها غوبات من الطوائف المسيحية في فلسطين ، فقد استطاع ان يبسط حمايته على افراد الطائفة الانجيلية في القدس ونابلس والناصرة ويافا والرملة . كما استمر في فتح المدارس حتى بلغ عددها في اليوبيل الفضي لتوليه المطرانية خمسا وعشرين مدرسة تضم حوالي الف تلميذ . ولكن معارضة الكنيستين الارثوذكسية والكاثوليكية اتخذت شكلا جديدا . اذ بدأت هاتان الكنيستان بانشاء المدارس حيثما وجدت مدرسة انجيلية(٣٤) . وبلغ عدد البروتستانت العرب في نهاية حرب القرم (١٨٥٦) ٩٢ فردا موزعين على المدن التالية كما يلي : ٣٩ فردا في نابلس و٢١ فردا في القدس و١٥ فردا في الناصرة و١١ فردا في يافا و٦ افراد في بيت لحم(٣٥) .

(٣١ Geschichte .. p. 36.

(٣٢ Tibawi, A. L.: op. cit, p. 108.

(٣٣ Geschichte .. p. 37, Richter , J. op. cit, 241, Tibawi, A.L.: op, cit, p. 93.

(٣٤ Geschichte ., p. 38.

(٣٥ Tibawi, A.L.: op. cit, p. 131.

أما في الاوساط اليهودية في فلسطين فقد كانت حصيلة اعمال غوبات محدودة جدا . وتعرض لهجوم شديد من الطائفة اليهودية التي اتهمته بكراهية اليهود . ومقاومته جميعة يهود لندن التي قصرت نشاطها التبشيري على الطائفة اليهودية ، بسبب منافسته لها(٣٦) .

لم يقتصر العداء لمشروعات غوبات ونشاطاته على الطوائف المسيحية واليهودية بل تجاوزها الى السلطات المدنية والدينية الاسلامية . فقد واصل غوبات جهوده من اجل بناء كنيسة انجليكانية في القدس ، فتم له ذلك وكرسها في ٢١ كانون الثاني عام ١٨٤٩ ، (باسم كنيسة المسيح «Christ Church» بحضور قنصل بروسيا وقنصل بريطانيا ، بينما امتنع قنصلا فرنسا وروسيا وبطاركة الروم الارثوذكس واللاتين والأرمن عن حضور حفل التكريس الديني . وكان الممثل الديني الوحيد الذي حضر هذا الحفل المطران السرياني في القدس(٣٧) .

ولعل اكبر نصر احرزه غوبات هو اعتراف الحكومة العثمانية بحق اعتناق المسيحيين من رعاياها للبروتستانتية . وكان ذلك النصر حصيلة جهود مشتركة بذلها الوزير المفوض البروسي والسفير البريطاني في اسطنبول عام ١٨٥٠ . وصدر فرمان بهذا الشأن مؤرخ في الاول من محرم عام ١٢٦٧ هـ(٣٨) . وبذلك أبيح للمسيحيين من الطوائف المختلفة اعتناق المذهب البروتستانتي ، وتحرروا من الخوف والعقوبات المختلفة التي كانت تفرضها عليهم كنائسهم(٣٩) .

كان لحرب القرم (١٨٥٣ - ١٨٥٦) آثار ايجابية على الحركة التبشيرية البروتستانتية في فلسطين . فقد صدر خطي هما يون في ١٢ جمادى الثانية عام ١٢٧٢ هـ / الموافق ٢٦ كانون الثاني عام ١٨٥٦ مؤكدا ما جاء في خطي شريف غولخانة . ومنح المساواة في الحقوق المدنية لرعايا السلطان المسيحيين ، وضمن حريتهم في العبادة والتعبير . وبلغت أنباء هذا الفرمان فلسطين قبل الاعلان عنه رسميا من قبل حاكم القدس العثماني أمام الاعيان والوجهاء وقناصل الدول الأجنبية ، كما كانت العادة آنذاك . غير ان المطران غوبات لم ينتظر اعلان الفرمان رسميا ، بل ذهب فور علمه به الى نابلس ودق جرس الارسالية التبشيرية هناك في يوم الأحد الموافق ٣٠ آذار ١٨٥٦ . ولما سأله حاكم المدينة العثماني اذا كان لديه تصريح رسمي بهذا العمل الاستفزازي

---

٣٦) Geschichte .. p. 29.

٣٧) Geschichte .. p. 27, Tibawi , A.L.: op. cit, p. 99.

٣٨) ترجم الفرمان المذكور الى الانكليزية ونشر في صحيفة The Missionary Herald, Boston, U.S.A. April 1851.

٣٩) Tibawi, A.L.: op., cit., p. 104.

أجاب المطران : انه يعتمد في ذلك على خطي هما يون . وبعد يومين من هذا الحادث وردت انباء ميلاد امير لامبراطور فرنسا ، فرفع القنصلان الفرنسي والانكليزي في نابلس علمي بلديهما بهذه المناسبة . وغادر غوبات نابلس بصحبة قنصلي بروسيا وبريطانيا الفخريين وهما سعيد قعوار وعودة عزام يوم الجمعة . ولما كانت التقاليد المرعية في المدينة تحرم رفع الاعلام الاجنبية ودق أجراس الكنائس فقد ثارت ثائرة المسلمين ، وخرجت مظاهرة في الاسواق التقت صدفة بالمبشر لايد S. Lyde من كلية يسوع في كمبردج ، راكبا على حصان وحاملا بندقية . ولما اعترضه احد المتسولين على ابواب المدينة اطلق المبشر النار عليه فارداه قتيلا . فكان هذا الحادث بداية لفتنة عامة في المدينة . اذ هاجم المتظاهرون الكنيسة الانجيلية وانزلوا الاعلام عن مبنى القنصليتين الفرنسية والبريطانية[٤٠] .

وعلى الرغم من ان القانون العثماني يحظر النشاط التبشيري بين المسلمين فقد سعى غوبات الى نشر البروتستانتية بينهم . فأثار بذلك حفيظة الاكثرية الاسلامية في البلاد وبخاصة السلطات المدنية والدينية فيها[٤١] .

أما الخلاف بين المطران غوبات والقنصل البريطاني في القدس فقد تطور بسبب تدخل قنصل بروسيا في شؤون اسقفية القدس ، وبسبب اعتقاد القنصل البريطاني ان المطران يتعاون مع الرهبان الالمان لصالح بروسيا ويعارض المصالح البريطانية في فلسطين . والواقع ان علاقة صداقة وثيقة نمت بين المطران والقنصل البروسي فأثارت غيظ القنصل البريطاني جيمس فين James Finn . وكانت جنسية غوبات والسلطة القنصلية التي يتبعها موضوع نقاش وجدل . فقد طلب القنصل البريطاني من المطران المثول امام محكمته القنصلية فرفض الأخير . فما كان من القنصل الا ان أصدر أمرا بمنعه من مغادرة القدس ، بانتظار صدور قرار المحكمة القنصلية العليا في اسطنبول[٤٢] . غير ان وزارة الخارجية البريطانية تدخلت في الأمر ، وابلغت قنصلها في القدس بان المطران غوبات يتمتع بالحماية المشتركة للحكومتين البروسية والبريطانية ، وانه لا مبرر لتدخل القنصل في شؤون الاسقفية[٤٣] .

أما أهم اعمال غوبات في فلسطين فانشاء المدارس . فقد افتتح في السنة الأولى من اسقفيته

---

٤٠) المصدر نفسه ، ص ١١٥ - ١١٦ .

٤١) Geschichte .. p. 29.

٤٢) Tibawi, A.L.: op. cit, p. 136.

٤٣) F.O. 78 - 1448, Letter of Malmesbury of 28. 4. 1839

اولى مدارس الدياكونيس Diakenissen Schule في القدس ، في ١٠ تشرين الثاني ١٨٤٧ . وعهد بادراتها الى سيدة انكليزية ارسلت من « جمعية ترويج التعليم النسائي في الشرق «Society of Promoting Female Education in the East» (التي كانت قد تأسست عام ١٨٣٧ وبدأت العمل في الهند والصين والمشرق العربي ، بهدف الربط بين العمل النسائي في البيت والخدمة الطبية والتعليم في المدارس ودور الايتام وتدريب المعلمين)[٤٤] . وأفتتح مدرسة مماثلة في نابلس في ١٠ ايلول ١٨٤٨ بواحد وعشرين تلميذا[٤٥] .

وفي عام ١٨٥٦ كان غوبات قد انشأ مدرستين في القدس الأولى للصبيان وتضم ٤١ صبيا ، والثانية للبنات وتضم ٤٤ بنتا ، ومدرسة في بيت لحم تضم ما بين عشرين واربعين صبيا وبنتا ، ومدرسة في نابلس تضم ستين صبيا واربع بنات ، ومدرستين في يافا احداهما للصبيان وتضم ٢٨ صبيا والاخرى للبنات وتضم ٥٣ بنتا . وبلغ مجموع التلاميذ في هذه المدارس الست ٢٦٠ تلميذا ، بينهم ٣٩ تلميذا من ابناء اليهود و١٦ طفلا من ابناء اليهود المتنصرين ، وستة اطفال من ابناء السامريين ، أما الباقي فمن العرب[٤٦] .

وكانت مدارس الدياكونيس هذه تعلم القراءة والكتابة واللغات الانكليزية والالمانية والعربية واشغال الخياطة للبنات[٤٧] .

وافتتح غوبات مدارس الكتاب المقدس في بيت لحم وبيت جالا واللد والرملة ويافا ونابلس ورفيديا وزبابدة وبرقين وشفا عمرو والسلط . وكان معظمها بمعلم واحد ، وتراوح عدد تلاميذها بين عشرة وخمسة عشر تلميذا[٤٨] . واضطّر المطران غوبات الى التخلي عن معظم هذه المدارس لمؤسسات تبشيرية انكليزية والمانية بسبب العجز المالي الذي كانت تعاني منه . واتصف التعليم في هذه المدارس البروتستانتية بتدني مستوى المعلمين الاكاديمي والمهني[٤٩] .

لم يكتف المطران غوبات بموارد الاسقفية المحدودة للقيام بنشاطه التبشيري والثقافي : فلجأ الى انشاء صناديق للتبرع في المانيا وسويسرا وانكلترا لدعم مشاريعه . وكان يقوم بجولة في

---

٤٤) Tibawi, A.L.: op. cit, p. 91.

٤٥) المصدر نفسه ، ص ٩٣ .

٤٦) المصدر نفسه ، ص ١١٧ .

٤٧) المصدر نفسه ، ص ١١٠ .

٤٨) المصدر نفسه ، ص ١٥٩ .

٤٩) المصدر نفسه ، ص ١٦٢ .

اوروبا ، مرة كل عامين ، من اجل جمع المال . وساهمت جولاته هذه في دفع جمعية التبشير الكنائسية الانكليزية (.C.M.S) الى ارسال المزيد من المبشرين الى فلسطين ، وقيام جمعيات تبشيرية عديدة في المانيا وسويسرا للغرض نفسه مثل اخوة كريشونا Bruederhaus St. Chrischona قرب بازل في سويسرا ، وجمعية كايزرزفيرت دياكونيس Das Kaiserswerther Diakonissen Mutterhaus وجمعية بيت المقدس Jerusalem Verein في برلين(٥٠) .

قضى غوبات ثلاثا وثلاثين سنة من عمره اسقفا للقدس ، الى أن وافته المنية في ١١ أيار ١٨٧٩ ، و دفن في المقبرة الانجيلية على جبل صهيون في المدينة المقدسة(٥١) .

نهاية مطرانية القدس البروسية الانكليزية المشتركة

بوفاة صموئيل غوبات شغر منصب المطرانية الانجليكانية في القدس . وكان على ملكة بريطانيا ، هذه المرة ، أن تختار المطران الجديد ، وفقا للاتفاقية البروسية ـ الانكليزية لعام ١٨٤١ . ووقع الاختيار على جوزيف باركلي Joseph Barclay(٥٢) عميد كلية ستيبلفورد Stapleford College في هيرتفورد شاير وسيم مطرانا في ٢٥ تموز ١٨٧٩ .

وصل باركلي الى القدس في ٣ شباط ١٨٨٠ . وكان البروتستانت في المدينة المقدسة عند وصوله اليها منقسمين الى جماعات قومية ولغوية متميزة ، ان لم نقل متنافرة . وكانت الجماعة الاولى من البروتستانت الانكليز واليهود المتنصرين الذين كانوا يترددون على كنيسة المسيح ، بينما تألفت الجماعة الثانية من البروتستانت الالمان الذين أصبح انتماؤهم للدولة الالمانية الموحدة منذ عام ١٨٧١ أقوى من انتمائهم للكنيسة البروتستانتية . أما الجماعة الثالثة فتألفت من البروتستانت العرب الذين كانوا يحظون بدعم جمعية التبشير الكنائيسة C.M.S. . وقد بنى اتباع هذه الجماعة الاخيرة كنيسة خاصة بهم هي كنيسة القديس بولس التي افتتحت للعبادة لاول مرة عام ١٨٧٤(٥٣) .

---

٥٠) Geschichte .. p. 39.

٥١) المصدر نفسه ، ص ٣٩ ـ ٤٠ .

٥٢) كان جوزيف باركلي مبشرا في جمعية يهود لندن في اسطنبول ثم نقل رئيسا لبعثتها التبشيرية في القدس واصبح المسؤول الاول في كنيسة المسيح فيها . وهو مؤلف كتاب :

Jerusalen, The city of Great King

Tibawi, A. L.: op. cit, p. 215, Alonzo, A. d' , Op. Cit., p. 33.

٥٣) Tibawi, A.L.: op. cit, pp. 215 - 6

ولم يقتصر الامر على انقسام الطائفة البروتستانتية على نفسها ، وانما انفصل معظم البعثات التعليمية والطبية التابعة لمطرانية القدس عنها ، والحقت بالبعثة التبشيرية الكنائسية وغيرها من البعثات التبشيرية . وقبل ان يتمكن المطران باركلي من حل المشكلات التي واجهته فاجأه الموت في ٢٢ تشرين الاول عام ١٨٨١ .

فتح موت باركلي الباب على مصراعيه لنزاع دبلوماسي بين المانيا وبريطانيا حول مطرانية القدس . فقد جاء دور ملك بروسيا لاختيار المطران الجديد . وبعد مفاوضات طويلة رأت الحكومة الالمانية انه لا بد من اعادة النظر في اتفاقية عام ١٨٤١ التي تجاوزتها الاحداث ، وبخاصة بعد الاهمية الكبرى التي اكتسبتها المانيا في اوروبا منذ عام ١٨٧١ . وكان الاعتراض الالماني على الاتفاقية المذكورة يدور حول نقطتين هما : حق النقض الذي يتمتع به رئيس اساقفة كانتربري على تعيين المطارنة في القدس ، ورفض الرهبان اللوثريين الالمان اعادة ترسيمهم ليصبحوا رهبانا انجليكانيين . ورغم الحاح المانيا رفض رئيس اساقفة كانتربري تقديم اية تنازلات للالمان . فما كان من حكومة بروسيا الا أن أعلنت انسحابها من الاتفاقية . وأيد القيصر الالماني فيلهلم الاول Wilhelm I هذا الانسحاب الذي اعلن رسميا في ٩ تشرين الثاني عام ١٨٨٦ . وبلغ البارون فون هاتسفيلد Von Hutzfeld سفير المانيا في لندن وزارة الخارجية البريطانية رسميا بقرار الحكومة الالمانية بالغاء الاتفاقية في ٤ كانون الاول ١٨٨٦ ، وردت الخارجية البريطانية على ذلك بالموافقة(٥٤) .

والواقع ان اسباب القطيعة يمكن حصرها بما يلي :

١ ـ وضع الرهبان الالمان التابعين لمطرانية القدس الانجليكانية والذي لم يتفق ومصالح المانيا . فقد رفضت مطرانية القدس ان تمنح الكنيسة اللوثرية الالمانية الحقوق نفسها التي كانت تتمتع بها الكنيسة الانجليكانية في فلسطين .

٢ ـ التزام من تختاره بروسيا مطرانا للقدس بالتوقيع على بنود تعاليم المهنة التسعة والثلاثين الواردة في العقيدة الانجليكانية .

٣ ـ حق النقض الذي كان يتمتع به رئيس اساقفة كانتربري لمن ترشحه بروسيا لمنصب المطرانية .

٤ ـ فشل الغاية من انشاء المطرانية المقدسية وهي توحيد الكنائس البروتستانتية ، كما كان يأمل ملك بروسيا ، وبقيت الكنائس البروتستانتية في عزلتها القومية .

٥ ـ عجز المطران البروتستانتي في القدس عن حماية مصالح الطائفة الالمانية البروتستانتية . وكان

---

٥٤) Benson, A.C.: The life of Edaward White Benson, London, 1899, Vol. 2, p. 163.

القنصل البروسي حتى عام ١٨٧١ والالماني فيما بعد ذلك هو الذي يتولاها .

٦ ـ كان محرما على المطران زيارة الكنيسة الالمانية واقامة أي احتفال ديني فيها وذلك وفقا لاوامر وتعليمات الكنيسة الانجليكانية .

٧ ـ زيادة عدد الالمان في فلسطين على عدد الانكليز وازدياد عدد مؤسساتهم الدينية والخيرية(٥٥) .

نشاط الارساليات التبشيرية البروتستانتية الالمانية

اخوة كريشونا St. Chrischona Missionhaus

يرتبط التبشير البروتستانتي الالماني في فلسطين ، في بداياته ، باسم المبشر الالماني الاب شبتلر Spittiler(٥٦) ، الذي عمل في الجمعية الالمانية المسيحية Die Deutsche Christentums Gesellschaft وفي البعثة البازلية Das Baseler Missionshaus بين عامي ١٨٠٧ و١٨٤٠ . وانشأ في كنيسة القديس كريشونا الواقعة على بعد مسيرة ساعة ونصف الساعة من بازل بعثة الحجاج Pilgermission في عام ١٨٤٠ . واخذت هذه البعثة تستقطب الشبان المسيحيين المتدينين وبخاصة اصحاب الحرف اليدوية لتدريبهم على ايدي الرهبان ليصبحوا رهبانا قادرين على العيش من دخلهم الخاص كحرفيين . وكانت اخوة كريشونا تقوم بنشاط ديني وثقافي في اوساط المهاجرين الالمان في امريكا الشمالية . أما شبتلر فقد بدأ صلاته بالشرق من خلال عمله في دار البعثة البازلية التي كانت نشيطة في ارمينيا(٥٧) .

ومنذ عام ١٨٣٦ شرع شبتلر يتداول مع عدد من رجال الدين والفكر الالمان فكرة استعمار الارض المقدسة . غير أن العقبات التي قد تعترض هذا المشروع بدت وكأنها متعذرة التذليل .

وجاء اختيار صموئيل غوبات اسقفا للكنيسة البروسية ـ البريطانية المشتركة في القدس عام ١٨٤٦ ، ليبعث الهمة في نفس شبتلر ويشجعه على النشاط التبشيري في فلسطين . فقد عرف هذا غُوبات عند تردده على اخوة كريشونا . وأمل في أن ينال دعمه وتأييده لمشاريعه التبشيرية في

---

٥٥) Geschichte.. pp. 126 - 7, Tibawi, A.L.: op. cit, pp. 216 - 9 Alonzo, A.d': op. cit, p. 34.
لمزيد من التفاصيل عن موضوع المفاوضات البروسية ـ الانكليزية انظر كتابي :
Anglican Bishopric in Jerusalem and the East 1883-7. Benson's Dirary, Bensons letters, Notes and Memoranda.

٥٦) ولد شبتلر في فورتمبرغ وتلقى تعليمه فيها ثم رحل الى بازل في سويسرا علم ١٨٠١ حيث عمل سكرتيرا للجمعية الالمانية المسيحية عام ١٨٠٧ . وسعى شبتلر منذ انشاء دار البعثة البازلية عام ١٨٥١ الى نشر نشاط البعثة في المانيا .

٥٧) Geschichte... pp. 42-3 Richter, J.: op.cit, p. 261.

فلسطين . ولذلك ما كان منه الا ان اقترح على المطران غوبات إنشاء مركز لاخوة كريشونا في القدس « حتى يرى الناس الفقراء هناك نموذجا حيا أمام أعينهم كيف يعيش المسيحيون الحقيقيون ، وكيف يعاملون من يحيطون بهم بمحبة ، وكيف يصلون ويعملون ، وكيف يسعون بالمشورة والعمل الى مساعدتهم » . كما رشح الراهبين بالمر Palmer وشيك Schick من فورتمبرغ Wuerttemberg لهذه الغاية ، شريطة أن يتدرب الاول على صناعة الصابون واعداد بعض المواد الكيمياوية ، وأن يتدرب الثاني على الحدادة والميكانيك في اخوة كريشونا ، قبل ارسالهما الى فلسطين(٥٨) .

تم لشبتلر ما أراد وسافر الراهبان بالمر وشيك من بازل في ٦ ايلول ١٨٤٦ الى فلسطين ، فوصلا إلى القدس وقابلا المطران غوبات في ٣١ تشرين الاول من ذلك العام . واستأجرا بيتا في القدس للبدء في مشروعهما . غير انهما واجها بعض المصاعب في بداية عملهما بسبب جهلهما باللغة العربية وبالعادات والتقاليد المحلية . وأخذ بالمر يسعى الى اجتذاب اطفال الفقراء الى البيت الذي استأجره لتعليمهم . كما قام شيك بصيانة ذلك المركز التدريبي الصغير وتدريب الاطفال على بعض الحرف اليدوية .(٥٩)

وارسل شبتلر ، في عام ١٨٤٨ ، راهبين آخرين الى القدس هما ميللر Mueller وبالدنشبرغر Baldensperger لينضما الى بالمر وشيك من اجل توسيع نشاط هذا المركز التبشيري . ولم يوفق الرهبان الاربعة في مسعاهم وانفرط عقدهم . ولكن المطران غوبات أوكل الى بالمر ادارة مدرسة المطران في القدس وبقي مديرا لها حتى نهاية ١٨٨٩ ، واوكل الى رفيقه بالدنشبرغر الشؤون المالية للمدرسة نفسها . أما الراهب شيك فقد عمل في المدرسة المهنية التابعة لجمعية يهود لندن . ودخل الراهب ميللر في جمعية التبشير الكنائسية(٦٠) .

واتفق شبتلر مع المطران غوبات في عام ١٨٥٢ على تزويد الاسقفية في القدس بما تحتاج اليه مع الرهبان المتخصصين بالحرف اليدوية ، وعلى اعادة فتح بيت اخوة كريشونا والتعليم باللغة العربية(٦١) . وبناء على هذا الاتفاق ارسل شبتلر المعلم يوهان لودفيغ شنلر Johan Ludwig Schneller الى القدس في ٨ تشرين الثاني عام ١٨٥٤ ترافقه زوجته وستة من الرهبان . وما أن انقضى عام واحد على اقامة هؤلاء الرهبان في المدينة المقدسة حتى التحق اربعة منهم بالمبشر

---

٥٨) Geschichte.... p. 43, Richter, p. 262.

٥٩) Geschichte.... p. 44.

٦٠) المصدر نفسه ، ص ٤٥ .

٦١) المصدر نفسه ، ص ٤٦ .

الدكتور كرايف في الحبشة . وسعى شبتلر الى الابقاء على بيت الرهبنة في بيت المقدس ، وذلك بتحويله الى مدرسة تبشيرية . أما شنلر فقد اشترى قطعة من الارض خارج اسوار القدس عام ١٨٥٥ ، وبنى عليها منزلا صغيرا ليبدأ منه عمل الارسالية التبشيرية لاخوة كريشونا . ولكنه لم يوفق في مشروعه هذا فاضطر الى التعليم في مدارس المطران غوبات(٦٢) .

وفي عام ١٨٥٩ وصل الى شنلر خمسة من رهبان كريشونا بعث بهم شبتلر . وانتقل بهم الى المنزل الذي بناه خارج اسوار القدس حيث بدأوا عملهم التبشيري بصورة مستقلة .

ولدعم نشاط هذه الارسالية اعتقد شبتلر أن لا بد من توثيق صلاتها بالارسالية التبشيرية التابعة للاخوة في الحبشة . ولما كان الاتصال عن طريق البحر الاحمر غير مأمون فقد اقترح ان يتم الاتصال بين الارساليتين برا عبر مصر والسودان ، وذلك بانشاء « محطات » من المحلات التجارية على طول الطريق بمعدل محطة واحدة لكل خمسين كيلومترا . واطلق على هذا الطريق البري اسم « طريق الرسول » . وأوكل الى المبشرين في القدس تأمين الاتصال البري بالرهبان في الحبشة . وكان المبشرون الخمسة الذين اوفدوا من كريشونا عام ١٨٥٩ الى منزل شنلر جزءا من تنفيذ هذا المشروع . وفي العام التالي انشئت محطة ماتهويس Matthaeus في الاسكندرية ومحطة ماركوس Markus في القاهرة كخطوة تالية في تنفيذ المشروع .

غير أن وفاة شبتلر عام ١٨٦٧ وضعت نهاية للمشروع واضطر الرهبان الذين التحقوا بالمحطات المذكورة الى العمل في مؤسسات تبشيرية اخرى . وغادر العديد منهم البلاد العربية الى امريكا(٦٣) .

أما شنلر فلم يكن من محبذي مشروع « طريق الرسول » واكتفى بالاهتمام بالعمل التبشيري في الارض المقدسة . وعبر في رسالة الى احد اصدقائه ، عام ١٨٩٠ ، عن الآثار السيئة التي ترتبت على المنافسة بين الارساليات التبشيرية . وجاءفيها : « حينما أقف على سطح دار الايتام وأجول بنظري هنا وهناك وأرى في كل مدينة ارسالية انكليزية أفسدت الشعب بالاموال التي تنفقها . وكانت اضرارها اكثر من فوائدها ، تعود بي الذاكرة الى ما قبل ثلاثين سنة حينما اختارت « بعثة الحج » الطريق الاصوب للهيمنة على هذه البلاد ، برجال بسطاء بدأوا نشاطهم في منزلي وهم لا يملكون عشر ما لدينا حاليا من الوسائل . عندما افكر في ذلك واستعرض حاجتنا الى المصداقية والشجاعة والايمان وهجرة العديد من المبشرين الى امريكا ، يلتهب فؤادي أسى

---

٦٢) Richter, J.: op. cit, p. 263, Geschichte.. pp. 46, 48.

٦٣) Geschichte.... pp. 46-50.

وأميل الى البكاء بكاء مرا . . .(٦٤) .

ولم يقتصر نشاط اخوة كريشونا على مدينة القدس فقد بعثت بالراهب يوهانس تسلر Johannes Zeller من مملكة فورتمبرغ فوصل الى فلسطين عام ١٨٥٧ . وأمضى في الناصرة عشرين سنة كما أمضى مثلها في القدس . وافتتح في عام ١٨٧١ كنيسة انجيلية في الناصرة وبمساعيه أنشأت جميعة تعليم الفتاة في الناصرة داراً للايتام وعددا من المدارس النهارية . وتولت تمويل هذه المدارس والاشراف عليها في وقت لاحق جمعية التبشير الكنائسية . وتولى تسلر فيها بعد تدريب المعلمين في مدرسة المطران غوبات في القدس . وقضى تسلر ستة واربعين عاماً في فلسطين. وغادرها الى المانيا في صيف عام ١٩٠١ . غير ان الموت فاجأه هناك في ١٩ شباط ١٩٠٣(٦٥) .

وتولى راهب آخر من اخوة كريشونا هو كريستيان فالشير Christian Fallsheer بناء كنيسة ومنزل للرهبان في نابلس عام ١٨٦٤ . وبفضل مساعيه تم بناء مستشفى للارسالية في المدينة نفسها(٦٦) .

المؤسسات والمنشآت الخيرية البروتستانتية الالمانية

دار الآيتام السورية Das Syrische Waisenhaus

اسفرت الفتنة الأهلية في جبل لبنان بين المسلمين والمسيحيين في عام ١٨٦٠ عن لجوء العديد من النساء والاطفال الى المناطق الساحلية. وكان من بين هؤلاء مئات الاطفال الايتام . وسارعت الهيئات الدينية والخيرية في اوروبا لتقديم العون لهؤلاء اللاجئين والايتام منهم بوجه خاص . وقام المعلم شنلر مدير مركز الاخوة الشبتلرية في القدس Das Spittlersche Bruederhaus التابعة لبعثة الحج في كريشونا ، بجهود طيبة في هذا المضمار . فقد زار بيروت وقابل العديد من اللاجئين سعيا الى جلب بعض الاطفال اليتامى الى بيته . غير ان جهوده باءت بالفشل ، ولم يحصل على طفل واحد بسبب معارضة رهبان الطوائف المسيحية للمساعدة المقدمة من راهب بروتستانتي . وعاد من بيروت الى القدس خالي الوفاض . ولكنه ما لبث ان قام بزيارة اخرى الى صيدا حيث تمكن من جلب تسعة اطفال معه الى القدس في ١١ تشرين الثاني عام ١٨٦٠ ، فكان هؤلاء بداية دار الايتام السورية(٦٧) . ومع نهاية العام نفسه بلغ عدد الاطفال الايتام في منزل شنلر ٢٩ طفلاً .

---

٦٤) المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

٦٥) Richter, J.: op. cit, p. 244.

٦٦) المصدر نفسه ، ص ٢٤٣

٦٧) Geschichte.... p. 94, Richter, J. op.cit, p. 264.

كان هؤلاء الاطفال ينامون على مساند من القش يتسع كل منها لأربعة اطفال . ويتولى شنلر نفسه تعليمهم القراءة والكتابة باللغتين العربية والالمانية . كما يقوم رهبان آخرون بتدريبهم على بعض الحرف اليدوية . واخذ عدد الاطفال يزداد مع السنين حتى بلغ ستين طفلا عام ١٨٧٠ و ١٢٦ طفلاً عام ١٨٨٠ . وألف شنلر هيئة استشارية لتقديم المشورة والنصح من اجل تطوير دار الايتام . اما العبءُ الاكبر فقد وقع على شنلر نفسه(٦٨) .

وتشعبت الدراسة والتدريب في الدار مع الزمن . فقد وجد شنلر انه لا يكفي تدريس الاطفال حتى سن الرابعة عشرة او الخامسة عشرة ليتمكنوا من ايجاد عمل مستقل لهم في الحياة ، بل من الضروري ابقاءهم في الدار حتى سن الثامنة عشرة والعشرين لتأهيلهم لمهنة تؤمن معيشتهم . وانشأ شنلر عدة مشاغل حرفية لهؤلاء في الدار مثل الخياطة والنجارة والحدادة وتجليد الكتب والطباعة وصناعة الاحذية والخراطة وصناعة الفخار . وكان يدير هذه المشاغل معلمون المان ما لبث ان حل العرب محلهم مع الزمن . وسمح للمتفوقين من التلاميذ حضور ندوات خاصة بعد اتمام دراستهم ودخول المدرسة الثانوية . وقد تخرج في هذه الدار العديد من المترجمين والمعلمين والحرفيين والرهبان الانجيليين(٦٩) .

وبدأ شنلر في السبعينات من القرن التاسع عشر يفكر بانشاء مستعمرة انجيلية من خريجي دار الايتام ، على ان تكون الدار نفسها نقطة البداية . وشرع يبحث عن قطعة من الارض لهذه الغاية . فوقع اختياره على قطعة من الارض بالقرب من الرملة ، غير ان السلطات العثمانية لم توافق على شرائها . وبعد محاولات دامت سنة كاملة تدخل في نهايتها القيصر الالماني فيلهلم الأول ، وافق الباب العالي على تأجير شنلر قطعة من الارض مساحتها ٥٨٥ هكتارا لمدة اربعين سنة . وفي عام ١٨٨٩ افتتحت المدرسة في بير سالم(٧٠) .

لم يعمر شنلر طويلا ، اذ توفي في ١٨ تشرين الأول عام ١٨٩٦ ولم يؤثر موته على سير الدراسة في دار الايتام . وكان قد اخذ الحيطة لاستمرار هذا المشروع . فأنشأ « الرابطة الانجيلية لدار الايتام السورية في القدس Der Evangelische verein fuer das Syrische Waisenhbaus in Jerusalem » في مدينة كولون الالمانية عام ١٨٨٩ .

وتولى ادارة الدار بعد وفاة شنلر ابنه الاكبر ثيودور Theodor Schneller الذي كان يعمل مراقبا فيها منذ عام ١٨٨٥ . اما مجلس امناء الدار في كولون فكان يشرف على الخطط الدراسية

---

٦٨) Geschichte... pp. 95 - 7.

٦٩) المصدر نفسه ، ص ٩٨ .

٧٠) المصدر نفسه ، ص ٩٩ .

والتدريبية فيها . وفي السنة التي توفي فيها شنلر الأب بلغ عدد تلاميذ الدار ٢١٨ تلميذاً ، كما بلغ عدد العاملين فيها من معلمين وحرفيين ورهبان وموظفين بما في ذلك ابناؤهم حوالي ٦٥ شخصا . ومع نهاية القرن التاسع عشر كانت دار الايتام السورية اكبر مؤسسة تعليمية انجيلية في فلسطين(٧١) .

وكانت الدار قد فتحت ابوابها للاطفال الايتام من الارمن اثر ثورة الارمن عام ١٨٨٩ ، وبلغ عدد هؤلاء ١٢٥ طفلا عام ١٩٠٠ . واضيف الى الدار فرع لايواء المكفوفين والمكفوفات في عام ١٩٠٣ ، كما اضيف فرع زراعي في بير سالم وآخر في الخيمة عام ١٩٠٦ ، واحدث قسم ثانوي فيها وقسم لتدريب المعلمين عام ١٩١٠ . ويتبرع من الامير الالماني كريستوف فون ميونخ Graf Christoph Von Muenich بنيت دار للمكفوفين عام ١٩١١ . وبلغ عدد الذين تخرجوا في الدار منذ انشائها حتى عام ١٩١٠ (١٤٨٣) يتيما ويتيمة منهم ١٢٥٦ يتيماً و١١٥ يتيمة و٦٨ مكفوفاً و٤٤ مكفوفة(٧٢) .

واصدرت دار الايتام منذ عام ١٨٨٥ دورية « رسول من صهيون(٧٣) «Der Bote aus Zion» بالالمانية لنقل اخبار الدار والارض المقدسة الى الناطقين بالالمانية .

وبلغت الميزانية السنوية للدار عام ١٩١٠ تسعة آلاف جنيه استرليني كان ٧٥٠٠ جنيه منها تجمع من تبرعات المحسنين (٧٤) .

جمعية بيت المقدس Der Jerusalem Verein

كانت امارات جنوب المانيا وسويسرا قد سبقت غيرها من المناطق الالمانية الى التبشير البروتستانتي في فلسطين . ورغم محاولة ملك بروسيا فريدريش فيلهلم الرابع اثارة اهتمام سكان مملكته بالتبشير الانجيلي في الارض المقدسة بانشاء « مؤسسة مطرانية القدس Stiftung des Bistums Jerusalem » عام ١٨٤١ ، فقد أبدى البروسيون تحفظا وبرودا نحو هذا المسعى . غير أن هذا التحفظ لم يدم طويلا ، فقد رافق الاهتمام السياسي بفلسطين والذي تمثل بفتح قنصلية

---

٧١) المصدر نفسه ، ص ١٠٠ .

٧٢) A.A., P. A., Politische Abteilung VII, op. 25, Palaestina, Bd.i.
Richter, J.: op. cit, p. 265.

٧٣) Geschichte... p. 97.

٧٤) Richter, J.: op. cit, p. 267.

بروسية في بيت المقدس عام ١٨٤٢ ، حماس تبشيري ونشاط مكثف تجسد بقيام جمعية بيت المقدس في برلين بهدف « دعم المؤسسات البروتستانتية والجماعات الالمانية في الشرق الادنى » .

يعود الفضل في انشاء هذه الجمعية الى الدكتور شتراوس F.A. Strauss مساعد الواعظ في كاتدرائية برلين، الذي زار فلسطين عام ١٨٤٥ ونشر كتابا عن رحلته هذه بعنوان « سيناء والجلجثة Sinai und Golgotha » لقي اقبالا واسعا بين الالمان وأثار اهتمامهم بفلسطين . ومنذ عام ١٨٤٧ بدأ شتراوس الاحتفال « بيوم القدس » في كاتدرائية برلين ، وهو اليوم الذي وصل فيه اول مطران انجيلي الى المدينة المقدسة (٢١ كانون الثاني) (٧٥) .

وفي الثاني من كانون الأول عام ١٨٥٢ انشأ شتراوس بالتعاون مع المايور فستفال Major Westphal وغيره من رجال الفكر والدين « جمعية بيت المقدس Der Jerusalem Verein» وتولى هوفمان D. Hoffmann منصب الرئيس الأعلى فيها وخلفه في هذا المنصب كيجل Koegelعام ١٨٧٥ ، والامير تسايتن ـ شفيرين Zeiten-Schwerin الذي بقي في هذا المنصب حتى نهاية القرن التاسع عشر . اما ادارة الجمعية فقد تولاها شتراوس نفسه حتى عام ١٨٨٦ .

وتأسست فروع للجمعية في مدن بريسلاو Breslau (٧٦) وشلنتسر Schlenzerوفيسلار Wesslarوشتوتجارت Stuttgartومناطق شيليزيا Schlesienوبروسيا الشرقية ومملكة سكسونيا وتورنجن(٧٧) واقتصر نشاط الجمعية في السنوات الأولى من حياتها على التبشير الانجيلي . واصدرت في عام ١٨٥٧ مجلة « أحدث الاخبار من الشرق Neusten Nachrichten aus dem Morgenlande» بمعدل مرة كل شهرين . وكانت توزعها مجانا على اعضائها . ثم اخذت تصدر بعد فترة من الزمن بعنوان « احدث الاخبار من مملكة الرب Neusten Nachrichten aus dem Reiche Gottes » وكانت تنقل معلومات وافية ودقيقة عن نشاط الكنيسة الانجيلية في فلسطين .

بانشاء جمعية بيت المقدس نالت مطرانية القدس الانجليكانية دعما حقيقيا من المانيا . فقد حظيت هذه الجمعية بمساندة الكنيسة الوطنية البروسية Preussische Landkirche والحصول على معونة مالية سنوية منها، حتى بلغ دخل الجمعية السنوي عشرين الف مارك . وأخذت تقوم بالمشروعات التبشيرية والثقافية والصحية في فلسطين . فقد أنشأت مركزا لارسالية تبشيرية في بيت لحم عام ١٨٦٠ . وبعد ذلك بخمس سنوات اسست مركزا مماثلا في بيت جالا . كما أمدت مؤسسة كايزرفيرت Kaiserwerth Stiftung في القدس بالمال والرهبان . وساندت بقوة « المؤتمر

---

٧٥) Geschichte... p. 51.

٧٦) Richter, J. op. cit, p. 267.

٧٧) Geschichte..., p. 52.

السنوي لرجال الدين الانجيليين الالمان في الشرق «Konferenz der Deuthsche-evangelischen Geistlichen des Orients» وكان لها دور بارز في قيام جماعة انجيلية المانية في يافا وأخرى في حيفا خلال عامي ١٨٩٠ و١٨٩١[٧٨] .

بدأت جمعية بيت المقدس نشاطها التبشيري والثقافي في بيت لحم عام ١٨٦٠ . وأوفدت المبشر ميلر Mueller من اخوة كريشونا ليتولى رئاسة الارسالية في تلك البلدة . فأنشأ مدرسة للبنين بالتعاون مع الاسقف غوبات . وتولت الجمعية الانفاق عليها منذ عام ١٨٧١ . واشترى ميلر قطعة من الارض خارج البلدة بنى عليها منزلا ومدرسة وقاعة للصلاة . وقامت زوجته بنشاط واسع في الوسط النسائي في بيت لحم ، حيث اخذت تدرب الفتيات على اعمال الخياطة والتطريز في منزلها . كما تولت العناية بالاطفال الايتام ، واحتوى بيتها على حوالي عشرين منهم . وواجه ميلر ، كغيره من المبشرين البروتستانت ، مقاومة شديدة من رهبان الطوائف المسيحية الاخرى . وتعرض واتباعه للأذى اكثر من مرة . ولم يتمكن من حماية اتباعه الا بعد ان اعترفت السلطات العثمانية المحلية بالطائفة الانجيلية في بيت لحم عام ١٨٦٥ . وبلغ عدد الأسر التي انتمت الى الكنيسة الانجيلية في البلدة اربعين اسرة .

انشأ ميلر مدرسة للبنين في بيت لحم عام ١٨٦٤ ومدرسة للبنات فيما بعد . وتولى ادارة المدرسة الأولى ابن اخيه عمانوئيل ميلر Emmanuel Mueller عام ١٨٧١ . أما ميلر العم فقد امضى في العمل التبشيري في بيت لحم مدة اربع وعشرين سنة . اذ ما لبث ان ارهقه المرض ، فنقل الى المانيا في الاول من نيسان عام ١٨٨٤ وبقي هناك حتى وافاه الاجل المحتوم عام ١٨٩١[٧٩] .

خلف ميلر في ادارة الارسالية التبشيرية في بيت لحم القس يوهان لود فيغ شنلر ، مؤسس دار الايتام السورية ، بناء على تعليمات من جمعية بيت المقدس . فقام شنلر بشراء قطعة من الارض لبناء كنيسة انجيلية في البلدة عام ١٨٨٧ بعد ان جمع للمشروع نحو ١٥٠٠ جنيه استرليني من التبرعات من المانيا . واطلق على الكنيسة الجديدة اسم « كنيسة الميلاد » . غير أن السلطات العثمانية لم تسمح له بالبناء فارجأ المشروع الى عام ١٨٨٩ بعد أن صدر فرمان سلطاني بالترخيص ببناء الكنيسة بمناسبة زيارة القيصر الالماني فيلهلـم الثاني وزوجته لاسطنبول في ذلك العام . غير أن شنلر غادر بيت لحم قبل صدور الفرمان المذكور بعام واحد . واضطرت جمعية بيت المقدس الى تعيين عمانوئيل ميلر مديرا للارسالية التبشيرية الذي شرع في بناء الكنيسة وافتتحت في ٦ تشرين

---

٧٨) المصدر نفسه ، ص ٥٢ ـ ٥٦ .
٧٩) المصدر نفسه ، ص ٥٦ ـ ٦٢ .

الثاني عام ١٨٩٣(٨٠) .

وقبل أن يتولى عمانوئيـل ميلر ادارة الارسالية بعام واحد تولاها مساعد الواعظ بيتشر J. Boettcher الذي تولى مع راعي الكنيسة الانجيلية في القدس شليخت Schlicht اصدار دورية « اوراق انجيلية من بيت لحم Evangelische Blaetter aus Bethlehem» بقصد اثارة اهتمام الالمان بهذه البلدة وجمع التبرعات للمشروعات التبشيرية الانجيلية فيها .

وانشأت جمعية بيت المقدس دارا للايتام في بيت لحم عام ١٨٩٦ لايواء الاطفال الايتام من الارمن . وما لبثت أن بنت دارا جديدة للايتام خارج البلدة على طريق الخليل عام ١٨٩٨ لتستوعب سبعين يتيماً . وتولى الاشراف عليها عمانوئيل ميلر وزوجته . وقد افتتح القيصر الالماني فيلهلـم الثاني هذه الدار في ٣٠ تشرين الأول عام ١٨٩٨ اثناء زيارته لفلسطين(٨١) . هذا ونما عدد البروتستانت في البلدة المذكورة حتى بلغ ١٥٠ فردا عام ١٩١٠(٨٢) .

امتد المبشر ميلر بنشاطه من بيت لحم الى بيت جالا . واخذ يتردد على هذه البلدة مساء كل يوم أحد واعظا ومرشداً . واستأجر غرفة صغيرة لهذه الغاية . غير ان اتباع الطوائف المسيحية الاخرى احرقوا الغرفة وطردوا ميلر منها . وتولى هذه المهمة من بعده المبشر ميلر الذي نجح في استقطاب عدد من سكان البلدة . وارسل اليهم المعلم العربي بشارة كنعان ليقوم بالوعظ الديني صباح الاحد من كل اسبوع . وفي عام ١٨٧٨ قررت جمعية بيت المقدس تكليف بشارة كنعان بالاشراف على الجماعة الانجيلية العربية في بيت جالا . فقام ببنـاء دار ومدرسة وقاعة للصلاة والاجتماعات العامة . وانشأت زوجته مدرسة للخياطة والتطريز لتدريب نساء البلدة(٨٣) .

وتعرّضت الطائفة الانجيليـة في بيَت جالا لعاصفة قوية كادت أن تجتث جذورها وتقضي عليها قضاء تاما . ففي ربيع عام ١٨٨٥ وقع صدام بين البروتستانت وخصومهم الروم الارثوذكس ، أسفر عن مقتل فتاة ارثوذكسية اثناء تراشق الحجارة بين الطرفين . فثار الارثوذكس وطالبوا بالثأر . واضطر البروتستانت الى الرحيل عن البلدة الى الكرك في شرقي الاردن . وبعد ستة شهور من المفاوضات بذل خلالها القس شنلر جهودا كبيرة عاد البروتستانت الى منازلهم بعد أن دفعوا دية القتيلة . وعلى أثر عودتهم قامت جمعية بيت المقدس ببناء كنيسة صغيرة افتتحت عام ١٨٨٦ . وبعد ذلك بعامين افتتحت مدرسة للبنات . وسيم بشارة كنعان

---

٨٠) Richter, J.: op. cit, p. 259, Geschichte... p. 64

٨١) Geschichte...pp. 65-6.

٨٢) Richter, J.: op. cit, p. 260.

٨٣) Geschichte.... pp. 67 - 69.

واعظا دينيا في البلدة عام ١٨٩١ وتولى ادارة الارسالية التبشيرية فيها حتى مطلع القرن العشرين . ونما عدد البروتستانت فيها حتى بلغ ١٤٠ فردا عام ١٩١٠[٨٤] .

واتجهت انظار جمعية بيت المقدس الى التبشير في الاوساط الاسلامية ، رغم ما في ذلك من مخاطر . فالقانون العثماني يحظر مثل هذا النشاط وينص على عقاب كل مرتد عن الاسلام بالاعدام . واختارت الجمعية مدينة الخليل لتبدأ فيها تجربتها ولم يكن بالامكان ان تبدأ التبشير بالطرق التقليدية مثل الاتصال بالمسلمين والدخول في نقاش ديني معهم . وانما عمدت الى وسيلة مغرية وهي انشاء عيادة طبية في المدينة . وارسلت الطبيب الياس ضاهر خريج المعهد الطبي في الكلية البروتستانتية السورية (الجامعة الامريكية) في بيروت لهذه الغاية . واستأجرت الجمعية منزلا ليكون عيادة وصيدلية ومدرسة عام ١٨٨٤ . غير أن مفتي المدينة قاوم هذه المحاولة الجريئة . فاصدر فتوى بتعريض كل مسلم يتردد على العيادة الطبية او المدرسة للعقوبة . فما كان من الجمعية الا ان أغلقت عيادتها ومدرستها عام ١٨٨٨ وباءت بذلك تجربتها بالفشل[٨٥] . وثبت للجمعية ان الوقت لم يحن بعد لاقامة ارسالية تبشيرية في وسط اسلامي .

وفي عام ١٨٩٩ اعلنت اربع وعشرون اسرة من الروم الارثوذكس في بلدة بيت ساحور انفصالها عن الكنيسة الارثوذكسية وانضمامها الى الكنيسة الانجيلية ، فما كان من جمعية بيت المقدس الا ان تولت رعاية هذه الجماعة . وقامت ببناء مدرسة للصبيان واخرى للبنات ومسكن للمعلمين . غير ان المهتدين الجدد ما لبثوا أن عادوا الى كنيستهم وتخلوا عن الكنيسة الانجيلية ، بعد ان اصيبوا بخيبة أمل عند تحولهم الى المذهب الجديد . وعلى اية حال لم يزد عدد المنتفعين برعاية جمعية بيت المقدس من العرب البروتستانت عن ٣٤٠ فردا عام ١٩١٠[٨٦] .

رهبنة الدياكونيس في كيزرفيرت على الراين
Das Diakonissen Mutterhaus Kaiserswerth am Rhein

مؤسس هذه الرهبنة ورئيسها القس ثيودور فليدنر Theodoı Fliedner الذي قام عام ١٨٤٦ بزيارة الى لندن تعرف خلالها على المطران صموئيل غوبات المعين في القدس . واتفق الاثنان على ان تقوم الرهبنة بنشاط تبشيري في بيت المقدس . وبعد ان باشر المطران غوبات عمله

---

٨٤) المصدر نفسه ، ص ٧٠ ـ ٧٢ .
لم يتجاوز عدد سكان بيت جالا في نهاية القرن التاسع عشر اربعة آلاف نسمة . Richter J.: op. cit, p. 260.

٨٥) Geschichte.... pp. 73 - 5.

٨٦) Richter, J.: op cit., p. 260.

طلب من فليدنر عام ١٨٥٠ تزويده براهبتين دياكونيستين. وكان فليدنر في برلين حينما تسلم رسالة غوبات . فما كان منه الا ان أبلغ الملك فريدريش فيلهلم الرابع بذلك ، وطلب منه العون . استجاب الملك البروسي لرغبة فليدنر ، وتم الاتفاق على ارسال أربع من الراهبات الدياكونيس وتزويدهن بالاموال اللازمة من صندوق التبرعات التابع لكنيسة بروسيا الانجيلية الوطنية(٨٧) .

وصل فليدنر الى القدس في ١٧ نيسان عام ١٨٥١ يرافقه اربع من الراهبات للبدء بنشاط رهبنة الدياكونيس في فلسطين . وكانت الخطوة الأولى في هذا السبيل استئجار منزل مناسب . ووقع الاختيار على منزل صغير على جبل صهيون ليس بعيدا عن موقع « كنيسة المسيح » الانجليكانية . وكان المنزل مؤلفا من طابق ارضي استعمل مأوى ، وطابق علوي يحتوي على غرفتين استعمل مستشفى بثمانية اسرة . وتولى ادارته طبيب من مستشفى البعثة اليهودية الانكليزية . اما المأوى فكان البداية لمدرسة طاليتا قومي للبنات Talitha-Kumi(٨٨) . وفي عام ١٨٥٥ تولت الراهبة شارلوطة بليتس Charlotte plitz ادارة المدرسة حتى اصبغت اسمها على المدرسة فسميت مدرسة شارلوطه(٨٩) .

اما مستشفى الدياكونيس فكان اول مستشفى في القدس يستقبل المرضى من كافة الطوائف الدينية في المدينة ، بينما اقتصر مستشفى البعثة اليهودية ـ الانكليزية (جمعية يهود لندن L.J.S.) على استقبال المرضى من اليهود فقط . وبلغ عدد المرضى الذين عولجوا في مستشفى الدياكونيس في العام الأول نحو مئة مريض(٩٠) .

ولما رغب صاحب المبنى في بيعه عام ١٨٥٦ وجدت الارسالية الدياكونيسية نفسها مكرهة على شرائه او بناء دار جديدة . وهنا تبرع ملك بروسيا بما تجمع في صندوق التبرعات التابع لكنيسة بروسيا الوطنية (أي ١٣٠٣٢ تالر) للارسالية . عند ذلك اتجهت النية الى الخروج من المدينة وشراء قطعة من الارض خارجها . وتبرعت ملكة بروسيا اليزابيث Elizabeth Von Preussen بعدد من الخيمات لنصبها خارج القدس في الصيف واستعمالها مأوى للاطفال . وتم شراء قطعة من الارض تبعد مسيرة عشر دقائق عن باب يافا . وشرع ببناء المستشفى عام ١٨٥٩

---

٨٧) Geschichte... pp. 77- 8.

٨٨) طاليطا قومي كلمتان سريانيتان وردتا في الانجيل وتعنيان : « يا صبية قومي » . فقد جاء في انجيل مرقس (الاصحاح الخامس : ٤١)«وأمسك بيد الصبية وقال لها طليطا قومي ، الذي تفسيره يا صبية لك اقول قومي » .

٨٩) العارف، عارف : المسيحية في القدس ، ص ١٧٨ .

٩٠) Geschichte.... p. 79.

واتضح بعد ذلك أن قطعة الارض لا تكفي ، كما ان وجود الاطفال الى جانب المرضى في مبنى واحد أمر غير مقبول ، ولا بد من فصل الاطفال عن المرضى وفي عام ١٨٦٦ وضع حجر الاساس للمبنى الجديد الذي اتخذ اسم « طاليتا قومي » . واشرف على البناء الراهب الكريشوني الدكتور شيك C. Schick واحتفل بافتتاح المدرسة عام ١٨٨٦ . وبلغ عدد تلميذاتها في ذلك العام ٨٩ تلميذة[٩١] .

كانت مدرسة طاليتا قومي تتقاضى من اولياء امور التلميذات الفقيرات مبلغا سنويا يتراوح بين عشرين وثلاثين فرنكا فرنسيا . وبلغ عدد العاملات في المدرسة عام ١٨٩٨ ثماني راهبات دياكونيسات . وضمت ١١٧ تلميذة بينهن سبع عشرة تلميذة أرمنية . واستمرت الراهبة شارلوطة بليتس تدير هذه المدرسة مدة خمس واربعين سنة[٩٢] . وتبرع في ذلك العام قيصر المانيا فيلهلـم الثاني بمبلغ من المال للمدرسة بمناسبة زيارته لفلسطين ، ساعد في توسيع مبناها[٩٣] .

اما المستشفى فقد استمر في داخل المدينة حتى بلغ عدد الذين قدم لهم خدمات طبية خلال عام ١٨٦٨ حوالي ثمانمائة مريض . وقل عدد المرضى في السبعينات من القرن التاسع عشر بسبب انشاء مستشفيات اخرى في المدينة المقدسة . وبناء على رأي الطبيب المشرف على المستشفى الدكتور هوفمان Hoffmann تقرر نقله الى مبنى جديد خارج اسوار القدس . وتشكلت ، في عام ١٨٨٥ ، لجنة من المبشر الالماني شلخت Schlicht وعدد من الرهبان الالمان اقامت اتصالات مع رهبنات الدياكونيس في المانيا وسويسرا وهولندا من اجل التبرع لانشاء المستشفى الجديد . فاستجاب لنداء اللجنة العديد من المحسنين . وفي عام ١٨٩٠ تم شراء قطعة من الارض غير بعيدة عن مبنى مدرسة طاليتا قومي في الحي المعروف (الشيخ عكاشه) . وبدأ بناء المستشفى عليها في ٣ تموز ١٨٩٤ تحت اشراف رئيس البنائين في كتدرائية برلين شفارتزكويف Schwartzkoph بحيث يتسع لمئة سرير[٩٤] . وتبرع قيصر المانيا بجزء من نفقات البناء . وكان المقدسيون يسمونه يومئذ « مستشفى المجيدي » لأن ادارة المستشفى كانت تتقاضى ريالا مجيديا عثمانيا واحدا عن كل مريض مهما طالت اقامته فيه . ومن الاطباء البارزين الذين عملوا فيه ابان العهد العثماني الدكتور هوفمان والدكتور كراوزندورف Krausendorf والدكتور باركهاوزن Th. Barkhausen[٩٥]

---

٩١) المصدر نفسه ، ص ٨٠ - ٨١ .
٩٢) المصدر نفسه ، ص ٨٣ .
٩٣) العارف ، عارف : المسيحية في القدس ، ص ٧٩ .
٩٤) Geschichte.... pp. 83 - 4.
٩٥) حول المستشفى المذكور الى مستشفى عسكري بعد الاحتلال البريطاني لفلسطين عام ١٩١٨ ثم اعيد الى الالمان عام ١٩٢٤ ، العارف ، عارف : المسيحية في القدس ص ١٧٩ - ١٨٠ .

هذا وقد بلغ عدد المرضى الذين عولجوا في المستشفى المذكور ٦٠٠ مريض داخلي و ٧٠٠٠ مريض في العيادات الخارجية عام ١٩١٠[٩٦] .

مؤسسة القدس الانجيلية Evangelische Jerusalem Stiftung

انشئت هذه المؤسسة في برلين في ٢٢ حزيران عام ١٨٨٩ بأمر من القيصر فيلهلـم الثاني من اجل دعم الطائفة الانجيلية الالمانية في فلسطين . وحولت اليها الاموال التي كان يتبرع بها ملك بروسيا لمطرانية القدس البروسية ـ الانكليزية في القدس . كما حولت اليها اموال صندوق التبرعات الذي تأسس عام ١٨٤٢ لدعم المطرانية المذكورة ، والتبرعات التي جمعتها الكنائس الانجيلية الالمانية بين عام ١٨٦٩ و ١٨٨٨ . ووضعت المؤسسة تحت اشراف مجلس « وزارة الشؤ ون الدينية الالمانية «Ministerium der geistichen Angelegenheiten StehendesKaratorium» وتألف مجلس مؤسسة القدس الانجيليـة من رئيس مجلس الكنائس الانجيلية الأعلى الدكتور باركهاوزن Barkhausen والاميرفون تسايتين شفيرين Graf Von Zeiten-Schwerin والدكتور أولهورن D.Ulhorn والمستشار كولزمان Colsmann ومستشار الطوائف الاعلى كيلر Koehler وكان هؤلاءالاعضاء الخمسة يعينون بارادة ملكية من القيصر الالماني . وكذلك الحال بالنسبة الى كافة رؤساء الطائفة الروحانيين الالمان في فلسطين .

وكانت المؤسسة تمتلك ما يلي :

١ ـ الابرشية الالمانية ، ومساحتها ١٤١٥٧ مترا مربعاً ، تضم منزلا للرهبان وقاعات للاجتماعات الدينية والمناسبات الاجتماعية للطائفة الالمانية . كما احتوت على مدرسة داخلية وروضة للاطفال ومنزل لمدير المدرسة وملعب للرياضة .

٢ ـ كنيسة المخلص Die Erloeser Kirche التي حصل على موقعها (ساحة المارستان) في مدينة القدس ولي عهد بروسيا الامير فريدريش هدية من السلطان العثماني بمناسبة حجه الى القدس بعد مشاركته في الاحتفال بتدشين قناة السويس عام ١٨٦٩ . وبدىء ببنائها بأمر من القيصر الالماني فيلهلـم الثاني على انقاض كنيسة القديسة ماريا ، وعلى طراز قديم وفقا لمخطط البناء الذي وضعه كبير المهندسين ادلر Adler . ووضع حجر الاساس للكنيسة في ٣١ تشرين الأول عام ١٨٩٣ بحضور الدكتور باركهاوزن مندوبا عن القيصر الالماني . واحتفل بافتتاحها عند زيارة القيصر فيلهلـم الثاني وزوجته للقدس في ٣١ تشرين الأول عام ١٨٩٨[٩٧] .

---

٩٦) Richter, J.: op. cit, p. 269.

٩٧) Geschichte... pp. 127-8, , Alonzo, A.d': op. cit., p. 36.

واضيف الى مبنى الكنيسة المؤسسة الالمانية الانجيلية القديمة التي انشئت عام ١٩٠١ / ١٩٠٢ . وكانت تحتوي على مكتبة ومتحف وقاعات للدراسة وقاعة كبيرة للاجتماعات العامة ومنزل لراعي الكنيسة(٩٨) .

الطائفة الانجيلية الالمانية في فلسطين

تجمع الانجيليون الالمان في فلسطين في مدن ثلاث هي القدس وحيفا ويافا ، وتركز فيها جل نشاطهم التبشيري والثقافي والخيري .

١ . الجماعة الانجيلية الالمانية في القدس

نمت الجماعة الانجلية الالمانية في القدس بنمو المؤسسات التبشيرية والثقافية والخيرية الالمانية فيها . وكان معظم افراد هذه الجماعة في السنوات الأولى من انشاء مطرانية القدس البروسية ـ الانكليزية المشتركة من رهبنة الدياكونيس والاخوة الشبتلرية الذين كانوا يعملون في الارسالية التبشيرية الانكليزية . ومع تأسيس دار الايتام السورية ومركز شبتلر ومأوى المجذومين ازداد عدد الالمان الانجيليين القادمين الى القدس . ونمت الجماعة الالمانية جنبا الى جنب مع الجماعة الانكليزية تحت رعاية مطرانية واحدة . ومنذ عام ١٨٥٢ ارسل ملك بروسيا القس فالنتينر Valentiner(٩٩) الى القدس للمشاركة في العمل التبشيري المشترك الذي كانت تشرف عليه مطرانية القدس . وسيم فالنتينر في بيت المقدس وفقا للطقوس الدينية الانجليكانية ، كما اقتضت الاتفاقية البروسية ـ البريطانية لعام ١٨٤١ . واصبح بامكانه ان يقيم الصلوات في « كنيسة المسيح » وسمح للرهبان الالمان بإقامة صلاة الأحد في الكنيسة نفسها مرة كل اسبوعين ، واقامة الاحتفالات الدينية في اربع مناسبات في السنة هي « خميس العهد او خميس الغسل ، عيد العنصرة ، واليوم الثاني لعيد ميلاد المسيح . ويوم الاحد الثامن بعد عيد الفصح » .

بقي فالنتينر في منصبه هذا حتى عام ١٨٦٦ ، فخلفه القس هوفمان Hoffmann الذي نمت في عهده الجماعة الالمانية حتى تجاوزت في عددها الجماعة الانكليزية . واصبح من المتعذر عليها ان تقبل بالصلاة في « كنيسة المسيح » بعد ظهر يوم الأحد فقط . فخطا هوفمان خطوة جريئة على طريق الانفصال عن الجماعة الانجليكانية واخذ يقيم صلاة الاحد في نزل القديس يوحنا ، وذلك بناء على توصية من البرفسور شتراوس Strauss عضو جميعة بيت المقدس في برلين .

---

٩٨) A.A., P.A., Politische Abteilung VII, po. 25, Palestina, Bd. I, Deutsche Propst Rhein, Jerusalem, 12.4. 1238.

٩٩) كان قسا في مدينة توينغ Toenning التابعة لدوقية شيلزفيج في شمال المانيا .

وأخذ الالمان يمارسون صلواتهم بصورة منتظمة في نزل القديس يوحنا دون الأخذ بعين الاعتبار للتقاليد والطقوس الدينية الانجليكانية . واقدم الرهبان الالمان على ازالة صليب المذبح وشمعة المذبح عند صلواتهم في « كنيسة المسيح » لأنهما من شعار المهتدين حديثا الى المسيحية من اليهود . وتخلى هؤلاء الرهبان عن الصلاة في النزل المذكور اعتبارا من عام ١٨٧٠ بسبب ضيق المكان ، واصبحوا يمارسونها في قاعة للعبادة مخصصة للطائفة الانجيلية العربية التابعة للبعثة التبشيرية الكنائسية(١٠٠) . وكانت كنيسة المخلص المشار اليها آنفا اول كنيسة انجيلية للطائفة الالمانية في بيت المقدس .

خلف القس فيزر Weser القس هوفمان وبنى مدرسة خاصة للانجيليين الالمان في القدس عام ١٨٧٣(١٠١) . وفي عام ١٨٧٦ خلفه القس الدكتور راينكه Reinecke الذي كان اكثر جرأة من سابقيه في تحدي الكنيسة الانجليكانية . اذ رأى أن ليس من الضروري ولا من الواجب الالتزام بنص المادة ٣٩ من الاتفاقية التي ابرمت بين ملك بروسيا وملكة بريطانيا عام ١٨٤١ ، المتضمن القيام بالصلوات وفقا للتعاليم والطقوس الانجليكانية ولم ير راينكه ضرورة في صلاة بعد ظهر الاحد في « كنيسة المسيح » الانكليزية . وبذلك تم الانفصال بين الجماعتين الالمانية والانكليزية في الصلوات والاعمال التبشيرية . ولم يبق سوى مطران القدس صلة للوصل بينهما . وبموت المطران غوبات عام ١٨٧٩ وتعيين المطران باركلي خلفا له ، اتخذ هذا موقفا يتصف بالجفاء من الجماعة الالمانية ، فعزز بذلك الانفصال بين الجماعتين . ولما حاول المطران الجديد سيامة الرهبان الالمان الجدد وفقاً للتقاليد الانجليكانية رفض هؤلاء وبذلك قطعت الصلة بين الرهبان الالمان ومطرانية القدس(١٠٢) . وباتخاذ هذه القطيعة صفتها الرسمية عام ١٨٨٦ اصبح للانجيليين الالمان كيان مستقل في القدس وفلسطين كلها .

أما أهم المؤسسات الخيرية التي كانت تتبع هذه الجماعة الالمانية في بيت المقدس والتي لم نأت على ذكرها فهي :

نزل رهبنة القديس يوحنا Das Hospiz des Johanniter Ordens

بني هذا النزل من اجل استقبال الحجاج الانجيليين الالمان . وكان عدد الحجاج الالمان الى فلسطين حتى منتصف القرن التاسع عشر محدودا بسبب التكاليف الباهظة ومشقة السفر . غير ان

---

١٠٠) Geschichte.... pp. 124 - 5.

١٠١) المصدر نفسه ، ص ١٢٥ .

١٠٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .

البدء بالتبشير الانجيلي الالماني اقتضى استقبال الوافدين من الالمان وتقديم التسهيلات لهم . وكثيرا ما كان الحجاج الالمان يطلبون العون من القنصل البروسي في القدس . كما كان بعضهم ينزل في نزل اللاتين فيها . ولذلك رأى المطران غوبات ان لا بد من بناء نزل للحجاج والسياح الالمان في بيت المقدس . ووجه رسالة الى ملك بروسيا فريد ريش فيلهلم الرابع عام ١٨٥٠ بيّن له فيها الحاجة الماسة لبناء النزل المذكور . فاستجاب ملك بروسيا لهذا الطلب وقدم للمطران مبلغا من المال لبناء النزل المقترح عام ١٨٥١ . واشترى المطران بالاضافة الى ذلك منزلا آخر لهذه الغاية عام ١٨٥٥ بالقرب من كنيسة القيامة . وتولت رهبنة القديس يوحنا الاشراف على النزلين معا منذ عام ١٨٥٨ . وتوسع مبنى نزل القديس يوحنا عام ١٨٦٦ مع ازدياد عدد الحجاج والسياح الالمان . فاصبح يتسع لخمسة عشر نزيلا . ومع نهاية القرن التاسع عشر بلغ معدل عدد الزوار الذين ترددوا على النزل سنويا نحو مئة وعشرين زائراً . وكانت ادارة النزل توزع الكتاب المقدس مجانا على النزلاء وتمنحهم شهادة بالحج صادرة عن جمعية بيت المقدس(١٠٣) .

مأوى المجذومين Das Aussaetzigenasyl:

كان الجذام من الامراض المستعصية في المشرق العربي والتي لا سبيل الى علاجها ، فاذا ظهرت اعراض المرض لدى أي انسان يكره على مغادرة القرية او الحي الذي يقطنه . ويجمع المجذومون في امكنة قريبة من المدن حيث يلجأون الى التسول لتأمين غذائهم اليومي . وكان حول القدس مجموعة من هؤلاء المجذومين الذين اتخذوا الكهوف والمقابر القديمة مأوى لهم . غير ان السلطات العثمانية جمعتهم واسكنتهم في بيوت من الحجر بالقرب من سور المدينة (قرب باب صهيون) . وكان لهؤلاء المرضى مجتمعهم الخاص بهم ، يتولى قيادته احدهم يقوم بتوزيع ما يجمعونه من التسول بينهم بصورة عادلة ومنتظمة ، ويحكم في الخلافات والمنازعات التي قد تنشب بينهم . وكان على كل مريض يود الدخول في الجمعية ان يدفع رسما مقداره عشرون ريالاً مجيديا (اي ما يعادل ثمانين فرنكا فرنسيا آنذاك) تدفع الى الصندوق المشترك للجمعية . ويقبل في هذه الجمعية جميع المجذومين مهما اختلف جنسهم او دينهم او طائفتهم . وفي موسم الحصاد ينتقل المجذومون الى الريف يواصلون تسولهم من قرية الى قرية . ويعودون بكميات وافرة من الحنطة تكفي لمؤونتهم من الطحين طوال العام كله ، ويبيعون ما يزيد عن ذلك . ولما يشتد المرض بالمجذوم يعجز عن التنقل ويضطر الى البقاء في المنزل المخصص له حتى يقضي عليه المرض .

بدأ اهتمام الارسالية التبشيرية الانجيلية الالمانية بالمجذومين في القدس عام ١٨٦٧ . وكان قد حج الى الديار المقدسة قبل ذلك بعامين البارون الالماني فون كيفنبرنك ـ اشرادن

---

١٠٣) المصدر نفسه ، ص ١١٤ ـ ١١٨

Freiberr Von Keffenbrink-Ascheraden وزوجته فتأثرا بمنظر المجذومين وهم يتسولون على ابواب القدس . وقامت زوجته بالاتصال بالعديد من المحسنين في المانيا ، وتبرعت هي بمبلغ من المال من اجل بناء مأوى لهؤلاء المرضى . واتصلت بجمعية بيت المقدس في برلين وبغيرها من الجمعيات الخيرية لجمع التبرعات لهذا المشروع . وتشكلت في القدس لجنة برئاسة المطران غوبات لبناء المأوى المذكور . وتمكنت هذه اللجنة من شراء قطعة من الارض على بعد مسيرة بضع دقائق من باب يافا خارج السور لبناء المأوى عليها . وتبرعت اخوة برتلزدورف قرب هرنهوت Bruedergemeine in Berthelsdorf of Hernhut بتزويد المأوى بالرهبان اللازمين لخدمته. واوفد المبشر تابه Tappe لهذا الغرض ، فافتتح المأوى في ٣٠ أيار عام ١٨٦٧ .

أقبل المرضى على المأوى الالماني بشي ء من التردد أول الأمر . ومع ذلك فقد بلغ عدد المجذومين فيه في نهاية العام الأول اثني عشر مجذوما . واخذ عدد نزلاء المأوى يزداد حتى بلغ الثلاثين . وفي عام ١٨٨٤ وجد ان المأوى لا يتسع لاعداد المرضى الراغبين في النزول فيه ، فقام المبشر تابه بشراء قطعة من الارض خارج اسوار القدس بالقرب من مستعمرة الهيكليين الالمان . وعلى هذه القطعة من الارض بدى بيناء المأوى الذي اتخذ اسم « معونة المسيح » Jesus - Hilfe » عام ١٨٨٥ . واحتفل بافتتاحه في ربيع عام ١٨٨٧ . واصبح المأوى الجديد يتسع لنحو ستين مريضا . وتولى ادارته الاب شوبرت Schubert تساعده زوجته وثلاث من الراهبات لدياكونيسات . ومع افتتاح المأوى الجديد تخلت لجنة القدس التي كان يرئسها المطران غوبات عن ادارة المأوى وتولتها اخوة برتلزدورف التي كانت تزوده بالكوادر اللازمة(١٠٤) .

ولما كانت معالجة الجذام غير معروفة في عالم الطب حتى نهاية القرن التاسع عشر ، فقد اقتصر المأوى على العناية بالمجذومين دون علاجهم ، وكان الاطباء الالمان يترددون عليهم لتخفيف الامهم والعناية بصحتهم العامة . ومن الجدير بالذكر ان الحكومة العثمانية بنت في اواسط السبعينات من القرن التاسع عشر مأوى للمجذومين في سلوان بالقرب من القدس(١٠٥) .

مستشفى الاطفال :Das Kinderhospital

قام دوق ميكلنبورغ شفيرين الكبير Der Grossherrzog Von Mecklenburg-Schwerin وزوجته بزيارة القدس في عام ١٨٧٢ . وابديا خلال اقامتهما القصيرة فيها استعدادهما لتقديم اية مساعدة ممكنة للجمعيات والمؤسسات الانجيلية في بيت المقدس . وكلفا الطبيب ساندرسكي

---

١٠٤) المصدر نفسه ، ص ١٠١ ـ ١٠٧ .

١٠٥) Richter, J.: op. cit., pp. 269 - 270, Geschichte.... pp. 110-111.

Sanderczky ببناء مستشفى للاطفال . وبعد اتصالات دامت ثلاث سنوات تمكن الدوق الالماني وزوجته من تأمين خمسة أسرة للاطفال في المستشفى الخاص للدكتور ساندرسكي الذي اطلق عليه اسم « مؤسسة ماريا الخيرية Marian Stift» نسبة الى زوجة الدوق الالماني . ومع نهاية العام الأول من عمل المستشفى بلغ عدد الاطفال الذين عولجوا فيه اثنين وتسعين طفلا . واستمرت دوقية ميكلنبورغ ـ شفيرين تقدم للمستشفى معونة مالية سنوية حتى نهاية القرن التاسع عشر . غير ان هذه المعونة لم تكف لسد نفقات المستشفى فاضطر مديره الى جمع الاموال اللازمة من الاصدقاء والمحسنين . ومع نهاية القرن التاسع عشر كان المستشفى يعالج حوالي مئة وخمسين امرأة حاملا وخمسمائة وخمسين طفلا في العام (١٠٦) .

٢ . الجماعة الانجيلية الالمانية في حيفا

تشكلت هذه الجماعة منذ عام ١٨٧٩ من عدد من المستوطنين الالمان في حيفا من اعضاء « جمعية الهيكل » الدينية التي كانت تؤلف طائفة دينية المانية مستقلة عن الكنيسة الانجيلية الالمانية(١٠٧) . ففي ذلك العام حصل انقسام في صفوف الجمعية المذكورة أدى الى عودة بعض افرادها الى حوزة الكنيسة الانجيلية . واخذ المبشر رانيكه Reinecke يتردد على حيفا ويلتقي بأولئك المنشقين ويلقي عليهم العظات الدينية . وتابع خليفته القس شليخت Schlicht هذه المهمة . وفي عام ١٨٩١ قررت جمعية بيت المقدس ارسال معلم الماني الى حيفا لتعليم ابناء الجماعة الانجيلية الالمانية فيها . وبعد ذلك بعام قدم احد افراد الجماعة قطعة من الارض مجانا لبناء مدرسة وقاعة للاجتماعات . ثم اوفدت جمعية بيت المقدس القس ديكرت Deckert الى حيفا للاقامة هناك . وبذلك اصبح للجماعة في هذه المدينة مدرستها وكنيستها . وبلغ عدد الاسر التي تألفت منها هذه الجماعة عشرين أسرة . وتمكنت الجماعة ، بدعم من جمعية بيت المقدس ، من بناء منزل للقس الجديد باورمايستر Bauermeister عام ١٨٩٨(١٠٨) .

٣ . الجماعة الانجيلية الالمانية في يافا

كان نشوء الجماعة الانجيلية الالمانية في يافا مماثلا لنشوء الجماعة نفسها في حيفا . فقد ادت الانقسامات الدينية الداخلية في صفوف جمعية الهيكل الى عودة بعض افرادها الى حظيرة الكنيسة الانجيلية . وأخذ القسس الانجيليون الالمان في القدس يترددون على يافا لتقديم الخدمات الدينية

---

١٠٦) Richter, J.: op. cit., p. 269, Geschichte... pp. 112-3.

١٠٧) سوف نأتي على دراسة هذه الجمعية والمستعمرات التي انشأتها في فلسطين في الفصل الثاني من هذا الكتاب .

١٠٨) Geschichte... pp. 136 - 7

للمنشقين وكسب المزيد منهم الى حظيرة الكنيسة الانجيلية . ومنذ عام ١٨٨٩ طالب بعض ارباب الاسر الالمانية الذين عادوا الى حوزة الكنيسة الانجيلية بانشاء مدرسة لهم في يافا ، فتم لهم ذلك بمساعدة من جمعية بيت المقدس . واتاح بناء سكة الحديد بين يافا والقدس منذ عام ١٨٩٢ للآباء الانجيليين التردد بصورة منتظمة على الجماعة الصغيرة في يافا . واخيرا قررت جمعية بيت المقدس في عام ١٨٩٧ ارسال القس شلايخ Schlaich الى يافا للاقامة فيها بصورة دائمة ورعاية الجماعة الانجيلية الالمانية(١٠٩) .

ومن الجدير بالذكر ان هذه الجماعات الالمانية الثلاث (في القدس وحيفا ويافا) لم تكن قادرة على الوقوف على رجليها بسبب قلة عددها وضعف امكاناتها . ولذلك اتجهت الجهود لاقامة كنيسة انجيلية عربية في فلسطين تضم اليها الجماعات الالمانية السابقة الذكر(١١٠) .

وفي عام ١٩١٠ بلغ عدد البروتستانت الالمان في فلسطين نحو الفي نسمة ، منهم ١٣٣٠ من جمعية الهيكل و٤٦٠ من اتباع الكنيسة الوطنية الالمانية . وفي العام نفسه انشئت على جبل الزيتون في القدس ابنية مؤسسة القيصرة فكتوريا Kaiserin Auguste Victoria Stiftung فكلفت نحو مئة الف جنيه استرليني واصبحت مركزا لكافة المؤسسات الخيرية الالمانية في فلسطين(١١١) .

النشاط التبشيري الكاثوليكي الالماني في فلسطين

كان للكنيسة اللاتينية وضع خاص في الدولة العثمانية يختلف عن وضع الكنائس الاخرى كالارثوذكسية والارمنية والشرقية المتحدة مع روما . ذلك ان الاكليروس الارثوذكسي والارمني من رعايا السلطان ، وهو الذي يصادق على تعيين بطاركتهم واساقفتهم . بينما لم تخضع الكنيسة اللاتينية للقانون العثماني ، وانما كانت خاضعة للقانون الدولي لان رهبانها مواطنون اجانب . ولذلك بقي ممثل البابا في اسطنبول غير معترف به رسميا من قبل الدولة العثمانية حتى نهاية القرن التاسع عشر. وكان يحتل وموظفوه قسما من السفارة الفرنسية في العاصمة العثمانية ، ويمارس نشاطه من خلال السفارة المذكورة بموجب الحق الذي حصلت عليه فرنسا في حماية الكاثوليك في المعاهدة الفرنسية ـ العثمانية لعام ١٧٤٠ وبقي موظفو الكنيسة الكاثوليكية في جميع اقطار آسيا العثمانية لا صلة رسمية لهم بالسلطات العثمانية، باعتبارهم اجانب يتمتعون بحماية فرنسا(١١٢) .

---

١٠٩) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

١١٠) Richter, J.: op. cit, p. 270, Geschichte... p. 119.

١١١) Richter, J.: op. cit., p. 270.

١١٢) Die Diplomatische Akten des Auswaertiges Amt, Bd. 12/2, Akt Nr. 3354, pp. 591-2.

انظر نص المعاهدة الفرنسية ـ العثمانية لعام ١٧٤٠ في :

Hurewitz, J.: Diplomacy in the Near and Middle East, Vol I pp. 1 - 5.

كان الروم الكاثوليك في فلسطين اقل عددا من الروم الارثوذكس غير انهم اقوى نفوذا بسبب حماية فرنسا لهم . اما الروم المتحدون مع روما الذين نشأوا كطائفة دينية في منتصف القرن الثامن عشر نتيجة للنشاط التبشيري الذي قامت به الارساليات والرهبنات الكاثوليكية في بلاد الشام ، فقد كان لهم بطريركهم ، ولغة الصلاة عندهم العربية ، واقتصر وجود هذه الطائفة على القدس وحدها .

وكان الرهبان الفرنسيسكان الممثلين للكنيسة الغربية في فلسطين . ويرجع وجودهم فيها الى عام ١٣٣٣ . وبلغ عددهم مع نهاية القرن التاسع عشر نحو خمسمائة راهب . وانحصرت مهمتهم حتى منتصف ذلك القرن في حماية الاماكن المقدسة التي كانت مسرحا للنزاع بين مختلف الطوائف المسيحية(١١٣).

هذا وقد عين اول بطريرك لاتيني في القدس في عام ١٨٤٠ . وتلاه وصول اول مطران انجليكاني بعد عامين . فكان ذلك بداية للتنافس بين الكنيستين الكاثوليكية والانجيلية في فلسطين ، والذي كان مظهرا من مظاهر الصراع الدولي على هذه البقعة المهمة من ممتلكات الدولة العثمانية . ومنذ وصول اول بطريرك لاتيني الى بيت المقدس اهتمت بافاريا ، الدولة الكاثوليكية الالمانية ، بفلسطين والاماكن المقدسة . فبدأت في عام ١٨٤٣ حملة لجمع التبرعات لصالح كنيسة القيامة . وتعاونت مع الامبراطورية النمسوية في هذا المجال . فاوفدتا بعثة خاصة الى فلسطين في عام ١٨٤٥ لدراسة امكانية التبشير الكاثوليكي في هذه البلاد . وعادت البعثة وقدمت مشروعا لشراء الاراضي والابنية اللازمة لاقامة المؤسسات التبشيرية الكاثوليكية . غير ان ثورات عام ١٨٤٨ في المانيا والنمسا حالت دون المضي في تنفيذ المشروع . وفي العام التالي انشأت النمسا قنصلية لها في القدس تولت تمثيل الدول والامارات الكاثوليكية في المانيا واستمر هذا الوضع حتى قيام الوحدة الالمانية عام ١٨٧١(١١٤) .

واذا كانت بروسيا ، في بداية الامر ، والمانيا الموحدة ، فيما بعد ، قد شجعتا التبشير الانجيلي في فلسطين طمعا في مد النفوذ الالماني الى هذه البلاد ، فلم تتوان المانيا الموحدة عن دعم المؤسسات الكاثوليكية الالمانية في هذا الميدان ايضا . وفي اعقاب الوحدة الالمانية قرر الحزب الوطني الحر Freie Nationale Partei الحاكم في البلاد ، والذي كان يتمتع بشعبية كبيرة ، ان يعزز

---

١١٣) Geschichte.... pp. 25 - 26.

١١٤) Meinertz, G.: Ein Jahrhundert Kampf umdem Besitz und die Erhaltung der Heiligen Staetten, Das Heilige Land, Vol, III, p. 25, Eliav, M.: German Interests and the Jewish Community in the 19th Century Palestine, p. 428, Alonzo, A.d': op. cit, pp. 43- 6.

الوحدة الالمانية بازالة كل معارضة وكل خلاف بين الكاثوليك والبروتستانت في البلاد . فواجه معارضة شديدة من الكاثوليك اضطرت المستشار الالماني الامير فون بسمارك Von Bismarçk الى استصدار عدة اوامر ملكية وقوانين لمناهضة الكاثوليك. وعرفت هذه الحركة في المانيا « بالكفاح الثقافي Kultur Kampf» . ففي ٨ تموز ١٨٧٠ صدر امر ملكي في برلين بالغاء القسم الكاثوليكي في وزارة الاديان . وتلاه امر ملكي صدر في ١١ آذار عام ١٨٧٢ تضمن الغاء الاشراف الديني على التعليم ، وفرض التفتيش الرسمي على المؤسسات التعليمية الدينية ، وفي ١٥ آذار ١٨٧٣ صدر امر ملكي بالغاء مناصب رجال الدين الكاثوليك في الجيش البروسي . كما صدر في ٥ نيسان من العام نفسه قانون يؤكد تطبيق ما جاء في المادتين ١٥ و١٨ من الدستور البروسي الصادر عام ١٨٥٠ . وتنص هاتان المادتان على الحد من الحريات الممنوحة للطوائف الدينية .

وكان قد صدر قانون في ٤ تموز ١٨٧٢ نص على ملاحقة جمعية « رفاق المسيح » الكاثوليكية وكافة الفروع التابعة لها في المانيا . وفي ٦ شباط ١٨٧٥ صدر قانون يبيح الزواج المدني . وبلغت هذه التدابير لملاحقة الكاثوليك اوجها عام ١٨٨٠ حينما اصدر برلمان بروسيا Landtag قانونا في ٩ ايار منح الحكومة الملكية البروسية صلاحية استصدار الانظمة واتخاذ الاجراءات اللازمة بحق الرهبان الكاثوليك لما فيه صالح الدولة . ونصت المادة الرابعة من هذا القانون على ان تتولى الحكومة المذكورة اعادة تعيين او تثبيت الاساقفة الكاثوليك الذين لم تتخذ المحكمة الدينية العليا قرارا ضدهم .

اثارت هذه الاجراءات والانظمة حفيظة البابا والكنيسة الكاثوليكية ، فشنت على حكومة بروسيا حملة شعواء . ومنذ عام ١٨٨٠ سعى القيصر الالماني الى التفاهم مع البابا غير ان مسعاه باء بالفشل . وحاول القيصر انتهاز اية فرصة مناسبة لتحسين علاقات المانيا بالكرسي البابوي . وحصل ان نشب خلاف ، في ايلول ١٨٨٧ ، بين المانيا والنمسا حول جزر كارولين . فاختارت الدولتان البابا حكما بينهما ، فوضع حلا ارضى الطرفين . كانت هذه هي الفرصة السانحة للتقارب بين الفاتيكان وبرلين . وكانت قد اصدرت الحكومة البروسية قانونا في ٢١ ايار ١٨٨٦ انهى « الكفاح الثقافي » وملاحقة الرهبان الكاثوليك والمؤسسات الكاثوليكية في بروسيا[١١٥] . وتعزيزا لهذا الاتجاه قام القيصر فيلهلم الثاني بزيارة روما عام ١٨٨٩ .

وقد أثارت هذه الزيارة مخاوف فرنسا من تقارب الماني ـ بابوي قد ينتهي باعتراف البابا بحق المانيا في حماية كاثوليك الشرق ، وتأكدت هذه المخاوف منذ ان اعلنت المانيا في ٥ ايار ١٨٧٥ عدم اعترافها بحق اية دولة في حماية المؤسسات الكاثوليكية في الشرق . ولم تهدأ مخاوف فرنسا الا بعد

---

(١١٥) Alonzo, A.d': op.cit, pp. 43 - 6.

ان ادلى البابا ليون الثالث عشر Leon XIII بتصريح في ٢٠ آب ١٨٩٣ اكد فيه الحماية التقليدية الفرنسية لكاثوليك الشرق . غير ان الصحف الالمانية ضربت بهذه التصريحات عرض الحائط ، واخذت تتحدث عن اهداف زيارة فيلهلم الثاني للقدس التي ستتم في عام ١٨٩٨ ، ومنها تأمين الحماية الالمانية للمسيحيين هناك . وقد اسهبت الصحف الالمانية ، وبخاصة صحيفة Germania الكاثوليكية البرلينية وصحف National Zeitung, Kolnische Volkzeitung, Nord-deutsche Allgemeine Zeitung. في الحديث عن هذا الموضوع(١١٦) .

ولما بدأت الزيارة ، ونزل القيصر الالماني في حيفا في تشرين الأول ١٨٩٨ القى الراهب الالماني بيفير Biever مدير المؤسسة الكاثوليكية في الطبغة خطابا امامه اعرب فيه عن شكر الكاثوليك الالمان وامتنانهم لحماية القيصر لهم ، وقال : « اننا نأمل ان تعطى لنا حرية العمل في المستقبل في فلسطين تحت حماية اجنحة النسر الالماني القوية ، وان نتمكن من نشر الثقافة الالمانية والعمل الالماني . . . »ورد عليه القيصر بقوله : « يسرني ان انتهز هذه المناسبة لاعلن بصورة حاسمة ان بامكان رعاياي الكاثوليك ان يتأكدوا من حمايتي لهم اينما كانوا وفي اي وقت يحتاجون فيه الى هذه الحماية »(١١٧) .

وهكذا نرى انه منذ ان انتهى « الكفاح الثقافي » الذي شنته الحكومة القيصرية الالمانية على الكاثوليك ، لم تتوان المانيا عن دعم المؤسسات الكاثوليكية الالمانية في فلسطين واستخدامها كاداة لبسط النفوذ الالماني في البلاد ومنافسة فرنسا في حماية الكاثوليك .

بدايات اهتمام الكاثوليك الالمان بفلسطين :

تأثر الكاثوليك الالمان منذ مطلع القرن التاسع عشر بما نشر من ادب الرحلات عن فلسطين . وابدوا اهتماما خاصا بكتاب الاديب الفرنسي شاتوبريان F.A.de Chateaubriand الذي نشر عام ١٨١٢ بعنوان « الطريق من باريس الى القدس Itinéraire de Paris à Jeru-Salem» في ثلاثة مجلدات والذي ترجم الى اللغة الالمانية . وكان لمؤلف دوق بافاريا مكسمليان يوسف Herzog Maxmilian Joseph Von Bayern الذي زار فلسطين عام ١٨٣٨ ، وعنوانه « رحلة الى الشرق عام ١٨٣٨ Wanderungen nach dem Orient im Jahre 1838, Muenchen, 1839.» صدى واسع بين الكاثوليك الالمان . وحاول مكسميليان اقناع ملك بافاريا لودفيج الأول Ludwig I بضرورة نشر المذهب الكاثوليكي في فلسطين والشرق .

---

١١٦) L'Allemagne et le Proctectorat Français, pp. 5, 10, 14, 23.

١١٧) المصدر نفسه ، ص ١٨ - ١٩ .

ونجح في مسعاه اذ امر الملك بتشكيل « جمعية لودفيج التبشيرية Ludwig Missionsverein عام ١٨٣٨ وخصص لها مبلغا سنويا مقداره خمسة الآف غولد Guld . وقامت هذه الجمعية بجمع التبرعات من جميع انحاء المانيا من خلال النداءات التي كانت تنشرها مجلة « اوراق تاريخية ـ سياسية Historische -Politischen Blaetter» الصادرة عن « رابطة غوره في ميونخ Meunchener Goerreskreise »(١١٨) .

وكلف ملك بافاريا لودفيج الأول في عام ١٨٤٥ البروفسور يوهان فيبوموك زيب Johann Nepomuk Sepp بزيارة فلسطين ودراسة امكانية البدء بنشاط تبشيري للرهبان الكاثوليك الالمان فيها . فقام بهذه المهمة خلال عام ١٨٤٥ / ١٨٤٦ . وكان امبراطور النمسا فرانز فرديناند Franz Ferdinand قد كلف البارون فون بروكيش ـ اوستن Von Prokesch - Osten والدكتور زالتسباخر Saltzbacher بزيارة فلسطين ودراسة امكانية انشاء ارسالية كاثوليكية المانية فيها ، قبل زيارة زيب ببضع سنوات . غير ان هذه البعثة النمساوية لم تتوصل الى نتيجة ايجابية . وكانت ثورة ١٨٤٨ التي اجتاحت المانيا والنمسا والتغيرات السياسية التي طرأت بسببها قد قضت على هذه الخطط التبشيرية(١١٩) .

وتوثقت صلات الكاثوليك الالمان بفلسطين بقيام بطريركية اللاتين في القدس عام ١٨٤٣ عن طريق ما كانت تنشره الصحف الكاثوليكية الالمانية عن نشاط هذه البطريركية . وقد حيا البابا بيوس التاسع Pius IX الكاثوليك الالمان الذين يسخرون صحافتهم لدعم بطريرك اللاتين في القدس ماديا ومعنوياً(١٢٠) . وتحمس الكاثوليك الالمان للعمل التبشيري في فلسطين بعد ان رأوا مواطنيهم من الانجيليين قد قطعوا شوطا في هذا الميدان . وكانت اول خطوة في هذا الاتجاه انشاء الجمعيات الدينية التبشيرية .

جمعية القبر المقدس Der Verein Vom Heilige Grabe (١٨٥٥ـ١٨٩٥):

تشكلت هذه الجمعية في ٣٠ حزيران عام ١٨٥٥ في مدينة كولون Koeln تحت رعاية اسقف كولون الكاردينال يوهانس فون غايسل Johannes Von Geissel . وتألف لها مجلس اداري وضع لها نظاما نشر مع نداء من اسقف كولون الى جميع الكاثوليك الالمان لدعم الجمعية ووزع على الصحف التي نشرته وعلقت عليه .

---

١١٨) Cramer, V.: Ein Jahrhundert Deutscher Katholischer Palaestinamission 1855- 1955, p. 7.

١١٩) المصدر نفسه ، ص ٨ .

١٢٠) المصدر نفسه ، ص ٩ .

واصدرت الجمعية مجلة تنطق باسمها هي « مجلة » الارض المقدسة Das Heilige Land في كانون الثاني عام ١٨٥٧ .

اتخذت الجمعية كولون مقرا عاما لها . وقد حدد نظامها الاساسي اهدافها بما يلي :

١ ـ دعم رهبنة الفرنسيسكان في الارض المقدسة ونشاطات بطريرك اللاتين في القدس .
٢ ـ تمويل الخدمات الكنسية في القدس وبيت لحم والناصرة عن طريق التبرعات والهدايا .
٣ ـ المساهمة في تمويل بناء الكنائس في المواقع المقدسة وبخاصة بناء قبة لكنيسة القيامة في القدس .
٤ ـ دعم المؤسسات الكنسية الكاثوليكية في الارض المقدسة مثل راهبات القديس يوسف Schwestern des Heilige Joseph اللواتي يقمن برعاية وتعليم البنات الفقيرات في يافا والقدس وبيت لحم ، والرهبان الفرنسيسكان .
٥ ـ تشجيع وتنظيم رحلات الحج الى الارض المقدسة .

وتولى رئاسة الجمعية غوتفريد شتراوس Gottfried Strauss وضم مجلسها الاداري عددا من كبار رجال الدين الكاثوليك وكبار الشخصيات الاجتماعية الكاثوليكية الالمانية . ومنذ عام ١٨٥٦ بدأ الكاردينال فون غايسل بجمع التبرعات للجمعية في يوم « الجمعة الحزينة » .واقتفى اثاره اساقفة ترير Trier وليمبورغ Limburgوكولم Kulmوفولدا Fuldaفي كل عام .وكان الجزء الاكبر من الاموال التي تجمع يحول سنويا الى فلسطين ويوضع تحت تصرف بطريرك اللاتين في القدس لينفق على امور معينة بالاتفاق مع مجلس ادارة الجمعية في كولون[١٢١] .

وبلغ مجموع ما توفر لدى الجمعية من تبرعات حتى ١٢ كانون الأول ١٨٥٦ نحو اربعة الآف تالر Taler ، حول نصفها الى بطريرك اللاتين في القدس والنصف الآخر الى القيم Kustodie على املاك اللاتين في الارض المقدسة ، وهو المسؤول عن ادارة الاديرة والمؤسسات اللاتينية . وازدادت واردات الجمعية في العام التالي فبلغت ٨٥٠٠ تالر ، حول ستة آلاف تالر منها الى فلسطين ، نصفها للبطريرك والنصف الآخر لارسالية الارض المقدسة Mission des Heilige Landes وبلغ مجموع واردات الجمعية بين عامي ١٨٥٥ و ١٨٦٠ ثلاثة وخمسين الف تالر . حصل بطريرك اللاتين في القدس على (١٥٠٠) تالر وحصلت ارسالية الارض المقدسة على نحو (١٧٠٠٠) تالر .

وقام رئيس الجمعية شتراوس في عيد الفصح لعام ١٨٥٨ بالحج الى القدس . فالتقى

---

(١٢١) المصدر نفسه ، ص ١٠ ـ ١١ .

بطريرك اللاتين يوسيفس فاليرغا Josephus Valerga ويرهبان وراهبات ارسالية الارض المقدسة . واتفق معهم على ان تقوم الجمعية ببيع الصلبان والتيجان وصور المسيح والعذراء الواردة من الارض المقدسة للمواطنين الالمان في فروعها المختلفة في المانيا(١٢٢) .

ومن الجدير بالذكر ان الجمعية تبرعت بمبلغ تسعة وعشرين الف تالر لمساعدة الاطفال الايتام المسيحيين اثر فتنة الستين (١٨٦٠ - ١٨٦١) وقد وزع هذا المبلغ على مراكز الارساليات الكاثوليكية في بيروت وغزير وحيفا والناصرة وحلب(١٢٣) .

توفي الرئيس الاول للجمعية في ٢٩ نيسان ١٨٦٢ فانتخب مجلس الادارة مساعد الأسقف الدكتور يوهانس باودري Johannes Baudri خلفا له في ٣ كانون الأول ١٨٦٢ . وتطورت الجمعية خلال السنوات العشر الاولى من رئاسته . فتأسست لها فروع في ديسلدورف Duesseldorf واوتفايلر Ottweiler وسيليزيا العليا Oberschlesien وماينز Mainz وبادربورن Baderborn . واصبحت مجلة الجمعية تصدر باللغة البولندية بالاضافة الى الالمانية .

وانفقت الجمعية بين عام ١٨٦١ و ١٨٧٠ نحو مئة وثمانية وثلاثين الف تالر على مشروعاتها الدينية ، انفق منها مئة وستة عشر الف تالر في الارض المقدسة ، حصلت بطريركية اللاتين في القدس على اثنين وثلاثين الف تالر منها . اما المساعدات التي حولت الى ارسالية الارض المقدسة فقد انفقت على مدرسة اللاتين في بيت جالا وبناء كنيسة المسيح في القدس ، وانشاء مراكز للارسالية في قريتي الطيبة وبيرسابا ونابلس ، وبناء ملاحق لدير الرهبان الكرمليين في حيفا ومعهد للراهبات في الناصرة(١٢٤) .

انتهت بطريركية فاليرغا في القدس في الأول من كانون الأول عام ١٨٧٢ وخلفه في الكرسي البطريركي فنزينزو براكو Vinzenzo Bracco وبقي فيه حتى عام ١٨٨٩(١٢٥) .

وحاول الراهب الفرنسيسكاني الالماني لاديسلاوس شنايدر Ladislaus Schneider الذي قام بنشاط تبشيري واسع في فلسطين ، البدء بعمل تبشيري كاثوليكي الماني محض . وسعى عام ١٨٨٠ الى تنفيذ مشروع استعماري كاثوليكي الماني وبناء نزل الماني وجمعية تبشيرية المانية . وبشر لمشروعاته هذه في الصحف الالمانية . غير ان جمعية القبر المقدس عارضت مشروعاته هذه بسبب معارضة بطريرك اللاتين لها لأنها تهدد النشاط التبشيري الكاثوليكي في فلسطين بالانقسام وقد تثير

---

١٢٢) المصدر نفسه ، ص١٣ .
١٢٣) المصدر نفسه ، ص ١٣ .
١٢٤) المصدر نفسه ، ص ١٤ - ١٥ .
١٢٥) المصدر نفسه ، ص ١٦ .

حفيظة الدول الكاثوليكية الاوروبية وبخاصة فرنسا وايطاليا والنمسا . غير ان شنايدر لم يتراجع عن مشروعه ومضى فيه قدما دون ان يعير اهتماما لمعارضة البطريرك وجمعية القبر المقدس . فاشترى قطعة من الارض في عمواس عام ۱۸۷۷ ، واشترى بيتين خارج باب يافا في القدس وحديقة لانشاء نزل عليها(١٢٦) .

واستطاع الراهب جيورج غات George Gatt الذي جاء من المانيا الى القدس عام ١٨٦٩ ، وتولى ادارة النزل النمساوي ومن ثم ادارة مدرسة البنين « مدرسة القديس بطرس » فيها ، ان يؤسس ارسالية المانية كاثوليكية في غزة عام ١٨٨٠ . وبنى دارا للارسالية وكنيسة صغيرة واشترى عددا من قطع الارض والبيوت . وقد مولته جمعية القبر المقدس خلال السنوات الخمس الأولى من اقامته في غزة بمبلغ تسعة آلاف مارك الماني .

وقدمت الجمعية دعمها للمبشر تسيفيرين بيفر Zephyrin Biever الذي هاجر من لكسمبورغ الى فلسطين ، ثم تولى ادارة مدرسة القديس بطرس للبنين في القدس ، ثم تولى ادارة الارسالية الكاثوليكية في مادبا في شرقي الأردن . ومولت الجمعية المشاريع الدينية والتعليمية التي قام بها الاب الفرنسي ماريا راتسبون Alfons Maria Ratisbonne اليهودي المتنصر مؤسس جماعة « سيدة صهيون » ومنشىء العديد من الاديرة والمدارس في فلسطين منذ عام ١٨٥٥ .

ومن الجدير بالذكر ان واردات الجمعية بين عامي ١٨٧٥ و ١٨٩٤ قد بلغت مليون وتسعمائة وسبعين الف مارك حول منها مليون وثمانمائة واثنان وستون الف مارك الى فلسطين ، حصل بطريرك اللاتين في القدس على اربعمائة واربعة وستين الف مارك منها(١٢٧) .

ومنذ قيام الوحدة الالمانية اخذت المؤسسات الكاثوليكية الالمانية تنظم رحلات الحج الى فلسطين دون التنسيق مع المؤسسات الكاثوليكية الفرنسية كما كان في السابق . وبلغ عدد الحجاج الالمان الى فلسطين بين عامي ١٨٧٣ و ١٨٨٦ مئتين وتسعة وتسعين حاجا .

كان من نتائج « الكفاح الثقافي Kultur Kampf » في المانيا اعتقال الكاردينال غايسل راعي جمعية القبر المقدس ، وعزل رئيسها الدكتور باودري وحل مجلسها الاداري . غير ان الامور عادت الى مجاريها عام ١٨٩٣ حينما انتخب مساعد الاسقف هرمان يوسف شميتز Hermann Joseph Schmitz رئيسا للجمعية وتولى رعايتها اسقف(١٢٨) ارملاند Ermland

---

١٢٦) المصدر نفسه ، ص ١٧ - ١٨ .

١٢٧) المصدر نفسه ، ص ١٩ .

١٢٨) المصدر نفسه ، ص ٢١

فيليبوس كريمنتس Philippus Krementz وشهدت ادارة الجمعية بعض التغيرات خلال هذه الفترة . فقد توفي رئيس تحرير مجلة الجمعية « الارض المقدسة » ميلر Jaime Mueller عام ١٨٧٧ بعد عشرين عاما من الخدمة ، وخلفه في رئاسة التحرير الدكتور فيلهلم بنجزمان Wilhelm Pingsmann وبقي فيها حتى عام ١٩٠٥[١٢٩] .

جمعية فلسطين للكاثوليك الالمان Der Palaestinaverein der Katholiken Deutschlands (١٨٨٥ - ١٨٩٥) :

في المؤتمر السنوي العام للكاثوليك الالمان الذي عقد في مدينة مينستر Muenster في الأول من ايلول عام ١٨٨٥ أعلن تشكيل « جمعية فلسطين للكاثوليك الالمان » . واتخذت الجمعية مدينة آخن Aachen مقرا عاما لها . وضمت هيئتها الادارية عددا من رجال الدين والنواب الكاثوليك الالمان . وكان أول رئيس لها ليوبولديانسن Leopold Janssen وتألفت هيئتها الادارية من عشرين عضوا بينهم عدد من قادة جمعية القبر المقدس السابقة الذكر .

واصدرت الجمعية مجلة بعنوان « صحيفة فلسطين Palaestinablatt » بمعدل اربع مرات في السنة بدءا من اليوم الأول من كانون الثاني عام ١٨٨٦[١٣٠] . وتولى بطريرك اللاتين في القدس مع اسقف كولون رعاية الجمعية .

اقتصر نشاط الجمعية في فلسطين على دعم بعض المؤسسات الكاثوليكية وهي :

- النزل الالماني في القدس Das Deutsche Hopiz in Jerusalem :

اشترى ارض هذا النزل المبشر لاديسلاوس شنايدر عام ١٨٧٦ امام باب يافا بمبلغ (٢٦٥٠٠) فرنك فرنسي . وبدأ بناء النزل عليها عام ١٨٨٥ واكتمل في بداية عام ١٨٨٧ . تولى ادارته الراهب الالماني يوسف شتاين Joseph Stein في الأول من تشرين الأول عام ١٨٨٧ . وبعد ذلك بأيام افتتحت كنيسة صغيرة الى جانب النزل اصبحت ملتقى للكاثوليك الالمان في القدس من مقيمين وحجاج .

وفي صيف ١٨٨٦ اجرت الهيئة الادارية لجمعية فلسطين اتصالات مع رهبنة اخوات القديس بوروميوس Karl Borromaeos في تيشن Teschen للمساهمة في التبشير الكاثوليكي الالماني في فلسطين . وتم الاتفاق على طلب الجمعية . وتوجهت ثلاث راهبات من هذه الرهبنة مع

---

١٢٩) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

١٣٠) المصدر نفسه ، ص ٢٤ ، ٢٨ - ٢٩ .

خادمة الى روما حيث قابلن البابا ثم انتقلن الى الاسكندرية ومن ثم الى القدس حيث التحقن بالنزل الالماني في نهاية العام نفسه .

اما مبنى النزل فقد كان ضيقا لا يكفي لاستقبال الحجاج لذلك بني طابق ثان عام ١٨٩١ . فاصبح الطابق الأول مدرسة وتحول الطابق الثاني الى مستشفى . وتولى ادارته في تشرين الأول ١٨٩٠ فيلهلم شميدت Wilhelm Schmidt الذي جاء من رهبنة العازريين في طرابلس الشام(١٣١)

مزرعة قبيبة ـ عمواس

اشترى المبشر شنايدر قطعة زراعية في قبيبة بمبلغ ٤٥٠٠ فرنك واضاف اليها قطعة اخرى مجاورة زرعت بالحبوب والخضار والكرمة والتين والبرتقال ، بتمويل من الجمعية(١٣٢) .

ـ نزل حيفا Das Hospiz in Haifa

في الاجتماع السنوي العام لجمعية فلسطين للكاثوليك الالمان الذي عقد في ترير Trier عام ١٨٨٧ اعلن رئيسها يانسن ان الاباء الكرمليين في حيفا قد ابلغوه استعدادهم لمنح الالمان قطعة من الارض لبناء مبنى لراهبات القديس بوروميوس . قبلت الجمعية العرض . وفي ١٥ شباط ١٨٨٨ توجهت ثلاث راهبات من هذه الرهبنة من الاسكندرية الى حيفا . ثم لحق بهن اربع راهبات من الرهبنة نفسها قدمن من المانيا غير ان العرض الذي قدمه الاباء الكرمليون لم ينفذ بسبب معارضة فرنسا . لذلك تم استئجار منزل للراهبات المذكورات استعملنه كمستوصف لمعالجة المرضى واستقبال الحجاج وتعليم البنات الالمانيات في حيفا .

وتبرعت الجمعية بمبلغ من المال عام ١٨٨٩ لشراء قطعة من الأرض لبناء نزل للراهبات الالمانيات في حيفا . وتم شراء الارض اللازمة كذلك في العام التالي(١٣٣) .

ـ مزرعة الطبغة

بدأت جمعية فلسطين الالمانية نشاطها بالسعي الى انشاء مستعمرة كاثوليكية المانية في فلسطين . فاشترت قطعة من الارض على الزاوية الشمالية الغربية من بحيرة طبريا عام ١٨٨٧ . غير ان السلطات العثمانية لم توافق على عملية الشراء في بادىء الامر . فتدخلت السفارة الالمانية

---

١٣١) Alonzo, A. d. Op. Cit, pp. 53-54.
Cramer, V.: op. cit., pp. 30-32.

١٣٢) المصدر نفسه ، ص ٣٣ .

١٣٣) المصدر نفسه ، ص ٣٣ ـ ٣٤ .

في اسطنبول وتمت الموافقة في ٩ شباط ١٨٨٩ . وفي نهاية ذلك العام استقر على هذه الارض اربعة من الكاثوليك الالمان وبدأوا بزراعتها .

وتم بناء كنيسة ومنزل لراعيها ومنزل للراهبات عام ١٨٩٠ على هذه الارض . وتولى ادارة المزرعة الراهب تسيفرين بيفر Zephyrin Biever الذي قدم اليها من الارسالية الكاثوليكية في مأدبا(١٣٤) .

الجمعية الالمانية للارض المقدسة Der Deutsche Verein Von Heilige Lande (١٨٩٥ - ١٩١٨) :

في المؤتمر السنوي العام للكاثوليك الالمان الذي عقد في آخن في ٢٧ تشرين الثاني ١٨٩٣ بحث موضوع دمج جمعية فلسطين للكاثوليك الالمان وجمعية القبر المقدس . واعلنت الهيئة الادارية لجمعية فلسطين في نيسان ١٨٩٤ استعدادها للاندماج وفقا للقانون الالماني . وصدرت موافقة القيصر الالماني على حل جمعية فلسطين ودمجها مع جمعية القبر المقدس في جمعية جديدة تحمل اسم « الجمعية الالمانية للارض المقدسة » في ١١ آذار ١٨٩٥ . وتلا ذلك عقد اجتماع عام في كولون في ٣٠ تموز من العام نفسه برئاسة راعي الجمعيتين اسقف كولون الكاردينال كريمنتس Krementz تقرر فيه دمج الجمعيتين(١٣٥) . وانتخب مجلس اداري للجمعية الجديدة مؤلف من اربعين عضوا . وصدر نظامها الاساسي الذي حدد اهدافها بما يلي :

- حماية الاماكن المقدسة وتطوير الارسالية التبشيرية الكاثوليكية في الأرض المقدسة .
- النظر بروح الجدية والحق الى المصالح الكنسية والاجتماعية للكاثوليك الالمان في فلسطين . وتخصيص نصف واردات الجمعية السنوية لهذا الغرض .

وضعت الجمعية نفسها تحت حماية المملكة الالمانية ، واتخذت كولون مقرا عاما لها (المادة الثالثة) . وتمتعت بحقوق وواجبات الجمعيتين سابقتي الذكر (جمعية القبر المقدس وجمعية فلسطين الالمانية) . واصبح رئيس الجمعية هو رئيس اساقفة كولون (المادة السابعة) . اما اعضاؤها فنوعان : اعضاء عاملون ، واعضاء شرف يدفع الواحد منهم مبلغا لا يقل عن ثلاثمائة مارك (المادة السادسة) . والمجلس الاداري للجمعية المؤلف من اربعين عضوا ينتخبون لمدة ثلاث سنوات هو الذي يمثل الجمعية في كافة الامور (المادة الثامنة) .

---

١٣٤) المصدر نفسه ، ص ٣٤ - ٣٥ .

١٣٥) المصدر نفسه ، ص ٣٨ .

عقد الاجتماع الأول للجمعية العامة للجمعية في ٨ آذار ١٨٩٦ في كولون . وجاء في تقرير المسؤول المالي ان مجموع الاشتراكات قد بلغت (٤٤٠٠٠) مارك خصص منها خمسة الاف مارك للمعهد في حيفا وسبعة الاف مارك لمزرعة الطبغة . وبلغت واردات الجمعية في العام التالي (٧٥٠٠٠)مارك دفع منها(٣٤٦٠٠)للموظفين الالمان في الارض المقدسة و(١١٠٠٠) للمؤسسات التعليمية وعشرة الاف مارك لبطريرك اللاتين في القدس بيافي Piavi . وارتفعت هذه الواردات عام ١٨٩٨ حتى بلغت (١٢٨٦٥١) ماركا دفع منها (١٩٠٠٠) مارك للحفلات الدينية و (١٥٠٠٠) مارك للمؤسسات التعليمية و(١٦٠٠٠) مارك لنزل الكاثوليك في القدس و(٦٠٠٠) مارك لمزرعة الطبغة و(٥٠٠٠) مارك للمؤسسات الكاثوليكية الالمانية في حيفا و(٢٠٠٠) مارك للارسالية التبشيرية الكاثوليكية في غزة . وبلغت واردات الجمعية رقما قياسيا عام ١٨٩٩ (١٩٨٧٣٧) ماركا . انفق على نزل القدس (١٢٨١٥) ماركا ونزل الطبغة (٥٧٤١)ماركا وللقيم على الممتلكات اللاتينية في الارض المقدسة (١٥٦٦٦) ماركا وللارسالية الكاثوليكية في غزة (٢٤٢٥) ماركا .

توفي رئيس الجمعية الكاردينال فيليبوس كريمنتس رئيس اساقفة كولون في ٦ أيار ١٨٩٩ ، وخلفه في رئاستها اسقف بادربورن Paderborn الدكتور هيربرتوس زيمار Herbertus Simar الذي بقي في هذا المنصب حتى وفاته في ٢٤ أيار ١٩٠٢ ، فانتخب بعده الكاردينال انطونيوس فيشر Antonius Fischer . وفي عهده احتفلت الجمعية بيوبيلها الفضي في ١٦ كانون الاول عام ١٩٠٦ في كولون[١٣٦] .

ومن الجدير بالذكر ان المجلة الناطقة باسم الجمعية بقيت تحمل اسم « الارض المقدسة Das Heilige Land » . وبعددها الصادر في الأول من كانون الثاني عام ١٩٠٦ بدأت عامها الخمسين . وخصص هذا العدد لبيان منجزات الجمعية ودور مجلتها في التعريف بالارض المقدسة . وجاء في هذا العدد ان الجمعية قد انفقت اربعة ملايين مارك على المؤسسات الخيرية والدينية في الارض المقدسة منذ انشائها وحتى ذلك اليوم[١٣٧] .

وطرأ تعديل على نظام الجمعية في ١٧ كانون الثاني ١٩٠٨ ووافقت السلطات الالمانية عليه في الأول من تموز من العام نفسه . واهم ما جاء فيه اعتبار رئيس اساقفة كولون رئيسا دائما للجمعية ، ورفع عدد اعضاء مجلسها الاداري من اربعين الى خمسين عضوا . وان يقوم هذا المجلس بانتخاب لجنة منه مؤلفة من سبعة اعضاء لتدير شؤون الجمعية نيابة عنه . وتتولى هذه

---

١٣٦) المصدر نفسه ، ص ٣٩ - ٤٠ ، ٤٥ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٦٤ .

١٣٧) المصدر نفسه ، ص ٦٥ .

اللجنة الاعداد لاجتماعات الجمعية العامة ، وتحرير مجلة الجمعية التي تصدر اربع مرات في السنة ، وانشاء الروابط الكنسية واقامة الصلات معها ، وتعيين السكرتير العام للجمعية وبقية موظفيها ومن التعديلات حصر اعضاء الجمعية العامة بمئة عضو فقط ينتخبون من مجموع اعضائها (المادة ١٣)(١٣٨) .

توفي الكاردينال فيشر رئيس الجمعية في ٣٠ تموز ١٩١٢ بعد عشر سنوات من الرئاسة المتواصلة لها ، وخلفه الكاردينال فيلكس فون هارتمان Felix Von Hartmann رئيس اساقفة كولون(١٣٩) .

وفيما يلي لمحة موجزة عن الممتلكات والمؤسسات الكاثوليكية الالمانية في فلسطين والتي انشئت ونمت على يد الجمعيات الثلاث السابقة الذكر .

كنيسة نياحة العذراء Dormitio Maria Heimgang :

تقع على جبل صهيون الى الغرب من مقام النبي داود الى الجنوب من سور القدس ، على بعد بضعة امتار من باب النبي داود . وكانت الجمعية الالمانية للارض المقدسة تطمع في شراء هذا الموقع المقدس الذي يعتقد بأن مريم العذراء ويوحنا المعمدان قد اقاما فيه . فلما علمت الجمعية بزيارة القيصر الالماني فيلهلم الثاني للشرق ولفلسطين عام ١٨٩٨ طلبت منه ان يتوسط لدى السلطان عبد الحميد الثاني للموافقة على شراء الموقع . وقام نائب رئيس الجمعية يانسن بمباحثات مع وزارة الخارجية الالمانية في برلين لهذا الغرض .

وبعث القيصر في ٢٠ تشرين الأول ١٨٩٨ ببرقية الى البابا ليون الثالث عشر والى اللجنة الادارية للجمعية ابلغهما فيها ان السلطان عبد الحميد الثاني قد اهداه قطعة الارض المطلوبة وانه سوف يمنحها للجمعية الالمانية للارض المقدسة . ولما زار القيصر مدينة القدس في ٣١ تشرين الأول ١٨٩٨ قدم له متصرف القدس سند التملك وخاطبه قائلا : « بناء على الصداقة بين جلالتكم وعظمة متبوعنا الاعظم فاننا نقدم لجلالتكم هذه الارض ونحملكم على الراحات » . فاجابه القيصر : « ان المرحوم السلطان عبد العزيز خان اهدى المرحوم والدي الارض التي بنيت عليها كنيسة المخلص التي تم تدشينها اليوم . وعظمة صديقي السلطان عبد الحميد خان اهداني هذه الارض . وكما اننا بنينا على الاولى كنيسة للالمان الانجيليين . فسنبني على هذه كنيسة للالمان الكاثوليك . فشكرا لعظمته ولآل عثمان العظام . » . وقام القيصر بمنح قطعة الارض لممثل

---

١٣٨) المصدر نفسه ، ص ٦٨ - ٧١ .

١٣٩) المصدر نفسه ، ص ٧٦ .

الجمعية الالمانية للارض المقدسة فيلهلـم شميدت Wilhelm Schmidt بعد ظهر اليوم نفسه بحضور بطريرك اللاتين .

هذا وقررت الهيئة الادارية للجمعية بناء كنيسة في الموقع المذكور في ١٦ تشرين الثاني ١٨٩٨ ووجهت نداء الى الكاثوليك الالمان للتبرع من اجل بنائها . كما وجهت اللجنة المركزية للكاثوليك الالمان التي تشكلت حديثا في المؤتمر السنوي العام للكاثوليك الالمان الذي عقد في كريفيلد والتي اتخذت فرانكفورت على الماين مقرا لها ، نداء مماثلا في اليوم التالي . وبلغ مجموع التبرعات حتى بداية آذار ١٨٩٩ مئتين وخمسة الآف مارك .

وكلفت الجمعية المهندس هاينريش رينارد Heinrich Renard بدراسة الموقع ووضع التصاميم اللازمة لبناء الكنيسة . وبعد ان تجمع لدى الجمعية في نهاية عام ١٨٩٩ اربعمائة الف مارك بوشر ببناء الكنيسة عام ١٩٠٠ . ووضع حجر الاساس للبناء بحضور مساعد الاسقف باسكال ابوديا Pascale Apodia ممثلا لبطريرك اللاتين والقنصل الالماني في القدس الدكتور روزن Rosen ممثلا للقيصر في ٧ تشرين الأول من ذلك العام . وتم بناؤ ها عام ١٩١٠ ودشنت بحضور الامير آيتل فريتس Eitel Fritz الابن الثاني للقيصر(١٤٠) .

نزل القديس بولس St. Paulus Hospiz :

قررت الجمعية الالمانية للارض المقدسة شراء قطعة من الارض تبعد مئة متر الى الشمال من باب العمود في القدس . ودفعت ثمنها خمسين الف مارك في آب عام ١٨٩٨ . وذلك من اجل بناء نزل ومدرسة للصبيان ملحقة به . وكلف المهندس هاينريش رينارد بوضع تصاميم البناء . فوضع التصميم بحيث يتسع النزل لمئة وستين حاجا وتتسع المدرسة لمئة تلميذ داخلي . وقدرت تكاليف البناء باكمله باربعمائة الف مارك .

وجهت الجمعية نداء الى الكاثوليك الالمان للتبرع للبناء فتم جمع (٣٤٠٠٠) مارك خلال العام الأول (١٩٠٠ ـ ١٩٠١) . وتبرع القيصر الالماني بمبلغ ثمانية الآف مارك لبناء المدرسة . وبدىء العمل في البناء عام ١٩٠٢ ولم ينته الا عام ١٩٠٨ . واحتوى النزل على معهد لاعداد المعلمين التابعين للبطريركية اللاتينية . وافتتح المعهد في كانون الأول من ١٩٠٨ . وكان التدريس فيه لاربع سنوات . وقد اغلق المعهد لفترات متقطعة اثناء الحرب العالمية الأولى(١٤١) .

---

١٤٠) المصدر نفسه ، ص ٤٦ ـ ٤٨ ، ٥١ ـ ٥٢ .

Die Diplomatische Akten des Auswaertiges Amt 1871-1914, Bd. 12/ 2, Akt Nr. 3345, pp. 575 - 6.

١٤١) Cramer, V.: op. cit., pp. 54 - 5, 82 - 83.

العارف ، عارف : المسيحية في القدس ، ص ١٨٧ .

نزل اوغستا فكتوريا August Victoria Hospiz :

شرع الالمان الكاثوليك ببناء هذا النزل على جبل الزيتون عام ١٩٠٥ باعانات جمعت باشراف الوزير الالماني ميرباخ Mirbach الذي رافق القيصر في زيارته للقدس عام ١٨٩٨ . واتخذ نزلا للحجاج الالمان بين عامي ١٩١٠ و ١٩١٤ . ثم اتخذته القوات العثمانية ـ الالمانية مقرا لقيادتها بين عام ١٩١٤ و ١٩١٧ . ولما سقطت القدس في ايدي القوات الانكليزية في ٩ كانون الأول ١٩١٧ تحول النزل الى مقر للحكومة العسكرية . كما اتخذه المندوب السامي البريطاني ، منزلا له بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٢٧[١٤٢] .

كنيسة مريم ودير البندكتين على جبل صهيون ـ Marienkirche und Benediktiner Kloster :

صدر الفرمان السلطاني للبدء ببناء كنيسة مريم ودير البندكتين على جبل صهيون في القدس في نهاية تشرين الأول ١٩٠١ . واحتفل بالصلاة في الكنيسة في ٢١ آذار ١٩٠٦ . وتسلم البندكتيون مفاتيح الدير في الفترة نفسها . وتم بناء الكنيسة وتكريسها رسميا في ١٠ نيسان ١٩١٠ بحضور نحو سبعمائة وعشرين حاجا المانيا كاثوليكيا[١٤٣] .

النزل الالماني القديم ومدرسة شميدت

بقي النزل الالماني القديم والواقع امام باب يافا يستقبل الحجاج الكاثوليك الالمان حتى بناء نزل القديس بولس عام ١٩٠٨ . وكان مبنى النزل يضم مدرسة للبنات انشأتها الجمعية الالمانية للارض المقدسة عام ١٨٨٦ واتخذت اسم مدرسة شميدت Schmidt Schule نسبة الى اول مدير لها الاب العازري فيلهلم شميدت Wilhelm Schmidt وتطورت المدرسة بين عامي ١٩٠٨ و١٩١٨ بعد ان اصبح المبنى كله لها . وبلغ عدد التلميذات فيها عام ١٩٠٧ ثمانين تلميذة . وارتفع هذا العدد الى مئة وعشرين تلميذة عام ١٩١٤ . وكانت المدرسة تعلم الاشغال اليدوية والرسم بالاضافة الى العلوم النظرية[١٤٤]

---

١٤٢) اعيد النزل للالمان بين عامي ١٩٢٧ و ١٩٣٩ فاصبح داراً لاستراحة الرهبان وتحول اثناء الحرب العالمية الثانية الى مستشفى للجنود الانكليز .
العارف ، عارف : المسيحية في القدس ، ص ١٨٢

١٤٣) Cramer, V.: op., pp. 77 - 80.

١٤٤) المصدر نفسه ، ص ٨٧ ـ ٨٨ .

المستوصف الصحي في قبيبة - عمواس :

اشتريت الارض عام ١٨٧٦ في قرية قبيبة قرب عمواس لبناء مستوصف للراهبات والرهبان العاملين في مدرسة شميدت للبنات ونزل القديس بولس . وكانت تشرف عليه راهبات القديس بورميوس . وتم بناء المصح عام ١٩١٠ .

ملجأ العجزة في القدس :

انشىء عام ١٨٩٣ على يد راهبات القديس بورميوس . وقد اشترين قطعة من الارض عام ١٩٠٣ وبنين عليها منزلا بدعم من الجمعية الالمانية للارض المقدسة عام ١٩٠٥ . وبلغ عدد الراهبات العاملات في هذا الملجأ اثنتي عشرة راهبة . وقد اطلقن عليه ملجأ ملكة الملائكة Koenigin der Engel وكانت تتبعه مدرسة للبنات(١٤٥) واستمر يستقبل العجزة حتى عام ١٩٣٨ حينما تحول الى مدرسة داخلية للاطفال المشردين .

مستشفى راهبات القديس بورميوس في حيفا St. Borromaeos Schwestern :Krankenhaus

اشتريت الارض التي اقيم عليها هذا المستشفى عام ١٨٨٦ وتم بناء المستشفى عام ١٨٨٨ . وانشئت الى جانبه دار للايتام واستراحة الياس Eliasruhe للراهبات عام ١٩٠٢ التي تحولت فيما بعد الى نزل ومدرسة . ومع بداية القرن العشرين بدأت راهبات القديس بورميـوس بقبول البنات العربيات في صفوفهن وتدريبهن كممرضات . وفي عام ١٩٠٣ لبست اولاهن لباس الراهبات في حيفا . وبلغ عدد الراهبات العربيات في هذه الرهبنة ست راهبات عام ١٩١١ . وكانت اول ممرضة عربية في هذا المستشفى خريجة مدرسة البنات الالمانية في القدس(١٤٦) .

مزرعة الطبغة ونزلها :

تقرر في الاجتماع السنوي للجمعية الالمانية للارض المقدسة الذي عقد في آخر عام ١٩٠٠ شراء قطعة واسعة من الارض على الضفة الشمالية الغربية من بحيرة طبريا من اجل اقامة مستعمرة كاثوليكية المانية ، تضم ثلاثين اسرة ، عليها . وكان المقصود من هذا القرار منافسة

---

١٤٥) المصدر نفسه ، ص ٩٣ .

١٤٦) المصدر نفسه ، ص ٩٣ . A.A., P.A., Politische Abteilung VII, p, o. 25, Palaestina, Bd.1.

الانجيليين الالمان الذين قطعوا اشواطا بعيدة في انشاء المستعمرات في فلسطين . غير ان قسوة المناخ في غور الاردن وانتشار الملاريا حالا دون استيطان الاسر المذكورة بعد ان تم شراء الارض في الموقع المذكور على امتداد كيلومترين وبعمق أربعة كيلومترات على ضفاف البحيرة بمبلغ (٢٨٥٠٠) مارك .

وقام احد الاقطاعيين في عكا بالاستيلاء على الارض وزراعتها فاحتج الاب بيفر على ذلك وبعث بالاب كلينكنبرغ Klinkenberg الى الوالي العثماني في بيروت يشكو اليه استيلاء الاقطاعي على الارض المذكورة . غير ان الوالي لم يستجب للشكوى . فما كان من بيفر الا ان اشتكى الى قائمقام صفد والى القنصل الالماني العام في بيروت ، ولكن دون جدوى . واضطر بيفر الى الذهاب بنفسه الى بيروت عام ١٩٠٤ ، فنجح في مهمته واستعاد ملكية الارض . وكان بيفر قد رفع القضية الى الهيئة الادارية للجمعية ، فكلفت هذه احد اعضائها الهركلاين Klein بالاتصال بوزارة الخارجية الالمانية في برلين . تدخلت الوزارة لدى الباب العالي فاوعز الى قائمقام صفد بحل المشكلة لصالح الالمان . وقام قائمقام صفد بزيارة الموقع بنفسه ترافقه قوة عسكرية صغيرة فاخرج الفلاحين العرب منها ، وابقى جزءاً من القوة العسكرية في الموقع لحماية الالمان . وتولى الاب بيفر الاشراف على المزرعة حتى عام ١٩٠٧ عندما حل محله الاب كلينكنبرغ الذي غادرها عام ١٩١٠ وخلفه الاب زونين Sonnen حتى عام ١٩١٣ . وتولى ادارتها من بعده الاب ارنست شمتز Ernst Schmitz فبقي فيها حتى عام ١٩١٥ .

احتوت المزرعة على بساتين للفاكهة وحظيرة لتربية الأبقار واخرى للخيل والدواجن وانشأ الالمان فيها نزلا ومدرسة . وقد وفد اليها في عام ١٩١٠ العالمان الاثريان الالمانيان الدكتور باول كراجه Paul Krage والدكتور جيورج غراف Georg Graf للتنقيب عن الاثار هناك على نفقة معهد الاستشراق التابع لجمعية غوره في ميونخ(١٤٧) .

المدارس الكاثوليكية الألمانية في الجليل :

انشأت الجمعيات التبشيرية الكاثوليكية الالمانية عددا من المدارس في الجليل بلغت خمسا عام ١٩٠٠ هي : مدرسة دير حنة التي كانت تحتوي على اثني عشر تلميذا ، ومدرسة سخنين التي

---

(١٤٧) Cramer, V.: op. cit., pp. 88 - 92.

قدم الدكتور باول كراجه الى القدس في ٢٣ آذار ١٩٠٩ لانشاء معهد شرقي تابع لجمعية غوره واتخذ نزل القديس بولس مقرا له. واصبح هذا المعهد ملتقى للعلماء والباحثين الالمان الراغبين في دراسة الارض المقدسة . (المصدر نفسه ، ص ٨٦) .

كانت تضم عددا مماثلا من التلاميذ ، ومدرسة عرابةالتي كانت تضم خمسة وعشرين تلميذا ومدرسة عيلبون التي كانت تضم ثلاثين تلميذا ومدرسة مغار التي كانت تضم خمسين تلميذا . وفي هذه المدرسة الأخيرة وجد بعض البنات فكانت المدرسة المختلطة الأولى في فلسطين .

أما معلمو هذه المدارس فكانوا من خريجي معهد تدريب المعلميـن في القدس(١٤٨) .

تنظيم قوافل الحجاج الكاثوليك الالمان الى الاماكن المقدسة :

منذ قيام الوحدة الالمانية اخذ الكاثوليك الالمان ينظمون رحلات الحج الى فلسطين بصورة مستقلة عن المؤسسات الكاثوليكية الفرنسية . وفي عام ١٨٩٢ قررت جمعية فلسطين الالمانية في اجتماعها السنوي الذي عقد في بون Bonn البدء بتنظيم قوافل الحج الى الارض المقدسة . وبدأت اولى هذه القوافل في ربيع عام ١٨٩٣ بخمسة وخمسين حاجا . وبقيام الجمعية الالمانية للارض المقدسة عام ١٨٩٥ تشكلت لجنة لتنظيم قوافل الحجاج الكاثوليك الالمان . وقاد الاب الدكتور شيفرز Schiffers اول قافلة للحج ضمن هذا البرنامج عام ١٨٩٦ . واستطاعت اللجنة ان تنظم خمس عشرة رحلة من المانيا الى فلسطين خلال السنوات العشر الاولى من تكوينها . وبلغ عدد الحجاج الذين اشرفت عليهم اللجنة خلال هذه الفترة نحو الفي حاج . اما الطريق الذي كانت تسير عليه هذه القوافل فيبدأ من كولون فجنوه فالبندقية او برنديزي فالاسكندرية فبيروت فيافا فحيفا ، والعودة من حيفا الى برنديزي فأوستيا او سيفيتا فيشيا Civita Vecchia فروما لزيارة الفاتيكان . وكانت بعض القوافل تمر في عودتها باسطنبول وبيريا وأثينا(١٤٩) .

الحرب العالمية الأولى والمؤسسات الكاثوليكية الالمانية في فلسطين :

كان للحرب العالمية الأولى التي اندلعت في مطلع آب ١٩١٤ تأثير سلبي على النشاط الكاثوليكي الالماني في فلسطين . وبدخول الدولة العثمانية الحرب في تشرين الثاني ١٩١٤ اغلقت كافة المؤسسات والمدارس الكاثوليكية الفرنسية والايطالية ورحل معظم رجال الدين الفرنسيين والطليان المسؤولين عن هذه المؤسسات . كما اغلقت المدارس والمؤسسات الانكليزية والروسية .

اما المؤسسات والمدارس الالمانية فقد تعرضت لاضطراب شديد بسبب التحاق العديد من العاملين فيها والمسؤولين عنها بالقوات الالمانية على مختلف جبهات القتال .

---

١٤٨) المصدر نفسه ، ص ٨٩ ـ ٩٢ .

١٤٩) المصدر نفسه ، ص ٩٣ ـ ٩٥

بقي نزل القديس بولس مفتوحا حتى انتقلت القيادة العسكرية لجبهة السويس الى القدس فاتخذته مقرا لكبار الضباط الالمان المشاركين في القيادة العامة . وفي ٢ كانون الثاني ١٩١٦ اتخذ الجنرال الالماني كريس فون كريسنشتاين Kress Von Kressenstein النزل مقرا لقيادته . وبناء على أمر من قيادة الجيش العثماني الرابع وباتفاق مع القنصل العام الالماني تحول النزل في ١٤ شباط ١٩١٦ الى مستشفى للضباط والجنود الالمان والنمساويين ، وكانت الراهبات المقيمات فيه يتولين خدمة التمريض ، واصبح النزل دارا لنقاهة الضباط والجنود في حزيران من العام نفسه . وبلغ عدد الذين ترددوا عليه خلال ذلك العام ١١٥٣١ جنديا وضابطا . وبقي كذلك حتى سقوط القدس في ايدي القوات الانكليزية في مطلع كانون الأول ١٩١٧ .

اما معهد المعلمين التابع للنزل فقد اغلق عند اعلان الحرب ثم فتح بعد قليل وبقي مفتوحا حتى ١٥ تشرين الأول ١٩١٥ ثم اغلق خلال عامي ١٩١٦ و١٩١٧ باستثناء فترة ستة اشهر فتح خلالها بامر من جمال باشا قائد الجيش الرابع .

وتعرضت مدرسة البنين الكاثوليكية الالمانية في القدس للاغلاق فترات متقطعة خلال الحرب . وكذلك الحال بالنسبة الى مدرسة البنات .

وقامت راهبات القديس بوروميوس بالعناية بالجرحى والمرضى اثناء القتال على الجبهة الفلسطينية . فقد عملت ست منهن في جبهة القتال في عوجا حفير . وعملت اربع منهن في الهلال الأحمر العثماني في القدس . وقتل عدد منهن اثناء القتال .

اما المدارس الكاثوليكية الالمانية في الجليل فقد فتحت ابوابها خلال الحرب دون انقطاع[١٥٠] .

التبشير والأهداف السياسية الالمانية :

مثلما شهدت اوروبا في اعقاب الثورة الفرنسية ميلاد العديد من الحركات السياسية الثورية وعاشت نشاطا ثوريا عنيفا ، شهدت ايضا تجديدا دينيا عميقا . ذلك ان زوال المؤسسات القديمة ، بما فيها المؤسسات الدينية والكنسية ، ادى الى بعث ديني . وبرزت حركة البعث الديني هذه في اجلى مظاهرها في بريطانيا والمانيا . فقد تأسست جمعيتان دينيتان في لندن هما جمعية التبشير الكنائسية .C.M.S عام ١٧٩٩ ، وجمعية يهود لندن .L.J.S عام ١٨٠٩ ، كان لهما دور مهم في تنمية الوعي الديني بين الانكليز وتسخير التبشير الديني لأغراض السياسة الخارجية البريطانية . كما

---

١٥٠) المصدر نفسه ، ص ٩٥ - ٩٨ ، ١٠٢ .

تشكلت في المانيا ، نتيجة حركة البعث الروحي Erweckungsbewegung ، جمعيات دينية مماثلة . وكانت برلين وبازل قطبي هذه الحركة . ففي ٢٥ كانون الثاني عام ١٨٢٢ تأسست في برلين « جمعية نشر المسيحية بين اليهود Gesellshaft zur Befoerderung des Christentums unter den Juden » تحت رعاية البارون فون فيتسليين Von Witzleben الذي اصبح فيما بعد وزيرا للحربية في مملكة بروسيا . وجرت العادة على ان يتولى رئاسة هذه الجمعية احد كبار الضباط في الجيش البروسي(١٥١) . وهذا يدل على الأهمية العسكرية التي كانت مملكة بروسيا تعلقها على هذه الجمعية التبشيرية . ومن الجدير بالذكر ان هذه الجمعية قد وثقت صلاتها بجمعية يهود لندن التي بدأت نشاطها التبشيري بين اليهود في فلسطين منذ عام ١٨٢٦(١٥٢) .

أما بازل فقد كانت مركز الاشعاع الديني في جنوبي المانيا . فمنذ عام ١٧٨٠ أسس يوهانس اوغست أورلشبرغر Johannes August Urlsperge « الجمعية المسيحية الالمانية Deutsche Christentums Gesellschaft» التي ما لبثت ان انشأت لها فروعاً في مختلف امارات جنوب المانيا . وقد تدرب في هذه الجمعية القســان كريستيان غوتليب بلومهاردت Christian Gottlieb Blumhardt وكريستيان فريدريش شبتلر Christian Friedrich Spittler (من مملكة فورتمبرغ) . وهما اللذان اسسا جمعية بازل التبشيرية Baseler Mission Gesellschaft بين ١٨ و٢٧ تموز ١٨١٥(١٥٣) . وبعد عشر سنوات من تأسيسها ابرمت اتفاقية مع جمعية التبشير الكنائسية في لندن نصت على تآخيهما وعلى المشاركة في التبشير الانجيلي في الشرق(١٥٤) .

لقد كانت فكرة استعمار فلسطين واستيطانها تهيمن على تفكير مؤسسي هذه الجمعيات ، وبخاصة مع انتهاء حكم محمد علي عام ١٨٤٠ ، واعتقاد الكثيرين من الاوروبيين ان الدولة العثمانية قد أوشكت على الانهيار وان لا بد من اقتسام ممتلكاتها الآسيوية والسيطرة على فلسطين التي تحتل موقعا استراتيجيا مهما بين هذه الممتلكات بالاضافة الى اهميتها الدينية . وبينما كانت قوات محمد علي تنسحب من فلسطين طلب شبتلر في ١٩ نيسان ١٨٤٠ من البارون بونزن Bunsen وزير بروسيا المفوض في بيرن لدى زيارته لمقر الجمعية في بازل السعي لاقامة مستعمرة بروتستانتية انموذجية في الارض المقدسة(١٥٥) . وقدم بونزن في ٢٩ نيسان ١٨٤٠ مذكرة الى وزير

---

١٥١) Hajjar, J.: L'Europe et les destinées du proche Orient, p. 8.

١٥٢) حول نشاط هذه الجمعية انظر :

Schaefer, E.: Die Juden Vornemmlich, Eine geschichtlicher Uéberblick ueber die Arbeit des Gesellschaft zur Befoerderung des christentums unter den juden zu Berlin, Berlin, 1913.

١٥٣) Hajjar, J.: op. cit., p. 9.

١٥٤) المصدر نفسه ، ص ٥٥ .

١٥٥) المصدر نفسه ، ص ٣٧٥ .

الخارجية البروسي فيرتر Werther تتضمن مشروعا حول مستقبل فلسطين . وينص المشروع على فصل فلسطين عن بقية الولايات العثمانية وربطها مباشرة بالباب العالي ، ووضع سكانها المسيحيين تحت حماية الدول الاوروبية بحيث تتولى فرنسا والنمسا حماية الكاثوليك ، وروسيا حماية الارثوذكس ، وانجلترا وبروسيا حماية البروتستانت . وان تصبح القدس وبيت لحم والناصرة ممتلكات (مستعمرات) مسيحية(١٥٦) . وكان هذا المشروع وراء فكرة انشاء مطرانية بروتستانتية بروسية ـ انكليزية مشتركة في بيت المقدس .

ولعل ابرز ما يميز التبشير الالماني في فلسطين انه بدأ بمبادرة من الدولة ونتيجة لمفاوضات رسمية بين الحكومتين البروسية والبريطانية . وحظي هذا النشاط التبشيري بدعم المملكة البروسية . وبعد قيام الوحدة الالمانية ازداد اهتمام المانيا القيصرية بالتبشير ، وسعيا منها الى تسخيره لخدمة اهدافها السياسية والاقتصادية في الشرق ، اعترضت على الاتفاقية البروسية ـ الانكليزية لعام ١٨٤١ ، وشجعت الرهبان الالمان على الانفصال عن الكنيسة الانجليكانية في فلسطين حتى انتهى الامر بالانفصال التام عام ١٨٨٦ . ومنذئذ لم يقتصر الدعم الرسمي الالماني على المؤسسات التبشيرية الانجيلية وانما امتد الى المؤسسات الكاثوليكية الالمانية في البلاد . واندفعت الجمعية الالمانية للارض المقدسة لتضع نفسها تحت حماية القيصر . ففي الاجتماع السنوي للجمعية الذي عقد في فرانكفورت على الماين في ٥ آذار ١٨٩٩ بعث المجتمعون ببرقية الى البابا اعلنوا فيها رفضهم لأية حماية على الكاثوليك الالمان في فلسطين سوى الحماية الالمانية . وسعى عضو الهيئة الادارية الامير فرانز ارنبرغ Franz Arenberg عضو البرلمان الالماني الى اقناع السلطات الالمانية بان حماية الكاثوليك الالمان في فلسطين واجب على الحكومة الالمانية(١٥٧) .

هذا وقد حث القيصر القنصل الالماني في القدس فريدريش روزن Friderich Rosen اثناء مقابلته في نيسان ١٨٩٩ على ان يولي الرهبان الكاثوليك الالمان في فلسطين عنايته . وان يبقي على صلات وثيقة ببطريرك اللاتين في القدس المنسنيور بيافي وان يتعاون مع القنصل الايطالي في حدود عدم الاعتراف بحماية اية دولة اوروبية لكاثوليك الشرق(١٥٨) .

ولما اندلعت الحرب العالمية الأولى واغلقت الحكومة العثمانية المؤسسات التبشيرية الفرنسية والانكليزية والروسية تدخل البابا لدى وزارة الخارجية الالمانية في ٣ نيسان ١٩١٥ من اجل اعادة فتح الاديرة الكاثوليكية وان يقتصر هذا الاجراء على رعايا الدول العدوة ، واتصل

---

١٥٦) المصدر نفسه ، ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧ .

١٥٧) Cramer V. : op. cit., pp. 48; 50.

١٥٨) Rosen, F.: Oriental Memoris of a German Diplomatist, p. 261.

السفير الالماني في اسطنبول فانجنهايم Wangenheim بالسلطات العثمانية فأكدت له ان هذا الاجراء اقتصر على ممتلكات ومؤسسات الدول العدوة . وفي السادس من نيسان ١٩١٥ طلب وزير الشؤون الدينية الالماني من وزير الخارجية دراسة امكانية نقل حماية الاديرة والمؤسسات الدينية والثقافية الفرنسية في المشرق العربي الى المانيا . واتصل وزير الخارجية بالسفير الالماني في اسطنبول فابلغه هذا في ٢٩ نيسان ان الوزير المفوض الاسباني قد سعى لدى الباب العالي لكي تتولى اسبانيا حماية الممتلكات والمؤسسات الفرنسية في فلسطين وانه قد ايده في هذا المسعى . وقد رفضت الحكومة الالمانية ان تتولى حماية تلك الممتلكات والمؤسسات الفرنسية رغم وساطة البابا ، بسبب خشيتها من حساسية الحكومة العثمانية نحو الموضوع[١٥٩] .

لقد كان النشاط التبشيري مبررا لتدخل قناصل المانيا في الشؤون الداخلية للبلاد . اذ لم ينفك هؤلاء عن حماية المبشرين وحماية اليهود المهاجرين من المانيا او الراغبين في الحماية الالمانية[١٦٠] . واذا قارنا النشاط التبشيري الالماني ، والنشاط التعليمي منه بوجه خاص ، بالنشاط المماثل للدول الاوروبية وجدنا ان هذا النشاط كان ضعيفا ومحدودا . اذ لم يتجاوز عدد المدارس الالمانية في بلاد الشام والعراق قبيل الحرب العالمية الأولى ٢٢ مدرسة ، بينما بلغ عدد المدارس الفرنسية ٦٠٠ مدرسة ، وعدد المدارس البريطانية والامريكية ٥٠٠ مدرسة وعدد المدارس الايطالية ٢٠٠ مدرسة ، وعدد المدارس الروسية ٦٠ مدرسة[١٦١] . واذا اخذنا بعين الاعتبار الخدمات الانسانية التي قدمتها هذه المؤسسات التبشيرية فلا يغيب عن بالنا انها ساهمت في تعميق الخلافات الطائفية في البلاد ، كما انها اضعفت الشعور الوطني والقومي بتنمية الولاء الطائفي وتعزيزه .

---

١٥٩) A.A., P.A..Abteilung IA, Tuerkei 175 e , Vol. 1, Acta Betr, due Heiligen Staetten 1888 - 1917.

برقية من الوزير المفوض الالماني في روما الى وزارة الخارجية ٣ / ٤ / ١٩١٥

برقية السفير الالماني في اسطنبول الى وزارة الخارجية ٦ / ٤ / ١٩١٥ .

كتاب وزير الشؤون الدينية الالماني الى وزير الخارجية في ٦/ ٤ / ١٩١٥ .

برقية السفير الالماني في اسطنبول الى وزارة الخارجية في ٢٩ / ٤ / ١٩١٥ .

١٦٠) Eliav, M.: German interests and the Jewish Coummunity in the 19th Century Palestine, in «Studies on Palestine During the Ottoman Period», p. 427.

١٦١) Watti, M.: Analyse des Nationales Interesses am Beispiel der Deutsch - Arabische Beziehung, p. 58.

الفصل الثاني

المستعمرات الالمانية في فلسطين

١٨٦٨ - ١٩١٨

مشاريع استعمار فلسطين في النصف الأول من القرن التاسع عشر :

فتحت حملة نابليون بونابرت على مصر وبلاد الشام (١٧٩٨ ـ ١٨٠١) باب الصراع الدولي في الشرق العربي على مصراعيه . واطلقت العنان لمخططي السياسة الاستعمارية في اوروبا ، فقدموا مشروعات عديدة ترمي الى تجزئة الدولة العثمانية واقتسام ممتلكاتها ، في وقت بلغ الجشع الاستعماري ، مع انتشار الثورة الصناعية ، أوجه . وكانت فلسطين بحكم موقعها الجغرافي والاستراتيجي واهميتها الدينية هدفا لمخططي هذه السياسة . فمنذ عام ١٨٠٠ نشر الكاتب البريطاني جيمز بيتشينو James Bicheno كتابا بعنوان The Restauration of Jews, The crisis of All Nations دعا فيه الى تجميع يهود العالم في فلسطين ، تحقيقاً للنبوءات التوراتية ، وسعياً الى حل الازمات التي تجتاح الدول المسيحية والدولة العثمانية . وعلق بيتشينو آمالا واسعة على فرنسا النابليونية لتحقيق هذا المشروع . غير ان مبادرة نابليون بجمع « مجلس اعلى » لليهود لاستغلاله كاداة سياسية ، منيت بالفشل . ولذلك اتجهت الانظار الى الدول البروتستانتية (بريطانيا وبروسيا) لتحقيق هذا المشروع . ولقيت آراء بتشينو صدى واسعا في بريطانيا ، واعيدت طباعة كتابه السابق الذكر عام ١٨٠٧[١] .

وقد اعجب بالفكرة اللورد آشلي Lord Ashley الذي اخذ يدعو لها منذ خريف عام ١٨٣٨ . وفي رأيه ان جمع اليهود على أرض فلسطين سيكون خطوة اولى نحو تنصيرهم ، كما ان استعمار فلسطين ضرورة للاقتصاد البريطاني الذي شهد آنذاك ازدهارا وتوسعا نتيجة للثورة

---

١) Hajjar, J.: L'Europe et les Destinées du proche Orient, pp. 326 - 7.

Hyamson, A. M. British Projects for the Restauration of Jews to Palestine, in «Publications of the American Jewish Historical Society», 1918, No. 2, pp. 129-131.

الصناعية . وبضغط من آشلي قبل قريبه اللورد بالمرستون Lord Palmerston رعاية عودة اليهود الى فلسطين وحماية الحكومة البريطانية للمقيمين منهم في الدولة العثمانية . وكان للكتاب الذي الفه اللورد ليندسي Lord Lindsay وصدر عام ١٨٣٨ بعنوان«Letters on Egypt,Edom and the Holy Land رسائل عن مصر وايدوم والارض المقدسة » والذي تضمن تحبيذه لفكرة جمع اليهود في فلسطين ، صدى واسعاً في نفس اللورد آشلي . فقام الاخير بجمع الاموال لتنفيذ مشروع جمع اليهود على ارض فلسطين[٢] .

اثار المشروع اهتمام الحكومة البريطانية والصحافة اللندنية . فقد تناولت صحيفة التايمز Times في عددها الصادر في ٢٤ كانون الثاني عام ١٨٣٩ الافكار الرئيسية التي نادى بها آشلي وايدت « حق الشعب اليهودي في العودة الى فلسطين » . وربطت المسألة اليهودية بالازمة السياسية القائمة بين محمد علي باشا والسلطان العثماني[٣] . اما وزارة الخارجية البريطانية فقد اصدرت في ٣١ كانون الثاني ١٨٣٩ تعليماتها الى W.T. Young نائب القنصل المعين حديثا (١٩ / ٩ / ١٨٣٨) في القدس لبسط حمايته على كافة اليهود المقيمين في فلسطين[٤] .

ونشأت في الوقت نفسه حركة بين اليهود في بريطانيا تدعو الى استعمار فلسطين . ففي ربيع عام ١٨٣٨ زار موسى مونتفيوري Moses Montefiore[٥] الثري والمحسن اليهودي فلسطين ، وعرج على مصر لمفاوضة محمد علي باشا في مشروع يرمي الى تأجير منطقة الجليل (نحو ٢٠٠ قرية) له لمدة خمسين سنة ، وان يدفع له مقابل ذلك اجرا سنوياً . وكان في نية مونتفيوري أن ينشيء شركة استعمارية في بريطانيا ، في حالة موافقة محمد علي باشا على مشروعه ، من اجل تشجيع يهود اوروبا على الهجرة الى فلسطين. غير ان مباحثات مونتفيوري مع محمد علي باءت بالفشل عندما اكد والي مصر انه لا يستطيع التصرف بارض لا يملكها . واستمر مونتفيوري في نشاطه دون جدوى ، وزار فلسطين سبع مرات بين عامي ١٨٢٧ و ١٨٧٥[٦]. كان مشروع

---

٢) Hajjar, J.: op. cit, pp. 327-8.

٣) Hyamson, A. M. op. cit, p. 136, Hajjar, J.:op. cit, p. 329.

٤) Tibawi, A. L.: British Interests in Palestine, p. 33.
Hyamson, A.M.: The British Consulate in Jerusalem in relation to the Jews of Palestine (1838 - 1914). Vol.1, p. 43.

٥) ولد موسى مونتفيوري عام ١٧٨٤ في ليفورن Livourne . ونجح في حياته كرجل اعمال يهودي . واصبح نبيلا بسبب صلة النسب باسرة روتشيلد في بريطانيا . وانسحب في عام ١٨٢١ من اعمال التجارة وكرس حياته للاعمال الخيرية الاجتماعية المتعلقة باليهود . وقام بعدة زيارات لفلسطين بين عامي ١٨٢٧ و١٨٧٥ .
Loewe, L. (ed.): Diariers of Sir Moses and Lady Montefiore, Vol. I. pp. 165 ff.
Hajjar, J.: op. cit, p. 327.

٦) Hajjar, J.: op. cit, pp. 330-331.

مونتفيوري هذا مقدمة للمشروع الصهيوني الذي مرّ بمراحل عدة طوال القرن التاسع عشر .

اثارت الاضطرابات التي شهدتها فلسطين في السنوات الاخيرة من حكم محمد علي اهتمام الرأي العام الاوروبي بمستقبل فلسطين . وتحركت الاوساط الدينية والاستعمارية لفصل هذه المنطقة المهمة عن الدولة العثمانية . وفي بروسيا طلبت الاوساط الدينية من فريدريش فيلهلم الثالث عام ١٨٣٩ ان يسعى لفرض الحماية البروسية على فلسطين . ولكن الملك البروسي رأى ان المسألة تستحق اهتمام المسيحية جمعاء. فكلف وزير خارجيته بنقل رغبته هذه الى الدول الاوروبية الكبرى . وبعد ابرام معاهدة لندن عام ١٨٤٠ استأنف ملك بروسيا مبادرته ، وعهد الى وزير خارجيته فون فيرتر Von Werther في ٣٠ تموز من العام نفسه بمتابعة الموضوع . وبعد اسبوعين قدم الوزيران البروسيان فون بيلوف Von Buelow وآيشهورن Eichhorn مذكرة الى البلاط الملكي حول هذه المبادرة . وقد ارسل مضمون هذه المذكرة الى البلاط النمساوي في فينا لاستطلاع رأي الحكومة النمساوية فيه . وتتضمن هذه المبادرة البروسية التأكيد على الحاجة الماسة لحماية المسيحيين في الشرق وحماية الاماكن المقدسة وتأمين حرية العبادة في كنيسة القيامة في القدس . غير ان المستشار النمساوي مترنيخ Metternich تباطأ في الرد على هذه المبادرة الغربية[٧] .

وتحمس الرأي العام الالماني للمبادرة البروسية. وتبنت اكبر الصحف الالمانية في ذلك الوقت Augusburger Allgemeine Zeitung الدعوة للمشروع الملكي البروسي ونشرت في عددها الصادر في ٥ كانون الثاني ١٨٤١ تحقيقاً طويلا عن الارض المقدسة[٨] . كما نشرت عدة مقالات لهلموت فون مولتكه Helmuth Von Moltke الكابتن في الحرس الملكي البروسي الذي عمل بين عامي ١٨٣٥ و ١٨٣٩ في تنظيم الجيش العثماني[٩] ، في الفترة نفسها تحت عنوان « المانيا وفلسطين Deutschland und Palaestina» قدم من خلالها مشروعا اثار اهتمام الرأي العام الالماني . يتضمن المشروع انشاء « مملكة القدس » لتجعل من فلسطين مركزا متقدما للحضارة الاوروبية وانموذجا للتطور الاقتصادي في الشرق ، ودولة واقية بين مصر وسورية في حالة قيام مملكة وراثية في مصر ، تحول دون أي اعتداء على الدولة العثمانية ، وجسرا يربط اوروبا بالقارة الهندية .

---

٧) المصدر نفسه ، ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣. Nippold, Friedrich: Christian Carl Josias Freiherr Von Bunsen, Bd. II, p.200.

٨) Hajjar, J.: op. cit, p. 352.

٩) حول تفاصيل اقامة مولتكه في اسطنبول انظر :

Moltke, Helmuth von: Briefe ueber Zustaende und Begebenheiten in der Tuerkei aus den Jahren 1835 bis 1839, Berlin, 1893.

Wagner, R.: Moltke und Muehlbach zusammen unter dem Halbmonde (1837-1839), Berlin, 1893.

ويرى مولتكه ان قيام هذه المملكة سيكون بعثا للتقاليد والقيم الصليبية ونصرا معنويا عظميا تحققه المسيحية في العالم . واقترح ان يكون على رأس هذه الدولة امير الماني يتمتع بسلطة مطلقة ويتصف بروح متسامحة. فهو يرى ان اعتلاء امير الماني عرش مملكة القدس سوف يبعد فلسطين عن تأثير المنافسات السياسية القائمة بين الدول البحرية الاوروبية . كما ان تمتعه بسلطة مطلقة سيساعد على فرض النظام في بلد متخلف « لم يبلغ سكانه بعد مستوى حضارة اليونان الذي يؤهله للمطالبة بالحكم الذاتي »(١٠) .

رد المستشار النمساوي على اقتراح ملك بروسيا ردا سلبيا . واوضح في رده ضرورة بقاء فلسطين وسورية تحت الادارة العثمانية المباشرة . وابلغ مضمون هذا الرد الى الحكومتين الروسية والفرنسية(١١) .

ولكن البلاط الملكي البروسي كلف احد الدبلوماسيين البروسيين يوسف ماريا فون رادوفيتس Joseph Maria Von Radowitz باعداد مذكرة حول مستقبل القدس والاماكن المقدسة . وقدم رادوفيتس مذكرته الى فريدريش فيلهلم الثالث في ١٤ شباط ١٨٤١ . وتتضمن مشروعا بروسيا جديدا ينص على وضع المدن المقدسة الثلاث : القدس وبيت لحم والناصرة تحت « الادارة المباشرة لـلدول الاوروبية . وبعبارة اخرى كان هذا مشروعا لتدويل الاماكن المقدسة في فلسطين . وصدرت التعليمات الى وزير الخارجية فيرتر بابلاغ الدول الاروبية بهذا المشروع وطلب بيان رأيها فيه . فتم ذلك في ٢٤ شباط من ذلك العام(١٢) .

اكدت المذكرة البروسية على ان الدافع الحقيقي لهذا المشروع، العواطف الدينية العميقة لملك بروسيا التي اوحت اليه بضرورة « حماية المدن المقدسة الثلاث القدس وبيت لحم والناصرة من المهانة التي وصلت اليها تحت الحكم التركي وتوفير الضمانات الكافية لسكان هذه المدن من المسيحيين لحمايتهم من تعصب المسلميـن ». واشــارت المذكرة الى السمعة الدبلوماسية والعسكرية للدول الاوروبية الكبرى الاربع الموقعة على معاهدة لندن (انكلترا و فرنسا وروسيا والنمسا) لدى السلطان العثماني لانها هي التي انقذته من الدمار . وان وضع الدولة العثمانية

---

١٠) Moltke, Helmuth von: Vermischte Schriften, Bd .2, pp. 279 - 288.
Lewin, E: The German Road to the East, pp. 22 - 3.
Hajjar, J.: op. cit., p. 369.

١١) Hajjar, J.: op. cit., p. 352.

١٢) Nippold, F.: op. cit., Bd II, pp. 200-201
Popoff, A.: La Question des lieux Saints vol. I, pp. 223-8.

بعد توقيع اتفاقية لندن من الفرص التاريخية التي قلما يجود بها الزمان لغرض وضع قانوني ونهائي لمصير فلسطين[13] .

ولم تبد الدول الاروبية الكبرى حماسا لمشروع ملك بروسيا فاهملته . وواصل ابنه فريدريش فيلهلم الرابع المساعي نفسها . فقد استدعى الوزير المفوض البروسي في بيرن البارون بونزن Bunsen الى برلين وكلفه باعداد مشروع حول مستقبل النشاط المسيحي في فلسطين . وصل بونزن الى برلين وقدم مذكرة الى الملك البروسي في ٢٩ نيسان ١٨٤١ تضمنت خطة جديدة تتناول وضع مسيحيي فلسطين تحت السلطة المباشرة للباب العالي شريطة تمتعهم بالحماية القنصلية للدول الاروبية الكبرى ، بحيث تقوم فرنسا والنمسا بحماية الطائفة الكاثوليكية وتتولى روسيا حماية الطائفة الارثوذكسية بينما تتولى بريطانيا وبروسيا حماية البروتستانت ، والسماح للمؤسسات المسيحية بامتلاك المدن المقدسة الثلاث : القدس وبيت لحم والناصرة . ويشير البارون بونزن في مذكرته الى معارضة الدول الكاثوليكية لأي نشاط بروتستانتي في فلسطين . وان هذه المعارضة تفرض على بروسيا وبريطانيا التعاون من اجل ايجاد موطىء قدم للبروتستانتية في الارض المقدسة[14] .

قابل بونزن ملك بروسيا في الثاني من ايار ١٨٤١ وعرض عليه مشروعه ، فاعجب الملك به، وطلب منه اعداد مذكرة جديدة حول الخطوط العريضة للمفاوضات البروسية ـ الانكليزية المقترحة حول النشاط البروتستانتي في فلسطين . ففعل ذلك وقابل الملك البروسي مرتين في الثامن والرابع عشر من ايار فاقره على ما عرضه من افكار ، وبخاصة فكرة انشاء اسقفية بروتستانتية بروسية ـ انكليزية مشتركة في القدس . وصدر الأمر الملكي البروسي في ٨ حزيران ١٨٤١ بتكليف البارون بونزن بالتفاوض مع المسؤولين في الحكومة البريطانية والكنيسة الانجليكانية في لندن من اجل انشاء الاسقفية المشتركة[15] .

وبقيت فكرة استعمار فلسطين تشغل بال العديد من رجال الدين والسياسة والاقتصاد في اوروبا ، غير اننا سنقتصر على هذه المشروعات التي كانت تمهيدا للمشروع الاستعماري الالماني الذي بدأ تنفيذه في نهاية الستينات من القرن التاسع عشر .

---

١٣) Hajjar, j.: op. cit., p. 358.

١٤) المصدر نفسه ، ص ٣٧٥ ـ ٣٧٧ .

١٥) المصدر نفسه ، ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩ .

جمعية الهيكل الالمانية واستعمار فلسطين

تعود جمعية الهيكل الالمانية Deutsche Templgesellschaft في اصولها الى حركة الاتقياء Pietismus التي ظهرت في المانيا في القرن السابع عشر ، كحركة دينية اصلاحية في الكنيسة الانجيلية اكدت على دراسة الكتاب المقدس وعلى الخبرة الدينية الشخصية . واستمرت هذه الحركة الدينية حتى مطلع القرن التاسع عشر وتركزت حول تيوزوفن بينجل Theosophen Bengel الذي بشر بقيام مملكة الرب وعودة المسيح الى الارض في اعقاب كوارث مريعة تنجم عن الابتعاد عن الروح المسيحية . ودعا بينجل كل تقي ان يبحث عن مكان له في الشرق لقرب قيام مملكة الرب هناك . ورأى بينجل واتباعه في نابليون بونابرت الشيطان المناهض للمسيح . ومع نهاية نابليون اعتقد بينجل ان لا بد من مرور بعض الوقت حتى تتم التغيرات الكبرى . وتوقع ان تتم عودة المسيح عام ١٨٣٦ .

وفي عام ١٨١٧ حلت مجاعة بمملكة فورتمبرغ Wurttemberg فانتهز بينجل هذه الحالة ودعا اتباعه الى الهجرة الى الشرق . فهاجر الاف الفلاحين من هذه المملكة الى جنوب روسيا حيث رحب بهم القيصر اسكندر الاول . واعتقد كثيرون منهم ان ترحيب القيصر الروسي نداء الهي لا بد من تلبيته . وتمت هجرة هؤلاء الالمان تحت اشراف البارون فون بيركهايم Von Berkheim . وسمح لهم القيصر بادارة شؤونهم ادارة ذاتية .

اما مملكة فورتمبرغ فقد رأت في هجرة مواطنيها خطرا يتهددها لذلك لجأت الى مختلف الوسائل للحيلولة دون هجرتهم. وتقدم النائب العام في المملكة باقتراح على حكومته ينص على السماح لهؤلاء المتدينين بتشكيل جمعيات خاصة بهم تتمتع بشيء من الاستقلال الذاتي . قبلت حكومة فورتمبرغ هذا الاقتراح وتشكلت اول جمعية دينية في فورتمبرغ على يد غوتليب هوفمان G. M. Hoffmann رئيس بلدية ليونبرغ Leonberg في تشرين الأول عام ١٨١٨ . وفي صيف ١٨١٩ بدأ اعضاء الجمعية الجديدة بالاستيطان في قرية من املاك الفارس كورنتال Kornthal قرب مدينة شتوتغارت Stuttgart وبنوا منازل لهم عليها مع دار للاجتماعات العامة[١٦] .

في كورنتال ترعرع ابنا غوتليب هوفمان : فيلهلم (الاكبر) وكريستوف وتربيا تربية دينية ، فحصل الأول على منصب ديني رفيع في بلاط ملك بروسيا وهو منصب قسيس البلاط Hof Prediger بينما ورث الثاني الذي يصغره بتسع سنوات ، أباه في رئاسة الجمعية الدينية[١٧] . درس

١٦) Brugger, Hans: Die deutschen Siedlungen in Palaestina, pp. 11- 12.
Carmel. Alex: Geschichte Haifas in der tuerkischen Zeit (1516 - 1918), p. 80.

١٧) ولد كريستوف هوفمان في بلدة ليونبرغ Leonberg في الثاني من كانون الأول عام ١٨١٥ . وانتقل مع والده الى كورنتال . =

كريستوف الفلسفة والتاريخ في جامعة توبنجن Tuebingen واشتغل في التعليم . ولما اشتد ساعد الحركة العلمانية المناهضة للمسيحية في المانيا في الاربعينات من القرن التاسع عشر ، برزت هذه الجمعية الدينية للدفاع عن المسيحية معتبرة المبادىء المسيحية الاسس التي ينبغي ان يقوم عليها الاصلاح الاجتماعي في المانيا . وتولى كريستوف مهمة الدفاع عن هذا الاتجاه الديني . واصدر في عام ١٨٤٥ ، بالتعاون مع صديقه عمانويل باولوس Immanuel Paulus الصحيفة الاسبوعية Die Sueddeutsche Warte للتعبير عن هذا الاتجاه المسيحي الاصلاحي(١٨) .

وجاءت احداث عام ١٨٤٨ الثورية في المانيا فادخلت الرعب في قلب كريستوف هوفمان . وتأكد له من احداث ذلك العام الرهيبة ان « مسيحية الكنيسة مقتصرة على الوعظ الديني المجرد من الحياة ، وانها قائمة على قوة العادة ، وعاجزة عن وقف التفكك والانحلال » . ووجد ان « المسيحية قد تخلت عن مهمتها الاساسية الروحية وغاصت في اوحال المادية وتمسكت بالقشور الخارجية » . ورشح نفسه في ذلك العام عن مدينة لودفيجز بورغ Ludwigsburg في الانتخابات العامة للبرلمان الاتحادي الالماني « البندستاغ Bundestag» الذي كان مقره مدينة فرانكفورت على الماين . وكان على مملكة فورتمبرغ أن تقدم ٢٨ نائبا عنها الى ذلك البرلمان . فاز هوفمان على خصمه مرشح الاوساط الليبرالية العلمانية ، فكان النائب الوحيد في البرلمان الاتحادي الألماني الذي يمثل حركة الاتقياء الالمان(١٩) .

= وكان يتردد على خاله الهرباومان Baumann في شتوتغارت، . واهتم كريستوف منذ صباه بالشعر والتاريخ . ودرس في جامعة توبنجن الفلسفة والتاريخ . واعجب بهيجل من الفلاسفة الالمان . ولما انهى دراسته الجامعية عام ١٨٣٧ اشتغل معلما في مدرسة انشأها صديقه عمانوئيل باولوس بالقرب من لود فيجزبورغ . غير انه لم يقم فيها طويلا واضطر تحت ضغط والده الى العمل في مدارس الكنيسة في فورتمبرغ . وفي عام ١٨٤١ كرس هوفمان نفسه للتعليم في المدرسة التابعة للجمعية التي يرئسها والده .

Brugger, H.: op. cit., pp. 12- 20.

(١٨ Brugger, H. : op. cit., pp. 20_32.

Hoffmann, Christoph: Errinnerungen aus meiner Jugend , p. 720.

(١٩ Carmel, Alex: The German Settlers in Palestine and their Relations with the local Arab Population and the Jewish Community (1868 - 1918) in «Studies on Palestine during the Ottoman Period», p. 442.

Geschichte der deutschen Evangelisbhen Kirche. pp. 132 - 3.

Geschichte.....

وسيشار اليه فيما بعد

Alonzo, Alphonse d': Les Allemands en Orient. p. 37.

Brugger, H : op. cit, pp. 26- 7

Carmel, Alex: Geschichte Haifas..... p. 81.

وجد هوفمان في الاتجاهات الليبرالية والثورية التي لقيت من يعبر عنها ويمثلها في برلمان فرانكفورت ، دليلا على فشل الكنيسة الانجيلية في القيام برسالتها . فعاد الى منطقته ويدأ الدعوة الى انشاء كنيسة حرة من الاوساط المتدينة الورعة وتأسيس جمعية انجيلية Evangaelische Verein مستقلة عن الكنيسة الانجيلية الرسمية . وكان ساعده الايمن في دعوته هذه جورج دافيد هارديج Goerge David Hardegg الذي تعرف عليه عام ١٨٤٨[٢٠] ، وصديقه عمانويل باولوس .

واتخذت هذه الحركة الدينية اتجاها جديدا عام ١٨٥٣ مع اندلاع حرب القرم بين الدولة العثمانية وروسيا . اذ سرى اعتقاد لدى الاوروبيين ان الدولة العثمانية على شفا الانهيار ، وان تفككها بات وشيكا . وجاءت الاضطرابات الدينية التي حدثت في القدس وغيرها من المدن الفلسطينية ، لتشد انظار المتدينين الالمان الى الارض المقدسة . وبرز كريستوف هوفمان يدعو الى سلخ فلسطين عن الدولة العثمانية وجعلها موطنا لشعب الله Das Volk Gottes تنفيذا لوعود الانبياء الواردة في التوراة . وشعب الله هذا ليس الشعب اليهودي ، الذي لم يعد له وجود ، وانما هو الشعب المسيحي الانجيلي .

وفي ٢٤ آب ١٨٥٤ دعت لجنة اصدقاء القدس التي تشكلت من اتباع هوفمان ، الى اجتماع عام يعقد في فالدهورن Waldhorn قرب لود فيجزبورغ من اجل بحث الوسائل اللازمة لتحقيق مشروع هوفمان . واقترح هارديج في هذا الاجتماع التوجه الى البندستاغ في فرانكفورت والطلب منه ان يسعى لدى السلطان العثماني للسماح للالمان باستعمار فلسطين ، من اجل ايجاد عمل للعاطلين عن العمل في المانيا . وكان الشعار الذي طرحه هارديج في هذا الاجتماع « ينبغي ايجاد عمل للشعب الالماني die deutsche Nation muss Arbeit Haben » ونفذ اقتراح هارديج ووقع

---

٢٠) ولد جورج دافيد هارديج في الثاني من نيسان عام ١٨١٢ في قرية اغلوزهايم Eglosheim قرب لود فيجزبورغ في مملكة فورتمبرغ . اتم دراسته الثانوية وعمل في التجارة . ثم دخل في منظمة سرية تنادي بالنظام الجمهوري . وتنقل بين شتوتغارت وبلجيكا وباريس خلال عامي ١٨٣٠ و١٨٣١ . وفي باريس تعرف على عدد من اللاجئين السياسيين الالمان المتحمسين للنظام الجمهوري . وصادق تاجر كاتب اسمه فرانك Frank كان قد اصدر في باريس صحيفة «Le Siècle» وعاد فرانك الى فورتمبرغ في خريف ١٨٣١ . وعزم هارديج على دراسة الطب في جامعة غونتجن فلم يوفق . اذ كانت السياسة والنضال من اجل الحرية أعز على قلبه من الدراسة . فشارك في محاولة العصيان الفاشلة في فورتمبرغ عام ١٨٣٢ . وحكم عليه بالسجن لمدة اربعة عشر عاما . ثم استأنف الحكم عليه لدى محكمة الاستئناف في شتويغارت فخفضت الحكم عليه بالسجن الى تسعة اعوام . درس هارديج اثناء وجوده في السجن الكتاب المقدس ، فأثر ذلك على سلوكه وفكره . ولما افرج عنه عام ١٨٤٠ لم يسمح له بالاقامة في فورتمبرغ فرحل الى سويسرا حيث بقي حتى عام ١٨٤٤ حينما سمح له بالعودة الى وطنه بمناسبة الاحتفال باليوبيل الفضي لاعتلاء الملك فيلهلم Wilhelm عرش فورتمبرغ .

Brugger, H.: op. cit., pp. 5 - 10.

العريضة ٤٣٩ شخصا ، وحملها هوفمان وهارديج وقدماها الى البارون فون بروكش Von Brokesch رئيس البندستاغ . غير اننا لا نعلم شيئا عن استجابة البندستاغ لهذه العريضة او رفضها(٢١) .

وتولت مجلة Sueddeutsche Warte الناطقة باسم الجماعة الدعوة الى المشروع الجديد . واخذت في الوقت نفسه تشن هجوما على كنيسة فورتمبرغ الانجيلية الرسمية . وفي هذه الاثناء كتب فيلهلم هوفمان من برلين الى شقيقه ينصحه بالبقاء في حوزة الكنيسة الانجيلية والابتعاد عن مغامرات هارديج . غير ان كريستوف لم يعر بالا لهذه النصحية . وكتب مشروع دستور للجمعية الجديدة سماه « مشروع دستور شعب الله Verfassungsentwurf des Volkes Gottes» فتشكلت الجمعية في عام ١٨٥٤ تحت اسم جمعية تجميع شعب الله في القدس Gesellschaft fuer Sammlung des Volkes Gottes in Jerusalem وجعلت هدفها السعي لجمع شعب الله في القدس لبناء مملكة الرب . ورأى قادة الجمعية انهم بحاجة الى مزيد من الاعداد على ارض الوطن لجمع اكبر عدد ممكن من الالمان وغيرهم قبل الهجرة الى فلسطين . وقام هوفمان وهارديج برحلات عديدة في اوروبا ، وحضرا في خريف عام ١٨٥٤ مؤتمرا دينيا في باريس وعرضا عليه مشروعهما فلقي اهتماما من المؤتمرين .

وتبرعت بعض الاسر الثرية بالاموال لشراء الاراضي الواجب تجميع شعب الله عليها في المانيا قبل الانطلاق الى استعمار فلسطين . فتم شراء قطعة واسعة من الارض في كيرشنهاردتهوف Kirchenhardthof قرب فيننذن Winnenden تحت منبع نهر النيكر Necker عام ١٨٥٦ . وتمكن هوفمان وهارديج من جمع عدد كبير من الانصار اطلق عليهم اسم « اصدقاء القدس Jerusalem Freunde » بلغ عددهم حوالي عشرة الآف شخص . وساهمت سنوات الجدب التي شهدتها مملكة فورتمبرغ ، خلال السنوات الأولى من تشكيل هذه الجمعية ، في كسب العديد من الانصار الراغبين في الهجرة الى فلسطين(٢٢) .

وانتهت حرب القرم عام ١٨٥٦ دون ان تسفر عن انهيار الدولة العثمانية كما كان يتوقع هوفمان وانصاره . وشنت الكنيسة الانجيلية الوطنية في فورتمبرغ ، بتشجيع ودعم من حكومتها ، حملة شديدة على اصدقاء القدس . فاخذت اعدادهم تقل تدريجيا(٢٣) .

وفي صيف عام ١٨٥٨ قررت الجمعية ارسال وفد مؤلف من هوفمان وهارديج والمزارع

---

٢١) Brugger, H.: op. cit., p. 35.

٢٢) المصدر نفسه ، ص ٣٥ - ٣٦ . Carmel, Alex, The German settlers., p. 443. Geschichte., p. 134.

٢٣) Carmel, Alex, op. cit, p. 443, Geschichte.. p. 134.

بوبيك Bubeck الى فلسطين ، ايمانا منها بان المسألة الشرقية لم تحل بمؤتمر باريس عام ١٨٥٦ ، وان لا بد من دراسة امكانية استعمار فلسطين . وصل الوفد الى فلسطين والتقى بمطران القدس الانجليكاني صموئيل غوبات Samuel Gobat وبالمبشر الانجيلي شنلر Schnellerفشرحا للوفد اوضاع فلسطين ولم يشجعاه على تنفيذ مشروعه . وجمع الوفد معلومات جيدة عن البلاد من القنصلية البروسية في القدس . ولما عاد الوفد الى المانيا نشر هوفمان تقريرا عن الزيارة في مجلة Sueddeutsche Warte بيّن فيه المصاعب التي تعترض الاستيطان في فلسطين ، واوضح ان لا بد من الاستعداد لذلك . ودامت فترة الاستعداد هذه عشر سنوات[٢٤] .

دخل هوفمان وانصاره في اثناء ذلك في خلاف مع كنيسة فورتمبرغ الانجيلية أدى الى طردهم منها في ٧ تشرين الاول ١٨٥٩ . واضطروا الى انشاء طائفة دينية خاصة بهم . فقدم هوفمان اقتراحا الى مجلس الجمعية بتسمية الطائفة « الهيكل الروحي Der geistliche Tempel » او « طريق الخلاص Der Weg Zur Rettung » أما فكرة « الهيكل » وتسمية الجمعية به فتعود الى القس المعمداني جاكوب أمان Jakob Amman الذي أنشا في برن Bernبسويسرا جمعية بهذا الاسم عام ١٦٩٣ بهدف اعادة بناء هيكل الرب في القدس[٢٥] . ولا صلة لهذه التسمية بجمعية « فرسان الهيكل » التي تشكلت في مطلع القرن الثاني عشر واستمرت في نشاطها حتى نهاية احتلال الفرنجة لبلاد الشام في نهاية القرن الثالث عشر .

واشتدت حملة الكنيسة الانجيلية على الطائفة الجديدة فتفرق العديد من افرادها ، غير انها استطاعت ان تحافظ على بقاء بعضهم في حظيرتها وان تكسب الى صفوفها العديد من الاتباع خارج المانيا وبخاصة في اوساط المهاجرين في امريكا الشمالية وجنوب روسيا .

واعيد تنظيم الجماعة في كيرشنهاردتهوف عام ١٨٦١ تحت اسم جماعة الهيكل الالمانية Deutscher Tempel من اجل تجديد حياة « شعب الله » الدينية والاجتماعية . وحتى تكسب الجمعية ولاء العناصر القومية الألمانية رفعت شعارات قومية المانية . وجاء في أحد بياناتها : « ان روح الشعب الالماني ومزاياه ينبغي ان تكون الطابع المميز لهيكل القدس واستعمار فلسطين . . . ولا بد من السعي لدى سلطة المانية (او دولة المانية) لمتابعة تحقيق هذا الهدف »[٢٦] .

---

٢٤) Brugger, H. : op. cit, p. 37.

٢٥) Carmel, Alex: Geschichte Haifas.. p. 81.
Brugger, H.: op. cit, p. 38.

٢٦) المصدر نفسه ، ص ٣٩ .

واستمر قادة الجمعية يحضرون المؤتمرات الدينية التي كانت تعقد في برلين ولندن وبيرن وجنيف ، ويتجولون في العواصم والمدن الاوروبية الكبرى يدعون الى تحقيق مشروعهم . فقد شارك هارديج في المؤتمر الذي عقد في جنيف عام ١٨٦٧. والذي كان ضيف الشرف فيه غاريبالدي Garibaldi بطل الحرية في ايطاليا . كما حضر حفل انشاء الصليب الأحمر على يد السويسري هنري دينان Henri Dunant ، الذي ابدى اهتمامه بشؤون الشرق العربي في فترة مبكرة. فقد اصدر كتابا في باريس بعنوان « تجديد الشرق Le Rénovation de l'Orient » عام ١٨٦٥ . وقام ديناں اثناء اقامته في باريس بانشاء جمعية العمل الدولي من اجل تجديد فلسطين Oeuvre Internationale de la Rénovation de la Palestine وتولى منصب سكرتيرها العام . وتولى انشاء فروع لها في باريس . واقام هارديج صلات وثيقة مع ديناں . وتولى الأخير توجيه نداءات الى فروع « الجمعية الدولية لتجديد فلسطين » من اجل هيمنة المسيحيين على فلسطين عن طريق الاستيطان السلمي .

وسعى ديناں لدى السفير العثماني في باريس جمال باشا ولدى الوزير المفوض الفرنسي في اسطنبول المسيو بوريه Bourrée من اجل حث الباب العالي على السماح للمستعمرين الالمان من جمعية الهيكل بشراء الارض في فلسطين والاستقرار فيها . وتحت ضغط ديناں جاء الجواب من الباب العالي يطلب تحديد موقع الارض التي يريد المستعمرون الالمان شراءها . فاتصل ديناں بهارديج واقترح عليه ارسال مهندس مختص الى فلسطين من اجل اختيار الموقع المطلوب وتحديد مساحته. وكتب رسالة الى هارديج مؤرخة في ٢٤ كانون الثاني عام ١٨٦٨ يقول فيها: « من المعروف جيداً ان ارسال مهندس من اوروبا امر مكلف (١٠٠٠٠ ـ ١٥٠٠٠ فرنك) ، وهذا مبلغ اولى بجمعيتكم ان توفره لها . ولذلك قمنا بالاتصال بعدد من الاشخاص وبخاصة بالوزير المفوض بوريه ليسأل اذا كان بالامكان ايجاد مهندس قدير وأمين وبأجر قليل في اسطنبول او في اي مكان آخر في الشرق . واتصلنا بدورنا بمحل لوفنتال Loewenthal في يافا لهذا الغرض . ولكننا لم نستطع ان نحصل على المهندس المطلوب . وربما كان من الافضل لو ان جمعيتكم اختارت مهندسا من بين اعضائها وكلفته بالسفر الى فلسطين . . . » وفشل ديناں وهارديج في العثور على المهندس المطلوب . واخيرا قررت الهيئة الادارية لجمعية الهيكل في اجتماع عقدته في ٢٤ آذار ١٨٦٨ في كيرشنهارتهوف ان يقوم هوفمان وهارديج بالسفر الى فلسطين في آب من العام نفسه من أجل انشاء اول مركز Tempel Post للجمعية على ارض فلسطين . وقد سر ديناں بهذا القرار وكتب الى هارديج في ٨ نيسان ١٨٦٨ يقول : « آمل ان نتمكن من احراز بعض التقدم في عملنا في هذا الصيف . وكلما طال الزمن زاد اقتناعي بذلك . يمكنك الاعتماد عليّ ، انني مؤمن بمستقبل فلسطين . . . وسيكون لجمعيتكم الشرف الكبير في انشاء اول مستعمرة على الارض

المقدسة . . . »[٢٧] .

وفي ٦ آب ١٨٦٨ سافر زعيما جمعية الهيكل هوفمان وهارديج من كيرشنهاردتهوف مع اسرتيهما الى فلسطين . ومرا بفينا حيث قابلا البارون فون اورزي Von Orsi من وزارة الخارجية النمساوية فوعدهما بان يقدم ممثلو الحكومة النمساوية الدبلوماسيون النصائح والمساعدات الضرورية لهما . كما مرا بيودابست وقابلا فرانز دياك Franz Déak صاحب فكرة الاتحاد النمساوي ـ الهنغاري . وأخيرا وصلا الى اسطنبول حيث رحب بهما الوزير المفوض لرابطة دول شمال المانيا der Norddeutsche Bund الذي كان قد تلقى تعليمات من البلاط الملكي البروسي بتقديم التسهيلات اللازمة لهما ، نتيجة وساطة شقيق هوفمان القس في البلاط البروسي . وفي ١٥ ايلول ١٨٦٨ تقدم هوفمان وهارديج بطلب الى الباب العالي للموافقة على شراء قطعة من الارض مساحتها ثلاثة اميال مربعة على جبل الكرمل في حيفا . وجاء اختيار موقع القطعة بتوصية من المفوضية الالمانية . واوضحا في طلبهما هذا ان الغرض من الاستقرار في فلسطين ديني محض وليس له أية ابعاد سياسية . وان الاستيطان هناك سيقتصر على اعضاء جمعية الهيكل وسوف يتم بصورة تدريجية . كما ابانا ايضا دور الجمعية المقبل في تطوير الزراعة والصناعة في البلاد ، ولذلك طالبا باعفاء المستوطنين الالمان من الضرائب لمدة تتراوح بين خمس وسبع سنوات حتى يتمكنوا من تدبير امورهم . وابديا رغبة المستوطنين في ادارة شؤونهم بأنفسهم دون اي تدخل من السلطة الحاكمة .

و اتصل هارديج بالوزراء المفوضين لدول النمسا وفرنسا وانكلترا والولايات المتحدة وروسيا وهولندا والسويد وقال لهم : « ان ظروف شعبنا اقنعتنا بان الوقت قد حان لبناء هيكل الرب في الارض المقدسة . فاقوال الانبياء في العهدين القديم والجديد تعتبر بناء الهيكل الوسيلة الوحيدة لسعادة الشعوب والافراد على حد سواء » . ورغم النشاط الحثيث الذي بذله زعيما جمعية الهيكل طوال مدة اقامتهما في اسطنبول (٤٥ يوما) ، لم يحصلا على الفرمان المطلوب . فغادرا العاصمة العثمانية في ٨ تشرين الاول ١٨٦٨ باتجاه بيروت فوصلا اليها بعد اربعة عشر يوما . وقابلا هناك القنصل البروسي العام الدكتور فيبر Dr. Weber فقدم اليهما عدداً من النصائح ومنها ان لا يتنازلا عن الجنسية الالمانية وان يرفضا الجنسية العثمانية ، لكي يتمتعا بحماية القناصل الالمان . ومن بيروت سافرا الى حيفا فبلغاها في ٣٠ تشرين الاول عام ١٨٦٨[٢٨] .

---

٢٧) المصدر نفسه ، ص ٤٢ ـ ٤٣ .

٢٨) المصدر نفسه ، ص ٤٥ ـ ٤٧ .

Carmel, A.: Geschichte Haifas … p. 82.

كان من الاسباب التي دفعت زعيمي جمعية الهيكل الى البدء بمشروعهما الاستيطاني في فلسطين ، صدور القانون العثماني للسادس عشر من حزيران عام ١٨٦٧ الذي اباح للرعايا الاجانب حق التملك في المدن والريف في كافة الولايات العثمانية . واصبح هذا القانون نافذ المفعول في حزيران ١٨٦٨ لذلك اعتقد زعيما جمعية الهيكل ان الطريق امامهما قد فتح لشراء الارض في فلسطين والاستقرار عليها(٢٩) .

مستعمرة الهيكليين في حيفا

عند وصول هوفمان وهارديج الى حيفا استقبلهما نائب القنصل البروسي في المدينة الهرتسيفوس Ziphos ، وقدم لهما كل ما يحتاجان اليه من عون ومساعدة . وفي الايام الأولى من اقامتهما وصل رد الباب العالي على طلبهما يؤكد استحالة السماح لهما بشراء الارض في حيفا الا اذا حصلا على الجنسية العثمانية . ولكن هذا الرد لم يثنهما عن مشروعهما فاجريا اتصالات بالبلاط البروسي الذي اصدر تعليماته الى الوزير المفوض لرابطة دول شمال المانيا في اسطنبول بضرورة التوسط لدى الباب العالي وتذكير المسؤولين العثمانيين بانهم سمحوا لرعايا دول اوروبية اخرى بشراء الارض دون التجنس بالجنسية العثمانية(٣٠) .

غير ان هوفمان وهارديج لم ينتظرا نتائج الاتصالات الدبلوماسية وبتشجيع من تسيفوس قاما بشراء قطعة من الارض مساحتها عشرة هكتارات عن طريق الاحتيال على القانون العثماني . اذ تم الشراء عن طريق وسيط يحمل الجنسية العثمانية وقام بدوره بتأجيرها لهما لمدة طويلة ولما احتج القاضي على عملية البيع سويت القضية بتدخل نائب القنصل البروسي(٣١) .

وبدأ بناء اول مستعمرة المانية في فلسطين على قطعة الارض هذه التي كانت تمتد من شاطىء البحر حتى سفح جبل الكرمل ، في ربيع عام ١٨٦٩ . ودشنت المنازل الاثنا عشر التي بنيت على هذه الارض في آذار ١٨٧٠ من قبل نائب القنصل البروسي تسيفوس . واشتملت آنذاك على منازل للسكن وبناء لمدرسة وآخر للصلاة . وقد وضع تصميم هذه المنازل والابنية مهندس دنماركي جاء من بيروت اسمه لويفد Loyved(٣٢) وعلى مدخل المستعمرة نقشت العبارة التالية باللغة الالمانية «لتنسني يميني ان نسيتك يا قدس Vergesse ich dein Jerusalem, So Wurde

---

٢٩) Eliav, M.: German Interests and the Jewish Community in the 19th Century Palestine , in «Studies on Palaestine During the Ottoman Period», p. 431.

٣٠) Brugger, H.: op. cit, p. 49.

٣١) انظر تفاصيل عملية الشراء في مجلة Sueddeutsche Warte. 22.1. 1869

٣٢) Brugger, H.: op. cit, p. 51.

meiner Rechten vergessen(1869) » وحرص هوفمان وجماعته على بناء المستعمرة على الطراز الالماني وفتح الشوارع الواسعة فيها وتزيينها بالاشجار والزهور والورود . كما اهتمت الهيئة الادارية للجمعية باختيار افضل العناصر من اعضائها للهجرة الى فلسطين من اجل اقامة مجتمع متماسك مستقل عن المحيط العربي . كما حرصت على اقامة صلات وثيقة بالوطن الأم ، وعلى الحفاظ على مستوى حياتهم كأوروبيين في حيفا[٣٣] .

ونمت هذه المستعمرة بقدوم مهاجرين جدد من كيرشنهاردتهوف وبخاصة بعد ابرام اتفاقية بين مملكة بروسيا والدولة العثمانية في ٧ حزيران ١٨٦٩ نصت على السماح للالمان بالاقامة والاستقرار في فلسطين . فبلغ عدد سكان المستعمرة في بداية عام ١٨٧٣ (٢٥٤) نسمة . وبلغ عدد بيوتها (٣١) بيتا استعمل عشرون بيتا الى جانبها كمعامل وورش للعمل . وفي عام ١٩٠٢ بلغ عدد سكانها ٥١٧ نسمة ، وبلغ عدد منازلها ٩٢ منزلا والى جانبها ٩٥ ورشة عمل[٣٤] . وبلغ عدد سكانها عند اندلاع الحرب العالمية الأولى (٧٥٠) نسمة[٣٥] . ونقص عدد سكانها بسبب الاحتلال البريطاني لفلسطين ١٩١٧ / ١٩١٨ واعتقال العديد من الالمان وتهجير بعضهم قسرا الى المانيا في نهاية الحرب العالمية الاولى والسنوات الأولى التي تلت توقيع معاهدة الصلح بين المانيا والحلفاء عام ١٩١٩[٣٦] .

اعتنى الالمان في السنوات العشر الأولى من استيطانهم في حيفا بزراعة الكرمة وبناء معامل لانتاج النبيذ . غير ان مرضا أصاب الكرمة في الثمانينات من القرن التاسع عشر فقاموا باقتلاعها . وكذلك اصيبت اشجار الحمضيات التي زرعوها بأمراض ادت الى اقتلاعها . عند ذلك انصب اهتمامهم على زراعة الزيتون الذي كانوا يستخرجون منه صابونا من نوع جيد كانوا يصدرونه لالمانيا وامريكا الشمالية .

واقاموا في المستعمرة طاحونة هوائية على الطراز الهولندي كما انشأوا مزرعة للالبان . وانصرفوا تدريجيا عن الزراعة واتجهوا نحو التجارة والصناعة حتى اصبحوا محور الحياة الاقتصادية

---

٣٣) Carmel, A.: Geschichte Haifas.. p. 83.

٣٤) Grothe, Huge: Bevoelkorung und Wirtschaftliche lage der Schwaebischen Ansiedlungen in Palaestina, Palaestina 1. 1902, p 233.

Goodrich-Freer, A.: In a Syrian Saddle, pp. 247-9.

Hurlbut, J.L.: Travelling in the Holy Land, p. 169.

Carmel, A.: Geschichte Haifas.. p. 84.

٣٥) Carmel, A.: The German Settlers... p. 443.

٣٦) A.A., P.A., Politische Abteilung VII, po. 25, Bd. 1.

في حيفا . وكانوا روادا في الصناعات والحرف اليدوية وتجارة الاستيراد والتصدير . وادخلوا الى حيفا المكتبات الحديثة والامسيات الموسيقية والنوادي المسرحية والنشاط الرياضي ، فكانت مثلا يحتذى من قبل السلطات العثمانية في المدينة(٣٧) .

مستعمرة يافا :

في آذار عام ١٨٦٩ وفد الى هوفمان زائر من يافا من اصدقائه الذين تعرف بهم في بازل ، هو المبشر الانجيلي زالميلر Saalmueller يرافقه الالماني ميسلر Messler الذي اشترى المستعمرة الامريكية في يافا والمعروفة باسم « قرية آدمز Adams City ، وجاء يعرضها على الهيكليين الالمان بسعر معقول . ومن المعروف ان هذه المستعمرة المؤلفة من تسعة عشر بيتا من الخشب قد انشأتها طائفة دينية امريكية جاءت الى فلسطين لتشهد عودة المسيح الى الارض كما كانت تعتقد . ولكنها هجرت المستعمرة بعد ان تبين لاتباعها ان النبوءة بعودة المسيح لم تتحقق ، وبعد ان فتكت بهم الأمراض(٣٨) .

لقي العرض الذي تقدم به ميسلر استجابة لدى الهيكليين فاشتروا خمسة منازل منها بمبلغ (٦٥) الف فرنك فرنسي اول الأمر ثم ما لبثوا ان اشتروا ثلاثة ارباعها في مطلع عام ١٨٧١ ، وبعد ذلك بعامين اصبحت المستعمرة باكملها ملكا لهم(٣٩) .

وفي ايار ١٨٦٩ انتقل هوفمان من حيفا الى المستعمرة الجديدة واوكل ادارة مستعمرة حيفا الى رفيقه هارديج . وباشر فور وصوله ببناء مستشفى صغير ودار للضيافة Gasthaus .

وحدث ان قام ولي عهد بروسيا الامير فريدريش Friedrich بالحج الى القدس في ذلك العام ، بعد ان حضر الاحتفالات بفتح قناة السويس ، فنزل في يافا في ٢ تشرين الثاني عام ١٨٦٩ وزار المستعمرة الالمانية الجديدة . وكتب هوفمان عن هذه الزيارة في مجلة الجمعية Sueddeutsche Warte في عددها الصادر في ١٥ تشرين الثاني ١٨٦٩ يقول : « لقد استقبلناه (ولي عهد بروسيا) على مدخل المستعمرة ، فنزل عن جواده وتحدث الى العديد منا بروح ودية . ثم تجول في المستعمرة ، وزار منزل رئيس الجمعية . واتجه بعد ذلك الى دار الضيافة حيث تناول مع حاشيته طعام الفطور . وودعناه بعد ذلك ، فركب جواده يرافقه جنود البحرية (الالمان) والباشا

---

٣٧) Carmel, A.: Geschichte Haifas... pp. 87-9, Baedeker, K.: Palestine and Syria, pp. 19, 22.

٣٨) Rosen, F.: Oriental Memoirs of a German Diplomatist, pp. 36-7.
Franklin G. E.: Palestine Depected and Described, pp. 8 - 10.

٣٩) Brugger, H.: op. cit., p. 52.

(العثماني) والجند الاتـراك نحو الرملة . . » . هذا وقد تبرع الامير البروسي ببعض المال للجمعية[٤٠] . وبلغت مساحة مستعمرة يافا هذه ستين هكتارا . وبلغ عدد سكانها عام ١٩١٢ نحو ٣٥٠ نسمة . وكانت تحتوي آنذاك على مدرستين ومستشفى[٤١] .

مستعمرة سارونا Sarona

توسع المستوطنون الهيكليون في يافا في نشاطهم ، واشتروا في عام ١٨٧١ قطعة من الارض على طريق يافا ـ تل ابيب مساحتها ٧٨ هكتارا (بسعر الهكتار الواحد مئة غولد Guld) . وبدأ بناء المنازل على قطعة الارض هذه في ٢٧ آب ١٨٧١ فكانت المستعمرة الالمانية الثالثة في البلاد . وتولى تصميم الابنية والتخطيط للمستعمرة المهندس الالماني ثيودور زاندل Theodor Sandel ابن طبيب المستعمرة الهيكلية في يافا الدكتور زاندل . وقد انتقل الى المستعمرة نائب القنصل الالماني في يافا مراد افندي (ارمني الأصل) .

انتشرت الحمى بين سكان المستعمرة في عام ١٨٧٢ ، وفتكت بثمانية وعشرين شخصا من مجموع سكان المستعمرة البالغ حوالي مئة نسمة[٤٢] .

اشتهرت مستعمرة سارونا بزراعة الزهور والكرمة وتربية الابقار ، كما وجد فيها معمل لانتاج النبيذ .

وفيما يلي بيان بتطور هذه المستعمرة بين عام ١٨٧٢ و ١٩٢٦ :

السنة	عدد السكان	المساحة بالهكتار	معدل المساحة للفرد الواحد بالهكتار
١٨٧٢	٦٣	٧٨	١,٢
١٨٨٠	١٦٢	٢٢٣	١,٤
١٨٩٨	٢٦٣	٤٦٩	١,٧
١٩١٤	٢٠٠	٤٧٤	٢,٤
١٩٢٦	٢٢٥	٤٩٢	٢,٢[٤٣]

٤٠) المصدر نفسه ، ٥٣ ـ ٥٤

٤١) Baedeker, K.: op. cit., pp. 6, 10.

٤٢) Brugger, H.: op. cit., p. 61.

٤٣) A.A., P.A., Politische Abt. VII, po 25. Bd. 1.

مستعمرة ريفايم Rephaim

اشترى الهر فرانك Frank احد اعضاء جمعية الهيكل في مستعمرة يافا قطعة من الارض في رفايم شمال غربي محطة سكة حديد القدس خارج حدود البلدية في نيسان عام ١٨٧٢ وبنى عليها منزلا وطاحونة تعمل بالماء . وأخذ اعضاء الجمعية يتوافدون اليه ويشترون الارض المجاورة . واعتنى سكان المستعمرة الجديدة باصلاح العربات التي تجرها الخيول . فمنذ عام ١٨٦٧ فتحت طريق العربات بين يافا والقدس ، وكانت بذلك اول طريق للعربات في فلسطين . واهتم الالمان بالنقل بين يافا والقدس واصبح منتظما بعد بضع سنوات من انشاء المستعمرة الجديدة(٤٤) .

اصبحت مستعمرة ريفايم منذ عام ١٨٧٨ المقر العام لادارة جمعية الهيكل . وبلغت مساحتها ٢٥ هكتارا . وكان معظم سكانها يشتغلون بالحرف اليدوية والتجارة والصناعة . واشتملت على مدرسة ثانوية كاملة وروضة للاطفال(٤٥) .

مستعمرة فالهالا Walhala

انشأها المستعمرون الالمان في يافا عام ١٨٩٢ على طريق يافا ـ تل ابيب . واقيم في هذه المستعمرة مستشفى لمعالجة الالمان المقيمين في المستعمرات الالمانية في جنوب فلسطين (يافا ، سارونا ، فيلهلما) . وكان سكانها يمارسون التجارة والصناعة والحرف اليدوية ، ويعملون في وكالات التأمين والنقل البحري . وانشىء في المستعمرة معمل للاسمنت . وبنت « فندق القدس » في يافا الذي كان من اجمل فنادق المدينة(٤٦) .

مستعمرة فيلهلما Wilhelma

انشئت على يد المستوطنين الالمان في مستعمرتي يافا وسارونا عام ١٩٠٢ ، على بعد خمسة أميال الى الشمال الشرقي من اللد في وسط سهل خصيب ، بالقرب من سكة حديد اللد ـ حيفا . بلغ عدد سكان المستعمرة في العام الأول من انشائها ٩٤ نسمة . وفيما يلي بيان بتطور هذه المستعمرة بين عامي ١٩٠٣ و١٩٢٦ :

---

٤٤) Brugger, H.: op. cit., pp. 62-3

٤٥) A.A., P.A., Politische Abt. VII, po 25, Palaestina, Bd. I.
Baedeker, K.: op. cit, pp. 70, 76.

٤٦) A.A., P.A., Politische Abt. VII, po. 25, Palaestina Bd. 1.

معدل المساحة للفرد الواحد بالهكتار	المساحة بالهكتار	عدد السكان	السنة
٨,٨	٨٢٤	٩٤	١٩٠٣
٤,٦	٩١٩	١٩٥	١٩١٤
٤,٥ (٤٧)	٩٥٩	٢١٥	١٩٢٦

مستعمرة نويهارد هوف Neuhardhof

انشأها المستعمرون الالمان في حيفا من اجل الحصول على مزيد من الارض خارج نطاق المستعمرة الهيكلية الأولى في البلاد . وتقع المستعمرة الجديدة على بعد اربعة اميال الى الجنوب من جبل الكرمل . وبلغت مساحتها اربعمائة هكتار ، وقد استغلت ارض المستعمرة لزراعة الخضروات والحبوب .

مستعمرة بيت لحم في الجليل Brthlehm

انشأها المستوطنون الالمان في حيفا عام ١٩٠٦ باموال من « جمعية شتوتغارت لتطوير الاستعمار الالماني في فلسطين » ، على ارض قرية بيت لحم الواقعة على سفوح جبال الجليل والتي تبعد بضعة اميال عن مدينة الناصرة . اما مساحتها فألف وسبعمائة هكتار ، زرع ثلثها باشجار البلوط والباقي باشجار الكرمة والفواكه والحبوب . وفيما يلي بيان بنمو هذه المستعمرة بين عامي ١٩٠٧ و١٩٢٦ .

معدل نصيب الفرد الواحد من الارض بالهكتار	المساحة بالهكتار	عدد السكان	السنة
٥٤,٨	٧١٨	١٠	١٩٠٧
١٣,٣	٧١٨	٤١	١٩١٤
٥,٤ (٤٨)	٧١٨	٩٨	١٩٢٦

٤٧) Brugger, H.: op. cit., p. 95.

٤٨) المصدر نفسه ، ص ٩٤ .

مستعمرة فالدهايم Waldheim

انشئت هذه المستعمرة عام ١٩٠٧ بالقرب من بير سالم على يد المسؤولين عن دار الايتام السورية Das Syrische Waisehhaus لتكون مركزا لتدريب خريجيها واستغلالها لتمويل دار الايتام . ولذلك لا صلة لها بمستعمرات جمعية الهيكل .

مستعمرة خيمه Chemeh

كانت تتبع بدورها دار الايتام السورية في القدس ولم تختلف عن مستعمرة فالدهايم من حيث الاغراض التي انشئت من اجلها(٤٩) .

اشتملت كل مستعمرة من مستعمرات الهيكليين على قاعة للاجتماعات العامة وأخرى للعبادة ومدرسة وروضة اطفال او اكثر وجمعيات للموسيقى وناد رياضي ومستوصف صغير احيانا .

المصاعب الداخلية التي واجهها المستعمرون الالمان :

في السنوات الأولى للاستيطان واجه المستعمرون الهيكليون صعوبات ومتاعب عديدة بعضها أمني وبعضها الآخر اقتصادي واجتماعي . لذلك اهملوا الامور الروحية وفشلوا في كسب انصار جدد لحركتهم في فلسطين وفي المانيا . وبلغ مجموع من استقر منهم في فلسطين بين عامي ١٨٦٨ و١٨٧٥ نحو سبعمائة وخمسين عضوا ، اي نحو ربع عدد اعضاء الجمعية . وبعد عام ١٨٧٥ اخذت جمعية الهيكل في الاضمحلال التدريجي في المانيا نفسها وتوقفت منذ ذلك العام هجرتهم من المانيا . ومات معظم الجيل الأول من هؤلاء المستعمرين في اواخر السبعينات والثمانينات من القرن التاسع عشر .

ادرك الجيل الجديد تعذر تحقيق الغاية من هجرتهم الى فلسطين وهي جمع « شعب الله » في القدس واقامة مملكة المسيح . وتركز اهتمامهم على تحسين احوالهم وتقديم نمط معين من المعيشة للسكان المحليين . وساهم هذا التغير في اهداف الجمعية ، في جعل الحياة أسهل .

كانت اولى الصعوبات التي واجهها المستعمرون الهيكليون في فلسطين النزاع بين زعيمي الجمعية كريستوف هوفمان وجورج هارديج . كان هوفمان المؤسس الروحي للجمعية ، وكان

---

(٤٩) A.A., P.A., Politisbe Abt. VII, po. 25, Palaestina, Bd. 1

تقرير القنصل الالماني في القدس فيليب فورست Ph. Wurst الى سكرتير لجنة التقسيم الفنية الفلسطينية في ١٢ تموز ١٩٣٨

هارديج المنفذ لفكرة المستعمرات . اما اسباب الخلاف بينهما فشخصية تدور حول كيفية تطوير الاستيطان الالماني ، وحول بعض الاراء الدينية .

فقد تولى كل منهما ادارة مستعمرة مستقلة عن الاخرى . وكانت مستعمرة يافا من نصيب هوفمان . وكان هارديج قد اسرع الى شراء اراضٍ تابعة لمستعمرته دون التنسيق مع هوفمان . وعارض هارديج بشدة نقل المعهد الثانوي الى ريفايم قرب القدس . وحصل خلاف بين هارديج والهيئة الادارية لجمعية الهيكل في شتوتغارت حول اموال صندوق الاستعمار التابع للجمعية Kolinisations Kasse . ورفض هارديج ان يجيب عن كيفية صرفه لهذه الاموال فاتهمته الهيئة الادارية بالتبذير . وكان لسلوكه المتصلب أثر في ابتعاد الهيكليين في فلسطين عنه ، فقد كان منفرا في تصرفاته . ولما اجريت الانتخابات لاختيار القيادة الجديدة للجمعية عام ١٨٧٤ لم ينجح هارديج . فما كان منه الا ان اعلن انسحابه من الجمعية . وصدرت مجلة الجمعية Sueddeutsche Warte في ١٧ تموز ١٨٧٤ بآخر مقال له بعنوان « وداعي لجمعية الهيكل Mein Abschied Von der Gesellschaft des Tempels » اكد فيه التزامه بمبادىء الجمعية رغم انفصاله عنها . وخرج مع هارديج عدد من اصدقائه فشكلوا « رابطة الهيكل Der Tempelverein» ومنذئذ تولى القيادة العليا للجمعية كريستوف هوفمان الذي اصبح يتمتع بسلطات واسعة . فاعاد تنظيمها بحيث اصبح لها مجلس استشاري Tempelrat مؤلف من مئة عضو . ووثقت الجمعية صلاتها بفروعها في المانيا وامريكا الشمالية وجنوب روسيا بأن اصبح لهذه الفروع ممثلون في مجلس الجمعية الاستشاري . وفي مطلع ايلول من عام ١٨٧٤ دعي ممثلون عن فروع الجمعية للمشاركة في عيدها الذي اقيم في حيفا . وبناء على قرار مجلس الجمعية اعتبر يوم التاسع من ايلول عيدا لها . وتم الاحتفال بهذا العيد الأول بحضور المندوبين المذكورين . ومنذئذ تكررت اللقاءات في هذا العيد الذي كان القصد من استحداثه الحفاظ على الولاء للجمعية(٥٠) .

وحدث انقسام جديد في صوف جمعية الهيكل سببه الخلاف بين هوفمان ودافيد شتراوس David Strauss ، خليفة هارديج في ادارة مستعمرة حيفا ، حول اسرار الكنيسة المقدّسة وتعاليم الثالوث الاقدس والوهية المسيح وموت المسيح الابن . وكان تأثير هوفمان العقلاني على جماعته قويا جدا ، لذلك بقيت اكثرية اعضاء الجمعية تدين له بالولاء . وانفصل عدد ضئيل من الاعضاء واخذ يتقرب من الكنيسة الانجيلية .

واستغلت الكنيسة الانجيلية الانقسامات في صفوف جمعية الهيكل . فأوفدت القس رانيكة Reinecke من القدس منذ عام ١٨٧٩ الى مستعمرات الهيكليين . وقام خليفته القس شلخت

(٥٠ Geschichte... pp. 136-7.

Schlicht بالمهمة نفسها . وفي عام ١٨٩١ قررت « جمعية بيت المقدس Jerusalem Verein»[٥١] الانجيلية ارسال معلم الى مستعمرة حيفا ليقوم بتدريس ابناء الطائفة هناك المنشقين عن هوفمان . وبعد ذلك بعام واحد بنيت مدرسة لهذه الغاية . وعندها قررت جمعية بيت المقدس ارسال القس ديكرت Deckert الى حيفا . وبذلك اصبح للطائفة الانجيلية في حيفا مدرستها وكنيستها . وبلغ عدد الاسر التي عادت الى حظيرة الكنيسة الانجيلية من مستعمرة حيفا الهيكلية عشرين أسرة[٥٢] .

وكان للحرب العالمية الأولى اثار سلبية على المستعمرات الالمانية ، اذ منيت بخسائر فادحة على الصعيد الاقتصادي . ومع ذلك بلغ عدد المستوطنين الالمان في عام ١٩١٨ نحو الفي نسمة[٥٣] .

الحركة الثقافية في المستعمرات الهيكلية الالمانية في فلسطين :

سعى كريستوف هوفمان ، الزعيم الروحي لجمعية الهيكل عند وصوله الى فلسطين الى انشاء مؤسسة تعليمية تهيء التلاميذ من ابناء اعضاء الجمعية الى الالتحاق بالتعليم الجامعي في المانيا . كتب هوفمان الى رفيقه باولوس في ٢٨ أيار ١٨٧٠ يقول « ان المدارس تشغل بالي ليل نهار . » وكان هم هوفمان تنشئة اجيال جديدة مؤمنة بالرسالة التي كرس نفسه لها . ولم تكن المدارس التي انشأتها الجمعية في مستعمراتها السابقة الذكر مجرد مدارس دينية وانما كانت تدرس الرياضيات والعلوم الطبيعية والعلوم الفنية والتاريخ والجغرافيا واللغات الحديثة (الالمانية والفرنسية والعربية) . وكان التعليم الديني اساسيا في هذه المدارس .

ولعل أبرز انتاج ثقافي للهيكليين في فلسطين هي مؤلفات زعيميها كريستوف هوفمان وجورج هارديج . فقد تولى الأول رئاسة تحرير مجلة الجمعية Sueddeutsche Warte التي كانت تصدر في شتوتغارت مدة طويلة من الزمن . واصدر في عام ١٨٧٥ ، كتابا مهما هو « الغرب والشرق : تاريخ ثقافي من وجهة نظر جماعة الهيكل في فلسطين» :

Okzident und Orient : Eine Kulturgeschichte Betrachtung von Standpunkt der Tempelgemeinden in Palaestina, Stuttgart, Druck und Verlag J.F. Steinkopf, 1875.

---

٥١) انشئت جمعية بيت المقدس في برلين في ١٨٥٢/١٢/٢ من اجل دعم المشروعات التبشيرية الانجيلية الالمانية في فلسطين . Geschichte...., pp. 51- 62.

٥٢) Geschichte... p. 137, Brugger, H.: op. cit., p. 66.

٥٣) Seidel, H. J.: Der Britische Mandatstaat Palaestina im Rahmen der Weltwirtschaft, pp. 81 - 2.

ويتضمن هذا الكتاب المبادىء الاساسية لعقيدة الهيكليين بعد الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) . فيه ايضاحات جيدة لافكار هوفمان وتطلعاته . ويتضمن الفصل الاول منه عرضا لتطور جمعية الهيكل وفكرتها الاستعمارية ، ومدى صلتها بحركة الاتقياء القديمة ، وموقفها من المسائل الكنسية والعلمية والاجتماعية . ويؤكد هوفمان في هذا الفصل على ان الهدف الأول للجمعية السعي الى استعادة ما فقدته الكنيسة من هيمنة روحية على رعاياها وثقة المثقفين والمؤمنين بها ، وتحقيق تعاليم الكتاب المقدس .

أما الفصل الثاني من الكتاب فيدور حول الشرق وحاجاته ، مؤكدا على ان على مستقبل الشرق يقوم التجديد الديني للانسانية . ويبين ان الواجب الديني ينبغي ان يحرك المسيحيين المؤمنين الى الهجرة الى فلسطين التي لا يمكن مقارنتها بالهجرة الى امريكا واستراليا من وجهة نظر اقتصادية ، لأن فلسطين بلد فقير جدا لا تتوفر فيه المصادر الطبيعية الكافية .

ويتضمن الفصل الثالث من الكتاب موضوع « الغرب ومستقبله » . يتناول فيه هوفمان الوضع الدولي بصفته سياسيا منطلقا من المسألة الدينية التي هي محور تفكيره . يقول في هذا الصدد ان الحزب الوطني الحر Der Nationalliberalen Partei في المملكة الالمانية (١٨٧٥) قد أهمل الدور القيادي للدين « لأن مجرى تاريخ العالم تحركه افكار روحية عميقة » .

ويكرس الفصل الاخير منه للمسألة الشرقية . ويرى استحالة حل هذه المسألة بفن الدبلوماسية او باللجوء الى القوة . اما الحل الذي يقترحه فحملة صليبية سلمية تضمن الاستعمار المسيحي للشرق ، وتقديم صورة حية حقيقية للشرقيين عن التدين والاخلاق المقرونين بالعمل ، وبخاصة بعد ان اتضح ان التبشير المسيحي بين المسلمين لم ينل احترامهم واهتمامهم .

أما الكتاب الثاني لهوفمان فيتضمن ثلاث رسائل مفتوحة Sendschreiben نشرها خلال ١٨٧٧ / ١٨٧٨ . وقد اصدرتها مجلة الجمعية في كتاب واحد في شتوتغارت عام ١٨٧٨ بعنوان : رسائل مفتوحة عن الهكيل والاسرار المقدسة وعقيدة الثالـوث والوهية المسيح وبنوة الله للبشر .
Sendschreiben Ueber den Tempel und die Sakramente, das Dogma Ueber die Dreielnigkeit und von der Gottheit Christi, Sowie Ueber die Versoehnung der Menschen mit Gott, Stuttgart, Warte des Tempels, 1878.

تناول هوفمان في هذه الرسائل عقائد الكنيسة بشأن الثالوث الاقدس وما قبل وجود المسيح وموت المسيح وعودته . وقد احدثت الاراء التي نشرها انقساما في صفوف جماعته . وانشأت مجموعة منها فى يافا جمعية اطلقت عليها اسم « مؤسسة الهيكل Tempelstift » تولت ادارة المدرسة والمستشفى في مستعمرة يافا .

ونشر هوفمان مقالات عديدة ونشرات كثيرة حول الدراسات التوراتية والدروس الدينية للشباب . وتمكن من انجاز كتابة مذكراته التي نشرت بعنوان « طريقي الى القدس Mein Weg nach Jerusalem» ونشر الجزء الأول منها في القدس عام ١٨٨١ بعنوان « ذكريات من شبابي Erinnerungen aus meiner Jugend » ونشر الجزء الثاني منها في القدس ايضا عام ١٨٨٤ بعنوان « ذكريات سن الرشد Erinnerungen des Mannesalters» .

ومن الجدير بالذكر ان هوفمان اصدر كتابا آخر في بداية اقامته في فلسطين بعنوان « اشعار واغاني Gedichte und Lieder » صدر في شتوتغارت عام ١٨٦٩ .

اضطر هوفمان بسبب المرض الى العودة الى المانيا عام ١٨٨١ فتخلى عن رئاسة جميعة الهيكل وتوفي في ٨ كانون الاول ١٨٨٥(٥٤) .

أما جورج دافيد هارديج رفيق هوفمان والزعيم الثاني لجمعية الهيكل فقد شارك في تحرير مجلة الجمعية Sueddeutsche Warte منذ ان تعرف بهوفمان عام ١٨٤٨ . واصدر كتابين قبل الهجرة الى فلسطين هما « الانجيل السرمدي Das Ewige Evangelium » و«وسائل لحل المسألة الاجتماعية Mitteln Zur loesung der Sozialen Frage, Verlag von Carl Scholer» صدرا في شتوتغارت عن دار كارل شولر عام ١٨٦٦ . كما اصدر آخر مؤلفاته عام ١٨٧٧ بعنوان : المسألة التركية Die Tuerkische Frage Oder die sechste Zornschale von einem Laien, Stuttgart, bei Messler Buchdrucker, 1877. وتوفي هارديج في ١١ تموز ١٨٧٩ في حيفا(٥٥) .

المستعمرات الالمانية في فلسطين والعلاقات الالمانية - العثمانية :

ينبغي علينا عند معالجتنا لموقف المانيا من المستعمرات الهيكلية في فلسطين التمييز بين موقفين : موقف الحكومة الالمانية القيصرية وموقف الرأي العام الألماني .

ففي ظل المنافسة القائمة بين الدول الاوروبية الكبرى على الشرق العربي كان من المفروض ان تستغل الحكومة الالمانية وجود طائفة من مواطنيها في فلسطين لصالحها . غير ان دراستنا للوثائق الموجودة في الارشيف السياسي لوزارة الخارجية الالمانية أفضت الى عكس هذا الافتراض . فقد اتصف الموقف الرسمي الالماني من هذه المستعمرات بالتحفظ لاعتقاد المسؤولين الالمان ان النفوذ الذي يمكن لالمانيا أن تحققه من خلال دعمها لهذه المستعمرات لا يساوي المصاعب التي قد تواجهها في علاقاتها مع الدولة العثمانية .

---

٥٤) Brugger, H. : op. cit, pp. 85-9

٥٥) المصدر نفسه ، ص ٨٨ .

غير ان وزارة الخارجية الالمانية كانت عاجزة عن التصرف انطلاقا من الاعتبارات السياسية الصرفة . اذ تدخلت عدة عوامل ادت الى تصرفها ، في كثير من الاحيان ، بصورة مناقضة لما اعتبرته مناسبا في العلاقات الالمانية ـ العثمانية . ومن اهم هذه العوامل التي اكرهت برلين على تقديم العون للمستعمرين الالمان في فلسطين الرأي العام الالماني والبلاط القيصري ووزارة خارجية مملكة فورتمبرغ والبحرية الالمانية .

كان الرأي العام الالماني اكثر هذه العوامل فاعلية . فقد كان المستعمرون الالمان في فلسطين ينشرون تقارير في الصحف الالمانية بصورة متقطعة احيانا ومنتظمة احيانا اخرى عن نشاطاتهم . وكثيرا ما كانت هذه التقارير الصحفية تؤكد على عداء السكان العرب والادارة العثمانية لهم . وكانت الاوساط القومية الالمانية تتجاهل في البداية المبالغة الواردة في هذه التقارير ، غير انها غضبت لتجاهل حكومة برلين للمعاملة القاسية التي زعم المستعمرون انهم يعاملون بها من طرف السلطة العثمانية . والواقع ان اهتمام اوروبا المتزايد بالاحداث الجارية في فلسطين منذ منتصف القرن التاسع عشر صاحبه زيادة في كمية المعلومات المنشورة في الصحف المحلية عن تلك الاحداث . وقد استغل قادة جمعية الهيكل هذا الوضع احسن استغلال ، اذ كانوا خبراء في هذا الميدان الاعلامي .

أما البلاط الملكي ووزارة الخارجية في مملكة فورتمبرغ فقد كانا معاديين، من حيث المبدأ، لنشاطات جمعية الهيكل ، وذلك لاعتبارات دينية محضة . غير ان هذا الموقف الديني اتجه الى الاعتدال بعد انتشار الليبرالية في اوروبا بوجه عام وفي المانيا بوجه خاص . وضعف ، مع الزمن ، هجوم الهيكليين في مجلتهم Sueddeutsche Warte على الكنيسة الانجيلية والسلطة السياسية في فورتمبرغ[٥٦] . وأخذ العديد من اعضاء جمعية الهيكل يعودون الى حظيرة الكنيسة الانجيلية حتى بلغ عدد هؤلاء عام ١٨٧٤ نحو ثلث اعضائها . وبدلا من التطرف الديني ، نما شعور جديد في مملكة فورتمبرغ بأن على الوطن الأم واجب حماية ابنائه في ديار الهجرة وهم يتعرضون لاهمال البروسيين . ولم تعد حكومة شتوتغارت تقتنع بالاعتبارات التي اعتمدت عليها وزارة الخارجية في برلين في تعاملها مع المستعمرين الالمان في فلسطين .

وكانت القوات البحرية الالمانية المرتبطة مباشرة بالقيصر ذات نفوذ واسع ، وتتلقى باستمرار تقارير من ضباط البوارج الحربية التي كانت تتردد على الموانىء الفلسطينية . ولعل اهتمام القيصر فيلهلم الثاني بالبحرية زاد من اهمية هذه التقارير التي كان يقرأها القيصر نفسه

---

٥٦) Carmel, A.: The political Significance of German Settlement in Palestine (1868 - 1918), in «Germany and the Middle East 1835-1939» pp. 48 - 9.

ويعلق عليها بخط يده . وكان معظم ضباط البحرية الالمان الذين يترددون على فلسطين يميل الى قبول وجهة نظر المستعمرين الالمان القائلة بان برلين لم تبذل الجهد الكافي لحمايتهم(٥٧) .

وعندما طلب اصدقاء القدس Jerusalem Freunde من البنـدستاغ في فرانكفورت ان تتوسط النمسا وبروسيا ، العضوان في الاتحاد الالماني ، لدى السلطان العثماني للسماح لهم بالاستيطان في فلسطين ، رفضت الدولتان هذا الطلب بصورة قطعية . وذهبت النداءات الشخصية الموجهة الى مندوب بروسيا في الاتحاد ، ادراج الرياح(٥٨) .

ولما سافر وفد جمعية الهيكل الى فلسطين عام ١٨٥٨ لدراسة امكانية الاستيطان فيها ، طلب من ملك بروسيا فريدريش فيلهلم الرابع Friedrich Wilhelm IV الذي كانت تربطه بفلسطين صلات عاطفية دينية ، ان يزوده بعدد من الخبراء الرسميين . وليس هناك ما يدل على استجابة ملك بروسيا لهذا الطلب(٥٩) .

ولما قرر الهيكليون عام ١٨٦٨ البدء بالاستيطان في فلسطين طلبوا من جديد المساعدة من ملك بروسيا . وكان فيلهلم هوفمان شقيق رئيس جمعية الهيكل (كريستوف هوفمان) يشغل آنذاك أعلى منصب كنسي في برلين General superintendent وقسيس البلاط الملكي ، وله نفوذ كبير على ملك بروسيا . غير ان الملك طلب من وزارة الخارجية ان تتعرف على موقف حكومة فورتمبرغ من جمعية الهيكل قبل تقديم اية مساعدة لها . وجاء جواب وزير الخارجية في شتوتغارت في ١٦ ايلول ١٨٦٨ يقول ان آراء الجمعية ومواقفها المعادية من الكنيسة الانجيلية تجعلها عنصرا غير مرغوب فيه . كما ان الظروف الصعبة في فلسطين سوف تنهي مشروعها بالفشل(٦٠) . غير ان نفوذ فيلهلم هوفمان تغلب على رأي وزارة الخارجية في شتوتغارت وصدرت التعليمات الى الممثلين الدبلوماسيين البروسيين لدى الدولة العثمانية لتقديم العون للهيكليين . فبذلوا جهودا كبيرة لحماية الهيكليين في حيفا . ولكن الهيكليين لم يرضوا عن تردد بروسيا في دعمهم . واصيبوا بخيبة أمل كبيرة(٦١) .

واذا استثنينا الدعم الذي قدمته برلين للهيكليين اثناء المفاوضات الأولى مع الباب العالي ، فان المستعمرات الالمانية في فلسطين لم تتمكن من اثارة اهتمام حكومتي برلين وشتوتغارت خلال

---

٥٧) المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

٥٨) Hauptstaatarchiv Stuttgart, Koeniglich Auswaertiges Amt.

٥٩) Sueddeutsche Warte, 1.7. 1858, p. 2., 22. 7. 1858, p. 114. 16. 9. 1858, pp. 145 - 6.

Lange, Friedrich: Geschichte des Tempels, p. 167.

٦٠) Hauptstaatarchiv, Akten des Kabinets IV, Nr. 1585.

٦١) Sueddeutsche Warte, 12.2.1874, pp. 25- 6, 26.3.1874, pp. 70- 71.

الفترة الواقعة بين عامي ١٨٦٨ و١٨٧٤ . أما على صعيد الرأي العام الالماني فقد حظي مشروع الهيكليين منذ بدايته بتأييد الصحافة الوطنية . ففي نهاية عام ١٨٦٨ نشرت صحيفة Augusbur-ger Allgemeine Zeitung مقالة للبرفسور زيب Sepp مؤرخ الكنيسة والسياسي الالماني جاء فيها : « ان قيصر المانيا الكبير فـريدريش بربروسا Friedrich Barbarossa قد قضى نحبه من اجل امتلاك الارض المقدسة . وترك للالمان واجب استعادة السيطرة على فلسطين العزيزة على قلب كل مسيحي . ولا بد ان تجد المانيا في نهاية المطاف نصيبها من الاستعمار . ومن اجل هذه الغاية ينبغي تشجيع هجرة الالمان الى فلسطين »(٦٢) .

أما موقف السلطات العثمانية الذي كان معارضا لقيام المستعمرات الالمانية في فلسطين فقد تغير منذ قيام الوحدة الالمانية عام ١٨٧١ . فوالي دمشق رشيد باشا ، الذي تعرف على نشاط الانجيليين الالمان في بسرابيا ، كان يعطف على الالمان حتى انه وعد القنصل الالماني العام في بيروت بمنح الهيكليين قطعة من الارض في حيفا كهدية . وقام هارديج بزيارة الوالي اثناء وجوده في بيروت وعرض عليه خطة لاستغلال جبل الكرمل . فما كان من رشيد باشا الا ان ارسل سكرتيره الخاص ليعد تقريرا عن المنطقة المطلوبة في عام ١٨٧٢ . وكانت خطة هارديج تقوم على انشاء مصح على قمة الكرمل وربطه بمسبح على شاطىء البحر . ورغم جهود القنصل الالماني فريدريش كيلر Friedrich Keller في سبيل تحقيق هذا المشروع ، امتنعت الحكومة العثمانية عن اصدار فرمان باهداء جبل الكرمل للهيكليين(٦٣) .

وحدث تغير في موقف وزارة الخارجية الالمانية من الهيكليين بعد عام ١٨٧٥ . وكان السبب في ذلك المظاهرات التي قام بها المسلمون في فلسطين اثناء الحرب البلقانية في ذلك العام . اذ خشي القناصل الاجانب قيام تحرك اسلامي ضد الاجانب في فلسطين ، وعلى رأسهم المستعمرون الالمان(٦٤) . وبناء على طلب الهيكليين ، وافقت الحكومة الالمانية على ارسال بوارجها الحربية الى الموانىء الفلسطينية في مظاهرة عسكرية القصد منها تطمين المستعمرين الالمان . وفي ٢ حزيران ١٨٧٧ اصدر وزير الخارجية الالماني فون بيلوف Von Buelow تعليماته الى السفير الالماني في اسطنبـول بالخطوة الاستثنائية التي اتخذتها الحكومة الالمانية . وجاء في هذه التعليمات : « وافق القيصر على طلب المستشار بسمارك بارسال قواتنا البحرية الى الشرق ، آخذا بعين الاعتبار الوضع الراهن هناك . . . ان الهدف الأول للاسطول ظهور العلم الالماني في

---

٦٢) Brugger, H. op. cit., p. 48.

٦٣) المصدر نفسه ، ص ٥٨ ـ ٦٠ .

٦٤) A.A., P.A., Tuerkei 126, Muenchhausen and Bismarck, Jerusalem, den 30 Mai 1897.

الموانىء التركية من اجل حماية رعايانا هناك ومن اجل التعبير عن اهتمام حكومة القيصر برعاياها في ضوء قلقهم الناشىء عن الحرب . . . وحماية ارواحهم وممتلكاتهم بالتدخل الفعال اذا اقتضت الضرورة ذلك »[٦٥] .

واصدرت وزارة الخارجية في برلين سلسلة من التعليمات الى سفرائها في اوروبا لاقناع الدول الاوروبية بانه ليست وراء ارسال الاسطول الالماني الى الموانىء العثمانية اية دوافع سياسية ، وان السبب الوحيد هو الدفاع عن الرعايا الالمان في الشرق[٦٦] .

اما على الصعيد المحلي في فلسطين فقد شعر المستعمرون الالمان في شباط ١٨٧٧ ، بينما كان مئات الشباب من المسلمين يتجهون الى يافا وحيفا للسفر الى سالونيك للمشاركة في القتال انهم قد يتعرضون للأذى . وقام وكيل ضابط سابق الماني بتدريب الشباب الالمان على التمارين العسكرية في مستعمرة سارونا . وطلب هوفمان من القيصر حماية المواطنين الالمان من اي اعتداء محتمل من جانب المسلمين . وفي يوم عيد الفصح من عام ١٨٧٧ ارسى الطراد الالماني غاتسليه Gazelle في ميناء يافا . وكان عليه اربعمائة جندي وثمانية عشر مدفعا . وكان يقود الطراد الامير فون هاكه Graf Von Hacke . وجاء هوفمان وممثلون عن الهيكليين الى ميناء يافا لتقديم شكرهم لقائد الطراد لحماية الحكومة الالمانية لمواطنيها . ولما رد قائد الطراد على زيارة هوفمان ورفاقه بزيارة مستعمرة سارونا ، اقام المستعمرون الالمان الاحتفالات الضخمة بهذه المناسبة . وحدث شيء مماثل لذلك عندما زار الطراد نفسه ميناء حيفا في الفترة نفسها . وفي صيف العام نفسه قامت اربع بوارج حربية المانية بزيارة الساحل السوري والفلسطيني[٦٧] .

وبدأت بعد هذه المظاهرة العسكرية مرحلة من العلاقات الودية بين الهيكليين والحكومة الالمانية واستجابت الحكومة الالمانية لطلب الهيكليين بدعم مدارسهم في فلسطين فقدمت وزارة الخارجية الالمانية مبلغ ٣٧٥٠ ماركا منحة سنوية لهذه المدارس . وكان هذا المبلغ يعادل ربع الموازنة السنوية لتلك المدارس . ومن الجدير بالذكر ان هذه المنحة هي المعونة المالية الرسمية الوحيدة التي قدمتها الحكومة الالمانية للهيكليين منذ بداية مشروعهم الاستعماري في فلسطين عام ١٨٦٨ وحتى عام ١٩١٨ .

وفي عام ١٨٨٠ سعى الهيكليون الى اعتراف الحكومة العثمانية بالتنظيم الاداري المستقل لمستعمراتهم . وايدهم في هذا المسعى القنصل الالماني العام في القدس مينشهاوزن

---

٦٥) المصدر نفسه .

٦٦) Carmel, A.: The Political Significance.. p. 54.

٦٧) Brugger, H.: op. cit. pp. 84 - 5.

غير أن مسعاهم باء بالفشل . كما فشلت محاولتهم لدفع وزارة الخارجية الالمانية Muenchhausen الى التوسط لدى الحكومة العثمانية لتوسيع حقوق الاجانب المقيمين في الولايات العثمانية(٦٨) .
وحدثت ازمة عنيفة بين الهيكليين والحكومة الالمانية سببها الخدمة العسكرية في المانيا . ذلك ان عددا قليلا من المستعمرين الالمان قد أتم الخدمة العسكرية الاجبارية في المانيا قبل الهجرة الى فلسطين . وكان هؤلاء يتمتعون بالجنسية الالمانية وفقا للقانون الالماني . اما الذين كانوا دون سن السابعة عشرة عندما غادروا المانيا ولم يعودوا اليها للقيام بالخدمة العسكرية فقد كان من الصعب منحهم حقوق المواطنة الالمانية . ومن المعروف ان العديد من الالمان وغيرهم قد دخل في حماية القنصليات الالمانية في فلسطين اما بصفتهم مواطنين يتمتعون بحق المواطنة الالمانية Reichsange-hoerige واما بصفتهم رعايا تحت الحماية Schutzgenossen . وفي عام ١٨٨٠ اصدر المستشار الالماني بسمارك تعليمات الى القناصل الالمان في الدولة العثمانية يطلب فيها رفع الحماية عمن لم يقض الخدمة العسكرية في الجيش الالماني .

ودخلت الازمة مرحلتها الحرجة اثر وصول خليفة القنصل مينشهاوزن الدكتور رايتس Reitz الى القدس عام ١٨٨١ . فقد بدأ يدعو الهيكليين الى مكتبه واحدا بعد الآخر ويتهمهم بان القصد من مشروعهم الاستعماري في فلسطين هو التهرب من الخدمة العسكرية في الجيش الالماني . ولما حاول رايتس ان يرفع الحماية عن بعض الهيكليين ثار غضب هوفمان زعيمهم ، وبعث باحتجاج شديد اللهجة الى المستشار الالماني . وقال في رسالته الاحتجاجية هذه اذا كان رايتس يتصرف بناء على تعليمات من وزارة الخارجية فان الهيكليين سوف يبحثون عن دولة اخرى للدخول في حمايتها ، وربما اضطروا الى الانتقال الى بلد آخر . ورجا هوفمان المستشار الالماني ان يعتبر العمل في المستعمرات الالمانية في فلسطين ولعشرين سنة قادمة كخدمة عسكرية . وطلب تعديل قانون الخدمة العسكرية الالمانية بحيث يأخذ بعين الاعتبار وضع الهيكليين في فلسطين . فاذا تعذر ذلك طلب هوفمان ابقاء الوضع كما هو عليه حتى عام ١٨٨٤ ليتمكن الهيكليون من ايجاد حل آخر(٦٩) .

وجاء رد المستشار الالماني ليؤكد ان تصرفات رايتس مبنية على تعليمات تلقاها من وزارة الخارجية الالمانية ، وانه من المتعذر استثناء الهيكليين في قانون الخدمة العسكرية . ولكنه اعترف بحقهم في التمتع بالحماية القنصلية الالمانية ، شريطة ان يطبق عليهم قانون الخدمة العسكرية اعتبارا من عام ١٨٨١(٧٠) . ومنذئذ شرع الهيكليون يرسلون ابناءهم الى المانيا للقيام بالخدمة

---

٦٨) Carmel, A.: The Political Significance.. p. 55.

٦٩) المصدر نفسه ، ص ٥٦ .

٧٠) Sueddeutsche Warte Vom 18 Maerz 1882, p. 4.

العسكرية هناك ومدتها ثلاث سنوات[٧١] .

وحدث تغير مهم في السياسة الالمانية نحو الدولة العثمانية في الثمانينات من القرن التاسع عشر . ففي عام ١٨٨٠ لبى المستشار الالماني بسمارك طلب السلطان العثماني بتزويد بلاده بالخبراء الماليين والعسكريين . وبدأت المانيا منذئذ الغزو الاقتصادي Pénétration Pacifique للدولة العثمانية . واصبح دعم الدولة العثمانية وتقويتها ، على امل ان تكون في يوم ما حليفة لالمانيا ، هدفا مهما من اهداف السياسة الخارجية الالمانية . واستقدمت الدولة العثمانية العديد من الخبراء العسكريين والاداريين الالمان . واخذ الشباب العثماني يتردد على المعاهد العسكرية والعلمية الالمانية . وبدأ بنك فلسطين الالماني Deutsche Palestina Bank نشاطه في القدس ثم فتح فرعا له في يافا وآخر في حيفا . واخذت البواخر الالمانية تتردد بانتظام على المواني ء العثمانية . وتأسست في عام ١٨٨٩ شركة بواخر الشرق الالمانية die Deutsche Levante - Linie . وبدأت رحلاتها باربع بواخر ثم ما لبثت ان زادت عدد بواخرها الى العشرين في مطلع القرن العشرين[٧٢] وفي عام ١٨٨٨ حصلت شركة المانية على امتياز مد سكة حديد الاناضول[٧٣] .

وفي العام نفسه اعتلى عرش المانيا القيصر فيلهلم الثاني . وبعد عام من ذلك قرر ان تكون اول زيارة له خارج المانيا الى السلطان العثماني . وقد اعجب القيصر بآراء السفير الالماني في اسطنبول البارون هاتسفيلد Baron Hatzfeld (١٨٧٩ - ١٨٨١) بشأن التعاون الالماني - العثماني . فقد رأى هاتسفيلد ان فرنسا تمتعت بوضع متفوق في الدولة العثمانية حتى حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨ ، وان انكلترا التي حاولت الحلول محل فرنسا قد اثارت شكوك الاتراك بها بعد ان ضمت قبرص اليها عام ١٨٨٧ واحتلت مصر عام ١٨٨٢ . وينتهي السفير الالماني السابق الى القول ان فراغا قد وجد نتيجة لذلك ولا بد لقوة اوروبية من ملئه ، وان المانيا هي الدولة المؤهلة لملء هذا الفراغ[٧٤] .

في نطاق الانفتاح العثماني على المانيا ورغبة هذه الأخيرة في توسيع علاقاتها مع الدولة العثمانية لم يكن للهيكليين الا اثر ضئيل جدا في هذا المجال. اذ حرصت برلين على ازالة مخاوف العثمانيين من تجميع الاجانب على اراضيهم . كما ان فلسطين تقع خارج نطاق المصالح الالمانية التي تركزت على طول سكة حديد بغداد .

---

٧١) Carmel, A.: The Political Significance.. p. 57.

٧٢) المصدر نفسه ، ص ٥٨ . Brugger, H. op. cit., p. 90.

٧٣) Carmel, A.: The Political Significance.. p. 59.

٧٤) Holborn, H.: Deutschland und die Tuerkei (1878-1890). p. 106.

لقد دار جدل طويل في اوساط وزارة الخارجية الالمانية حول موقف الحكومة الالمانية من الاستيطان الالماني في الدولة العثمانية على ضوء التطورات الجديدة . ففي عام ١٨٩١ طلب خليفة بسمارك المستشار كابريفي Caprivi من وزارة الخارجية ابداء رأيها في اقتراح تقدم به السلطان العثماني الى القيصر فيلهلم الثاني يتضمن انشاء مستعمرات المانية على طول سكة حديد بغداد . وكانت اول مذكرة من وزارة الخارجية تناولت هذا الاقتراح قدمها الهر كيدرلين Kiderlen من الدائرة السياسية في الوزارة . وقد بنى كيدرلين تحليله على تجربة الهيكليين في فلسطين . وجاء في مذكرته هذه :

« ان المستعمرات الالمانية في فلسطين لا تقدم لنا مثالا مشجعا . فالمستعمرون يكسبون قوتهم بصعوبة ، ويتعرضون لعداء السكان المحليين والسلطات التركية . واذا كان المستعمرون المقترح توطينهم في آسيا الصغرى من الالمان فسيواجه قناصلنا التذمر الدائم من السلطات المحلية ، كما ستواجه سفارتنا تدخل الباب العالي المستمر . وهذا امر لابد من اخذه في الحسبان ـ وقد يدمر علاقاتنا الطيبة مع الاتراك بدلا من ان ينميها . والمستعمرات في فلسطين خير مثال على ذلك »[٧٥] .

وقدم مدير الدائرة الاستعمارية في وزارة الخارجية الهر كايزر Kayser مذكرة مماثلة للمذكرة السابقة . يتبين لنا من هاتين المذكرتين ان وزارة الخارجية الالمانية كانت ترى في مستعمرات الهيكليين في فلسطين مثالا سيئا وسببا دائما لتهديد العلاقات الالمانية ـ العثمانية بالتدهور . والواقع ان شكاوى الهيكليين اثارت غضب السلطات العثمانية ، كما ان وجود المستعمرات الالمانية في فلسطين اثار حفيظة الدول الاوروبية ضد المانيا . ولم تكن فلسطين بامكانياتها المحدودة البلد القادر على تلبية احتياجات المانيا ، فلا هي مصدر مهم للمواد الأولية ولا هي سوق واسع قادر على استيعاب منتجات المانيا . ولذلك لم يكن فيها ما يستحق اهتمام المانيا الحقيقي في هذه الفترة .

ولعل ابرز الاحداث السياسية التي شهدتها فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر زيارة القيصر الالماني فيلهلم الثاني في تشرين الأول عام ١٨٩٨ وهي زيارته الثانية للشرق . وكان الغرض المعلن من هذه الزيارة الحج الى الاماكن المقدسة . ففي ٢٥ تشرين الأول من ذلك العام ارست ثلاث بوارج المانية تقل القيصر وحاشيته في ميناء حيفا . وفي صباح اليوم التالي تجمع كافة افراد المستعمرة الالمانية في حيفا في باحة القنصلية الالمانية من اجل تحية القيصر . وقام فريدريش لانجه Friedrich Lange رئيس الجماعة الهيكلية في حيفا (ومؤرخ الجمعية) بالقاء كلمة في حضرة

---

٧٥) A.A., P.A., Tuerkei 189, Vol. 1.

القيصر شكره فيها على الدعم والمؤازرة التي يلقاها الهيكليون من القيصر وبخاصة في ميدان التعليم . واكد على ضرورة توثيق الصلات بين الهيكليين والوطن الأم . ورد القيصر عليه بالاعراب عن سعادته اذ يرى في قلب الارض المقدسة مستعمرة المانية لها علاقات وثيقة بالوطن الأم . وقال بأنه سوف ينقل الى ملك فورتمبرغ ما حققه مواطنوه من انجازات . واكد حمايته لكافة الالمان . كما القى الدكتور شوماخر Dr. G.Scuhmacher ابن احد قادة الجمعية كلمة في حضرة القيصر اشار فيها الى قيمة الابحاث العلمية الالمانية عن فلسطين واحوالها(٧٦) . وتجول القيصر في المستعمرة ثم اتجه الى يافا ومنها الى القدس . وخلال سفره الذي استغرق يومين زار القيصر مستعمرات يافا وسارونا وريفايم حيث استقبل استقبالا حافلا(٧٧) .

واثناء هذه الزيارة اصبحت فلسطين والمستوطنون الالمان فيها موضوع الساعة في المانيا . وتأسست في شتوتغارت في تشرين الاول ١٨٩٩ « جمعية تطوير الاستيطان الالماني في فلسطين Gesellschaft Zur Foerderung der deutschen Ansiedlunger in Palaestine» تحت رعاية البارون فون ايليريكسهاوزن Freiherr Von Ellerichshausen من اجل تزويد الجمعية بالتبرعات المالية لتوسيع نشاطها وشراء المزيد من الارض . وتولى ادارة الجمعية الامير فون اوراخ K. Von Urach بينما تولى رئاستها الفخرية النائب العام في المملكة الدكتور فون روب Von Rupp وتمكنت هذه الجمعية من جمع مبلغ ثلاثمائة الف مارك حولت الى جمعية الهيكل فاشترت به قطعة من الارض مساحتها ثمانية كيلومترات مربعة بالقرب من اللد غير بعيد عن سكة حديد يافا - القدس . وانشأت عليها مستعمرة فيلهلما Wilhelma .(٧٨)

واذا كانت زيارة القيصر لفلسطين قد بعثت الحماس في نفوس سكان مملكة فورتمبرغ فأنشأوا جمعية تطوير الاستيطان الالماني في فلسطين ، لم يتجاوز دعم القيصر للهيكليين اعجابه بمنجزاتهم وتعاطفه معهم ووعده لهم بان يسعى لدى السلطات العثمانية لتعاملهم المعاملة التي يستحقونها(٧٩) . واذا عدنا الى وثائق الارشيف السياسي لوزارة الخارجية الالمانية لمعرفة نتائج زيارة القيصر هذه ، لم نجد فيها ذكرا او اشارة للمستعمرات الالمانية في فلسطين . فقد لخص نتائج هذه الزيارة القائم بالاعمال الالماني في اسطنبول في تقرير بعث به الى وزارة الخارجية(٨٠) .

---

٧٦) Brugger. H. : op. cit., p. 92.

٧٧) المصدر نفسه ، ص ٩٣ .

٧٨) المصدر نفسه ، ص ٩٣ .

٧٩) Carmel, A.: The Political Significance... p. 63.

٨٠) A.A., P. A., Preussen 4 (geheim). Vol. 9. Schlaezer an Hohenlohe Istambul, 15. 11. 1898

نص تقرير القائم بالاعمال الالماني في اسطنبول .

ووزعت نسخ من هذا التقرير ، بناء على اوامر القيصر ، الى كافة السفارات الالمانية في العالم . وقد ورد في هذا التقرير ان الدافع الأول لزيارة فلسطين هو دافع ديني . ولم يرد فيه اية اشارة للمستعمرات الالمانية فيها . والواقع ان زيارة القيصر لفلسطين لم تحدث أي تغيير في السياسة الالمانية الرسمية نحو المستعمرات الهيكلية . غير ان فلسطين بقيت منذئذ موضوع اهتمام الرأي العام الالماني . فقد اثار الوصف الحماسي للمستعمرات موجة من التعاطف الشعبي ساعدت المستعمرين على التغلب على المصاعب التي واجهوها وبناء ثلاث مستعمرات جديدة . غير ان الاموال اللازمة لبناء هذه المستعمرات جمعت من مواطني مملكة فورتمبرغ وحدها(٨١) . وذهبت جهود جمعية تطوير الاستيطان الالماني في فلسطين من اجل الحصول على تعاون القيصر الالماني لشراء الاسهم في المؤسسة المالية التي انشأها ، سدى . هذا وقد لقيت الجمعية المذكورة اهتماما خاصا في مملكة فورتمبرغ . ففي عام ١٩١٠ طلب وزير خارجية المملكة من ممثلها في برلين ان يتوسط لدى وزارة الخارجية الاتحادية لتضغط على الدويتش بانك Deutsche Bank لمنح جمعية الهيكل قرضا مقداره مئة الف مارك للحفاظ على الطابع الالماني لمستعمرة سارونا وتطوير مستعمرات فيلهلما وبيت لحم في الجليل . وبينما كانت المساعي جارية للحصول على القرض المطلوب انفقت حكومة برلين مبلغا يساوي عشرين ضعف هذا المبلغ على مؤسسة القيصرة اوغستافكتوريا Kaiserin Auguste Victoria Stiftung في القدس التي انشئت تخليدا لزيارة زوجة القيصر للمدينة المقدسة(٨٢) .

ومع مد سكة حديد الحجاز وقيام الفرنسيين بمد السكك الحديدية في فلسطين ازداد قلق الهيكليين وشعروا ان البلاد تكاد تقع تحت النفوذ الفرنسي . وفي صيف عام ١٩١٣ قام وفد من جمعية الهيكل في فلسطين مؤلف من رئيسها كريستان روهر Christian Rohrer وغوتليب شوماخر Gottlieb Scuhmacher بزيارة شتوتغارت وبرلين للسعي لدى حكومة فورتمبرغ وحكومة برلين الاتحادية لتجنيب وقوع فلسطين في منطقة النفوذ الفرنسي . وفي آب ١٩١٣ قدم الوفد مذكرة الى فون روزنبرغ Von Rosenberg مدير الدائرة الشرقية في وزارة الخارجية في برلين . وسأل شوماخر المسؤول الالماني عن مصير المستعمرات الالمانية في حالة قبول المانيا بوقوع فلسطين تحت الهيمنة الفرنسية . وتضمنت مذكرة الوفد الهيكلي اشادة بدور المستعمرين الالمان في تطوير فلسطين ورفع سمعة المانيا . كما اقترحت ايجاد حل لمستقبل فلسطين تقبل به الدول الكبرى ، وذلك بأسرع وقت ممكن وقبل ان يفوت الاوان . واقترح شوماخر في هذا الصدد وضع فلسطين (من الحدود المصرية الى رأس الناقورة شمالا وحتى سفوح جبل الشيخ شرقا) تحت حكم امير

---

٨١) Carmel, A.: The Political Significance... p. 63.

٨٢) المصدر نفسه ، ص ٦٥ - ٦٦ .

اوروبي . وبرر اقتراحه هذا بانه لا يتعارض والمصالح البريطانية والروسية في المنطقة . واقترح بالمقابل منح فرنسا المنطقة الواقعة شمال فلسطين دون الاضرار بمصالح الدول الكبرى فيها(٨٣) .

وسعى الوفد لدى وزارة خارجية مملكة فورتمبرغ بقبول مقترحاته السابقة الذكر ، فأيدتها وطلبت من ممثلها في برلين ان يجس نبض وزارة الخارجية الاتحادية . فجاء الرد : ان سورية لا تقع في منطقة اهتمام المانيا لأنها بعيدة عن سكة حديد بغداد(٨٤) . وهكذا خابت آمال الوفد الهيكلي من موقف حكومة برلين . وعاد الى فلسطين خالي الوفاض . وجاءت الاتفاقية الفرنسية ـ الالمانية لعام ١٩١٤(٨٥) لتؤكد اعتراف المانيا بوضع فرنسا الخاص في فلسطين وبخاصة في موضوع بناء السكك الحديدية .

غير ان فكرة فصل فلسطين عن الدولة العثمانية ووضعها تحت الهيمنة الاوروبية لم تغب عن ذهن بعض المسؤولين الالمان . فقد اقترح السفير الالماني في اسطنبول في رسالة بعث بها الى المستشار الالماني الامير فون هيرتلنغ Graf Von Hertling انشاء مملكة في فلسطين لحل مسألة الاماكن المقدسة ، معتقدا بأن هذا الحل سوف يرضي المسيحيين واليهود في العالم ، شريطة ايجاد حل مرضٍ للاماكن المقدسة الاسلامية في القدس(٨٦) . وكان القنصل الالماني العام في القدس الدكتور برووده Brode قد اقترح على السفير الالماني في اسطنبول اقامة مملكة صغيرة في القدس تضم بيت لحم جنوبا وتمتد الى نهر الاردن والبحر الميت شرقا والى قرية رام الله شمالا . وان يعتلي عرشها امير كاثوليكي الماني ، شريطة ان تبقى هذه المملكة تحت السيادة العثمانية الاسمية وان تدفع للخزينة العثمانية مليون جنيه استرليني ، وان يحتفظ المسلمون والمسيحيون واليهود باماكنهم المقدسة فيها . واقترح برووده ايضا ان تسعى الحكومة الالمانية لدى الباب العالي للتوسع في الاستعمار اليهودي في فلسطين ومنح اليهود حكما ذاتيا في البلاد(٨٧) . والواقع ان هذه المقترحات قد جاءت في فترة بلغ النشاط الصهيوني في المانيا اوجه من اجل الحصول على وعد رسمي من الحكومة الالمانية مماثل لتصريح بلفور .

يتضح مما سبق ان الحكومة الالمانية لم تسع الى تحقيق اية مطالب علنية او سرية في فلسطين منذ قيام الرايخ الالماني عام ١٨٧١ وحتى نهاية الحكم العثماني عام ١٩١٨ . كما انها لم تستغل عنصر المستعمرين الالمان لاغراضها السياسية في البلاد .

---

٨٣) المصدر نفسه ، ص ٦٧ - ٦٩

٨٤) A.A., P.A., Tuerkei 177, Vol. 10.

٨٥) Hurewitz, J.: Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. 1. pp. 267-276.

٨٦) A.A., P.A., Tuerkei 175 (e), Abteilung IA, Bd. 2.

٨٧) Friedman, I.: Germany, Turkey and Zionism (1897 - 1918), pp. 390 - 391.

علاقات المستعمرين الالمان بالسكان العرب

اتسمت العلاقات بين المستعمرين الالمان والسكان العرب في فلسطين بالشك والريبة والحذر . لقد ادرك كريستوف هوفمان اثناء رحلته الاستطلاعية الى فلسطين عام ١٨٥٨ ان مشروعه لن يحظى بتأييد السلطات العثمانية فحسب ، وانما سيواجه مقاومة حقيقية من جانب السكان العرب الذين يشكل المسلمون اكثر من ٩٠٪ منهم(٨٨) .

ولما بدأ استيطان الهيكليين في فلسطين كانوا يحملون افكارا واضحة عن العداء العربي لهم . وساهمت احداث فلسطين في تشدد كل فريق في موقفه . وادرك العرب ان الهيكليين الالمان ليسوا كبقية المقيمين الاجانب في فلسطين . فمشروعهم ليس خيريا كمشاريع الارساليات التبشيرية المنتشرة في البلاد . واكتشفوا ايضا ان الالمان قد جاءوا الى البلاد تاركين اوطانهم بهدف واحد هو الاستيلاء على اراضيهم وامتصاص دمائهم(٨٩) . ولذلك كان من المتعذر على مشروع الاستيطان الالماني ان يكسب قلوبهم . وخلافا لما كان يعتقده او يزعمه الالمان لم تساهم انجازاتهم في فلسطين الا في بعث كراهية العرب لهم(٩٠) . ونظر الالمان ، بالمقابل ، الى العرب نظرة استعلاء وتفوق ، فزادت من توتر العلاقات بين الفريقين(٩١) . وكان قادة جمعية الهيكل يخشون الاختلاط بالسكان العرب والذوبان في المجتمع المحلي . فهم « شعب الله » المكلف ببناء مملكة الرب في القدس . لذلك تحاملوا على العرب دوما . وبرروا هذا التحامل في المقالات التي كانوا ينشرونها في مجلتهم Sueddeutsche Warte . فالشرقي في نظرهم « وقح متعجرف بالطبيعة ، يمارس السرقة والاستجداء ، ولا يحني هامته الا للقوة والمال »(٩٢) .

وكان قادة الجمعية يحذرون اعضاءها من التزاوج مع العرب . واستغلوا حالة زواج فاشلة بين فتاة المانية وشاب مسيحي عربي في دعايتهم هذه . وكانوا يقولون « من الافضل للالمانيات ان يبقين عوانس من ان يلقين بانفسهن في احضان الرعاع »(٩٣) .

ولم يخف كريستوف باولوس الذي خلف هوفمان في رئاسة جمعية الهيكل بين عامي ١٨٨٤ و ١٨٩٠ ، والذي كان من اتباع الفلسفة الانسانية ، احتقاره للعرب . وحينما تكونت شركة للنقل

---

٨٨) Sueddeutsche Warte Vom 23,9,1858, p. 125, 14. 10. 1858, p. 161

٨٩) جريدة الاهرام ، القاهرة ، عدد ٢٧ حزيران ١٨٩٨ .

٩٠) Sueddeutsche Warte Vom 27. 4. 1914, pp. 133 - 4.

٩١) Deutsche Kolonial Zeitung, Berlin, 1884, pp. 83 - 4.

٩٢) Sueddeutsche Warte, 27, 4, 1911, pp. 131 -2.

٩٣) Carmel. A.: The German Settlers... p. 448.

بين يافا والقدس من الالمان والعرب واليهود عام ١٨٨٤ ، وأوكل تنظيمها الى الالمان كتب باولوس بهذا الصدد يقول : « تعتبر هذه الاتفاقية نصرا للامانة الالمانية على دسائس العرب واليهود القذرة . لقد امكن قيام الشركة لأن ادارتها والاشراف على ماليتها قد اوكلا الى الالمان الذين تعترف كافة الاطراف بامانتهم ومثابرتهم على العمل. دعنا نأمل ان يكون لهذا الانجاز الذي حققته النزاهة الالمانية ، تأثير ايجابي على السكان المحليين . ويمكن اعتبار هذا العمل الانموذجي عملا تبشيريا ، لأن الهيكليين يؤمنون بأن على الشعب الذي يتوجه اليه المبشرون ان يتحول الى كائنات بشرية قبل ان ينظر في امر تنصيره »(٩٤) .

ازاء هذه النظرة الاستعلائية العرقية ، لا عجب اذا عجز الهيكليون عن الوصول الى قلوب العرب واقامة علاقات طيبة معهم . وقد اعترف بهذا الوضع السفير الالماني في اسطنبول مارشال فون بيبر شتاين Marschall Von Bieberstein في رسالته التي بعث بها الى المستشار الالماني فون بيلوف Von Buelow المؤرخة في ٨ أيار ١٩٠٩ ، والتي اقتبس فيها اقوال نائب القنصل الالماني في حيفا(٩٥) .

ورغم حالة الشك والحذر والكراهية التي سادت العلاقات بين المستعمرين الهيكليين والعرب في فلسطين ، لم تحدث خلال الحكم العثماني سوى حادثة قتل واحدة ذهب ضحيتها احد هؤلاء الالمان وبسبب استفزازي . وكان سبب الحادثة التي تمت عام ١٩١٠ ، مقتل احد فلاحي قرية الطيرة (قرب حيفا) على يد احد الالمان من مستعمرة حيفا ، اثناء اقدام الأول على السرقة من المزرعة الالمانية . ثار اهل القتيل لقتيلهم وهاجموا في اليوم التالي للحادث احد الالمان واسمه فريتس اونجر Fritz Unger في مستعمرة نويهاردتهوف وارادوه قتيلا(٩٦) .

وخشي المستعمرون الالمان اعتداء المسلمين عليهم اثناء الحرب البلقانية(١٨٧٥ ـ ١٨٧٨) . وطلبوا الحماية من حكومتهم ، فرأت هذه ان تبعث ببوارج حربية الى الشواطىء الفلسطينية . فكانت خطوة لا سابقة لها .

وشعر المستعمرون الالمان بضيق شديد عندما اخذ العرب ينافسونهم في الميدان الاقتصادي . فقد حل العرب محل الناقلين الالمان بالشاحنات على طريق حيفا ـ عكا. كما الحقوا اضرارا كبيرة بشركة السفريات الالمانية على طريق يافا ـ القدس بتخفيض اجور السفر . وواجه

Sueddeutsche Warte, 30.10. 1884, pp. 1-2.

A.A., P.A., Bd. 25 a Nr. 135.

Carmel, A.: The German Settlers... pp. 449-50.

الحرفيون الالمان منافسة مماثلة من العرب . وزاد من كراهية العرب للمستعمرين الالمان واليهود حماية الدول الاوروبية الكبرى لهم . ولم يشعر العرب في يوم من الأيام بان وجود المستوطنين الالمان او غيرهم فيه اية فائدة لهم(٩٧) .

علاقة المستعمرين الالمان بالطائفة اليهودية

اتخذت جمعية الهيكل موقفا عدائيا من اليهود واليهودية قبل استيطان افرادها في فلسطين ، لاعتبارات دينية محضة . غير ان هذا الموقف تبدل بعد استيطان الهيكليين في فلسطين . ولم يترددوا في التعاون مع المهاجرين اليهود والمستعمرات اليهودية لمواجهة المجتمع العربي المناهض لهم . واخذ هذا الموقف يتغير مع قدوم الآف اليهود من شرق اوروبا في منتصف الثمانينات من القرن التاسع عشر . وذلك بسبب منافسة المستعمرين اليهود الجدد لهم في الميادين الاقتصادية .

فقد كان هوفمان مؤسس جمعية الهيكل يعتقد ان الارض المقدسة ينبغي ان تكون ملكا لشعب الله . وان الله كان ينوي في البداية منح هذه البلاد للشعب اليهودي ، غير ان هذا الشعب غرق في الفساد والرذيلة ولم يعد شعبا مقدسا . والهيكليون وحدهم هم الذين اوجدوا الشعب المقدس الجديد « شعب الله » . وتأكد هذا الاعتقاد لدى هوفمان عند زيارته لفلسطين عام ١٨٥٨ ورأى « حالة اليهود السيئة وكسلهم وعجزهم عن تخليص البلاد من حالتها المتدهورة » . ووجد الالمان في بداية استيطانهم مبررا للتفاهم مع الاقلية اليهودية للتخلص من العزلة التي يعيشونها(٩٨) .

أما بالنسبة الى اليهود ، فقد حاول زعماء محبة صهيون « حوفيفي تسيون »(٩٩) الاستفادة من تجربة المستوطنين الالمان في المستعمرات الزراعية . وكانوا يترددون عليهم محاولين تجنب الاخطاء التي وقعوا فيها . وحينما بدأت الهجرة اليهودية المنظمة الأولى (١٨٨٢ ـ ١٩٠٤) التي تألفت من موجتين كبيرتين هما الأولى (١٨٨٢ ـ ١٨٨٤) والثانية (١٨٩٠ ـ ١٨٩١) بدأ موقف المستوطنين الالمان يتغير . وكانت المنافسة الاقتصادية وراء هذا الموقف المعادي . صحيح ان نوعية

---

٩٧) المصدر نفسه ، ص ٤٥١ ـ ٤٥٤ .

٩٨) المصدر نفسه ، ص ٤٥٥ .

٩٩) محبة صهيون حركة سياسية يهودية استهدفت تنظيم هجرة اليهود من اقطار اوروبا الشرقية الى فلسطين . وقامت بانشاء المستعمرات اليهودية الأولى في البلاد بين عامي ١٨٨١ و١٩٠٤ .
حول هذه الحركة انظر :
جريس ، صبري ، تاريخ الصهيونية ، ج١ ، (١٨٦١ ـ ١٩١٧) ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٧ ، ص ١٠١ ـ ١٤٢ .

الانتاج اليهودي من الحرف والصناعات الخفيفة كانت أدنى من نوعية الانتاج الالماني الا ان انخفاض اسعار الانتاج اليهودي جعل من الحرفيين والصناع اليهود منافسين خطرين للالمان(١٠٠) .

وشعر المستعمرون الالمان بالخطر الحقيقي حينما طلب ثيودور هرتسل Theoder Herzl في آب ١٨٩٧ من اعضاء المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في مدينة بازل السويسرية الموافقة على برنامج الحركة الصهيونية . ومنذ ان صدرت صحيفة « العالم Die Welt » الناطقة بلسان الحركة الصهيونية في حزيران ١٨٩٧ ، شعر الهيكليون انهم يواجهون حركة سياسية يهودية منظمة تؤكد صحيفتها كل يوم على اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

ومنذ مطلع عام ١٩٠٨ شنت صحيفة الهيكليين Sueddeutsche Warte هجومها على الحركة الصهيونية وعلى مختلف اوجه نشاطاتها . وكان يقود هذه الحملة فريتس لورخ Fritz Lorch احد الالمان المولودين في فلسطين والذي انتقل الى شتوتغارت ليعمل في صحيفة الجمعية . وقد ابرز لورخ عدم ولاء الصهاينة للدولة العثمانية وتعاونهم مع بريطانيا من اجل تمزيق اشلائها. أما الصهاينة فقد حاولوا التقرب من المستوطنين الالمان والتفاهم معهم حرصا منهم على تجنب الصدام مع الامبراطورية الالمانية الناشئة وامتنعت صحيفة « دي فيلت» الصهيونية عن الرد على حملة لورخ الاعلامية(١٠١) .

وبمناسبة انتقال صحيفة الهيكليين Sueddeutsche Warte من شتوتغارت الى القدس في كانون الثاني عام ١٩١٢ نشرت صحيفة « دي فيلت » مقالا مطولا طالبت فيه المستوطنين الالمان ان يبدوا مزيدا من التفهم نحو المصالح المشتركة لليهود والالمان . واكد المقال على الفوائد التي قد يجنيها المستوطنـون الالمان والامبراطورية الالمانية من المهاجرين اليهود الناطقين باللغة الالمانية والذين يفضلون إقامة علاقات تجارية مع المانيا(١٠٢) .

ومن الجدير بالذكر ان المانيا ، في هذه الفترة ، كانت مقرا لمعظم المؤسسات والمراكز التابعة للحركة الصهيونية . وانساق المستوطنون الالمان وراء سياسة المانيا الرسمية منذ عام ١٩١٣ ، تلك السياسة التي كانت تحبذ الاستفادة من الوجود اليهودي في فلسطين من اجل تنمية المصالح الالمانية فيها . وشهدت العلاقات بين الاقليتين الالمانية واليهودية تحسنا ملحوظا عشية قيام الحرب العالمية الأولى(١٠٣) .غير ان هذا التحسن في العلاقات كان مؤقتا ولفترة قصيرة جدا .

---

١٠٠) Carmel, A.: The German Settlers.... pp. 455-8.

١٠١) المصدر نفسه ، ص ٤٦٠ - ٤٦٣ .

١٠٢) Die Welt, 13.10. 1911, pp. 1083 - 4.

١٠٣) Carmel, A.: The German Settlers... p. 464.

الخلاصة :

كانت الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام (١٧٩٨ - ١٨٠١) فاتحة لدعوات ومحاولات اوروبية عديدة لاستعمار فلسطين وفصلها عن الدولة العثمانية . وكانت المانيا ، مثل بعض الاقطار الاوروبية ، مهدا لهذه الدعوات التي اتخذت شكل مشروعات استهدف بعضها اقامة كيان مستقل تحت حكم امير الماني ، واستهدف بعضها الآخر تدويل الاماكن المقدسة ووضعها تحت الحماية الاوروبية . ولبست هذه الدعوات لبوسا دينيا وتغلفت بمبررات مختلفة مثل حماية مسيحيي الشرق ، وتأمين حرية العبادة والوصول الى الاماكن المقدسة ، ونشر المسيحية بين الاقلية اليهودية في البلاد ، وانشاء مملكة الرب تنفيذا لنبوءات العهد القديم ، وتجميع يهود العالم في فلسطين من اجل تنصيرهم. أما الدافع الحقيقي لذلك فهو تقطيع اوصال الدولة العثمانية واقتسام ممتلكاتها والسيطرة على فلسطين التي تحتل موقعا استراتيجيا مهما وتتمتع بوضع فريد اذ تحتوي على الاماكن المقدسة لديانات التوحيد الثلاث اليهودية والمسيحية والاسلام .

نشأت فكرة استعمار فلسطين بين الالمان ، أول ما نشأت ، في مملكة فورتمبرغ ، ونادت بها طائفة دينية من الاتقياء من اتباع الكنيسة الانجيلية ، آمنت بنبوءات العهد القديم ، واعتقدت ان الوقت قد حان لاقامة مملكة الرب في الارض المقدسة . وكانت تظن أن بالامكان تحقيق ذلك بالطرق السلمية أي بالهجرة والاستيطان بصورة تدريجية . وشرعت بتنفيذ مشروعها الاستيطاني عام ١٨٦٨ بدعم وتأييد من الممثلين الدبلوماسيين والقناصل الالمان في اسطنبول وبيروت والقدس . ورأى هؤلاء في ذلك المشروع نقطة انطلاق للنفوذ السياسي والاقتصادي والثقافي الالماني في المنطقة واستطاعت جمعية الهيكل ، منفذة هذا المشروع الاستيطاني ، انشاء تسع مستعمرات في فلسطين خلال نصف قرن من الزمن (١٨٦٨ - ١٩١٨) . كان الهدف واضحا وهو استقطاب الاف الالمان والاوروبيين لاستيطان فلسطين حتى يصبحوا في وضع عددي يمكنهم من الهيمنة على البلاد وتحويلها الى مستعمرة اوروبية . غير أن ذلك لم يتحقق لاسباب عدة يمكن اجمالها بما يلي :

أولا : سياسة الحكومة العثمانية نحو فلسطين والتي استهدفت الحد من الهجرة الاوروبية اليها ، ووضع مختلف القيود والعراقيل في طريقها ، ادراكا منها لحقيقة الاطماع الاوروبية في هذه البقعة من ممتلكاتها .

ثانيا : فتور همة أعضاء جمعية الهيكل بعد أن انقسموا على انفسهم ، ودخلوا في نزاع شديد مع الكنيسة الانجيلية في مملكة فورتمبرغ ، فتشتت شملهم ، وعاد معظمهم الى حظيرة الكنيسة الام . وتوقفت هجرتهم الى فلسطين ، وبخاصة بعد أن شهدت المانيا ، بقيام وحدتها القومية ،

ازدهارا اقتصاديا وتحسنا ملموسا في مستوى المعيشة ، ففضل اعضاء الجمعية البقاء في موطنهم على الهجرة الى بلد فقير كفلسطين .

ثالثا : الموقف العدائي للسكان العرب من المستعمرين الجدد . فقد عاش المستوطنون الالمان في عزلة حقيقية عن المحيط العربي . وعانوا الكثير بسبب هذه العزلة .

رابعا : موقف اللامبالاة الذي وقفته الحكومة القيصرية الالمانية من هؤلاء المغامرين ، وبخاصة بعد ان فتحت المملكة العثمانية ابوابها للنفوذ الاقتصادي والعسكري الالماني . واصبحت الحكومة الالمانية حريصة على ان لا تأتي بشيء يسيء الى علاقاتها الواسعة والوطيدة مع الدولة العثمانية .

صحيح ان المستعمرين الالمان نقلوا التكنولوجيا الاوروبية معهم الى فلسطين ، واستخدموها في الزراعة والصناعة ، وحملوا معهم ثقافتهم ، فأنشأوا المدارس والمسارح والمكتبات العامة والمستشفيات ، وبنوا المنازل على الطراز الاوروبي ، غير أن تأثيرهم في المحيط العربي كان ضعيفا بسبب الشك والريبة وعدم الثقة التي سادت العلاقات بينهم وبين العرب ، وبسبب نظرتهم العنصرية النابعة من الشعور بالتفوق ، نحو سكان البلاد .

كانت هذه التجربة الاستعمارية ، بالمقابل ، ذات فائدة كبيرة للمهاجرين الصهاينة . فاقبلوا عليها يدرسونها ويحاولون الافادة من انجازاتها واخطائها .وحاولوا اقامة صلات طيبة مع المستعمرين الالمان ، رغم نفور هؤلاء منهم . ولذلك كانت المستعمرات الالمانية تمهيدا لنشوء المستعمرات اليهودية وانموذجا لها تقتدي به .

الفصل الثالث

المانيا القيصرية والحركة الصهيونية

الاقلية اليهودية في المانيا القيصرية :

يعود وجود اليهود في المانيا الى العصور الوسطى ، فقد وجدت اقلية يهودية بين الالمان في عهد شارلمان ، واستمر هذا الوجود منذئذ وحتى القرن التاسع عشر عندما اصبحت الاقلية اليهودية في المانيا اكبر الاقليات في دول اوروبا الغربية ، وأغناها واكثرها تقدما في العلوم والتقنية ، وأوسعها شهرة بين يهود العالم . وكان معظمها مستقرا في المدن الكبرى . ومع أن عدد افراد هذه الطائفة قد بلغ نحو اربعمائة الف نسمة عند قيام الوحدة الالمانية عام ١٨٧١ ، فقد اخذت في التناقص لاسباب اجتماعية وثقافية . وجاء في احصائية وردت في كتاب « انحطاط اليهود الالمان .Der Untergang der deutschen Juden » لمؤلفه فيلكس تايلهابر F. A. Teilhaber الصادر عام ١٩١١ حول هذا التناقص ما يلي :

« بين كل مئة فتاة يهودية ولدت قبل خمسين سنة ، عمدت اثنتان ، وبقيت اثنتان وعشرون عذارى او زوجات بلا اطفال ، وانجبت ثلاث منهن اطفالا غير شرعيين ، وتزوجت ثماني عشرة منهن من غير اليهود . أما الخمس والخمسون اللواتي تزوجن يهودا فقد أنجبن ثمانية عشر طفلا فقط . » .

وتميز المجتمع اليهودي الالماني في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر بهذه الظاهرة ، اذ كان عدد الموتى مساويا لعدد المواليد او يزيد عنه قليلا . واستمر هذا التدني في عدد اليهود الالمان حتى نهاية الربع الأول من القرن العشرين . فبلغ معدل ما ينجبه الازواج اليهود (٢ , ٤) طفلا بين عامي ١٨٧٥ و ١٨٨٠ ، وانخفض هذا المعدل الى (١,٦٩) طفلا بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٢٦ . اما نسبة المواليد بين افراد الطائفة اليهودية الالمانية بين عامي ١٨٧٥ و ١٨٨٠ فقد بلغت

(١,٧) بالمئة وانخفضت الى (٠,٥٨) بالمئة بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٢٦[١] .

ولا شك ان تحرير اليهود وحصولهم على المساواة بالمواطنين الالمان كانا من العوامل التي ادت الى ذوبانهم في المجتمع الالماني وتخلي العديد منهم عن الديانة اليهودية واعتناق المذهب البروتستانتي، وبالتالي تناقص عددهم . فمن المعروف ان دوقية بادن Baden كانت أولى الامارات والممالك الالمانية التي منحت يهودها الحرية والمساوة عام ١٨٦٢ ، وتلتها مملكة فورتمبرغ Wuertemberg عام ١٨٦٤ . كما حصل اليهود في رابطة دول المانيا الشمالية Norddeutsche Bund على حريتهم ومساواتهم بالمواطنين الالمان في عام ١٨٦٩ . أي ان اليهود في الامارات والممالك الالمانية البروتستانتية المذهب قد حصلوا على حريتهم قبل يهود الامارات والممالك الالمانية الكاثوليكية المذهب . اذ لم يحصل يهود مملكة بافاريا Bayern على المساواة وحقوق المواطن الكاملة الا بعد قيام الوحدة الالمانية عام ١٨٧١ . وتضمن الدستور الالماني الاتحادي الصادر عام ١٨٧٢ هذه المساواة بين اليهود والمواطنين المسيحيين من الالمان . فكان تحرر اليهود ثمرة من ثمار النضال الالماني من اجل الوحدة القومية .

ورغم هذه المساواة التي نصت عليها القوانين الالمانية استمر عداء الالمان لليهود واتخذ مظهرا جديدا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر . واشتد هذا العداء في ظل الأزمة الداخلية الالمانية التي نجمت عن « الكفاح الثقافي .Kulturkampf » ضد الكاثوليك الذين اتهموا بالولاء المزدوج للدولة الالمانية والكنيسة الكاثوليكية . واتخذ هذا العداء شكلا منظما بقيام « عصبة اللاساميين Antisemiten Liga » على يد الهرمار Marr في برلين عام ١٨٧٩ ، مؤلف كتاب « اللاسامية Der Antisemitismus » . وكان مار اول من استعمل مصطلحي « اللاسامية » . و« القوة اليهودية العالمية Juedische Weltmacht » وفي العام نفسه كتب استاذ جامعي الماني هو هاينريش فون ترايتشكه Heinrich Von Treitschke مقالة بعنوان « كلمة عن اليهودية بيننا «Ein Wort Ueber Unser Judentum» في الكتاب البروسي السنوي لعام ١٨٧٩ Preussiche Jahrbuch تناول فيها الاسس العلمية للاسلامية . وحذر من هجرة اليهود المتزايدة من روسيا الى المانيا ، واعلن ان اليهود عنصر غريب في المانيا لا يريد ولا يستطيع ان يندمج في حياة البلاد . وانتشرت حمى العداء لليهود بين المعلمين والطلبة وموظفي الدولة والشركات الذين احسوا بمنافسة اليهود لهم في القطاعات التي يعملون فيها[٢] .

وردا على هذه الموجة من العداء لليهود بدأت اول محاولة لتنظيم يهود المانيا في جمعية محبة

١) Vital, David: The Origins of Zionism, pp. 28-9, Lichtheim, R.: Die Geschichte des Duetschen Zionismus, p. 92.

٢) Adler, H.G.: Die Juden in Deutschland, pp. 98-102, Thieme, Karl: Judenfeindenschaft, pp. 222-3

صهيون او هواة صهيون Hibbath Zion أو Hovevi Zion[٣] بعد مؤتمر كاتوفيتس Kattowitz الذي عقد في تشرين الثاني عام ١٨٨٤ في هذه المدينة البولندية التي كانت آنذاك تحت حكم المانيا . وتشكلت اول جمعية لمحبة صهيون في المانيا في برلين برئاسة سيجسموند زيمل Sigsmund Simmel[٤] .

ومع تعرض اليهود في روسيا لموجة من الارهاب والمذابح في اعقاب محاولة اغتيال القيصر الروسي اسكندر الثاني في الأول من آذار ١٨٨١ التي اشتركت فيها فتاةيهودية ، أخذ الآلاف يهاجرون الى المانيا والنمسا في طريقهم الى امريكا وفلسطين . واصدرت وزارة الداخلية الالمانية تعليمات مؤقتة عام ١٨٨٢ من اجل ترحيل اليهود الروس من البلاد[٥] . ولم ينقطع سيل المهاجرين اليهود من اوروبا الشرقية الى المانيا حتى بداية الحرب العالمية الاولى . واصبح وجودهم في المانيا من المشكلات الكبرى التي تواجهها الحكومة الالمانية . ومع تدفق سيل المهاجرين اليهود اشتدت حركة اللاسامية في المانيا . وفي اثناء ذلك ، نما الوعي بين اليهود الالمان ، وبخاصة في اوساط الشباب المثقف وتكونت جمعية بيوت بني بريت Bnei.-Brith Logen في برلين عام ١٨٨٢ ، كما تشكلت في عام ١٨٨٦ جمعية طلابية هي « فيادرينا Viadrina » في مدينة بريسلاو Breslau بهدف مكافحة اللاسامية وتنمية الوعي القومي بين اليهود . وتلاها تشكيل جمعية « اسرائيل الفتاة Jung - Israel » على يد الطالب اليهودي هاينريش لوفه Heinrich Loewe . وتأسست « جمعية العلماء اليهود الروس في برلين Russich-Juedisch Wissensch-aftler Verein» عام ١٨٨٩ فضّمت عددا من المفكرين امثال ليوموتسكين Leo Motzkin ونخمان سيركين Nachman Syrkin وشماريا ليفين Schmaryahn Levin وفيكتور جاكوبسون Victor Jacobson وحاييم وازمان Chaim Weizmann . ونما عدد هذه الجمعيات العلمية والطلابية حتى تشكل في عام ١٨٩٢ « اتحاد الطلبة اليهود في المانيا Verein Juedischer Studenten in Deutschland[٦] . وكان اول من بدأ النشاط الصهيوني المنظم استاذ القانون في جامعة كولون ماكس بودنهماير الذي اصدر في عام ١٨٩١ كتابا بعنوان « اليهود الروس الى اين ؟ Wohin mit den Russischen Juden » اقترح فيه تهجير اليهود

جريس، صبري : تاريخ الصهيونية ، ج ١ ، ص ٤٧ - ٤٨ .

٣) انشئت جمعية محبة صهيون في روسيا عام ١٨٨١ من اجل تنظيم هجرة اليهود الى فلسطين ، واتسع نشاطها فشمل جميع دول اوروبا الشرقية والوسطى ، جريس ، صبرى : تاريخ الصهيونية ، ج ١ ، ص ١٠١ - ١٤٣ .

٤) Vital, David. : op. cit., pp. 223-5.

Sokolow, N.: Hibbath Zion, pp. 261-2

٥) Adler, H.G.: op. cit., p. 112.

٦) Friedman, I.: Germany, Turkey and Zionism, p. 14.

Lichtheim, Richard: op. cit., pp. 14, 103.

الروس الى فلسطين وسورية للاستقرار فيها . وسعيا الى تنظيم اليهود لمكافحة العداء للسامية تشكل « الاتحاد المركزي لليهود الالمان Centralverein deutscher Staatbuerger Juedischen Glaubens عام ١٨٩٣ ، فضم قادة اليهود من مختلف الجمعيات والاتجاهات(٧) . وفي العام نفسه اسس ماكس بودنهايمر Max Bodenheimer الاستاذ في جامعة كولون « جمعية كولون لتنمية الزراعة والصناعات اليدوية في فلسطين Koelner Verein Zur Foerderung von Ackerbau und Handwerk in Palaestina فقامت بنشاط واسع في المانيا . واقامت صلات مع جمعية محبة صهيون في انكلترا . ثم ما لبثت ان اتخذت اسما جديد هو « جمعية كولون القومية اليهودية National- Juedische Vereinigung Koeln ونشرت برنامجها في مطلع عام ١٨٩٧ ، ويتلخص في النقاط الثلاث التالية :

١ ـ يرتبط اليهود في العالم برباط الأصل الواحد والماضي المشترك . وهم بذلك يؤلفون « كيانا قوميا » لا يتعارض ووطنيتهم ولا يعيق قيامهم بواجباتهم الوطنية نحو بلدان اقامتهم بوجه عام ونحو المانيا بوجه خاص .
٢ ـ لقد اثبتت التجربة ان التحرر الوطني لم يضمن المستقبل الاجتماعي والثقافي للشعب اليهودي . ولذلك فان الحل النهائي للمسألة اليهودية هو في اقامة دولة يهودية تمثلهم وتضمن ملجأ لغير المرغوب فيهم والذين يتعذر عليهم الاقامة في موطن اقامتهم .
٣ ـ ان ايقاظ الوعي اليهودي وممارسة العمل في فلسطين خطوتان ضروريتان لتحقيق هذا الهدف(٨) .

وعقد اليهود الالمان مؤتمرا في مدينة بنجن Bingen في ١١ تموز عام ١٨٩٧ أسفر عن انشاء « الاتحاد الصهيوني في المانيا Zionistische Vereinigung fuer Deutschland » وذلك قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول بنحو شهر ونصف الشهر(٩) .

وفي هذه الاثناء انتقلت مجلة كاديما Kadimah الناطقة بلسان رابطة الطلبة اليهود النمساويين والتي كان يصدرها ناتان بيرنباوم Nathan Birnbaum (١٨٦٤ ـ ١٩٣٧) من فينا الى برلين عام ١٨٩٤ . وكانت هذه المجلة تدعو الى صهيونية تقدمية وتنادي بدمج اليهود في المجتمعات الاوروبية الغربية(١٠) . وبذلك اصبحت المانيا مرتعا خصبا للنشاط الصهيوني .

---

٧) Friedman, I.:op. cit., p. 11.
Lichtheim, R.: op. cit., p. 93,111.
٨) Bodenheimer, H.H.: The Memoirs of Max I. Bodenheimer, pp. 85-6
Lichtheim, R.: op. cit., pp. 134-5.
٩) Friedman, I.: op. cit., p. 18.
١٠) Adler, H.G.: op. cit., p. 112, Sokolow, N.: op. cit., pp. 380-6.

المساعي الصهيونية لنيل الدعم والحماية الالمانية :

كانت اول محاولة قام بها اليهود لنيل تأييد المانيا لاطماعهم في فلسطين المذكرة التي تقدموا بها الى المستشار الالماني اوتو فون بسمارك Otto Von Bismarck ، اثناء انعقاد مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ ، والتي تتضمن دعوة الدول الاوروبية المشاركة في المؤتمر الى انشاء دولة يهودية في فلسطين . وكان رد المستشار الالماني عليها سلبيا اذ قال : « انها فكرة حمقاء[١١] .

غير ان موقف بسمارك هذا لم يحل دون اقدام الصهاينة على محاولة أخرى بعد ثماني عشرة سنة . اذ بعث ثيودور هرتسل Theodor Herzl الصحفي اليهودي النمساوي بنسخة من كتابه « الدولة اليهودية Der Judenstaat » الذي صدر عام ١٨٩٦ الى بسمارك مرفقة برسالة استعطاف جاء فيها :

« اضع بين ايديكم مشروعي حول تأسيس دولة يهودية في فلسطين للتصرف والبت فيه ، اذ انكم بقبضتكم الفولاذية وارادتكم الحديدية تمكنتم من توحيد المانيا المجزأة ، واذا ارتأيتم واقعية مشروعي فستكون هذه الدولة من أخلص حماة مصالحكم في المنطقة »[١٢] .

لقد كان بسمارك خارج الحكم آنذاك ، ولا نعرف ماذا كان رده على رسالة هرتسل هذه . اقترح هرتسل في كتابه السابق الذكر حلا للمسألة اليهودية يقول بقيام كيان سياسي يهودي « في فلسطين او في منطقة ما على وجه الأرض » . وادرك ان الهدف الذي يسعى اليه لن يتحقق الا بمعونة دولة او عدة دول كبرى . وتأكد هذا الاتجاه في المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقد في مدينة بازل السويسرية بين ٢٩ و ٣١ آب ١٨٩٧ . وكان الاندفاع الاستعماري الالماني نحو الشرق فرصة لا تعوض بالنسبة الى هرتسل والمنظمة الصهيونية العالمية التي يرئسها (والتي كانت من ثمار المؤتمر الصهيوني الأول) . لذلك اتجهت انظاره نحو الامبراطورية الشابة لاسباب عدة منها ثقافة هرتسل الالمانية وكون اغلبية قادة الحركة الصهيونية من اليهود الالمان من جهة والعلاقات الوطيدة بين المانيا والسلطنة العثمانية . ناهيك عن قدرة المانيا العسكرية والاقتصادية واطماعها الاستعمارية في العالم ، وتطلعها الى الحصول على نصيب مناسب من المستعمرات في آسيا وافريقيا . وكان هرتسل يدرك جيدا اتجاه السياسة الالمانية الجديدة « الزحف نحو الشرق »[١٣] .

---

١١) Lichteim, R.: op. cit., p. 37.

١٢) Wahlinowski, T.: Die Deutsche Bundes Republik Isreael und Poland, p. 5.
انغرامز : دورين : اوراق فلسطين ، ص ١٦ ـ ٢٥ .

١٣) Blumenfeld., K.: Erlebte Judenfrage, p. 87.

ولذلك سعى هرتسل منذ البداية ان يقدم الحركة الصهيونية كعميل للامبريالية . جاء في كتابه « الدولة اليهودية » ما يأتي :

« لو اعطانا صاحب الجلالة السلطان فلسطين ، فبوسعنا أن نتعهد له ، بالمقابل ، بتنظيم امور تركيا المالية . وسوف نقيم سورا دفاعيا لأوروبا في آسيا ومركزا حضاريا ضد البربرية »(١٤) .

عهد هرتسل الى صديقه فورت Furth اليهودي المتنصر بترتيب موعد له مع القيصر الالماني فيلهلم الثاني(١٥) . وشجعه صديقه القس البريطاني وليم هشلر William Hechler الذي كان مربيا في بلاط فريدريش الأول دوق بادن الكبير Friedrich I Grossherzog von Baden قريب القيصر الالماني ، على نقل افكاره الى بعض الامراء الالمان والى القيصر نفسه . وتمكن هشلر من ترتيب لقاء مع دوق بادن الكبير في ٢٣ نيسان ١٨٩٦ في كارلسروه Karlsruhe(١٦) . قال هشلر للدوق في محاولة لاثارة اهتمامه بالمشروع الصهيوني : « كنت يا صاحب السمو اول أمير الماني ذعا في فرساي لتنصيب الملك فيلهلم امبراطوراً فما رأيك بأن تلعب دورا في انشاء عظيم لدولة تقوم في هذا القرن ايضا ، لأن اليهود سيكونون أمة عظيمة »(١٧) . ونجح مسعى هشلر وقابل هرتسل دوق بادن يوم ٢٣ـ نيسان ١٨٩٦ وقد سجل هرتسل هذه المقابلة في يومياته كما يأتي :

« لقد اهتم دوق بادن الكبير باقتراحي بان تقوم دولة منذ البدء . وكان الشيء الوحيد الذي يخشاه من مساندة القضية هو ان يساء فهم هذه المساندة وينظر اليها كعمل مناهض للسامية فطمنته ان الذين سيذهبون من اليهود هم فقط الفئة التي تريد الذهاب . فاليهود مثلا الذين في بادن راضون عن حكمه ولن يهاجروا ولهم حق في ذلك . وكنت اثناء حديثي معه اعود بين الوقت والآخر الى موضوع صداقته لليهود لأقنعه بأنه اذا ساعد قضيتنا فلن يبدو ذلك معاديا لليهود ابدا . وانه من واجبنا ، نحن الزعماء اليهود ، أن نقنع الشعب ان تأسيس دولة يهودية هو من صالح

---

١٤) Herzl, Th.: Der Judenstaat, p. 30.

١٥) Brude-Fernau, G.: Vision und Politik, Die Tagebuecher Theodor Herzl P. 101.

هرتزل : يوميات هرتزل ، ص ٢١ ـ ٢٢ .

١٦) هرتزل : يوميات هرتزل ص ٢٢ ـ ٢٣ .

Vital, D.: op. cit, p. 284.

١٧) هرتزل : يوميات هرتزل ، ص ٢٣ .

Vital, D.: op. cit., pp. 79-80.

Friedman, I. op. cit., p. 56.

Lowenthal, M.: The Diaries of Theodor Herzl, p. 115-6.

اليهود وليس اضطهادا لهم . وأضفت : اذا انتشر خبر معاملتك الحسنة لليهود فسوف ينهال على دوقية سموكم عدد كبير منهم مما قد لا تحمد عقباه » . ويبين هرتسل للدوق الفوائد التي تجنيها اوروبا من قيام الدولة اليهودية بقوله : « سنرجع الصحة الى مركز الوباء في الشرق . سنبني سككا حديدية في آسيا ، ونشق الطريق للأمم المتحضرة . وهذه الطريق لن تكون في دولة كبيرة واحدة بل للجميع »(١٨) .

كان حديث هرتسل لدوق بادن انموذجا للدبلوماسية الصهيونية خلال السنوات العشرين الأولى من تاريخها . كان الهدف اقناع المسؤولين الالمان بان الحركة الصهيونية والدولة التي ستنشئها ستكونان اداة طيعة في أيديهم . وان من مصلحة المانيا القومية انشاء الدولة اليهودية في فلسطين والتحالف مع الحركة الصهيونية . وان تهجير اليهود من المانيا الى فلسطين سيكون في صالح المانيا للتخلص من مشكلة خطيرة اصبحت منذ مطلع الثمانينات تلقي بثقلها على الحياة الداخلية في المانيا ، وتثير ردود فعل شديدة في مختلف الاوساط الاجتماعية الالمانية ، بعد ان اشتد ساعد حركة العداء للسامية .

واثناء سعي هرتسل الى عقد المؤتمر الصهيوني الأول اتجهت النية الى عقده في المانيا . وكتب الى ماكس بودنهايمر احد زعماء الحركة الصهيونية في مدينة كولون في ٢٤ نيسان ١٨٩٧ يطلب رأيه في الموضوع . واتفق الرأي على عقد المؤتمر في ميونخ فاذا تعذر ذلك عقد في زيوريخ في سويسرا(١٩) . غير ان معارضة اليهود الالمان وبخاصة الاتحاد المركزي لليهود الالمان Centralve-rein deutscher staatbuerger juedischen glaubens حالت دون ذلك(٢٠) . ومن الجدير بالذكر انه عندما بلغت متصرف القدس في ايار ١٨٩٧ أنباء تقول بان النية تتجه الى عقد مؤتمر يهودي في ميونخ في صيف ذلك العام ، استدعى اليه القنصل الالماني العام في المدينة المقدسة وسأله عن حقيقة الامر ، فاكد له القنصل ان الدعوة الى اقامة دولة يهودية ، كما وردت في كتاب هرتسل «الدولة اليهودية» ، دعوة خيالية بعيدة عن الواقع . واعرب المتصرف من جانبه عن قلقه من هذه الانباء كما بين للقنصل خطورة الهجرة اليهودية الى فلسطين(٢١) .

---

١٨) هرتزل : يوميات هرتزل ، ص ٢٣ ـ ٢٥ .

Vital, D.: op. cit., pp. 83-5.

Friedman, I.: op. cit., p. 57, Lowenthal, M.: op. cit., p. 118.

١٩) Brude-Fernau, G.: op. city, p. 115.

٢٠) المصدر نفسه ، ص ١١٨ .

Vital, D.: op. cit., p. 331.

٢١) Mandel, Neville,: Turks, Arabs and Jewish Immigration into Palestine(1882-1914), in «Middle Eastern Affairs, No. 4. St. Antony's Papers. No. 17». p. 87.

وبعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول كتب الوزير المفوض الالماني في بيرن الهر فون تاتنباخ Von Tattenbach تقريرا مفصلا عنه . وعرض رأيه في المشروع الصهيوني مبينا ان انتشار الوعي القومي بين اليهود الالمان قد يؤدي الى حرب دينية داخلية Kultur Kampf . وقد قرأ القيصر الالماني هذا التقرير وعلق عليه بالعبارة التالية : « دع اليهود يذهبون الى فلسطين ، وكلما اسرعوا في الهجرة كلما كان افضل . ولن أضع اية عراقيل في طريقهم »[٢٢] . ولا شك ان رأي القيصر هذا كان الرأي السائد لدى كافة المسؤولين في دول اوروبا الوسطى والغربية التي شهدت هجرة آلاف اليهود من روسيا وبولندا ورومانيا خلال هذه الفترة .

اما هرتسل فقد بدأ نشاطه فور انتهاء المؤتمر الصهيوني الأول . وعاد الى الاتصال بدوق بادن الكبير في قلعة مايناو Mainau في الثاني من ايلول عام ١٨٩٧ . فابلغه الدوق ان الحكومة الالمانية على اتصال بالحكومة العثمانية لتتعرف على وجهات نظرها في الحركة الصهيونية ، وانها تسعى الى الضغط على السلطان العثماني لينظر الى الحركة بمنظار معقول ، وان السفير الالماني فون مارشال بيبر شتاين ـ Von Marschall Bieberstein قد كلف بمتابعة الموضوع مع الباب العالي. كما أعلمه الدوق انه قدم للقيصر الالماني تقريرا مفصلا عن الحركة الصهيونية ، وان القيصر كلف الامير فيليب اويلنبورغ Graf Philip zu Eulenburg السفير الالماني في فينا بدراسة التقرير وتلخيصه. ولعل هذه المقابلة هي التي جعلت هرتسل يعلق آمالا واسعة على زيارة القيصر فيلهلم الثاني لاسطنبول وفلسطين التي كان من المقرر ان تتم في تشرين الأول ١٨٩٨[٢٣] .

وكان لوساطة دوق بادن اثرها الايجابي . فقد تلقى هرتسل برقية من اويلنبورغ في ١٤ أيلول ١٨٩٧ يطلب منه الحضور الى العاصمة النمساوية ويحدد له موعدا للقاء في السفارة الالمانية في فينا ، وذلك بمناسبة قدوم القيصر الالماني للمشاركة في جنازة القيصرة النمساوية . وتمت المقابلة صباح يوم ١٦ أيلول وسأل اويلنبورغ هرتسل عما يريد من القيصر . فاجابه بأنه يريد وساطة القيصر لاقناع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني بضرورة التفاوض مع المنظمة الصهيونية العالمية لمنح اليهود استقلالا ذاتيا Autonomie في فلسطين . وطلب هرتسل من اويلنبورغ ان يسمح له بالسفر في قطار القيصر حتى يتمكن من الحديث اليه اثناء عودته من فينا الى برلين . فما كان من اويلنبورغ الا ان عرض على هرتسل مقابلة وزير الخارجية الالماني فون بيلوف Von Buelow . وتمت المقابلة في السفارة الالمانية في فينا في اليوم التالي . ودار الحديث حول

---

٢٢) A.A. Akten, Europa Generalia, Nr. 84, K694/ KI-81250-60
A.A., P.A., Tuerkei 195, Juden in Tuerkei, K692/K175903-10.

٢٣) Brude - Fernau, G.: op. cit., pp. 134-5.
Muenz, S.: Prince Buelow, pp. 102-3.
Buelow, B. Von: Memoirs, pp. 249-50.

الصحف اليهودية في المانيا وحول العداء الالماني لليهود. ولم يسمح فون بيلوف لهرتسل بعرض المشروع الصهيوني . اذ قطع عليه الحديث بقوله ان المشروع الصهيوني لن يجذب سوى فقراء اليهود العاجزين عن اقامة دولة في فلسطين أو استعمارها . غير ان بيلوف وعده بترتيب مقابلة له مع القيصر(٢٤) .

ولما فشل هرتسل في اقناع بيلوف اتجه نحو اويلنبورغ وقدم اليه مذكرة يبرر فيها المشروع الصهيوني بما يخدم مصالح المانيا والقيصر . اذ اكد فيها على ان الحركة الصهيونية ستخفف من خطر الحركة الاشتراكية التي يتزعمها اليهود في كثير من الدول الاوروبية ، وان تهجير اليهود من المانيا واوروبا سوف يضعف من تيار العداء لليهود . كما بين في هذه المذكرة الفوائد التي زعم بان الدولة العثمانية ستجنيها من الهجرة اليهودية مثل هجرة عناصر اوروبية نشيطة الى اراضيها وتحويل الاموال اليهودية اليها والتي ستساهم في تحسين اوضاعها المالية ، ونقل النظام والحضارة من اوروبا الى منطقة مغمورة في الشرق ، وبناء خط حديدي يصل ساحل البحر الابيض المتوسط بالخليج العربي وابعاد المنطقة عن النزاع بين الدول الاوروبية الكبرى(٢٥) .

وفي الثاني من تشرين الأول ١٨٩٨ تلقى هرتسل رسالة من اويلنبورغ يبلغه فيها بموافقة القيصر على مقابلة هرتسل في القدس عند زيارته لها(٢٦) . وعاش هرتسل اياما يجتر احلام اللقاء الموعود . وكتب رسالة الى دوق بادن يقول فيها :

« أليس غريبا هذا التطور في الحوادث الذي جرى في الشرق منذ حظيت منذ سنتين بالسماح لي بأن اقدم الحركة الصهيونية في كارلسروه . لقد تحولت سياسة المانيا في اتجاه شرقي ، ورحلة القيصر الى القدس ترمز الى اكثر من معنى . ولهذا فانا متأكد اكثر من أي وقت آخر أن حركتنا ستنال المساعدة . ولذلك كنت انتظر هذه المساعدة بصبر طيلة السنتين الماضيتين . وانه لواضح الآن ان تقرير أقصر طريق الى آسيا من قبل عنصر قومي محايد ، له قيمة خاصة بالنسبة الى سياسة المانيا في الشرق . ولكن ما هو هذا العنصر ؟ هو ذلك الذي يكون عن حاجة وهو الذي يندفع في كل مكان تقريبا الى احضان الاحزاب الثورية »(٢٧) .

---

٢٤) Lowenthal, M.: op. cit., pp. 235-237.

٢٥) Herzl, Th.: The Complete Diaries, Vol, II, pp. 661-4.
Brude-Fernau, G.: op. CIT., P. 129.

٢٦) Brude-Fernau, G.: op. cit., p. 136
Lowenthal, M.: op. cit., pp. 242-4.

٢٧) هرتزل : يوميات هرتزل ، ص ٦٤ .

وذهب الى ابعد من ذلك فبعث برسالة الى القيصر نفسه مليئة بعبارات التزلف والتبجيل مكررا فيها الحجج والمبررات التي ساقها في احاديثه ورسائله الى دوق بادن والى اويلنبورغ . يقول في رسالته هذه :

« دعني اوضح نقطة واحدة من نقاط كثيرة تدعم فكرة الصهيونية: وهي ان العنصر الحضاري الذي يمكنه ان يحتل فلسطين هو اليهود . ان البلاد افقر من ان تجذب غيرهم . اما بالنسبة الينا فانها غنية بالذكريات وبالآمال . وفلسطين يجب ان تحتل لأنها الطريق الى اوفير والى كياشو . واذا حصل ما هو مستحيل ، ان بدت البلاد جيدة في أعين غير اليهود ، فان الغيرة ستدب بين الامم . واني أرى أن اوروبا مستعدة لأن تشجع اليهود على الاحتلال اكثر من غيرهم وربما كان هذا التشجيع ليس لأن لهم الحق التاريخي الذي يضمنه لهم أقدس كتب البشرية ، وانما بسبب الشعور السائد في كل مكان ، شعور العمل على اخراج اليهود .

ستذهب ، يا صاحب الجلالة ، الى فلسطين . وسيكون لموكبكم عظمة رمزية . وستذهل هذه الرحلة أهل الشرق ، وتقلق بال أهل الغرب . غير اننا اذا نظرنا مليا في الأمر نجد ان هذه الرحلة الامبراطورية الجديدة الى صهيون ستترك أثرا لا يمحى في التاريخ اذا كان لها علاقات مع الحركة الصهيونية الجديدة .

منذ وقت وأنا أشعر ان المساعدة ستأتينا من جلالتكم . يستطيع جلالتكم أن يأمرني متى اراد ، وليكن ذلك قريبا . ان من صالح القضية أن أعرف بقبولك طلبي قبل ذهابك الى فلسطين وقبل انعقاد المؤتمر الثاني في بازل . على أن الانسان أمام مشاريع كهذه يجب ان يكون صاحب صبر وطول أناة »[٢٨] .

وانعقد المؤتمر الصهيوني الثاني في بازل بين ٢٨ و ٣١ آب ١٨٩٨ . وبرزت فيه خلافات بين هرتسل ومؤيديه من جهة وبين معارضيهم من الصهيونيين الروس من جهة اخرى ، حول اسلوب العمل الصهيوني . فقد كان هرتسل يرى انه يتوجب على الحركة الصهيونية ان تسعى قبل كل شيء الى الحصول على ضمانات سياسية او اعتراف علني من قبل دولة او مجموعة من الدول الاوروبية الكبرى ، بسيادة المنظمة الصهيونية على منطقة ما (وليس فلسطين بالضرورة) ، وحقها في اقامة دولة لليهود فيها . وبعد ذلك تبدأ عملية نقل اليهود من بلدانهم وتوطينهم فيها . وعرف هذا الاتجاه « بالصهيونية السياسية » . اما معارضو هرتسل فكانوا يطالبون بتشجيع الاستيطان في فلسطين مهما كانت الظروف ، والسعي ، في الوقت نفسه ، الى الحصول على

٢٨) هرتزل : يوميات هرتزل ، ص ٦٥ .

ضمانات دولية لاقامة دولة يهودية فيها . وعرف هذا الاتجاه « بالصهيونية العملية »(٢٩) . واحتدم الخلاف بين الفريقين حتى وفاة هرتسل عام ١٩٠٤ .

واثمرت مساعي هرتسل فتلقى دعوة من الأمير اويلنبورغ لمقابلته في برلين . وتمت المقابلة في ٧ تشرين الأول ١٨٩٨ ، وابلغه اثناءها تأييد القيصر للمشروع الصهيوني ورغبته في مقابلة وفد صهيوني في القدس عند زيارته للمدينة المقدسة(٣٠) . وانتعشت آمال هرتسل وجمح به الخيال الى قيام محمية المانية يهودية في فلسطين وكتب في هذا الصدد :

« دولة تحت الحماية ! قد لا يرضى بها كثيرون ، ولكن السبيل الصحيح هو ان نقبل بها شاكرين ، ما دامت قد قدمت لنا الآن . اذ من المؤكد انه ليس هنا احد يحلم بملكية طالما أني انا لا افكر بها . ان نعيش تحت حماية المانيا القوية العظيمة ذات الحكم المنظم لن يكون له الا افضل الأثر على الخلق اليهودي القوي . كذلك فاننا بضربة واحدة نستطيع ان نتوصل الى منزلة قانونية منظمة على الصعيدين الداخلي والخارجي ، لأن سيطرة الباب العالي وحماية المانيا لا بد ان يعطيانا ضمانا قانونيا كافيا . » واستطرد يتغزل بالمانيا : « ستمكن الصهيونية اليهود من حب المانيا ثانية ، المانيا التي ظلت قلوبنا متعلقة بها بالرغم من كل شيء . »(٣١) .

وتلقى هرتسل تطمينات اخرى من دوق بادن عند زيارته له في ٩ تشرين الأول ١٨٩٨ ، اذ أبلغه ان القيصر متحمس للمشروع الصهيوني . وكانت اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية قد قررت ارسال وفد الى الشرق لمقابلة القيصر والاستفادة من زيارته . وتألف الوفد برئاسة هرتسل وعضوية التاجر دافيد فولفسون David Wolfsohn واستاذ القانون ماكس بودنهايمر Max Bodenheimer والمهندس يوسف زايدنر Joseph Seidener والطبيب موزس شنيرر Moses Schnirer(٣٢) .

وسافر الوفد الصهيوني في ١٤ تشرين الأول الى فلسطين عن طريق الاستانه(٣٣) ، يحدوه الامل في ان ينجح القيصر الالماني في اقناع السلطان العثماني بقبول المطالب الصهيونية . ووصل العاصمة العثمانية في اثناء وجود القيصر فيها . وطلب فور وصوله مقابلة القيصر وكتب اليه يبين

---

٢٩) جريس ، صبري : تاريخ الصهيونية ، ج١ ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .

٣٠) هرتزل : يوميات هرتزل ، ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

Brude-Fernau, G.:op. cit., p. 140.

٣١) هرتزل : يوميات هرتزل ، ص ١٠٨ .

٣٢) Bodenheimer, Max: So Wurde Israel., pp. 94-5. Polkehn , K.: Zionism and Kaiser Wilhelm, in Journal of Palestine Studies, Vol. IV, No. 2, 1975, p. 78 Lowenthal, M. op. cit., p. 261

٣٣) هرتزل : يوميات هرتزل ، ص ١١٢

ان لقاءه بوفد صهيوني في فلسطين لن يحدث أية ردود فعل معادية في اوروبا : « فرنسا تعاني ضعفا داخليا لذلك لا تستطيع ان تتحرك . واما روسيا فان الحل الصهيوني للمسألة اليهودية يعني راحة كبيرة لها ، وفوق هذا فان مشكلة الاراضي المقدسة سوف تذهب . كذلك ليس هناك مجال للخوف من رفض الانكليز لأن الكنيسة الانكليزية الى جانبنا » . ويضيف الى ذلك : « كل شيء يعتمد على السماح لاقامة شركة يهودية للاراضي في سورية وفلسطين تحت حماية المانيا يكفي في الوقت الحاضر . »[٣٤] .

وفي ١٨ تشرين الأول تمت مقابلة هرتسل للقيصر في الاستانة . وعرض عليه حججه التي تدعم مشروعه الاستعماري في فلسطين تحت الحماية الالمانية . ولما طلب منه القيصر ان يحدد مطلبه الفوري قال : « شركة قانونية تحت الحماية الالمانية . »[٣٥] . ووافق القيصر في هذا اللقاء على ان يقابل الوفد اليهودي برئاسة هرتسل في فلسطين وعلى ان يلقي هرتسل خطابا في حضرة القيصر في المقابلة نفسها . وقدم هرتسل صيغة ذلك الخطاب الى القيصر في اليوم نفسه . اما فحوى الخطاب فيدور حول تعلق اليهود بفلسطين وقيام الحركة الصهيونية الرامية الى بعث الشعور القومي عند اليهود والتي وضعت في مؤتمر بازل منهاجا لها يهدف الى انشاء وطن قومي لليهود يحميه القانون الدولي . ويؤكد في هذا الخطاب على ضرورة قيام شركة يهودية في سورية وفلسطين تحمل على عاتقها مهمة تنفيذ المشروع الصهيوني تحت حماية القيصر الالماني[٣٦] .

واثناء لقاء القيصر بالسلطان العثماني تحدث القيصر بشيء من الحماس عن اماني اليهود في فلسطين . ولكنه فوجيء بفتور شديد من جانب السلطان الذي سار بالحديث نحو موضوعات أخرى . وبذلك وجد القيصر صعوبة في الحديث مرة اخرى عن هذا الموضوع[٣٧] .

أما هرتسل فقد سافر من اسطنبول الى الاسكندرية بحرا ، ومنها الى يافا فالقدس . والتقى بالقيصر الالماني على ابواب مستعمرة مكفه اسرائيل Mikweh Israel في ٢٩ تشرين الثاني ١٨٩٨ ، حيث اصطف هرتسل مع كبار الحاخامين وتلامذة المدارس العبرية الذين انشدوا للقيصر ترحيبا باللغة الالمانية مطلعه : مرحبا بك يا حامل تاج النصر Heil Dir in Siegenkrone «[٣٧] . وكان

---

٣٤) المصدر نفسه ص ١١٣ ـ ١١٤ — Friedman, I.: op. cit., p. 75-6.

٣٥) هرتزل : يوميات هرتزل ، ص ١١٤ ـ ١١٦ .

Lowenthal, M.: op. cit., pp. 262-273.

Brude-Fernau, G.: op. cit., p. 149-151.

٣٦) هرتزل : يوميات هرتزل ، ص ١١٦ـ ١١٨ .

Brude-Fernau, G.:op. cit., pp. 151-156.

٣٧) Friedman, I. op. cit., p. 77.

لقاء خاطفا[٣٨] . وقد سجل هرتسل في يومياته هذا اللقاء بالعبارات التالية :

« (قال القيصر) : ان للبلاد مستقبلا . قلت : انها في الوقت الحاضر ما تزال مريضة . قال : انها بحاجة الى الماء ، كثير من الماء . أجبت : نعم يا صاحب الجلالة ، ري على نطاق واسع فكرر قائلا : انها بلاد ذات مستقبل . وربما قال بعض أشياء اخرى لم اسمعها لأنه توقف معي لعدة دقائق . ثم مد يده ثانية ومضى على حصانه[٣٩] .

وتم استقبال القيصر الالماني للوفد الصهيوني في خيمته في القدس في الثاني من تشرين الثاني ١٨٩٨ . والقى هرتسل خطابه ورد عليه القيصر بعبارات موجزة جاء فيها : « ان المسألة تحتاج الى مجهود اضافي ودراسة مستفيضة . . . ان مجيئي الى القدس الشريف لم يكن مبنيا على غايات سياسية وانما لأنني كنت اود زيارة هذه المدينة المقدسة التي مات فيها المسيح . »[٤٠] . اما هرتسل فقد سجل في يومياته فحوى الحديث الذي دار بينه وبين القيصر في اعقاب إلقاء خطابه كما يلي :

« قال القيصر ما يلي : اشكركم على هذا الاتصال بي الذي اثار اهتمامي كثيرا . والمسألة على كل حال تحتاج الى دراسة تامة طويلة . ثم تحدث عن المستعمرات فقال : ان المستعمرات التي رأيتها الالمانية منها وتلك التي انشأها شعبكم ، تبين تماما ما يمكن عمله بخصوص الارض . والبلاد تتسع للكل . عليكم ان تؤمنوا الماء والاشجار . ان عمل المستعمرين هو حافز ومثل لأهل البلاد . وحركتكم هذه التي اعرف عنها الكثير فيها رأي صائب . »[٤١] .

لقد انتهى لقاء القيصر بالوفد الصهيوني دون ان يحصل الأخير على وعد بدعم المشروع الصهيوني في فلسطين . وقد لخص هرتسل نتيجة اللقاء بهذه العبارة : « لم يقل نعم ولا قال لا . يبدو أن امورا كثيرة تحدث في الخفاء[٤٢] » .

---

٣٨) الاسود ، ابراهيم : الرحلة الامبراطورية في الممالك العثمانية ، ص ١٢٨ .

٣٩) هرتزل : يوميات هرتزل ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

Lowenthal, M.: op. cit., p. 281-2.

Brude-Fernau, G.: op. cit., pp. 159-160.

٤٠) Friedman, I.: op. cit., p. 77, Brude-Fernau, G.: op. cit., p. 161-2.

٤١) هرتزل : يوميات هرتزل ، ص ١٢١ .

Brude-Fernau,G.: op. cit., pp. 159-162.

Bodenheimer, Max: So Wurde Israel, p. 104.

Herzl, Th.: The Complete Diaries, Vol. II, pp. 754-7, 767,

Lowenthal, M.: Op. 292-3.

٤٢ Brude-Fernau, G.: op. cit., p. 163.

والواقع ان برنهارد فون بيلوف Bernhard von buelow وزير خارجية المانيا الذي رافق القيصر في هذه الزيارة ، قد اتى في مذكراته على الموضوع . وذكر ان احمد توفيق ، وزير الخارجية العثماني الذي رافق القيصر في زيارته للقدس قد قال له : « لا علاقة للسلطان بالصهيونية وليس لنا أي اهتمام بانشاء دولة يهودية في فلسطين » . وعلق فون بيلوف على ذلك بقوله : « كان هذا الايضاح من جانب وزير الخارجية العثماني كافيا لأن يفقد قيصر المانيا بقية الآمال لديه في مساعدة اليهود »[٤٣] .

غادر هرتسل ارض فلسطين في الخامس من تشرين الثاني عام ١٨٩٨ . وعلى ظهر الباخرة التي أقلته الى نابولي كتب في ٢٩ تشرين الثاني رسالة شكر الى دوق بادن الاكبر مجددا مطلبه في « تأسيس شركة للاراضي على نمط الشركة القانونية او شركة الهند الشرقية » ومؤكدا له ان لا صعوبات تعترض تحقيق هذا المشروع[٤٤] .

ورغم ادراكه للاسباب التي تحول دون دعم المانيا للمشروع الصهيوني ، واصل هرتسل مساعيه لحمل المانيا على التخلي عن موقفها المتردد . وكتب في ١٥ كانون الأول ١٨٩٨ رسالة الى دوق بادن يعرض عليه مخططا جديدا وبصورة مفصلة :

« يبقى السؤال : كيف يمكن توطيد الحماية الالمانية بدون دخان ونار ، لأني على ما اعلم جيدا ، لاتستطيع المانيا ولا تريد ان تتدخل في امور لا تعرف نتائجها من اجل قضيتنا ، مهما كانت هذه القضية انسانية . على اننا نستطيع ان نقترح ، الآن ، طريقة غير علنية لهجرة اليهود تحت الحماية الالمانية بصورة تدريجية ومنظمة بحيث لا يكون هناك مجال للاعتراض اذا سارت الامور بحذر .

هذا هو انشاء شركة الاراضي اليهودية في سورية وفلسطين التي ذكرتها في خطابي في القدس والتي يشترط ان يكون مقرها في المانيا . مثل هذه الشركة تخضع للقانون المدني ، وكل الاتفاقات التي تجري بين الحكومة الالمانية وزعماء حركتنا ينبغي ان لا تتسرب الى الخارج . وكل ما يطلب من الحكومة التركية هو ان تبطل قانون منع الهجرة . . . . وعلى كل حال سوف نؤسس الشركة اليهودية للأراضي في المستقبل القريب لأننا سنحتاج بالتأكيد الى هذه الوسيلة لمواجهة تطورات المستقبل . هذا وانني اسير الآن في الامر بتمهل ، لأنه حتى في مراحل ما قبل التأسيس يجب ان نتوصل الى حماية شركة الاراضي في المستقبل » .

وينتقل بعد ذلك الى موضوع الحماية على فلسطين محاولا اثارة اهتمام الدوق بالموضوع بعد

---

٤٣) Buelow, B.Von.: Memoirs, Vol. II, p. 250.

٤٤) هرتزل : يوميات هرتزل ، ص ١٢٣ ـ ١٢٥ .

الا يشير الى احتمال طلب الحماية الانكليزية :

« السؤال هو : هل نحصل على حماية المانية او انكليزية ؟ أما حماية أية دولة غير هاتين فلا نفكر فيها الآن ابدا . ان حركتنا اليوم مهيأة لتقبل الحماية الالمانية . منذ ان حظيت بالاتصال بسموكم وانا افكر ـ وهذا يرجع الى اهتمامي بالمانيا بسبب ميولي الثقافية وكوني أديبا المانيا ـ بأنه يجب ان نجتهد اكثر حتى نحصل على حماية الامبراطورية الالمانية والقانون الالماني . فهناك اتجاه في سياسة المانيا للحصول على موطىء قدم في الشرق، وهناك اهتمام صاحب الجلالة القيصر بأرض أجدادنا اهتماما دينيا وسياسيا . وأخيرا الحقيقة القائمة وهي تأثير المانيا على تركيا . الذي اصبح متغلبا اليوم . كل هذه الامور تسند وجهة نظري في ان الحماية الالمانية هي التي نريدها لحركتنا لا الحماية الانكليزية التي يريدها البعض . واليوم اصبحت الحاجة ملحة لتقرير هذا في اقرب وقت . وانني اعتقد بانه حتى ولو تأسست شركة الاراضي وفقا للقانون المدني وكان مركزها انكلترا فان هذا ينبغي ان لا يحول دون امكان وضع الاستيطان تحت حماية المانية ، وتحت رعاية القانون الدولي في مرحلة متأخرة ، ربما تكون نوعا من الحماية الالمانية ـ الانكليزية المشتركة . ولكن من يستطيع ان يتكهن بالصعوبات التي قد تبرز من جراء هذا ؟ سيكون الأمر معلقا بين قوتين او اكثر .

لقد تلطف صاحب الجلالة وأخبرني في القدس بان الموضوع يحتاج الى دراسة اطول . وانا الآن في انتظار الاوامر . »[٤٥] .

ولكن هرتسل لم يقتصر في عرض مشروعه هذا على دوق بادن الكبير وانما عرضه على السفير الالماني في فينا في ١٩ كانون الأول ١٨٩٨ فابدى هذا تعاطفه مع هرتسل وتحبيذه لمشروعه[٤٦] .

وحاول هرتسل الاتصال بقيصر روسيا غير انه فشل في مسعاه[٤٧] . وعاد مرة اخرى يحاول الاتصال بقيصر المانيا عن طريق دوق بادن . فقدم الى الدوق تقريرا في ٤ آذار ١٨٩٩ اقترح فيه وضع شركة الاراضي الصهيونية المقرر انشاؤها تحت حمايته . غير ان الدوق اعرب عن تحفظه نحو هذا المشروع ، واشار على هرتسل الاتصال بالحكومة الالمانية في برلين لهذا الغرض[٤٨] .

قبل هرتسل بمشورة دوق بادن وبعث برسالة الى القيصر الالماني حلل فيها تردد المانيا في

---

٤٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٨ ـ ١٣٠ .
٤٦) المصدر نفسه ، ص ١٣١ .
٤٧) المصدر نفسه ، ص ١٣٢ .
٤٨) المصدر نفسه ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

قبولها الحماية على فلسطين وارجعه الى عدم ثقة السلطان وغيرة الدول الاوروبية الاخرى . واقترح على القيصر مشروعا جديدا ينص على تأليف لجنة تحضيرية في انكلترا تقوم بالخطوات التحضيرية وتهيىءالامور المالية وتأخذ حق الهجرة الى فلسطين من الحكومة العثمانية . ومن ثم تؤسس الشركة القانونية ويكون مقرها في كارلسروه وتوضع تحت حماية دوق بادن الكبير . هذا وقد بيّن هرتسل في اقتراحه هذا ان حماية دوق بادن للشركة لا يقتضي بالضرورة حماية الحكومة الالمانية لها . وان بالامكان التخلي عن الشركة كما تخلت الحكومة الانكليزية عن شركة سيسل رودس[٤٩] . ولاقناع القيصر بمشروعه الجديد أشاد بالحركة الصهيونية وبفعاليتها « ان حركتنا قوية حتى ولو لم يكن لها أية مساعدة مالية او معنوية في المانيا . فمواردنا هي في روسيا ورومانيا وغاليسيا وانكلترا وامريكا وجنوبي افريقيا »[٥٠] .

أما الدافع الى هذا المشروع المتضمن الحماية المشتركة الالمانية ـ الانكليزية فهو التقارب الالماني ـ البريطاني الذي تم اثر زيارة القيصر الالماني لبريطانيا زيارة خاصة في تشرين الثاني ١٨٩٩ . وكان وزير المستعمرات البريطاني جوزيف تشمبرلين Joseph Chamberlain قد اعرب للقيصر ، اثناء هذه الزيارة ، عن رغبة حكومته في اقامة تفاهم الماني ـ بريطاني في الشرق الاوسط . كما اقترح القيصر مقابل ذلك تدويل سكة حديد بغداد في محاولة للتقارب مع بريطانيا[٥١] .

أما القيصر فلم يعر اهتماما لمشروع هرتسل الجديد ورفض استقباله[٥٢] . واسباب هذا الموقف تعود الى ان الحكومة الالمانية لم تأخذ مشروع هرتسل والحركة الصهيونية مأخذ الجد ، والى رغبتها في عدم اغضاب السلطان العثماني الذي فتح ابواب الدولة العثمانية للنفوذ الاقتصادي والعسكري الالماني . كما كان لموقف اغنياء اليهود السلبي من الحركة الصهيونية اثره في الموقف الالماني .

وبعد محاولات عدة للاتصال بقيصر روسيا وبالحكومة البريطانية وبالسلطان العثماني كانت نهايتها الفشل عاد هرتسل من جديد يستنجد بصديقه دوق بادن . فكتب اليه رسالة في مطلع آذار ١٩٠٠ ساق فيها الحجج والمبررات التي ساقها في رسائله السابقة الى المسؤولين الالمان . واضاف

---

٤٩) السير سيسل رودس (١٨٥٣ ـ ١٩٠٢) رجل اعمال بريطاني قام بمشروع استعمار روديسيا وكان يملك مناجم الماس في جنوب افريقيا ، هرتزل : يوميات هرتزل ، ص ٥٢٢ .

٥٠) المصدر السابق ، ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

٥١) Langer, William L.: The Diplomacy of Imperialism 1890-1902, Vol, II, pp. 492-8.

Friedman, I.: op. cit., p. 87.

٥٢) هرتزل : يوميات هرتزل ، ص ١٣٨ .

اليها حجة جديدة وهي نفوذ الحركة الصهيونية بين اليهود . وكتب في هذا الصدد : « لقد انشأنا بكل جلد منظمة لجماهيرنا مستعدة للتحرك. وباشارة واحدة ينطلق مئات الالوف للحركة . واستطيع ان اقدر عدد المستعمرين الذين يستطيعون الوصول الى فلسطين في خلال سنوات قليلة ، بثلاثة او اربعة ملايين نسمة ، حسب مصادر يوثق بها من عملائنا السريين . وتغطية النفقات المالية الباهظة مضمونة منذ البداية . ومعظم الدول المهمة ليست ضدنا ، اذا لم تكن معنا بالفعل . »(٥٣) .

غير ان الامور في المانيا تطورت في غير صالح هرتسل والحركة الصهيونية . فقد اصبح برنهاردفون بيلوف مستشارا في ١٨ تشرين الأول ١٩٠٠ . وكتب هرتسل في مذكراته بهذه المناسبة « ليس في صالحنا هذا التعيين »(٥٤) . ولكن فشل المساعي الصهيونية في المانيا طرح السؤال التالي على الحركة الصهيونية وقيادتها : الى اين ينبغي على الحركة ان تتجه ؟ يقول بودنهايمر في مذكراته :

« على الرغم من الفشل الذي منينا به في القدس فان هرتسل لم يرغب في التخلي عن فكرة الحماية الالمانية . لقد كان هرتسل يمثل وجهة النظر القائلة بانه اما ان نكون تحت الحماية الالمانية او تحت الحماية البريطانية . لو ان القيصر انحاز الى قضيتنا لاتجهت الحركة نحو المانيا . ولكن المسألة اصبحت ملحة وتحتاج الى قرار في المستقبل القريب(٥٥) » .

وبعد فشل مساعي هرتسل في المانيا اتجه نحو بريطانيا . وعقد المؤتمر الصهيوني الرابع في لندن عام ١٩٠٠ ، والقى هرتسل خطابا مليئا بعبارات التملق جاء فيه : « انكلترا العظيمة ، انكلترا الحرة ، ستفهمنا وستفهم تطلعاتنا . بانكلترا ، كنقطة انطلاق سوف نضمن قوة الصهيونية واندفاعها الى ابعد مما كانت عليه »(٥٦) . واثار هذا المؤتمر اهتمام بعض الدوائر البريطانية بالصهيونية . وبدأت الحكومة البريطانية تفكر في ايجاد حل لمسألة هجرة اليهود في بلدان اوروبا الشرقية اليها ، حتى انها اضطرت الى تشكيل لجنة لبحث هذه المسألة(٥٧) . ولكن مساعي هرتسل في لندن لم تأت بالنتائج المرجوة . فكتب في يومياته في ٩ تشرين الثاني ١٩٠١ : « لا المانيا ولا انكلترا ستعمل شيئا من اجلنا . ولذلك فان اي تدخل هو امر لا لزوم له(٥٨) » .

---

٥٣) المصدر نفسه . ص ١٥٩ .

٥٤) Brude-Fernau, G.: op. cit., p. 186.

٥٥) Bodenheimer, Max.: So Wurde Israel, p. 107.

٥٦) polkehn, Klaus: op. cit., p. 80.

٥٧) جريس ، صبري : تاريخ الصهيونية ، ج١ ، ص ١٦٦ .

٥٨) هرتزل : يوميات هرتزل ، ص ١٩٦ . Brude-Fernau, G.: op. cit., p. 205.

ورغم ذلك كله عاد هرتسل في ٣ أيار ١٩٠٢ يطلب من وزير البلاط الالماني الأمير اوغست اويلنبورغ August zu Eulenburg ترتيب موعد له مع القيصر . وجاء اعتذار القيصر في اليوم التالي . عند ذلك اتجهت جهود هرتسل نحو توطيد صلاته بالاوساط الاقتصادية الالمانية[٥٩] . وانصرف الى الاتصال بالحكومة البريطانية التي عرضت عليه في نيسان ١٩٠٣ « منطقة مناسبة » في اوغندا لاقامة دولة يهودية عليها . فقبل هذا العرض بعد تردد . ولكن رفض المستوطنين الانكليز في اوغندا للفكرة جعل وزارة المستعمرات البريطانية تتراجع عن عرضها[٦٠] . فعاد هرتسل من جديد الى الأمير اويلنبورغ يبلغه بالوعد البريطاني ويؤكد له ان الحركة الصهيونية تفضل « رمال فلسطين وصخورها » وترجو ان تنال المساعدة الالمانية لتحقيق المشروع الصهيوني فيها[٦١] . وكتب الى دوق بادن يرجوه ان يسعى لدى القيصر الالماني لاستمالة الحلف الثلاثي الفرنسي - الروسي - البريطاني واثارة اهتمامه بمشروع فلسطين الصهيوني[٦٢] .

يروى فون بيلوف في مذكراته ان القيصر فيلهلم الثاني كان متعاطفا ، في البداية ، مع الحركة الصهيونية . وانه حاول استغلال هذه الحركة لاصلاح الوضع المالي في الدولة العثمانية . وصدق، في بداية الأمر، مزاعم هرتسل في سعيه الى حل الازمة المالية العثمانية عن طريق تقديم القروض المالية الكافية للتخلص من الديون الضخمة التي اقترضتها الحكومة العثمانية من المصارف والبنوك الاوروبية . واثار المشروع الصهيوني الرامي الى تجميع اليهود في فلسطين اهتمام القيصر ، لاعتقاده بأنه « قد يضع حدا لاستغلال اليهود للمسيحيين » . كما رأى فيه وسيلة لاضعاف نفوذ الديمقراطيين الاشتراكيين الالمان المعادين له[٦٣] . اما الحكومة الالمانية فقد كانت ترى منذ البداية رأيا مخالفا لاراء القيصر . اذ لم تأخذ مزاعم هرتسل بولاء اليهود لالمانيا مأخذ الجد . وكذلك زعمه بولائهم للسلطان العثماني . كما انها لم تر في الحركة الصهيونية القدرة على تحقيق المشروع الصهيوني. ولم ترغب في اثارة حساسية الدولة العثمانية في موضوع خطير قد يفضي الى اقتطاع جزء من اراضيها . وكانت تعتقد ان حماية المشروع الصهيوني او مساندته قد تسيء الى علاقاتها الوطيدة بالدولة العثمانية .

وكان لموقف السلطان العثماني من الحركة الصهيونية ، ولتحفظات فون بيلوف على الحركة الصهيونية ، وبخاصة خشيته من ان تؤثر تأثيرا سلبيا على العلاقات الالمانية العثمانية ، أثرها في

---

٥٩) هرتزل : يوميات هرتزل ، ص ٢١٤ .
٦٠) جريس ، صبري : تاريخ الصهيونية ، ج١ ،ص ١٦٧ - ١٦٨ .
٦١) هرتزل : يوميات هرتزل ، ص ٣٠١ .
٦٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠٢ .
٦٣) Buelow, B. Von: Denkwuerdigkeiteh, p. 254.

تغيير موقف القيصر الالماني .

ولعل خير تحليل للموقف الالماني من الحركة الصهيونية في نهاية حياة هرتسل ، هو التحليل الوارد في مذكرة داخلية كتبها سكرتير الدولة في وزارة الخارجية الالمانية في ٢٨ كانون الثاني عام ١٩٠٤ . تؤكد المذكرة على ان « الصهيونية كما هي الآن ، لا تثير اهتمام المانيا . . . وان اية خطوات فعالة من جانب الصهيونية قد تثير غضب السلطان العثماني . . واذا نظرنا الى المستوطنين اليهود في فلسطين بعين الرضى فالمعنيون هم من اليهود الذين لا صلة لهم بالتطلعات السياسية للصهيونية . اما اليهود الناطقون بالالمانية فمن المحتمل ان يقدموا لنا خدمات جلى . . . »(٦٤) . .

والواقع ان هذه المذكرة تلقي ضوءا على الخط الذي انتهجته الدبلوماسية الالمانية خلال عهد القيصر فيلهلم الثاني . وهو الخط الذي تبنى دعم المؤسسات اليهودية في فلسطين وبخاصة المدارس والمؤسسات الخيرية والتي كان يعتقد بانها قد تكون مفيدة « لجرمنة » الشرق . وتبنى هذا الخط المستعمرون اليهود في فلسطين لاعتبارات اقتصادية لأن هؤلاء المستعمرين كانون يستوردون البضائع والمنتجات الالمانية . ولذلك لم تتردد المانيا في عام ١٨٩٣ في المطالبة بالغاء الفرمان العثماني الذي يحرم على اليهود شراء الارض في فلسطين ، وكانت الدولة الاوروبية الوحيدة التي طالبت بهذا الالغاء آنذاك .(٦٥) ولكن الحكومة الالمانية كانت تخشى اعلان حمايتها للوجود

---

٦٤) Yisraeli, David: Germany and Zionism in «Germany and the Middle East», p. 143.

٦٥) انظر تقرير القنصل الالماني في القدس باول فون تيشندورف paul Von Tischendorf الى وزارة الخارجية في برلين بتاريخ ١٩ حزيران ١٨٩٧ في ملف A.A., P.A., Tuerkei 195, Die Juden in Tuerkei, K6921/K17584764.
بدأت التدابير العثمانية لمنع اليهود المهاجرين من الاقامة الدائمة في فلسطين على اثر الهجرة اليهودية المنظمة التي قامت بها جمعيات محبة صهيون في اوروبا منذ مطلع الثمانينات من القرن التاسع عشر (١٨٨١ ـ ١٨٨٤) وبلغت هذه التدابير شدتها عام ١٨٨٧ عندما اصدر متصرف القدس تعميماً الى القناصل الاجانب يدعوهم الى التعاون من اجل تنفيذ الفرمان القاضي بمنع اليهود الاجانب من الاقامة في فلسطين اكثر من شهر واحد .

ومع قدوم الموجة الثانية (١٨٩١ ـ ١٨٩٥) من المهاجرين اليهود صدرت الاوامر في تشرين الثاني ١٨٩١ بمنع هجرة اليهود الى فلسطين وتحذير السفن الاوروبية من نقل هؤلاء المهاجرين . كما اصدرت الحكومة العثمانية في كانون الاول ١٨٩٢ قرارا بحظر بيع الاراضي لليهود في فلسطين . ورغم هذه التعليمات والقيود تمكن الاف اليهود من الاقامة في فلسطين بصورة دائمة عن طريق رشوة الموظفين العثمانيين وتدخل قناصل الدول الكبرى والتحايل على القوانين والانظمة العثمانية . واضطرت الحكومة العثمانية الى اصدار اوامر مشددة في آب ١٨٩٨ بمنع دخول اليهود الاجانب الى فلسطين ، الا اذا ضمنت القنصليات خروجهم من البلاد بعد ثلاثين يوما . ثم تراجعت فأصدرت تعليمات في كانون الأول ١٩٠٠ ، تسمح لليهود بالبقاء في البلاد ثلاثة اشهر ، تحتفظ السلطات العثمانية خلالها بجوازات سفر القادمين وتمنحهم بطاقة حمراء للتنقل خلال هذه المدة . ونجح الصهاينة في الغاء هذا الاجراء في

اليهودي في فلسطين وللمشروع الصهيوني خوفا من اثارة الدول الاوروبية عليها . ففي ٢٥ نيسان ١٨٩٩ طلب السفير الروسي في برلين اوستن ساكن ـ Osten- Sacken من الحكومة الألمانية ان تقوم بتحقيق واف حول طبيعة الحركة الصهيونية في المانيا(٦٦) . غير ان وزارة الخارجية الالمانية أكدت للسفير الروسي ان لا صلة لالمانيا بالحركة الصهيونية وان مصالحها في الدولة العثمانية ذات طابع تجاري خالص(٦٧) . وكان القصد من هذا الرد تبديد مخاوف روسيا وغيرها من الدول الاوروبية من احتمال حماية المانيا لليهود في فلسطين . فقد كتب القنصل الألماني العام في القدس فريدريش روزن Friedrich Rosen الى وزارة الخارجية في برلين في ٧ آذار ١٩٠٠ يقول : « تبين لي من بعض الملاحظات المتفرقة التي أبداها زميلاي الروسي والفرنسي ان الاجانب من غير الالمان في فلسطين يعتقدون ان المانيا تخطط لاستعمال فلسطين باسرها ، واذا امكن ، كافة المناطق التي سيمر فيها خط حديد بغداد ، ويردد هذه الاشاعات الفرنسيون والروس بشكل خاص في محادثاتهم مع السلطات المحلية التركية . كما يذكرونها في معرض الحديث عن الدولة الصهيونية . وقد أشيع ان القيصر يرغب في قبول حماية اليهود في فلسطين »(٦٨) .

وحرصت الحكومة الالمانية على نفـي هذه الاشاعات التي اخذت تنتشر في اعقاب زيارة القيصر للشرق. فقد القى وزير الخارجية فون بيلوف بيانا في الرايخستاغ Reichstaag (البرلمان الالماني) اثر عودة القيصر من زيارته تلك جاء فيه: ان المانيا لا تسعى الى نفوذ سياسي خاص في اسطنبول، كما كانت تفعل بعض الدول في الماضي، كما أنها لا تسعى الى حماية كافة المسيحيين وانما تحرص على حماية الرعايا الالمان فقط(٦٩). غير ان هذا التصريح لم يخفف من شكوك الروس والفرنسيين.

= كانون الأول عام ١٩١٣ واصبحت حرية الهجرة الى فلسطين واسعة .
انظر ، Hyamson, A.: The British Consulate in Jerusalem, Document No. 322 (The Governor of Jersusalme to Consul Moore, Circular No. 95 of September 10, 1887), p. 439 Document No. 357 (Marquess of Salisbury to Sir W.A. White, Foreign Office, November 9, 1891), p. 474 Document No. 362 (John Dickson to Sir Francis Clare Ford Jerusalem, December 30, 1892), p. Document No. 394 (John Dickson to British Ambassador in Constantionople, Jerusalem, August, 24, 1898), p. 518 Document No. 439 (John Dickson to M. De Bunsen, Jerusalem December 29, 1900) pp. 557-560 Document No. 463(L.Mallet to Sir Edward Grey, Constantinople, December 21, 1913), p. 583.

٦٦) Friedman, I.: op. cit., p. 82.

٦٧) المصدر نفسه ، ص ٨٥ .

٦٨) A.A., P.A., Tuerkei 195, Tuerkei, K/175961, Rosen an Hohenlohe - Schillingsfuerst, 7.3.1900.

٦٩) Friedman, I.: op. cit., p. 82.

التنظيمات الصهيونية في المانيا:

استقبل اليهود الالمان كتاب هرتسل « الدولة اليهودية» بشي ء من الفتور واللامبالاة اول الأمر. وكان اول المعجبين بافكار هرتسل دافيد فولفسون David Wolffsohwn التاجر اليهودي البولندي الأصل المقيم في كولون وماكس بودنهايمر، استاذ القانون في جامعة كولون. وبلغ الحماس بالأول ان سافر الى فينا للتعرف بهرتسل عن قرب. ولما عقد اجتماع للصهاينة الالمان في برلين في حزيران ١٨٩٦ وقف هؤلاء موقفا معاديا من هرتسل باستثناء فولفسون. ولكن هذا الموقف لم يحل دون ارسال وفد من الصهاينة الالمان الذي يطلق عليهم هرتسل اسم «صهاينة برلين Berliner Zionisten في آذار ١٨٩٧ الى فينا من اجل بحث فكرة انشاء دار نشر صهيونية في المانيا ومناقشة فكرة عقد مؤتمر صهيوني عام في اوروبا. واسفر هذا اللقاء بين هرتسل ووفد الصهاينة الالمان عن الاتفاق على اصدار صحيفة «دي فلت Die Welt» الاسبوعية لتنطق باسم الحركة الصهيونية. وصدر العدد الاول منها في ٤ حزيران ١٨٩٧. كما اتفق في هذا اللقاء على عقد المؤتمر الصهيوني الاول في صيف عام ١٨٩٧ في ميونخ. غيران معارضة يهود ميونخ حالت دون عقده في هذه المدينة الالمانية. وتقرر عندئذ عقده في بازل.

وعلى أثر انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بين ٢٩ و ٣١ آب ١٨٩٧ دعا اتحاد الصهاينة الالمان Zionistische Vereinigung fuer Deutschland الى مؤتمر عام عقد في فرانكفورت على الماين في ٣١ تشرين الأول ١٨٩٧ أسفر عن انتخاب لجنة تنفيذية تولى رئاستها ماكس بوذنهايمر وتولى امانة الصندوق دافيد فولفسون. وفي الوقت نفسه أنشأ هاينريش لوفه Heinrich Loewe في برلين « اتحاد الصهاينة البرلينيين Berliner Zionistische Vereinigung ». واشتد النشاط الصهيوني في المانيا في اعقاب ذلك. فاصدر طبيب الاسنان هوغو شاختل Hugo Schachtel صحيفة شهرية في بريسلا وتحمل اسم « الصهيوني Der Zionist » عام ١٩٠١. كما صدرت في برلين صحيفة Israelitische Rundschau الشهرية لتنطق باسم اتحاد الصهاينة البرلينيين. وتولى رئاسة تحريرها في العام التالي هاينريش لوفه(٧٠). وبينما كان هرتسل يتجه نحو بريطانيا وغيرها من الدول الاوروبية لنيل دعمها للمشروع الصهيوني، تولى بوذنهايمر هذه المهمة في المانيا. فقد اتصل بوكيل وزارة الخارجية الالمانية فون ريشتهوفن Freiherr Von Richthoven في ٢٣ شباط

(٧٠ Lichtheim, R.: Op. cit, pp.129, 131-133, 154.

Halpern, Ben: the Idea of the Jewish State ,pp. 131-7.

بقي بودنهايمر رئيسا للجنة التنفيذية لاتحاد الصهاينة الالمان حتى عام ١٩١٠ عندما خلفه الدكتور ارتورهانتكه Arthur Hantke وبقي فيه حتى عام ١٩٢٠.

١٩٠٢ ، وقدم اليه مذكرة تضمنت النشاط الصهيوني في المانيا وخدمته للمصالح الالمانية . ويمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

١ - تتولى الحركة الصهيونية تحويل هجرة يهود اوروبا الشرقية عن المانيا الى فلسطين. وبذلك تريح الحكومة الالمانية من مشكلة متعبة لانه يتعذر عليها، لاسباب انسانية، أن تغلق حدودها في وجههم.

٢ - يساهم اليهود القادمون من اوروبا الشرقية والناطقون بلغة اليديش Yiddisch في نشر الثقافة الالمانية وازدهار التجارة الالمانية في الشرق.

٣ - يتطلع الصهاينة الى تطوير الثقافة الالمانية في الشرق انطلاقا من اعتمادهم اللغة الالمانية في مؤتمراتهم لغة رسمية.

وطالب بودنهايمر الحكومة الألمانية بدعم الهجرة اليهودية الى فلسطين والتوسط لدى السلطات العثمانية لفتح ابواب فلسطين للمهاجرين اليهود. غير ان المبررات التي ساقها بودنهايمر لم تقنع فون ريشتهوفن الذي أعرب عن شكوكه في امكانية استعمار اليهود لفلسطين، وفي امكانية استفادة المانيا منهم في نشر ثقافتها في الشرق[٧١].

هذا وقد انشأ اليهود الالمان «جمعية اغاثة اليهود الالمان Hilfsverein der Deutschen Juden» بمبادرة من تاجر الاقطان اليهودي جيمس سيمون James Simon والدكتور باول ناتان Paul Nathan عام ١٩٠١ وكان الأول صديقا شخصيا للقيصر فيلهلم الثاني. ولعبت هذه الجمعية دورا مهما في اغاثة يهود اوروبا الشرقية وتحسين اوضاعهم. كما قامت بنشاط ثقافي وتعليمي واسع في الدولة العثمانية. فكانت منافسا قويا للاتحاد اليهودي العالمي L'Alliance Israélite Universelle في باريس الذي انشأ العديد من المدارس والمؤسسات الخيرية في فلسطين. ونشرت الجمعية برنامجها قبل الموافقة على انشائها بثلاث سنوات، عندما تقدمت بطلب الموافقة الى وزارة الخارجية الالمانية في ٢١ أيلول ١٨٩٨، تحت اسم «الجمعية المدرسية الالمانية ليهود الشرق Der Deutsche Schulverein Fuer die Juden des Orients». وجاء في مبررات انشاء الجمعية التي وردت في المذكرة ما يلي: «لقد احتكر الاتحاد اليهودي العالمي المرتبط بالسياسة الثقافية الفرنسية التعليم بين اليهود. ولكن بعد ان ثبتت الصناعة الالمانية

(٧١ A.A., P.A., Tuerkei 195, K 176030-48

Bodenheimer, Max: op. cit., p. 155.

Polkehn, Klaus: op. cit., p. 81.

Friedman, I., op. cit., p. 91.

اقدامها في الدولة العثمانية لم يعد للهيمنة الثقافية للاتحاد اليهودي العالمي أي مبرر. كما أن اليهود الروس والبولنديين، بخلاف اليهود الاسبان، يفضلون اللغة والتجارة الالمانية على الثقافة والتجارة الفرنسية. وهذان السببان قد يعطيان الجمعية المدرسية فرصة لنشر النفوذ الالماني في فلسطين». [٧٢]

هـذا وقد حولت الخارجية الالمانية المذكرة الصهيونية التي قدمها بودنهايمر الى السفير الالماني في اسطنبول مارشال بيبرشتاين. فاستشار هذا القنصل الالماني في القدس الهر روزن الذي اعرب عن شكوكه في امكان نجاح الجمعية المدرسية في مشروعها. واشترط في حالة الموافقة على قيام الجمعية ان يتولى اداراتها يهود المان[٧٣].

وما لبثت الجمعية ان غيـرت اسمها الى «جمعية اغاثة اليهود الالمان» عام ١٩٠١. وتولت انشاء شبكة من المدارس اليهودية في الدولة العثمانية. وكانت لغة التعليم في هذه المدارس اللغة العبرية اما العلوم فكانت تدرس بالالمانية. وبلغ مجموع ما استثمر من اموال في مدارس هذه الجمعية (١٠٦٥٠٠) فرنك فرنسي منذ انشائها وحتى بداية الحرب العالمية الأولى. وساهمت جمعية الاغاثة بالتعاون مع المنظمة الصهيونية العالمية في انشاء معهد العلوم التطبيقية «التخنيوم» في حيفا الذي وضع حجر الاساس له في ١٨ نيسان عام ١٩١٢ بحضور القنصل الالماني في حيفا لويتفيد هارديج Loytved - Hardegg . [٧٤] وتولى هذا الاخير الدعوة الى مساندة الجمعية في نشاطتها في فلسطين. وارسل تقريرا الى وزارة الخارجية الالمانية في ٩ أيار ١٩١٣ أورد فيه الحجج التي تبرر هذا الدعم والتي يمكن تلخيصها بما يلي :

- كون المقر الرئيسي للحركة الصهيونية في برلين.
- استعمال الصهاينة اللغة الالمانية في مؤتمراتهم العامة.
- كون الصحيفة الناطقة بلسان الحركة الصهيونية صحيفة المانية هي «Die Welt».
- اهتمام يهود اوروبا الشرقية بالثقافة الالمانية .

(٧٢ A.A.,p .A.Tuerkei 195, K 175925-7

Bodenheimer, Max: op. cit., p. 118.

polkehn, Klaus: op. cit., p. 81.

(٧٣ Rohde, H.: Deutschland in Vorderasien, p. 78.

(٧٤ A.A. , P.A., : Tuerkei 195, K 176230-302, Sept 909 Maerz 1911. Weizmann, Ch.: Trial and Error, pp. 183-6

Friedman, I.: op. cit., p. 159.

واقترح في تقريره هذا فتح ابواب الجامعات الالمانية امام الطلبة اليهود في فلسطين وتقديم المنح اللازمة لهم(٧٥).

وسانده في هذا المطلب القنصل الالماني العام في القدس إدموند شميدت Edmund Schmidt الذي أشار على حكومته بحماية مدارس جمعية الاغاثة(٧٦) . ولما احتدم الخلاف في مجلس ادارة معهد التخنيوم في حيفا حول استعمال اللغة العبرية او اللغة الالمانية في التدريس، تدخل القنصل الالماني في حيفا الى جانب ممثلي جمعية الاغاثة الذين طالبوا بجعل الالمانية لغة التدريس(٧٧). واسفر هذا الخلاف عن استقالة المعلمين الصهاينة احتجاجا على اصرار ادارة المعهد على جعل الالمانية لغة التدريس. وفي اجتماع مجلس الادارة الذي عقد في ٢٤ شباط ١٩١٤ هزم انصار اللغة الالمانية واصبحت العبرية لغة التدريس في المعهد(٧٨). ومن الجدير بالذكر ان قيادة المنظمة الصهيونية العالمية قد انتقلت الى ايدي الصهاينة الالمان منذ موت هرتسل عام ١٩٠٤ وحتى عام ١٩٢٠ .

المانيا والحركة الصهيونية اثناء الحرب العالمية الاولى:

اتسمت علاقات السفير الالماني في اسطنبول البارون أدولف هيرمان فون مارشال بيبرشتاين Adolf Hermann Von Marschall - Bieberstein الذي تولى هذا المنصب بين عامي ١٨٩٧ و١٩١١، بالحركة الصهيونية بالعداء. فقد كان يعتقد أن تأييد المانيا للاماني الصهيونية سوف يسيء الى علاقاتها بالدولة العثمانية .وبقي على هذا الموقف طوال مدة خدمته في العاصمة العثمانية. ولذلك استقبل الصهاينة نقله من مركزه بارتياح شديد. ولما جاء خلفه فانغنهايم Wangenheim عام ١٩١٤، سارع المندوب الصهيوني في اسطنبول ريشارد ليشتهايم Richard Lichtheim الى الالتقاء به في ١٥ حزيران وسعى الى اقامة صلات وثيقة به. جاء في التقرير الذي بعث به ليشتهايم الى اللجنة التنفيذية الصهيونية بهذه المناسبة ما يلي :

«لقد اعلن فانغنهايم أنه يؤيدنا. وابلغني انه كان يشعر دوما بالعطف نحو الصهاينة . . .

٧٥) A.A., P.A., Tuerkei 195, K 176407-14.

٧٦) ibid ., K 176437-9 Wangenheim an A.A., den 30.6. 1913.

٧٧) Ibid., k 176453-7, Loytved - Hardegg an A.A., den 8.8. 1913.

٧٨) Weizman, Ch.: Trial and error, p. 184. Weisgal, M. and Carmichael (edt.) : Chaim Weizman, A Biography by several Hands, p. 30.

Friedman, I.: op. cit., pp. 174-180.

Polkehn, Klaus: op. cit., p. 82.

وقال: ان المانيا ليست في وضع يمكنها من الالتزام نحو الصهاينة التزاما سياسيا. غير انه في حدود طاقته الشخصية... وبصورة غير رسمية، سيكون على استعداد لدعمنا...»[٧٩]

وبعد اسبوعين من هذا اللقاء تباحث ليشتهايم مع السفير الجديد في امر التدخل لدى السلطات العثمانية من أجل السماح لمئتين من المهاجرين اليهود الروس بدخول فلسطين وكان هؤلاء قد اوقفتهم السلطات العثمانية في ميناء يافا ورفضت السماح لهم بالنزول من الباخرة. واستجاب فانغنهايم لطلب المندوب الصهيوني وأمر القنصلية العامة في القدس بالتدخل لدى السلطات العثمانية للسماح للمهاجرين اليهود بالنزول في يافا. وكانت هذه الحادثة الحالة الاولى التي يتدخل فيها سفير الماني لدى السلطات العثمانية بشأن مواطنين يحملون الجنسية الروسية . ومن الجدير بالذكر ان فانغنهايم قد ابدى حماسا شديدا آنذاك لادخال كافة يهود فلسطين في الحماية الالمانية . ولما وجد ان ادخال يهود فلسطين في حماية المانيا قد يثير شكوك الحكومة العثمانية اخذ ينادي بمنحهم الجنسية العثمانية . وهذا ما كان يطالب به الصهاينة آنذاك ، وبخاصة بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى ، والغاء نظام الامتيازات Capitulations في ٩ أيلول ١٩١٤[٨٠] .

ومن الجدير بالذكر أن طلعت بك ، وزير الداخلية العثماني ، كان من انصار هذا الحل . ولذلك حث الصهاينة يهود فلسطين على طلب الجنسية غير ان الاقبال على ذلك كان ضعيفا جدا[٨١] .

اما في المانيا نفسها ، فقد عقد اتحاد الصهاينة الالمان مؤتمرا في مدينة لايبتسيغ في ايار ١٩١٤ . وبعث ببرقية تأييد الى القيصر فيلهلم الثاني ، في محاولة لكسب وده ، والتظاهر بالولاء للوطن الأم[٨٢] . وفي ٧ آب ١٩١٤ تلقى رئيس الدائرة السياسية في القيادة العليا الالمانية لانجفرت فون زيمرن Langwerth Von Simmern مذكرة طويلة من الدكتور اوتوشبرنجر Otto Sprenger من مدينة بريمن Bremen حول الحركة الصهيونية واهدافها . وجاء في هذه المذكرة ان الحركة الصهيونية من اقوى المنظمات الدولية في اوروبا الشرقية وانها تضم في عضويتها ثمانين الف يهودي في روسيا وحدها ، وتحظى بتأييد اربعة ملايين يهودي من مجموع يهود روسيا البالغ عددهم سبعة ملايين نسمة . وهي حركة جيدة التنظيم ، وتقودها شخصيات مرموقة ذات ميول

---

٧٩) Friedman, I.: op. cit., p. 187.

٨٠) المصدر نفسه ، ص ١٩١ .

٨١) المصدر نفسه ، ص ١٩٢

٨٢) Holdheim, G.: Politischer Zionismus, p. 30.

Polkehn, k.: op. cit., p. 83.

المانية امثال البرفسور اوتوفاربورغ otto Warburg والدكتور ارتور روبين Arthur Ruppin من المواطنين الالمان ، والدكتور ييشيل تشلينوف Yechiel Tschlenow والدكتور فيكتور جاكسبسون Victor Jacobson من اليهود الروس الذين درسوا في الجامعات الالمانية . يضاف اليهم ناحوم سوكولوف Nahom Sokolow من وارسو والذي اكتسب الكثير من الثقافة الالمانية اثناء اقامته في المانيا(٨٣) .

ومع اندلاع الحرب اتخذت اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية مقرها في برلين . وتولى رئاستها يهودي الماني هو اوتوفاربورغ . كما أنشأت لها مكتبا في اسطنبول اوكلت رئاسته الى دافيد جاكبسون ، ومكتبا في لندن تولى رئاسته ناحوم سوكولوف اول الأمر ، ثم حل محله حاييم وايزمان ، ومكتبا في نيويورك تولى رئاسته القاضي لويس برانديز Louis Brandis الذي عينه الرئيس الامريكي ودرو ويلسون Woodrow Wilson قاضيا في المحكمة العليا الامريكية عام ١٩١٦ ، ومكتبا في كوبنهاجن باعتبارها عاصمة لدولة محايدة لتسهيل الاتصال بالممثلين الدبلوماسيين للدول المتحاربة(٨٤) . وفي كانون الأول عام ١٩١٤ اعلنت اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية في اجتماع عقدته في كوبنهاجن انها تقف موقف الحياد من النزاع الدولي القائم . وكان هذا الاعلان مجرد مناورة سياسية ترمي الى اشعار الاطراف المتنازعة بانها لن تلتزم الا بمن سيقدم لها ما تطلب من وعود وعهود .

ولذلك ما لبثت اللجنة التنفيذية ان اتصلت بوزارة الخارجية الالمانية تطلب منها المساهمة في حل المشكلات التي تواجه الطائفة اليهودية في فلسطين، وتركز اهتمامها على نيل الحماية الالمانية لهذه الطائفة. فقد اصدر جمال باشا الحاكم العام لسورية وفلسطين، القائد العام للجيش العثماني الرابع، امرا في ٧ كانون الاول ١٩١٤ نص على وجوب مغادرة اليهود الذين يحملون جنسية اجنبية على البواخر المغادرة للموانىء الفلسطينية. وبدأت السلطات المحلية بتنفيذ هذا الأمر فاحتج كبير الحاخامين في القدس على قسوة سكرتير جمال باشا، بهاء الدين بك، في معاملته لليهود. فما كان من جمال باشا الا ان هدد كبير الحاخامين بالعزل اذا تدخل مرة اخرى فيما لا يعنيه. ورغم وساطة كبار الضباط الالمان في القيادة العثمانية ـ الالمانية المشتركة، رفض جمال باشا استقبال المندوب الصهيوني أرتور روبين وواصلت السلطات العثمانية تهجير

---

٨٣) A.A., p. A., Weltkrieg, Nr. 11, adh. 2, k 714/ k190219-25 Sprenger an Von Simmern, den 7.8.1914.

٨٤) Yisraeli, D.: op. cit., p.143.

Derogy, J. et Carmel, Hasi: Histoire Secrète d'Israel 1917-1977, pp. 34-5.

جريس ، صبري . تاريخ الصهيونية ، ج١ ، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

اليهود من منطقة يافا ، ومصادرة اعلامهم ومنع استعمال اللغة العبرية في مراسلاتهم . واغلقت المصرف الصهيوني « بنك فلسطين الانكليزي » The Anglo- Palestine Bank ، وحظرت تداول طوابع الصندوق القومي اليهودي . كما اعتقلت العديد من زعماء الصهاينة[٨٥] .

ولما بلغت انباء هذه التدابير المندوب الصهيوني في اسطنبول اتصل بالسفير الالماني فانغنهايم الذي استجاب له. فقابل الصدر الاعظم انور باشا ووزير الداخلية طلعت بك وتم الاتفاق على ايقاف تهجير اليهود الروس من فلسطين. وصدرت الاوامر الى جمال باشا بذلك. فانصاع لها وعزل بهاء الدين بك من منصبه. واوقف اجراءات التهجير وافرج عن الزعماء الصهاينة المعتقلين ، واعاد فتح بنك فلسطين الانكليزي . واصدر بيانا وزع على اهل فلسطين اعلن فيه ثقته بالمواطنين اليهود، وحذر من الشائعات القائلة بعدم ولائهم. واستقبل على اثر ذلك استقبالا حارا في تل ابيب في ٢ آذار ١٩١٥ بمناسبة احتفال رسمي أقيم في مدرسة هرتسليا الثانوية. والقى خطابا في هذه المناسبة قال فيه:

« لي الثقة التامة بكم . وانا متأكد باننا ستتمكن من التعاون من اجل وطننا المشترك . ضعوا ثقتكم بنا وسوف تقدم البلاد التي ترتبطون بها الحماية لكم . نحن نعتبركم عنصرا طيبا ومخلصا . » . واستمر جمال باشا في تقربه من اليهود ، فالقى خطبا مماثلة في مستعمرتي ميكفه اسرائيل وريشون ليتسيون[٨٦] وتزلفا منه لليهود سمح للعمال اليهود في الجيش العثماني بالراحة يوم السبت ، كما فتح ابواب مستشفيات الجيش العثماني لمعالجة الفقراء من اليهود ، واباح لهم شراء المواد الغذائية من مخازن الجيش باسعار مخفضة . وبلغ تزلفه منهم أوجه عندما عين البرت عنتيبي Albert Antibi اليهودي الشرقي الذي كان يتقن العربية والتركية والفرنسية عضوا في اللجنة الاستشارية السياسية والاقتصادية لولاية سورية ، ومستشارا خاصا له . كما عين موشيه ويلبوشفتز Moshe Wilbushwitz رئيسا للمهندسين المدنيين ومديرا لدائرة التنمية في ولاية سورية[٨٧] .

اما اسباب التدخل الالماني الفوري لايقاف تدابير جمال باشا ضد اليهود فتعود الى الحملات الاعلامية اليهودية في الولايات المتحدة الامريكية وفي اوروبا الغربية التي رافقت هذه التدابير. فاضطرت الحكومة الالمانية الى التدخل خوفا على سمعتها بين اوساط اليهود هناك،

---

٨٥) Friedman, I.: op. cit., p. 219

٨٦) قاسمية ، خيرية : النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ، ص ٢٦٩
Friedman, I.: op. cit. p. 220.

٨٧) المصدر نفسه ، ص ٢٢١ .

وهي الحريصة آنذاك على عدم اغضاب الولايات المتحدة الامريكية التي لم تدخل الحرب بعد[٨٨].

وفي المانيا نفسها احدثت وزارة الخارجية دائرة خاصة باليهود سمتها «دائرة الشؤون اليهودية Abteilung fuer Judische Frage» وعمل ناحوم غولدمان Nahom Goldmann، الزعيم الصهيوني المعروف، في قسم الدعاية التابع لهذه الدائرة[٨٩]. وكانت هذه الدائرة على اتصال وثيق بالزعيمين الصهيونيين كورت بلومنفيلد Kurt Blumenfeld وارتـور هـانتكـه Arthur Hantke[٩٠] ووضعت السفارة الالمانية في اسطنبول، بناء على تعليمات من وزارة الخارجية في برلين، حقيبتها الدبلوماسية تحت تصرف الصهاينة لتأمين سرية الاتصال بين مندوبيها في اسطنبول وبرلين ويافا والقدس[٩١] . وتعاونت القيادة الصهيونية مع الحكومة الالمانية في تكوين «لجنة لتحرير يهود روسيا» في برلين برئاسة فرانز أوبنهايمر Franz Oppenheimer. وكان من نتاج هذا التعاون حصول العديد من الزعماء الصهاينة على جوازات سفر دبلوماسية المانية.[٩٢]

كان هدف الحكومة الالمانية من هذا التعاون ان يمارس يهود الولايات المتحدة بعض التأثير على السياسة الامريكية ليضمنوا حيادها في الصراع الدولي القائم. فمنذ بداية الحرب قررت القيادة العليا للقوات الامبراطورية الالمانية ارسال وفد من الاساتذة اليهود الى الولايات المتحدة بقصد تعريف اليهود هناك بالمانيا[٩٣]. واشتد اهتمام الحكومة الالمانية بالحركة الصهيونية في نهاية عام ١٩١٥ ، بعد ان خابت آمال الالمان في احراز نصر حاسم سريع، اصبحت المعركة تدور حول كسب الرأي العام في الدول المحايدة وبخاصة الولايات المتحدة الامريكية. وفي ٢٢ تشرين الثاني من ذلك العام اصدرت السفارة الالمانية في اسطنبول تعليماتها الى القناصل الالمان في فلسطين وسورية لحماية المستوطنات اليهودية والعطف على «المطالب الحقة لليهود للمدى الذي لا يتعارض والمصالح الوطنية للاتراك»[٩٤]ولم تكتف اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية وممثلوها في اسطنبول بهذه التعليمات. وانما كانت تطمع في اصدار

---

٨٨) المصدر نفسه ، ص ٢١٦ .

٨٩) Goldmann, Nahom: Staatsman Ohne Staat, p. 75.

٩٠) المصدر نفسه ، ص ٧٩ .

٩١) A.A., P.A. Tuerkei 195, k 176807, Wangenheim an A.A. dem 6.2.1915.
Friedman, I.: op. cit., p. 214.

٩٢) Bodenheimer, Max: op. cit., p. 187.

٩٣) Friedman, I.: op. cit., p. 204.
Polkehn, k.: op. cit., p. 85.

٩٤) Yisraeli, D.: op. cit., p. 144.

بيان رسمي الماني يتضمن العطف على الاماني السياسية الصهيونية في فلسطين وفتح ابواب البلاد للمهاجرين اليهود وبناء المستعمرات فيها . ولتغطية اهدافهم الحقيقية أعلن الصهاينة ان قصدهم ليس فصل فلسطين عن الدولة العثمانية وانما تمتع اليهود بحماية الاتراك من العرب سكان البلاد .

وعلى صعيد الرأي العام الالماني اشتد النشاط الصهيوني ، فقد ألف المفكر الالماني فريدريش ناومان Friedrich Naumann كتابا بعنوان « اوروبا الوسطى Mitteleuropa » صدر في برلين عام ١٩١٥ ، اكد فيه على ضرورة التعاون بين المانيا والحركة الصهيونية . كما اصدر مجلة اسبوعية بعنوان « المعونة Die Hilfe » سخرها لخدمة الاغراض الصهيونية . واستطاع الصهاينة الالمان ان يكسبوا الى دعوتهم بعض النواب في الرايخستاغ مثل باول روورباخ Paul Rohrbach الذي ما انفك يدعو الى ضرورة التعاون بين الحكومة الالمانية والحركة الصهيونية(٩٥) .

وتقدم حاخام ماجدبورغ Magedburg بمذكرة الى وزارة الخارجية الالمانية في ٢١ حزيران ١٩١٥ اقترح فيها أن تسعى الحكومتان الالمانية والعثمانية الى تحويل فلسطين إلى ولاية يهودية مستقلة استقلالا ذاتيا بعد انتهاء الحرب . واجابته الوزارة على اقتراحه هذا بالاعتذار . وجاء في هذا الجواب : « ان الحكومة الامبراطورية راغبة في استخدام نفوذها لدى الحكومة التركية لازالة العقبات في طريق الهجرة اليهودية الى تركيا . غير ان الاقتراح بخلق ولاية يهودية تتمتع بادارة ذاتية قد يواجه عدة صعوبات »(٩٦) .

وكانت قيادة الحركة الصهيونية ترقب بحذر شديد التطورات الدولية وتدرك جيدا حساسية الحكومة الالمانية نحو سمعة المانيا في الخارج ، وتوقعها وقوف الحركة الصهيونية الى جانبها في الصراع الدولي الدائر . غير أنها كانت حريصة على كسب كافة الأطراف المتنازعة ما دامت نتائج الحرب لم تتضح بعد . ان رسالة المندوب الصهيوني في اسطنبول الموجهة الى الزعيم الصهيوني شتراوس Strauss في ٦ تموز ١٩١٥ تكشف عن هذا النهج الدبلوماسي الصهيوني :

« لن تضحي المانيا بتحالفها مع تركيا من اجلنا . فالصهيونية لا تحتل مقام الأولوية لديها . . . وبوجه عام يمكن ان نعرب عن ارتياحنا لما فعلته السفارة الالمانية من اجلنا »(٩٧) .

---

٩٥) Friedman, I.: op. cit., p.253

٩٦) المصدر نفسه ، ص ٢٥٥ .

A.A., P.A., Tuerkei 195, K 177123-7 Jacobus an Zimmermann, den 21.6.19 6.1915. K 177130-1, Zimmermann an Jacobus, den 26. 6.1915.

٩٧) Friedman, I.: op. cit., p. 242.

لقد قدمت السفارة الالمانية في اسطنبول خدمات جلى للحركة الصهيونية في عهد السفير فانغنهايم وفي عهد خلفه الكونت ارنست تسوهوهنلوهي ـ لانجنبورغ - Ernst zu Hohenlohe Langenburg الذي وصل الى العاصمة العثمانية في ٤ آب ١٩١٥ والذي لم يدم طويلا في منصبه الجديد . اذ ما لبث ان نقل وحل محله الكونت باول فولف ـ مترنيخ - Paul Wolff Metternich . في تشرين الثاني ١٩١٥ وتعرض السفير الجديد لضغوط المندوب الصهيوني في العاصمة العثمانية ، وبناء على تعليمات من وزارة الخارجية في برلين ، اصدر تعليمات الى القناصل الالمان في الدولة العثمانية في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٥ جاء فيها :

« . . . اما المنظمات الصهيونية التي يمكن اعتبارها من الناحية القانونية المانية الاصل ، فلا حاجة الى التأكيد على انها تحظى بالحماية التامة من الحكومة الالمانية ـ واما المنظمات اليهودية المعنية بالرفاه الاقتصادي والثقافي لليهود في تركيا او بالهجرة والاستيطان لليهود القادمين من الدول الاجنبية الذين لا يتمتعون بأية صفة ويرغبون في الحماية الالمانية ، فيمكن القول ، كمبدأ عام ، ان الحكومة الالمانية راغبة في تحقيق امانيهم ، وعلى استعداد للعمل في هذا الاتجاه ، ما دام ذلك لا يتعارض والمصالح المشروعة للدولة التركية أو مصالح المواطنين الالمان والمؤسسات الالمانية »[٩٨] .

في اجتماع المجلس الصهيوني الذي عقد في لاهاي في ٢٤ آذار ١٩١٦ ، عرض الزعيم الصهيوني جاكبسون لأول مرة موضوع اصدار تصريح من الحكومتين الالمانية والعثمانية يتضمن تعاطفهما والاماني الصهيونية في فلسطين . غير ان المجلس اعتبر هذا الاقتراح سابقا لأوانه[٩٩] . والواقع ان الصهاينة شعروا ، بعد العرض الذي تقدمت به دول الوسط في ١٢ كانون الثاني من العام نفسه لابرام الصلح مع الحلفاء ، ان الوقت قد حان لاستصدار تصريح من الحكومة الالمانية يؤيد الاطماع الصهيونية في فلسطين . وقد ابلغ الزعيمان الصهيونيان فاربورغ وجاكبسون وكيل وزارة الخارجية الالمانية الهر زيمرمان Zimmermann ان المؤتمر اليهودي الامريكي قد يعقد في ايار ١٩١٦ لدراسة المطالب اليهودية التي ستعرض على مؤتمر الصلح المقبل . وحددا هذه المطالب بما يلي :

---

٩٨) المصدر نفسه ، ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣ .

Lichtheim, R.: op. cit., p. 210, A.A., P.A., Tuerkei 195, K177404-7, Metternich an Bethmann-Hollweg, den 22.11.1915.

النص الكامل للتعليمات في هذا الملف

٩٩) Official German Documents Relating to the World War, Vol, I,p. 158.

Lansing, Robert. War Memoirs, pp. 181-2.

- المساواة التامة في الحقوق السياسية بين اليهود ومواطني بلدان روسيا ورومانيا والمغرب وايران .
- الاستقلال الثقافي للأقليات اليهودية في دول تمتعت فيها اقليات اخرى بمثل هذا الحق او قد تتمتع به في المستقبل .
- تهيئة الظروف المواتية لهجرة اليهود الى فلسطين دون قيد او شرط .(١٠٠)

وابلغاه ايضا ان اغلبية اعضاء اللجنة التنفيذية للمؤتمر اليهودي الامريكي من الصهاينة . وان زعيم الصهاينة القاضي لويس برانديز قد كسب تأييد الحكومة الامريكية للاماني الصهيونية .

لقيت هذه المطالب آذانا صاغية في وزارة الخارجية الالمانية ، غير ان السفارة الالمانية في اسطنبول وقفت منها موقفا معارضا(١٠١) . وساهم الوضع الحربي المتدهور لدول الوسط على كافة الجبهات في تعزيز موقف السفارة الالمانية في العاصمة العثمانية . اذ خشيت المانيا ان يؤدي انهاك الدولة العثمانية في ميادين القتال الى الاسراع في ابرام صلح منفرد مع الحلفاء . ولذلك حرصت على ان لا تقوم بأي عمل قد يثير حفيظة الحكومة العثمانية . ولما عرض الدكتور لودفيج هاز Ludwig Has ، عضو الرايخستاغ ، في كانون الثاني ١٩١٧ اقتراحا بتدريب فرق من الشباب اليهود في بولندا والحاقها بالجيش العثماني للقتال على الجبهة الروسية وصف السفير الالماني في اسطنبول ، فون كيلمان Von Kuehlmann ، هذا الاقتراح بانه « مناورة صهيونية » القصد منها الحصول على بعض الامتيازات في فلسطين . وقد اخذت وزارة الخارجية برأي سفيرها وامتنعت عن اتخاذ اية خطوة في هذا الصدد بحجة معارضة الاتراك لتشكيل وحدات يهودية مستقلة .

وفي شباط ١٩١٧ دخلت الحملة الالمانية من اجل ضمان حياد الولايات المتحدة الامريكية في الحرب مرحلتها الحاسمة . وشعر الزعماء الصهاينة في المانيا ان من الضروري تذكير وزارة الخارجية الالمانية بدور اليهود في هذه الحملة . فقدم فاربورغ وهانتكه مذكرة الى وزارة الخارجية حول الموضوع ، اكدا فيها على تأثير اليهود في الرأي العام الامريكي وعلى الحكومة الامريكية .

ولما تشكلت حكومة عثمانية جديدة برئاسة طلعت باشا عام ١٩١٧ سارعت اللجنة

---

(١٠٠) Friedman, I.: op. cit., p. 289.

(١٠١) المصدر نفسه ، ص ٢٩٠ ، ٢٩٢ .

التنفيذية للمنظمة الصهيونية الى الاتصال بوزارة الخارجية الالمانية تطلب منها بذل المساعي لدى الحكومة الجديدة للحصول على بيان مؤيد للأماني الصهيونية . وحول الطلب الى فون كيلمان في اسطنبول فاعرب عن تحفظه عليه . ووجه رسالة الى المستشار الالماني بيتمان ـ هولفيج ـ Bethmann - Hollweg في ٢٦ آذار ١٩١٧ ذكر فيها ان صلة الصهيونية بيهود العالم ضعيفة وان دورها في التأثير على موقف الولايات المتحدة لم يعد له أية قيمة بعد ان قطعت حكومة واشنطن علاقاتها الدبلوماسية مع المانيا ووقفت في صف الاعداء . وأصر السفير الالماني في رسالته هذه على ضرورة توطيد العلاقات الالمانية ـ العثمانية .(١٠٢) .

تأكدت صحة رأي فون كيلمان في نيسان ١٩١٧ حينما اعلنت الولايات المتحدة الحرب على المانيا . وبهذه المناسبة اقترح الملحق البحري الالماني في اسطنبول على الحكومة العثمانية طرد المندوبين الصهاينة من العاصمة العثمانية « لأنهم يقيمون صلات وثيقة بسفارة الولايات المتحدة الامريكية » . كما اشار السفير الالماني بضرورة طرد المندوب الصهيوني ريتشارد ليشتهايم من اسطنبول لارتباطه بالمخابرات الامريكية .

وفي فلسطين نفسها منيت القوات البريطانية بهزيمة في غزة في ٢٦ آذار ١٩١٧(١٠٣) . وفي اليوم التالي وصل عزت بك متصرف القدس الى يافا وجمع اعيان المدينة وابلغهم قراره بترحيل كافة المدنيين عن يافا بسبب تقدم قوات العدو . ولم يسمح الا للفلاحين بالبقاء من أجل جني المحصول . وابلغ المجتمعين ان بامكان المغادرين أن يقيموا في أي مكان في سورية باستثناء المدن الساحلية الثلاث : حيفا وعكا وبيروت ، وان من لا يستطيع الانتقال ستتولى السلطات العثمانية نقله الى الداخل . أثار هذا القرار غضب اليهود الذين رفضوا مغادرة المدينة . واتصل زعماؤهم بالقنصلين الالماني والنمساوي في القدس من اجل السعي لابقاء اليهود في يافا . فوجه القنصلان المذكوران نداء الى متصرف القدس اكدا فيه انه لا مبرر لهذا القرار بعد هزيمة القوات البريطانية في غزة . ولكن المتصرف لم يعر اهتماما لندائهما . اما القنصل الالماني في يافا فقد تدخل مرات ثلاثا لدى متصرف القدس وهدد بالرحيل مع اليهود الالمان اذا رحلوا .

---

١٠٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٦ .

١٠٣) حول معركتي غزة الأولى والثانية انظر : نديم : شكري محمود : حرب فلسطين ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، ص ٦٩ ـ ٨٨ .

Djemal pasha: Memories of a Turkish States man, pp. 175-193.

Wavell, Archibald: The palestine Campaigns pp. 67-88.

Mac Munn, G. and Falls, C. (edt.) : Military Operations in Egypt and Palestine, Vol. I.p. 279-320. 326-49.

غضب جمال باشا من تدخل القنصل الالماني في يافا كارل فون شابنجر Karl Von Schabinger ، فوجه انذارا الى القنصل الالماني العام في القدس الدكتور برودهBrode في الأول من نيسان وهدده بتقديم شابنجر الى المجلس العرفي اذا تمادى في التدخل في الشؤون الداخلية العثمانية . وزار جمال باشا يافا بعد يومين والتقى باعيان المدينة ، وبيّن لهم ان أمر اخلاء يافا كان لاسباب انسانية . ومدد الأجل المقرر لاجلاء اليهود من يوم ٣١ آذار الى يوم ٩ نيسان . وسمح للمزارعين منهم بالبقاء(١٠٤) . ومع ذلك تم اجلاء حوالي تسعة آلاف يهودي من يافا وتل أبيب . غير ان نحو ستة آلاف منهم استقروا في مستعمرة بتاح تكفا واتجه الباقون الى نابلس(١٠٥) .

استغلت الصحافة الصهيونية في العالم وصحافة الحلفاء هذا الحادث للتشهير بجمال باشا وبالسياسة العثمانية نحو يهود فلسطين. وصدرت مقالات في صحف Daily Telegraph, The Times, Manchester Gaurdian البريطانية وLe temps الباريسية تشهر بهذا الحادث(١٠٦) .

وبعد هذا الحادث بعشرة ايام استدعى جمال باشا قناصل الدول الاجنبية في القدس وطلب منهم ان ينصحوا رعاياهم بمغادرة المدينة المقدسة خلال اربع وعشرين ساعة. غير ان القنصل الالماني العام ،بالتضامن مع القناصل الآخرين ، تحدى اوامر جمال باشا ورفض الامتثال لها بحجة ان الخطر العسكري ما زال بعيدا عن القدس(١٠٧) . واحتج على هذه الاوامر رئيس اركان الفرقة الثانية في الجيش العثماني الرابع الكولونيل الالماني كريس فون كريسنشتاين Kress Von Kressenstein وبعث برسالة حول الموضوع الى السفارة الالمانية في اسطنبول . وتدخل وكيل وزارة الخارجية الالمانية في ٢٦ نيسان لدى انور باشا لالغاء القرار . وتدخل الزعماء الصهاينة لدى وزارة الخارجية الالمانية حتى ان المسألة اثيرت في الريخستاغ ، واضطر وكيل وزارة الخارجية الى انكار اخلاء القدس في لقائه بلجنة الموازنة في الرايخستاغ في ٨ أيار ١٩١٧(١٠٨) . وفي اليوم نفسه ابرق سكرتير الدولة الالماني الى السفير في اسطنبول يقول : « ان سياسة جمال باشا سوف تثير الرأي العام العالمي ضد تركيا والمانيا ، وبذلك تعطي العدو سلاحا جديداً »(١٠٩) .

---

١٠٤) A.A., P.A.: Tuerkei 195, K 179503-8,Brode an Kuehlmann, Jerusalem den 5.4. 1917.

١٠٥) Friedman, I: op. cit., p. 350.

١٠٦) المصدر نفسه ، ص ٣٥٤ .

١٠٧) A.A.P.A., Tuerkei 177, der Libanon (Syrien,) Brode an Keuhlmann, Jerusalem den 23.4. 1917.

١٠٨) Friedman, I.: op. cit., pp. 351—5

١٠٩) Yisraeli, D.: op. cit., p. 147.

استجابت حكومة طلعت باشا لهذه الضغوط . واضطر جمال باشا الى الالتقاء بزعماء اليهود في فلسطين والاعراب عن تعاطفه معهم . وكلف رئيس بلدية تل ابيب مئير ديزنجوف Meir Dizengoff بتشكيل لجنة لاغاثة اليهود . وتبرع بمبلغ ثلاثة آلاف ليرة تركية للجنة المذكورة . كما تبرع بالف ليرة للحاخام الاكبر نسيم دنون وبألف أخرى للحاخام ماركوس هوروفيتس Marcus Horrowitz لانقاذ يهود القدس(١١٠) .

وشددت الرقابة على اليهود من جديد بعد اكتشاف شبكة تجسس يهودية تعمل لصالح بريطانيا عرفت بشبكة « نيلي » . ففي ٤ ايلول ١٩١٧ القى الاتراك القبض على حمامة زاجلة تحمل رسالة رمزية . وحولت الرسالة الى السلطات العسكرية فحلت رموزها . وتبين انها مرسلة الى شبكة للتجسس في مستعمرة زخرون يعقوب قرب عتليت . وبعد ذلك بعشرة ايام القي القبض على نامان بلكند Naaman Belkind احد افراد الشبكة وهو يحاول العبور الى الخطوط البريطانية جنوب بئر السبع . ووجدت معه قائمة باسماء اعضاء الشبكة وخططهم(١١١) .

وانتهز الصهاينة زيارة الجنرال فون فالكنهاين Von Falkenhayn رئيس البعثة العسكرية الالمانية في الدولة العثمانية ، للقدس في ٥ تشرين الثاني ١٩١٧ ، وتوسلوا اليه ان يأمر بتخفيف اجراءات المراقبة المفروضة عليهم . غير ان جمال باشا لم يبق في قيادة الجيش العثماني الرابع الا اياما معدودة ، اذ نقل منها وحل محله جمال باشا الصغير الذي اشرف على محاكمة اعضاء شبكة نيلي في دمشق(١١٢) .

اما على الصعيد الدولي ، فبينما كان قادة الحركة الصهيونية في لندن بزعامة حاييم وايزمان يتفاوضون مع الحكومة البريطانية منذ حزيران ١٩١٧ حول اصدار تصريح يعطف على الاماني الصهيونية في فلسطين ،(١١٣) ، قدمت لجنة العمل الصهيونية ، المنبثقة عن اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية ، مذكرة الى وزارة الخارجية الالمانية في ٢٢ تموز ١٩١٧ تحث الحكومة الالمانية على الاسراع بمساعدة الصهاينة قبل أن يكسبهم الحلفاء الى صفوفهم . غير ان

(١١٠ Friedman, I.: op. cit., pp. 361—2

(١١١ A.A..P.A., Tuerkei 195, K 179658-60, Bernstorff (Istanbul) an A.A.(Berlin), Den 29, 10. 1917.

Derogy, J. et Carmel, H.: op. cit., pp. 28-38.

(١١٢ Friedman, : op. cit., pp. 367-372.

١١٣) انغرامز ، دورين : اوراق فلسطين ، ص ١٥ ـ ٢٥ .

وزارة الخارجية الالمانية لم تعر لهذا التحذير أذنا صاغية(١١٤) . وصدر تصريح بلفور في الثاني من تشرين الثاني عام ١٩١٧(١١٥) . فكان اول اعتراف رسمي من دولة عظمى بالحركة الصهيونية واول تأييد رسمي لاطماعها في فلسطين(١١٦) .

بعد اسبوعين من صدور هذا التصريح نشرت الصحيفة اليهودية الالمانية Judische Rundschau مقالين للزعيم الصهيوني ليشتهايم اشاد فيهما بالتصريح البريطاني واعتبره حدثا ذا اهمية تاريخية ودولية وطالب دول الوسط ان تأخذ العبرة من السياسة البريطانية(١١٧) . وانساقت بعض الصحف الوطنية الالمانية ، بتأثير من الصهاينة الالمان ، في كيل المديح للحركة الصهيونية وتأييد مطالبها ، مثل صحف «Die Berliner volkszeitung» و «Die Deutsche Levantzeitung» و «Fraenkischer Kurier» التي اعربت عن شفقتها على المانيا التي فشلت في الإستفادة من القوة الصهيونية واتاحت لبريطانيا احراز نصر معنوي سهل(١١٨) .

وجدت الحكومة الالمانية نفسها بعد صدور تصريح بلفور أمام خيارين : اما الاستمرار

---

١١٤) A.A.P.A., Tuerkei 195, K 179201-21

نص مذكرة فاربورغ الى وزارة الخارجية .

مذكرة وزارة الخارجية (بدون تاريخ) في اواخر تموز ١٩١٧ . K 179290-1

Friedman I.: op.cit., pp. 319, 321.

Stein, L: The Balfour Declaration, pp. 537-8.

١٥٥) صدر هذا التصريح عن وزير الخارجية البريطاني ارثر جيمس بلفور Arthur James Balfour في رسالة بعث بها الى زعيم الطائفة اليهودية في بريطانيا اللورد روتشيلد Lord Rotschild في الثاني من تشرين الثاني ١٩١٧ وتضمن عطف الحكومة البريطانية على المشروع الصهيوني الرامي الى انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وبذل خير مساعيها لتحقيقه ، شريطة عدم الحاق الضرر بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في البلاد ، او بالحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الأخرى وبمركزهم السياسي فيها .

Ingrams, Doreen: palestine papers 1917-1922, pp. 10-11.

١١٦) تلا تصريح بلفور مفاوضات بين قادة المنظمة الصهيونية والحكومتين الفرنسية والايطالية انتهت بقبول التصريح من قبل فرنسا في ١٤ شباط ١٩١٨ ومن قبل ايطاليا في ٩ أيار ١٩١٨ .

Weizmann, Ch.: op. cit., p. 257.

Gontaut-Biron, cte, de: Comment la France S'est Installée en Syrie, p. 155.

Pichon, Jean: Les Origines Orientales de la guerre mondiale, p. 134.

Minerbi, S.I.; L'Italie et la Palestine 1914-1920, pp. 72-84.

Weizmann, Ch.: op. cit., pp. 235-245.

١١٧) Judische Rundschau, 16 und 23 November 1917.

والمقالتان موجودتان في قصاصتين من الصحيفة المذكورة محفوظتين في ملف ارشيف وزارة الخارجية الالمانية التالية :

A.A.,P.A., Tuerkei 195, K 179959-60.

١١٨) Friedman, I.: op. cit., p. 341.

في تجاهل الاطماع السياسية الصهيونية واما انتهاج سبيل مماثل للذي انتهجته بريطانيا واصدار بيان علني لصالح الصهيونية . وضاعفت القيادة الصهيونية في المانيا من جهودها من أجل حمل صانعي القرار السياسي في برلين على ان يحذوا حذو بريطانيا . وتمكنت هذه القيادة من دفع زعيم حزب الوسط الكاثوليكي ايرتسبرغر Erzberger الى تقديم مشروع تصريح الماني الى وزير الخارجية الالماني الجديد فون كيلمان Von Kuehlmann (السفير السابق في اسطنبول) في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٧ يتضمن عطف الحكومة الالمانية على الاماني الصهيونية في انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين والسعي الى اقناع الحكومة العثمانية باصدار تصريح مماثل(١١٩) غير ان وزير الخارجية المعروف بموقفه المعادي من الصهيونية ، رفض هذا المشروع . واقترح بالمقابل ان تصدر الحكومة الالمانية وعدا باقامة استقلال ثقافي ذاتي لليهود في المناطق الروسية والبولندية الواقعة تحت الاحتلال الالماني . وقد ايده في هذا الاقتراح الذي رفعه الى القيصر ، رئيس اركان القوات المسلحة الالمانية الجنرال لودندورف Ludendorff غير ان الحكومة الالمانية رفضت هذا الاقتراح(١٢٠) .

وازدادات الضغوط الصهيونية على الحكومة الالمانية من اجل حماية اليهود في فلسطين مع تقدم القوات البريطانية نحو القدس . وكان للبابا بندكتوس الخامس عشر دور بارز في هذا المجال ، عندما تدخل لدى الحكومة الالمانية من اجل حماية الاماكن المقدسة من الدمار . وتحت هذه الضغوط اصدرت الحكومة الالمانية بيانا رسميا في ٢١ تشرين الأول ١٩١٧ اكدت فيه على ان القدس لن تتحول الى ميدان قتال وان الاماكن المقدسة سوف تحفظ من كل تدمير(١٢١) . هذا وقد اتصل الجنرال فون بابن Von Papen رئيس اركان الجيش العثماني الرابع بوزير الحربية انور باشا حول الموضوع . فأكد له الاخير ان لا بد من الحفاظ على القدس حتى النهاية . وكان جمال باشا قائد الجيش الرابع المنقول قد القى خطابا وداعياً في بيروت في مُطلع كانون الأول ١٩١٧ شدد فيه على ضرورة عدم التخلي عن القدس لأنها مفتاح سورية على حد تعبيره . ولكن القيادة العليا الالمانية لم تعر بالا لأراء انور باشا وجمال باشا وامرت القوات العثمانية

(١١٩ A.A.,P.A., Tuerkei 195, K 179939-41.
Erzberger an Kuehlamann, den 30. 11. 1917.
ونص التصريح في : Friedman, I.: op. cit., p. 424

(١٢٠ Yisraeli, D.: op. cit., p. 149.

(١٢١ A.A. P.A., Tuerkei 195, K 179797-8 , K 179829 Romberg (Bern) an A.A. den 12 und 16 Nov. 1917.
النص الكامل للبيان في : Friedman, I: op. cit., Appendix E

بالانسحاب من المدينة في ٨ كانون الأول ١٩١٧(١٢٢) . فدخلها الجيش البريطاني بقيادة الجنرال اللنبي في اليوم التالي دون قتال .

لم يوقف سقوط القدس في ايدي البريطانيين مساعي الصهاينة للحصول على تصريح رسمي الماني مماثل لتصريح بلفور . فقد طالب الزعيم الصهيوني الالماني هانتكه في اجتماع اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية الذي عقد يومي ٢٣ و ٢٤ كانون الأول ١٩١٧ باتخاذ قرار بدعوة المانيا الى اصدار تصريح علني يؤيد الاماني الصهيونية . وتم له ذلك(١٢٣) .

وانتهز الصهاينة كل فرصة سانحة . ففي اثناء الزيارة التي قام بها الصدر الاعظم طلعت باشا لبرلين ، التقى في الثاني من كانون الثاني ١٩١٨ بالزعيم اليهودي الالماني الفرد نوسيغ Alfred Nossig الذي بحث معه موضوع اليهود في الدولة العثمانية . واوضح له طلعت باشا ان موقف الحكومة العثمانية من رعاياها اليهود ينطلق من النية الحسنة وانها تقدر ولاءهم الصادق ، وان له اصدقاء يهوداً عديدين ، ولم يتردد في الغاء القيود المفروضة عليهم حينما كان وزيرا للداخلية . واكد طلعت باشا في حديثه هذا ان الباب العالي سوف يعيد تنظيم الاوضاع ، حالما تعود القدس وجنوب فلسطين الى السيادة العثمانية ، بصورة تكفل رضى اليهود التام وتحقق كافة امانيهم(١٢٤) . وقد نشرت فحوى هذا التصريح في الصحف الالمانية في اليوم التالي للقاء .

تلقت الحكومة الالمانية هذا التصريح ببالغ الارتياح(١٢٥) . وفي اليوم نفسه استدعى وكيل وزارة الخارجية الالمانية بالوكالة فون ديم بوشه ـ هادنهاوزن Von dem Busche - Haddenhausen الزعيمين الصهيونيين فاربورغ وهانتكه عضوي اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية يرافقهما من الزعماء اليهود الالمان : اوبنهايمر Oppenheimer وفريدمان Fridmann وزوبرهايم Soberheim اعضاء لجنة الشرق Komite fuer den Osten(١٢٦) ، الى مكتبه وسلمهم

---

١٢٢) A.A., P.A., Tuerkei 41. Bd. 5, Von Papen an Bernstorff, Nablus, den 21 Nov, 1917.
نديم ، محود شكري : حرب فلسطين ، ص ١٥٢ ـ ١٥٤ .

Tuerkei 177, Von Matius an A.A. , Beirut, den 7 Dez. 1917.

Papen, Franz Von: Memoirs, p. 76.

١٢٣) Friedman, I.: op. cit., p. 381.

١٢٤) Berliner Lokalanzeiger, Berlin, den 5. Jan, 1918.

١٢٥) Friedman, I.: op. cit., p. 389.

١٢٦) جريس ، صبري : تاريخ الصهيونية ، ج١ ، ص ٢٧٢ .

البيان الرسمي التالي : « نحن نؤيد رغبة الاقليات اليهودية في البلدان التي لهم فيهاثقافة متطورة ، في ان تختط طريقها الخاص بها ، ونميل الى دعم أمانيها . اما بالنسبة الى اماني اليهود ، وبخاصة اماني الصهاينة منهم ، في فلسطين فان الحكومة (الالمانية) ترحب بالتصريح الذي أدلى به مؤخرا الصدر الاعظم ، طلعت باشا ، والذي يعبر عن عزم الحكومة التركية ، المتفق مع نظرتها الودية نحو اليهود بوجه عام ، على تنمية استقرار يهودي مزدهر في فلسطين ، عن طريق الهجرة غير المقيدة والاستيطان ضمن قدرة البلاد الاستيعابية ، وقيام حكم ذاتي يتفق وقوانين البلاد والتطور الحر لحضارتها » .

نشر هذا التصريح في الصحيفة الالمانية Norddeutsche Allgemeine في ٦ كانون الثاني ١٩١٨ ، كما نشر في الصحيفتين اليهوديتين الالمانيتين Juedische Rundschau و Juedische Presse في ١١ كانون الثاني ، وعلقتا عليه باطراء وثناء على السياسة الالمانية الجديدة(١٢٧) .

وعلى اثر ذلك عقد اجتماع للمنظمات اليهودية الالمانية في ٢٠ كانون الثاني ١٩١٨ حضره مندوبون عن الاتحاد المركزي لليهود الالمان Zentralverein deutscher Staatsbuerger Juedischer Glaubens وجمعية اغاثة اليهود الالمان Hilfsverein der deutschen Juden واللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية . وتم الاتفاق في هذا الاجتماع على برنامج موحد للعمل اليهودي في المانيا ، تضمن المطالب التالية من الدولة العثمانية :

ـ المساواة القانونية والفعلية في الحقوق والواجبات بين اليهود والرعايا العثمانيين .
ـ الحرية الدينية لليهود .
ـ الحق في ثقافة يهودية مستقلة .
ـ الحق في الهجرة الحرة والنشاط الاقتصادي الحر في كافة ارجاء الدولة العثمانية .
ـ الحق في الهجرة دون قيود الى فلسطين ، وقيام استقلال ثقافي لليهود فيها(١٢٨) .

اما طلعت باشا فقد استدعى النائب اليهودي في البرلمان العثماني قره صو بعد عودته الى اسطنبول . وتباحث معه حول البرنامج السابق الذكر(١٢٩) . فتحمس قره صو وألف لجنة من عشرين عضوا تمثل مختلف الاتجاهات اليهودية لدراسة البرنامج ووضع خطة عملية لتنفيذه .

---

١٢٧) Friedman I.: op. cit., pp. 382-3.
Stein, L: op. cit., pp. 602-4.

١٢٨) Friedman, I.: op. cit., p. 394.

١٢٩) المصدر نفسه ، ص ٣٩٦ - ٣٩٧ .

قامت اللجنة ، بعد مناقشات طويلة ، بتقديم مشروع للصدر الاعظم ينص على انشاء شركة ذات امتياز في اسطنبول تفوض من الحكومة العثمانية بمنح الحكم الذاتي للمناطق المأهولة باليهود . وبموجب هذا الامتياز تتولى الشركة جمع الضرائب وتأليف قوات من الشرطة وادارة البلديات . ووافق طلعت على هذا المشروع ووعد قره صو ولجنته بان تتبناه الحكومة العثمانية عند بحث شروط الصلح(١٣٠) .

وفي المانيا تشكلت اللجنة الفلسطينية Pro - Palaestina Komite في ايار ١٩١٨ برئاسة الامير بيرنشتورف Bernstorph لتكون موازية للجنة فلسطين البريطانية British Palestine Committee بهدف تشجيع الاستيطان اليهودي في فلسطين واحداث تغيير جذري في السياسة الالمانية نحو الحركة الصهيونية . وضمت اللجنة التنفيذية لهذه الهيئة عدة شخصيات المانية علمية وبرلمانية وحزبية وادبية بارزة(١٣١) .

وسعى الصهاينة الى استغلال تصريح طلعت باشا الذي القاه في برلين في الثاني من كانون الثاني ١٩١٨ استغلالا جيدا في الاوساط الرسمية الالمانية . وبمبادرة من وزارة الخارجية الالمانية تم لقاء في ربيع عام ١٩١٨ بين طلعت باشا ، اثناء زيارته لبرلين ، وبين وفد من منظمة غير صهيونية هي الاتحاد الالماني لليهود العثمانيين Deutsche Israelitische Osmanische Union برئاسة الدكتور الفرد نوسيغ . وعرض الوفد على الصدر الاعظم توطين يهود اوروبا الشرقية في مناطق مناسبة من الدولة العثمانية . ولكن طلعت اتخذ موقفاً غير ملزم في هذا اللقاء(١٣٢) .

وبينما كان حاييم وايزمان يتجول في فلسطين ويسعى الى انشاء الجامعة العبرية في القدس ، كان وفد يهودي الماني يستعد للسفر الى اسطنبول للتفاوض مع الحكومة العثمانية حول مستقبل فلسطين . وتألف الوفد من فيكتور جاكبسون وارتو روبين من اللجنة التنفيذية الصهيونية وبرنارد كان Bernard Kahn من جمعية الاغاثة اليهودية وماكس غرينفالد Max Gruenwald عن يهود النمسا وموسس اورباخ Moses Auerbach وايزاك بروير Isaac Breuer والحاخام ماركوس هوروفيتس Marcus Horowitz والحاخام بيرلموتر Perlmutter عن اليهود الارثوذكس . قابل الوفد الصدر الاعظم ، طلعت باشا ، وطالب باقامة مركز يهودي في فلسطين عن طريق الهجرة والاستعمار المنظمين . غير ان طلعت اوضح للوفد تعاطفه مع

---

١٣٠) قاسمية ، خيرية : النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ، ص ٢٨٧ .

١٣١) Lichtheim, F.: op. cit., pp. 216-7. Friedman I.: op. cit., p. 400 Yisraeli, D.: op. cit., p. 152.

١٣٢) Yisraeli, D.: op. cit., p. 151.

اليهود ، ووعدهم بتحقيق بعض مطالبهم[١٣٣] . وصدر في اعقاب هذا اللقاء بيان رسمي في ١٤ تموز ١٩١٨ جاء فيه ما يلي :

« . . . وخلال لقاء فخامة الصدر الاعظم بالوفد اعرب له عن تعاطفه نحو هذا العمل . واقتناعا منه بالاهمية والفائدة التي قد تجنيها الدولة العثمانية من استقرار اليهود في فلسطين رغب في أن يحظى هذا العمل بحماية الدولة العثمانية وبتشجيعها له بكافة الوسائل التي تتفق وحقوق السيادة للدولة العثمانية ، ودون الاضرار بحقوق السكان غير اليهود . وسوف يصدر فخامته الاوامر القاطعة بالغاء كافة القيود المفروضة على هجرة اليهود واستيطانهم في فلسطين . ولأجل ان يضمن للشعب اليهودي فيها ، انسجاما مع التقاليد العثمانية ، معاملة جيدة تقوم على قاعدة المساواة التامة مع العناصر الاخرى ، سيقوم فخامته بتعيين لجنة خاصة لاعداد برنامج مفصل لهذا العمل باسرع وقت ممكن . . . »[١٣٤] .

وتشكلت اللجنة الوارد ذكرها في هذا البيان برئاسة الوزير مدحت شكري . وقد علق السفير الالماني في اسطنبول البارون فون بيرنشتورف Baron Von Bernstorff على تشكيل هذه اللجنة بقوله : «سوف يرينا المستقبل ان هذه اللجنة لن تنتهي الى أي شيء ،سوى دفن الآمال الصهيونية . »[١٣٥] لقد كان السفير الالماني مقتنعا بأن الحكومة العثمانية غير جادة في كل ما جاء في بيانها السابق الذكر . فلماذا اذن اقدمت على هذه التنازلات ؟ ولماذا اصدرت بيانا قريبا في محتواه من تصريح بلفور ؟ ربما كان تدهور الوضع العسكري العثماني على كافة الجبهات وفقدان معظم فلسطين سببا في ذلك . وربما اعتقدت الحكومة العثمانية ان تحقيق بعض المطالب اليهودية قد يجعل وضعها افضل في مؤتمر الصلـح المقبل . ولا شك ان ضعف النفوذ الادبي العربي في اسطنبول بعد اعلان الثورة العربية الكبرى بقيادة شريف مكة الحسين ابن علي قد شجع الحكومة على اصدار هذا البيان. ولا يستبعد ان يكون للضغوط الرسمية الالمانية أثرها الفعال في دفع الحكومة العثمانية الى هذا الموقف وذلك من اجل ابطال مفعول تصريح بلفور والحفاظ على علاقات ودية مع المنظمة الصهيونية من اجل خدمة اغراض السياسة الخارجية الالمانية .

---

١٣٣) المصدر نفسه ، ص ٤٠٧ .

١٣٤) النص الكامل للبيان في Friedman, I.: op. cit., pp. 427-8

A.A., P.A., Tuerkei 195, Bd. 21,-K 180727-8.

النص مرفق بكتاب السفير الالماني في اسطنبول بيرنشتورف Bernstoff الى المستشار الالماني هيرتلنغ Hertling المؤرخ في ٢٧ آب ١٩١٨ .

١٣٥) Yisraeli, D.: op. cit., p. 151.

الخلاصـــة :

نشأت الحركة الصهيونية ردا على الاضطهاد الاوروبي للاقليات اليهودية وعلى انتشار موجة اللاسامية في البلدان الاوروبية التي تم فيها تحرير اليهود في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . واستمدت الحل الذي قدمته للمسألة اليهودية من الافكار السياسية الشائعة في اوروبا آنذاك ، أي الافكار القومية والاستعمارية . فنادت بقومية يهودية تقوم على الدين واللغة والتقاليد والمصير المشترك . ودعت الى تجميع يهود العالـم في فلسطين لاقامة دولتهم عليها ، عن طريق الهجرة المنظمة والحماية الدولية . واعتقد قادة هذه الحركة ان المانيا ، الدولة الشابة القوية ذات الاطماع التوسعية والتي تضم اكبر الاقليات اليهودية في اوروبا الغربية واكثرها ثقافة ونفوذا ، هي المؤهلة لحماية الدولة اليهودية المنوي انشاؤها . ولذلك كانت اول دولة اوروبية اتجهوا اليها وحاولوا اقناعها بتبني المشروع الصهيوني وحمايته .

مرت العلاقات بين الحركة الصهيونية والمانيا القيصرية بمراحل ثلاث :

- المرحلة الأولى وتبدأ باتصالات هرتسل بالمسؤولين الالمان عام ١٨٩٦ وتنتهي بوفاته عام ١٩٠٤

- المرحلة الثانية وتبدأ بعام ١٩٠٤ وتنتهي بقيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ .

- المرحلة الثالثة وتغطي فترة الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) .

اتسمت المرحلة الأولى بنشاط هرتسل المتواصل ومساعيه الحثيثة لاقناع الحكومة الالمانية بتبني المشروع الصهيوني . طالب هرتسل اول الأمر بحكم ذاتي لليهود في فلسطين تحت الحماية الالمانية . واقترح ان يبدأ ذلك بانشاء شركة ذات امتياز Chartered Company (مماثلة للشركة البريطانية التي تولت استعمار روديسيا) تتولى شراء الاراضي في فلسطين وجوارها وتهجير اليهود اليها . وعلق امالا عريضة على زيارة القيصر الالماني للعاصمة العثمانية عام ١٨٩٨ ، وبخاصة بعد ان اقتنع القيصر بان هذا المشروع سوف يخلص المانيا من اعداد اليهود الروس والبولنديين الوافدة باستمرار اليها ، وانه سوف يساهم في نشر الثقافة الالمانية وازدهار التجارة الالمانية في الشرق . ولكن معارضة السلطان العثماني جعلت القيصر الالماني يقلع عن السعي في هذا السبيل . واستغل هرتسل كل فرصة سانحة لاقناع الحكومة الالمانية بمشروعه . غير ان الحكومة الالمانية لم تأخذ المشروع الصهيوني مأخذ الجد ، وبخاصة بعد ان تولى منصب المستشارية بيرنهارد فون

بيلوف عام ١٩٠٠ ، ولم ترغب في اغضاب السلطان العثماني الذي فتح ابواب مملكته للنفوذ الاقتصادي والعسكري الالماني . ولكن رفض الحكومة الالمانية للمشروع الصهيوني لم يحل دون حمايتها لليهود المقيمين في فلسطين ودون دعمها للمؤسسات اليهودية فيها ، وبخاصة المدارس والمؤسسات الخيرية ، اعتقادا منها ان هذه المؤسسات قد تساهم في « جرمنة » الشرق .

أما المرحلة الثانية فقد تميزت بجمود تام . اذ شغل خلفاء هرتسل بالتنظيم الداخلي للمنظمة الصهيونية وبانشاء المؤسسات الادارية والمالية التابعة لها وبالصراع الداخلي في المنظمة الصهيونية طوال هذه الفترة .

واتصفت المرحلة الثالثة بسعي قيادة الحركة الصهيونية الى اقناع الحكومة الالمانية بحماية الاقلية اليهودية في فلسطين . وقد استجابت الحكومة الالمانية لهذه المساعي وتدخلت لالغاء التدابير التي فرضها جمال باشا على يهود فلسطين ، وذلك حرصا منها على عدم اغضاب اليهود في العالم ، وخاصة الولايات المتحدة الامريكية . ووضعت السفارة الألمانية في اسطنبول حقيبتها الدبلوماسية تحت تصرف المكتب الصهيوني « في العاصمة العثمانية لتأمين سرية الاتصال بينه وبين المراكز الصهيونية في فلسطين وبرلين . كما حصل زعماء الحركة الصهيونية في المانيا على جوازات سفر دبلوماسية لتأمين حرية الحركة لهم . وتشكلت في المانيا ، بالاتفاق مع القيادة العليا العسكرية « لجنة تحرير يهود روسيا » في برلين . كما ارسلت القيادة المذكورة وفدا من الاساتذة اليهود الالمان الى الولايات المتحدة بقصد كسب اليهود فيها الى جانب المانيا ، والضغط على الحكومة الامريكية للاستمرار في وقوفها على الحياد اثناء الحرب .

واستغل الصهاينة الوضع الدولي الناشيء عن الجمود الذي ساد جبهات القتال عام ١٩١٦ . واتجهوا إلى حث الحكومة الالمانية على اصدار بيان سمي يتضمن العطف على « الأماني الصهيونية في فلسطين» . ولكن خشية الحكومة الالمانية من أن يؤدي تدهور الوضع في جبهات الشرقية الى اسراع الحكومة العثمانية بعقد صلح منفرد مع الحلفاء جعلتها تتردد في الاستجابة للمطلب الصهيوني . وكان لسفير المانيا في اسطنبول فون كيلمان دور بارز في اقناع حكومته بهذا الرأي .

واندفع الصهاينة يلحون على حكومة برلين لتلبية مطالبهم مع تشكيل وزارة طلعت باشا في عام ١٩١٧ . وحاولت الحكومة الالمانية ارضاء الصهاينة بتدخلها الحاسم لالغاء التدابير العسكرية التي فرضها جمال باشا على اليهود في فلسطين عام ١٩١٧ . وبعد صدور تصريح بلفور اتجه الصهاينة الى برلين لاصدار تصريح مماثل . وانتهزوا زيارة الصدر الاعظم ، طلعت

باشا ، في مطلع كانون الثاني ١٩١٨ لطلب الغاء القيود العثمانية المفروضة على هجرة اليهود الى فلسطين . فوعدهم بذلك حالما تعود القدس الى السيادة العثمانية . واستمر الصهاينة في ضغوطهم حتى حصلوا على تصريح من وكيل وزارة الخارجية الالمانية في الثالث من كانون الثاني ١٩١٨ يؤيد ما وعد به طلعت باشا . وكلف الصدر الاعظم بعد عودته من برلين النائب اليهودي قره صو بتأليف لجنة يهودية عثمانية لوضع التفاصيل العملية لانشاء شركة ذات امتياز في اسطنبول تتولى العمل في المناطق المأهولة باليهود لاقامة حكم ذاتي فيها . وأمر طلعت باشا بدراسة الخطة التي وضعتها اللجنة ووعد بتبنيها عند بحث شروط الصلح بعد انتهاء الحرب .
وسعى الصهاينة انطلاقا من هذا الوعد الى الحصول على مزيد من التنازلات من الجانب العثماني . واصدار تصريح عثماني مماثل لتصريح بلفور . وتمكنوا من الحصول على هذا التصريح في ١٤ تموز ١٩١٨ . وتشكلت لجنة عثمانية لوضع ما جاء منه موضع التنفيذ . ولا يخفى ان تدهور الوضع العسكري العام على كافة الجبهات ، وفقدان معظم فلسطين ، وضعف النفوذ العربي بعد قيام الثورة العربية ، واعتقاد الدولة العثمانية ان تحقيق بعض المطالب الصهيونية قد يحسن من وضعها في مؤتمر الصلح المقبل ، ساهمت الى حد كبير جدا في تقديم هذا التنازل .

الفصل الرابع

العلاقات الألمانية ـ الفلسطينية
في فترة ما بين الحربين ١٩١٩ ـ ١٩٣٩

العلاقات الالمانية - الفلسطينية في عهد جمهورية فايمار ١٩١٩ - ١٩٣٢ :

كان من نتائج الحرب العالمية الأولى انهيار الامبراطورية الالمانية ، وسقوط النظام الملكي ، ووصول المعارضة السياسية الممثلة في الحزب الاشتراكي الديمقراطي الى السلطة . واجريت انتخابات عامة في البلاد في ١٩ كانون الثاني ١٩١٩ لاختيار الجمعية التأسيسية التي وضعت دستورا ديمقراطيا جمهوريا اعلن في ١١ آب ١٩١٩ في مدينة فايمار Weimar . وتولى فريتس ايبرت Fritz Ebert رئاسة الجمهورية ، كما اصبح صديقه فيليب شايدمان Philipp Scheidemann رئيسا للوزراء « مستشارا »[١] .

كان مؤتمر الصلح الذي عقد في باريس عام ١٩١٩ الشغل الشاغل للالمان ، سياسيين وعسكريين . وكان السؤال الكبير المطروح امامهم : هل يقبلون بمعاهدة فرساي Versailles التي فرضت عليهم بالقوة في ٢٨ حزيران ١٩١٩[٢] أم يرفضونها ؟ وفي حمى هذه البلبلة السياسية قام عدد من الضباط والسياسيين بمحاولة انقلاب عسكري في ٢٠ آذار ١٩٢٠ للاطاحة بالحكومة التي وقعت المعاهدة المذكورة . واضطر رئيس الجمهورية والحكومة الى اللجوء الى مدينة دريسدن Dresden . غير ان المحاولة باءت بالفشل . وعادت الامور الى مجراها . واجريت انتخابات نيابية في البلاد في حزيران ١٩٢٠ ، اتجهت البلاد بعدها نحو الاستقرار السياسي .

---

(١) Deuerlein, Ernst: Der Aufstieg der NSDAP in Augenzeugenberichten, p. 7.

Grimberg, Car, Svanstroem, Ragnar et Dumont, Goerges-H.:

Histoire Universelle: de la faillite de la paix à la Conquête de L'Espace, pp. 9 - 10

٢) حول معاهدة فرساي واثارها على المانيا انظر :

Duroselle, J.-B.: Histoire Diplomatique, pp. 21-24.

غير ان المشكلات التي نجمت عن معاهدة فرساي ظلت قائمة . وكان اهمها مشكلة التعويضات . وزاد هذه المشكلة حدة التدهور الاقتصادي الذي منيت به المانيا في اعقاب الحرب والذي دفع الحكومة الى الاستدانة المستمرة حتى بلغت ديونها في نيسان ١٩٢١ مئة وثمانية وثلاثين مليونا من الماركات الذهب(٣) كما ان الشروط القاسية التي تضمنتها معاهدة فرساي اثارت الشعور بالاهانة لدى الالمان جميعا . وزاد الطين بلة احتلال القوات الفرنسية والبلجيكية لمنطقة الرور Ruhr Gebiete في ١١ كانون الثاني عام ١٩٢٣ لاكراه الحكومة الالمانية على دفع ما تأخر عليها من تعويضات(٤) . ورد سكان الرور على الاحتلال بالمقاومة السلبية والامتناع عن العمل في المناجم والمصانع . ونتج عن ذلك كله تضخم نقدي لم تشهد له البلاد مثيلا في تاريخها . اذ بلغ سعر الدولار الواحد الف مارك أول الامر ثم ارتفع الى خمسين الف مارك . وفي ربيع عام ١٩٢٣ بلغت قيمة الدولار الواحد مئة الف مارك ثم مليون مارك ثم عشرة ملايين مارك . وفي خريف ذلك العام بلغ سعر الدولار الواحد تسعة وتسعين مليون مارك . وتدخلت الحكومة في تشرين الثاني من العام نفسه لانقاذ المواقف وايقاف التضخم النقدي الرهيب بسك نقد جديد هو Rente Mark . وتدخلت بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية لانقاذ الوضع الاقتصادي في المانيا . فتقدمتا بمشروع دوزDawes الذي حدد مقدار ما تدفعه المانيا من التعويضات بمليار مارك سنويا حتى عام ١٩٢٨ - ١٩٢٩ . ووضع البنك المركزي الالماني « الرايخ بانكReichsbank » تحت الاشراف الاجنبي من اجل الحفاظ على استقرار سعر المارك(٥) .

جمهورية فايمار والحركة الصهيونية :

ادت الاوضاع الجديدة في المانيا الى تغير جذري في سياستها الخارجية . اذ اصبح هدفها الرئيسي اعادة النظر في معاهدة فرساي . ولم يعد الموقف الالماني من الصهيونية مرتبطا بالعلاقات الالمانية - العثمانية ، كما كانت الحال في عهد القيصر فيلهلم الثاني ، وانما غدت الحكومة الالمانية الاشتراكية الديمقراطية متحررة من كل قيد في تعاملها مع الحركة الصهيونية . واعتقد قادة المانيا الجدد ان تعاونهم مع الصهيونية قد يساهم في كسب ود بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية ومساندتها في سعيهم الى اعادة النظر في بنود معاهدة فرساي(٦) . ونشأت

---

٣) Grimberg, C. et autres, op. cit., p. 11.

٤) Duroselle, J.B.: op. cit, pp. 69- 70.

٥) Grimberg C. et autres: op. cit., pp. 12-13.

Duroselle J.B.: op. cit., pp. 74-6

٦) Friedman, I, Germany, Turkey and Zionism 1897-1918, p. 416.

علاقات ودية بين الزعماء الصهاينة والمسؤولين الالمان بين عامي ١٩١٩ و ١٩٢٥ . وشارك عدد من الزعماء اليهود الالمان في الوفد الالماني لمؤتمر الصلح امثال الدكتور اوجين فوكس Eugen Fuchs رئيس الاتحاد المركزي لليهود الالمان ، والحاخام بنحاس كوهن Pinhas Kohn(٧) . كما زار حاييم وايزمان المانيا مرات عديدة ، واستقبل من طرف رئيس الجمهورية فريتس ايبرت في زيارته الثانية عام ١٩٢٢ . وحاول وايزمان اثناء زياراته اقناع المسؤولين في وزارة الخارجية الالمانية بأن فرنسا هي العدو المشترك لالمانيا والصهيونية ، مؤكدا على أنها تؤيد العرب في كفاحهم ضد الصهيونية ، وان من مصلحة المانيا والصهيونية تأييد بريطانيا كي تتمكن من مواجهة فرنسا والعرب في الشرق الاوسط . وخلص وايزمان في مباحثاته مع الالمان الى القول بان المانيا والصهيونية حليفان طبيعيان . ولكن هذه المساعي الصهيونية لم تؤت ثمارها لأن المسؤولين الالمان لم يرغبوا في اتخاذ موقف من قضية لا تعنيهم مباشرة(٨) .

وحاولت القيادة الصهيونية استغلال العداء التقليدي بين الكنيسة الانجيلية والبابوية لكسب تأييد الالمان . واثارت مخاوف الالمان من النشاط المتزايد للفاتيكان في فلسطين . وسعت الى اقناع المسؤولين الالمان بان دعم الصهيونية قد يضعف من نفوذ الفاتيكان في فلسطين . وان السبيل الى ذلك هو تحسين العلاقات بين الصهيونية والالمان والحد من مقاومة الكرسي البابوي للنشاط الصهيوني في الارض المقدسة . وقد لعب الدبلوماسي الالماني دلبريك Delbrueck دورا مهما في هذه المساعي خلال عامي ١٩٢٢ و١٩٢٣ . اذ حاول اقناع وزير الخارجية الالماني الهر شوبرت Schubert بان تمتع الفاتيكان بوضع قوي في فلسطين ليس في صالح المانيا لأن المستفيد الوحيد من هذا الوضع فرنسا وايطاليا(٩) .

وتطورت العلاقات الالمانية ـ الصهيونية بعد دخول المانيا في عصبة الامم عام ١٩٢٦ ، وانتخابها عضوا دائما في مجلسها في ٢٤ ايلول من العام نفسه(١٠) . وترتب على ذلك اعتراف المانيا بالانتداب البريطاني على فلسطين وبتصريح بلفور الوارد في صك الانتداب . وكان من المتوقع ان تلعب المانيا دورا فعالا في صياغة سياسة العصبة نحو القضية الفلسطينية ونحو الحركة الصهيونية . غير ان ذلك لم يحصل ، اذ اتسم الموقف الالماني في اروقة العصبة بالحذر والحياد وعدم الالتزام تجاه الاطراف المعنية : العرب والصهاينة والانكليز . وقد عبرت عن هذا الموقف في المناقشات المتعلقة بالقضية الفلسطينية مثل مسألة حائط البراق ، وثورة عام ١٩٢٩ ،

---

٧) المصدر نفسه ، ص ٤١٥ .

٨) Yisraeli, D.: Germany and Zionism in «Germany and the Middle East», p. 152.

٩) المصدر نفسه ص ١٥٣ .

١٠) حول دخول المانيا في عصبة الامم انظر : Duroselle, J.B.: op. cit., pp. 37-88.

ومسألة المجلس التشريعي ، والقرض الدولي لفلسطين المضمون من عصبة الأمم . وحرصت المانيا على مجالأة بريطانيا وترضية الاطراف الأخرى . وكان خطاب شتريزمان Stresemann الذي القاه في مجلس العصبة في ٧ ايلول ١٩٢٨ ، عند مناقشة الاحداث في فلسطين ، انموذجا للموقف الالماني . فقد اعرب عن رضاه عن التقرير الذي تقدم به المندوب البريطاني الى المجلس واثنى على الجهود التي بذلتها حكومة الانتداب « لانهاء الاضطرابات وتأمين التعايش بين كافة فئات السكان . وحاول شتريزمان تجنب الخوض في النزاع العربي ـ اليهودي(١١) .

ومن الجدير بالذكر ان دخول المانيا في عضوية عصبة الأمم أفضى الى اعادة تنظيم لجنة فلسطين الالمانية Pro- Palaestina Komite والتي انشئت في العهد القيصري من اجل دعم المجهود الصهيوني في فلسطين على الصعيدين الفردي والحكومي . وابدت وزارة الخارجية الالمانية اهتماما بهذه اللجنة وتدخلت لانتخاب البارون فون بيـرنشتورف Baron Von Bernstorff سفير المانيا السابق في اسطنبول ، رئيسا لها . ورأت في اللجنة أداة يمكن استخدامها لتوثيق العلاقات الاقتصادية الالمانية بفلسطين ، ووسيلة لتعزيز علاقاتها بالقيادة الصهيونية التي انتقل مقرها بعد الحرب العالمية الأولى من برلين الى لندن ، ودعم العناصر الالمانية في هذه القيادة ، وبخاصة بعد ان فقدت هذه العناصر نفوذها واصبحت العناصر الموالية لبريطانيا هي المهيمنة على الحركة الصهيونية(١٢) .

أما على صعيد الحركة الصهيونية فقد كانت الفترة الواقعة بين ابرام اتفاقية الهدنة في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ وانعقاد المؤتمر الصهيوني في لندن في ربيع عام ١٩٢٠ فترة انتقال . لقد كان المقر العام للمنظمة الصهيونية العالمية منذ تأسيسها عام ١٨٩٧ وحتى عام ١٩٢٠ في منطقة ناطقة بالالمانية . غير ان ظروف ما بعد الحرب جعلت الصهاينة ينقلون مقر المنظمة الى بريطانيا، وهذا ما حصل اثناء انعقاد مؤتمر لندن العام ١٩٢٠ . وانعكس الوضع الجديد على الصهاينة الالمان الذين ضعف نفوذهم في المنظمة الصهيونية . وكان لقيام جمهورية فايمار في المانيا والاحداث التي شهدتها الدول الاوروبية الأخرى اثرها على الحركة الصهيونية بوجه عام وعلى هذه الحركة في المانيا بوجه خاص . فانتصار البولشفية في روسيا وفوز الحزب الديمقراطي الاشتراكي في المانيا أديا الى اتجاه الصهاينة الالمان نحو الاشتراكية . ومنذ عام ١٩١٩ تولى

---

١١) Yisraeli, D.: op. cit., p. 154.

١٢) Bodenheimer, M.: So wurde Israel, p. 232,

Polkehn, K.: The Secret Contacts: Zionism and Nazi Germany, in Journal of Palestine Studies, 19-20 Spring Summer 1976, Vol.V, Nos, 3,4., p. 138.

وئاسة تحرير صحيفة Juedische Rundschau الناطقة بلسان الاتحاد الصهيوني الالماني Z. V. F. D. الصحفي روبرت فيلتش Robert Weltsch المعروف باتجاهه الاشتراكي .

وتحسنت اوضاع اليهود في ظل جمهورية فايمار في الميادين الاقتصادية والاجتماعية بحيث انخفضت هجرتهم الى فلسطين ، كما يوضح ذلك الجدول التالي :

هجرة اليهود الى فلسطين من ١٩١٩ الى ١٩٣٢

السنة	بولندا	روسيا	المانيا	رومانيا	بريطانيا	الولايات المتحدة	آسيا	افريقيا	غير محددين	باقي مناطق العالم	المجموع العام
١٩١٩	-	٨٠٦	-	-	-	-	-	-	١٠٠٠	-	١٨٠٦
١٩٢٠	٢٥٥٢	٢٢٠٢	١٧٥	٣٣١	٥٧	١٦٣	٢٨٥	١٠٨	١٠٧٢	١٢٧٨	٨٢٢٣
١٩٢١	١٨٠٠	٣٧٨١	١٨٥	٤٢٤	٣٧	١٥٠	١٨٠	٨٤	٨٤٢	٨١١	٨٢٩٤
١٩٢٢	٢٦٣١	٣٦٢٦	٣٨	٢٨٥	٧٣	١٩٩	٢٨٥	٢٧	٨٨٢	٦٣٩	٨٦٨٥
١٩٢٣	٢١٧٥	٢٩٤٨	٧١	٣٦٤	١٣	٨٩	٤٣١	١١	١٣٤٤	٧٢٩	٨١٧٥
١٩٢٤	٥٦٧٠	٢٩٧٤	١٨٠	٤٣١	٢٤	١٦٢	٢٨٨٦	٨٨	٢٩	٢٤٤٨	١٣٨٩٢
١٩٢٥	١٧١١٥	٧٧٨٠	٢٦٢	١٧٠١	٣٠	٣٣١	١٩٨٦	٦٣	٥٣٣	٤٥٨٥	٣٤٣٨٦
١٩٢٦	٧٥٠٨	١٩١٨	٧١	٦٩٣	٦٥	١٨٤	١٦٣٦	٢٤	٢٠٧	١٥٤٩	١٣٨٥٥
١٩٢٧	٨٣٦	٥٠٦	٩	١٢٦	١١	٢٧	٥٨٠	١	٦٦	٨٧٢	٣٠٣٤
١٩٢٨	٢٨٢	٢٧٧	٦	٢٤	٨	٧١	٢٥	-	١٩	١٤٦٣	٢١٧٥
١٩٢٩	١٩٧٨	٣٩٩	٤٧	٢٨٢	١٢	٨٠	٥٨٣	-	١٦٩	١٦٨٣	٥٢٤٩
١٩٣٠	٢٣٨٨	٤٢٥	٤٧	٢٨٦	١٣	١٣٢	٣٩٣	-	٧٢	١١٨٨	٤٩٤٤
١٩٣١	١٦١٠	٣٥٧	٤٢	١٩٦	١٠	١٧١	١٨١	-	٥١	١٤٥٧	٤٠٧٥
١٩٣٢	٢٩٨٧	١١٨	١٥٣	٣٧٧	٣٠	٤٩١	٥٣٨	٥	٨١	٤٧٧٨	٩٥٥٣
المجموع	٤٩٥٣٢	٢٨٠١٧	١٢٨٦	٥٥٠٣	٣٨٣	٢٢٥٠	٩٩٨٨	٤١١	٦٣٦٧	٢٣٤٨٠	١٢٦٣٤٦ (١٣)

١٣) الكيالي ، عبد الوهاب : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٤١٤ - ٤١٥ .

Himadeh, S.: Economic Organization of Palestine, pp. 560-561.

Colonial No. 75 (1932) Report on The administration of Palestine for the year 1931, p. 140. Colonial No. 104 (1935), Report on the administration of Palestine for year 1934, p. 191.

وقل عدد المتسبين من اليهود الالمان الى المنظمة الصهيونية فلم يتجاوز عددهم ١٠٦٨ شخصا عام ١٩٢٥/١٩٢٦ . واحتل يهود المانيا المرتبة الرابعة بين يهود العالم المتسبين الى هذه المنظمة كما يوضح ذلك الجدول التالي لعام ١٩٢٥/١٩٢٦ :

عدد المتسبين من يهود امريكا	٩٢٤٧
عدد المتسبين من يهود بولندا	٤٢٤٧
عدد المتسبين من يهود جنوب افريقيا	١٣٦٣
عدد المتسبين من يهود المانيا	١٠٦٨
المجموع العام للمتسبين من يهود العالم	٢٤٣٥٩[١٤]

كما قل عدد المساهمين في صندوق الاستيطان اليهودي كيرن هايسود من اليهود الالمان ، واحتل يهود المانيا المرتبة الخامسة بين يهود العالم في مساهمتهم في هذا الصندوق بين الأول من نيسان ١٩٢٥ و ٣١ آذار ١٩٢٧ ، واحتلوا المرتبة الثالثة في الفترة الواقعة بين الأول من نيسان ١٩٢٧ و ٣١ آذار ١٩٢٩ كما يبين ذلك الجدول التالي :

جدول بمساهمة يهود العالم في كيرن هايسود بالجنيه الاسترليني

السنة	مساهمة يهود الولايات المتحدة	مساهمة يهود بريطانيا	مساهمة يهود جنوب افريقيا	مساهمة يهود كندا	مساهمة يهود المانيا	المجموع من كافة انحاء العالم
١٩٢٥/٤/١ ١٩٢٧/٣/٣١	٦١٥٣٥٨	٨٠٩٦٨	٧٧٨٥٨	٥١٨٩٩	٤٨٧٢٣	١٣٣٠٠٠
١٩٢٧/٤/١ ١٩٢٩/٣/٣١	٤٠٢٠٧٩	٣٥٧٨٢	٩٨٩١٥	-	٥٨٩٩١	٨٥٨٠٧٨

١٤) Lichtheim, R.: Die Geschichte des Deutschen Zionismus, p. 244.

١٥) المصدر نفسه ، ص ٢٤٥ .

وتولى عدد مـن الصهاينة الالمان مناصب ادارية عالية في حكومة فايمار ، امثال هيرمان بلادت Hermann Bladt ، المدير العام في وزارة الداخلية البروسية ، وهانز غوزلار Hans Goslar مدير المطبوعات في الحكومة البروسية ، وكونراد كايزر Conrad Kaiserرئيس الدائرة الخامسة في القيادة العامة للشرطة في برلين . وبلغ عدد الموظفين اليهود في نهاية جمهورية فايمار حوالي اربعة الآف موظف أي ٤,٠٪ من مجموع موظفي الدولة . وكان هؤلاء موزعين على الشكل التالي :

١٨٣٢	موظفا في سلك التعليم
٢٨٦	موظفا في سلك القضاء
٢٨٢	موظفا في اجهزة البرق والبريد والهاتف وسكك الحديد
١٥٤٥	موظفا في بقية اجهزة الدولة[١٦] .

جمهورية فايمار والمستعمرات الالمانية في فلسطين :

نصت الفقرة التاسعة عشرة من اتفاقية الهدنة بين الحلفاء والدولة العثمانية المبرمة في ٣١ تشرين الأول ١٩١٨ على ان تقوم الحكومة البريطانية بطرد الرعايا الالمان من كافة الممتلكات العثمانية[١٧] . ونفذت السلطات العسكرية البريطانية في فلسطين ما جاء في هذه الفقرة . فقد ورد في تقرير المفوضية الالمانية في لاهاي المرسل الى وزارة الخارجية في برلين ان عدد الالمان الذين اعتقلوا في فلسطين وارسلوا الى المعتقلات البريطانية في حلوان وسيدي بشر في مصر نحو الفي رجل[١٨] .

ولما انتهت الحرب اصبـح هؤلاء المعتقلون من الموضـوعات التي شغلـت بـال الحكومة الالمانية ، ودخلت من اجلهم في مفاوضات طويلة مع الحكومة البريطانية . ففي الثاني من تشرين الأول ١٩٢٠ قدم السفير الالماني في لندن مذكرة الى وزارة الخارجية البريطانية يطلب معرفة مصير الممتلكات الالمانية في فلسطين . وردت عليها وزارة الخارجية البريطانية بان الموضوع لن يبت فيه الا بعد دخول معاهدة الصلح مع الدولة العثمانية حيز التنفيذ ، وبعد تطبيق نظام الانتداب على فلسطين[١٩] .

---

١٦) المصدر نفسه ، ص ١٦١ ، ٢١٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ .

١٧) A.A., P.A., Polotische Abt. III, po. 25, Bd.1 Palaestina.

١٨) المصدر نفسه ، مذكرة من وزارة الخارجية البريطانية الى المفوضية السويسرية في لندن مؤرخة في ٢٥ حزيران ١٩١٩ .

١٩) A.A., P.A., Politische Abt. III, Po. 25, Palaestina, Bd. 2.

وتعرضت حكومة برلين لضغوط من حكومة فورتمبرغ المحلية من اجل السعي لاعادة الملاكين الالمان المعتقلين في مصر الى فلسطين . فطلبت وزارة الخارجية الالمانية من ممثل المصالح الالمانية في المفوضية السويدية في اسطنبول تزويدها بتقرير مفصل عن اوضاع الرعايا الالمان في فلسطين . واتصلت المفوضية السويدية بالقنصل الاسباني في القدس مرادس Marades المكلف برعاية الشؤون والمصالح الالمانية في فلسطين تطلب منه المعلومات الوافية عن الموضوع . وبعث هذا بتقرير مؤرخ في ٣٠ تموز ١٩٢٠ تضمن المعلومات التالية :

- يبلغ عدد الالمان الكاثوليك المقيمين في فلسطين ٤٢ نسمة .
- يبلغ عدد الاسر الالمانية المقيمة في فلسطين ١٢٦ أسرة ونحو خمسين راهبا وراهبة .
- يبلغ عدد الالمان الذين اكرهتهـم السلطات البريطانية على مغادرة فلسطين الى المانيا ١٧٧ نسمة .
- يبلغ عدد الالمان الذين أفرج عنهم في المعتقلات البريطانية في مصر ٤ حزيران ١٩٢٠ (٤١٣) شخصا .
- لم يبق في السجون والمعتقلات البريطانية سوى (٣٥) المانيا في فلسطين[٢٠] .

هذا وكانت السلطات البريطانية قد صادرت كافة الممتلكات الالمانية في فلسطين بما في ذلك الاديرة والكنائس والمؤسسات التربوية والخيرية[٢١] . كما صادرت القنصلية العامة الالمانية في القدس ، ثم ما لبثت ان اعلنت في ٣١ تشرين الأول ١٩٢١ عن الغاء هذه المصادرة وعن استئجارها للمبنى بحجة ان السلطات العسكرية لن تستغني عنها لضرورات ادارية[٢٢] .

وبعد صدور صك الانتداب البريطاني على فلسطين وإقراره من قبل مجلس عصبة الأمم في ٢٤ تموز ١٩٢٢ استأنفت الحكومة الالمانية التفاوض مع الحكومة البريطانية بشأن تمثيلها القنصلي في فلسطين . واسفرت هذه المفاوضات عن موافقة الحكومة البريطانية في ١٣ كانون الأول ١٩٢٢ على تعيين الهركاب Kapp برتبة نائب قنصل ملحقا بالقنصلية الاسبانية في القدس لرعاية الشؤون الالمانية[٢٣] .

---

٢٠) المصدر نفسه مذكرة الممثل الالماني في المفوضية السويدية في اسطنبول المؤرخة في ٢٩ تشرين الأول ١٩٢٠ .

٢١) المصدر نفسه بيان الفيلدمارشال اللنبي قائد الحملة المصرية في ٢١ كانون الأول ١٩١٧ .

٢٢) A.A., P.A., Politische Abt. III, Po. 10, Palaestina, Bd. 1.

مذكرة وزارة الخارجية البريطانية الى السفير الالماني فريدريش شتامر Friedrich Sthamer بتاريخ ٣١ تشرين الأول ١٩٢١ .

٢٣) المصدر نفسه ، مذكرة السفارة الالمانية في لندن الى وزارة الخارجية البريطانية في ٢٦ تشرين الأول ١٩٢٢ والرد عليها المؤرخ في ١٣ كانون الأول ١٩٢٢ .

وبقي الوضع هكذا حتى دخلت معاهدة لوزان حيز التنفيذ في ٦ آب ١٩٢٤ . وبموجبها تخلت الحكومة التركية عن سيادتها على فلسطين واعترفت بالانتداب البريطاني عليها . عندها رأت المانيا ان الوقت قد حان لتمثيلها في فلسطين على مستوى قنصلية عامة . واتصل نائب القنصل الالماني الملحق بالقنصلية الاسبانية في القدس بالمندوب السامي البريطاني السير هربرت صموئيل Herbert Samuel ، فأبدى تحبيذه الفكرة ، واقترح عليه بحث الموضوع مع وزارة الخارجية في لندن وجاءت الموافقة في ١٨ كانون الأول ١٩٢٤ . وعين الدكتور نورد Nord اول قنصل الماني عام في القدس(٢٥) . وجاءت الموافقة من حكومة الانتداب على هذا التعيين في ٤ شباط ١٩٢٥(٢٦) . والغيت في اثناء ذلك مصادرة الممتلكات الالمانية في فلسطين . وسمح للملاكين الالمان بالعودة الى ممتلكاتهم وبلغ عدد الالمان المقيمين في فلسطين حسبما جاء في احصائية عام ١٩٣١ (٢٩٤٥) ، نسمة(٢٧) .

المبادلات التجارية بين المانيا وفلسطين (١٩٢١ - ١٩٣٣) :

كان من نتائج انهيار الدولة العثمانية وفرض الانتداب البريطاني على فلسطين ، ان اصبحت البلاد لأول مرة كيانا سياسيا له حدوده وتنظيمه السياسي والاقتصادي . وساهمت عدة عوامل في نمو تجارتها الخارجية مثل تحسن طرق المواصلات ووسائل النقل في الداخل والخارج ، ونمو عدد السكان بصورة سريعة بحيث تضاعف هذا العدد بين عامي ١٩٢٠ و١٩٣٦ .وكانت الهجرة اليهودية من اسباب هذا النمو السريع اذ بلغ عدد المهاجرين اليهود في الفترة نفسها نحو ٢٦٥٠٠٠ نسمة . ولا شك ان الافكار والاساليب الغربية في الانتاج التي دخلت الى البلاد كانت من العوامل المهمة في نمو تجارتها الخارجية(٢٨) .

وقبل ان تسوي الحكومة الالمانية علاقاتها السياسية بفلسطين استأنفت صادراتها اليها منذ عام ١٩٢١ . واحتلت المرتبة الرابعة بعد بريطانيا ومصر والهند بين الدول المصدرة الى فلسطين في ذلك العام. كما احتلت المرتبة الثانية في العام التالي. والجدول التالي يبين واردات فلسطين بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٢٢ :

---

٢٤) المصدر نفسه ، مذكرة فون ريشتهوفن V.L.R. Von Richthoven برلين في ١١ ايلول ١٩٢٤ .

٢٥) المصدر نفسه ، برقية من مرتنس / Mertens الممثل الالماني في القنصلية الاسبانية في القاهرة الى برلين في ١٩ كانون الأول ١٩٢٤ .

٢٦) المصدر نفسه ، رسالة من كلايتون G.F. Clayton سكرتير حكومة فلسطين الى الدكتور كاب Kapp نائب القنصل الالماني في ٤ شباط ١٩٢٥ .

٢٧) Himadeh, S.: op. cit., p. 562.

٢٨) المصدر نفسه ، ص ٣٨٧ - ٣٨٩ .

الدولة	قيمة الواردات بالجنيه الاسترليني عام ١٩٢٠	النسبة المئوية	قيمة الواردات بالجنيه عام ١٩٢١	النسبة المئوية	قيمة الواردات بالجنيه عام ١٩٢٢	النسبة المئوية
بريطانيا	١٥١٣٠١٧	٢٨	١٨٨٥٤٠٦	٣٢	١٥٥٠٥٠٢	٢٨
مصر والسودان	٧٣٠٧٨٣	١٤	٧٣١٨٧٩	١٣	٥٦٤٢٤٩	١١
الهند وبورما	٤٠٢٠٩٣	٧	٢٩٧٢٢٦	٥,٥	١٥٣١٧٧	٣
المانيا	-	-	٢٦٤٨٨٩	٥	٦٦١٦١٦	١٢
استراليا	٢٧١٧٥٥	٥	٦٤٤٣٣	١	١٢٤٩٧٧	٢
فرنسا	٢٢٩٩٠٨	٤	٢٠٩٦٨٤	٤	٢٧٥٤٢٤	٥
النمسا	-	-	٨١٧١٥	١	١١٤٦٢٦	٢
بلجيكا	-	-	٧٣٧٠١	١	١١٧١٠٩	٢[٢٩]

وكانت صادرات المانيا الى فلسطين تتألف من ادوات حديدية وخشب للبناء والبسة وادوات المونيوم واقمشة وادوات موسيقية ومواد طبية ودهانات ومشروبات روحية وورق واسمنت وادوات زجاجية[٣٠]. واحتلت المانيا في اعوام ١٩٢٣ و ١٩٢٤ و ١٩٢٥ المرتبة الثالثة بين الدول المصدرة الى فلسطين . وتراجعت عام ١٩٢٦ فاحتلت المرتبة الرابعة والجدول التالي يبين نسبة هذه الصادرات مقارنة بصادرات الدول الأخرى في الفترة نفسها :

٢٩) Seidel, H.-J.: Der Britische Mandatstaat Palaestina im Rahmen der Weltwirtschaft, p. 52.

٣٠) A.A.P.A., Politische Abt. III, Wirtschaft, Handel II, Palaestina, Bd.1.
تقرير القنصلية الالمانية في القاهرة الى وزارة الخارجية في برلين بتاريخ ٢٢ آذار ١٩٢٢ .

الدولة	النسبة المئوية عام ١٩٢٣	النسبة المئوية عام ١٩٢٤	النسبة المئوية عام ١٩٢٥	النسبة المئوية عام ١٩٢٦
بريطانيا	٢٢,٧	١٧,٨	١٤,٤	١١,٣
المانيا	٩,٦	١٠,٣	١٢,٤	١١,١
مصر	٧,٣	٦,٩	٦,١	٢٦,٨
الولايات المتحدة	٨,٣	٧,٣	٩,١	٥,٢
سورية	١٦,٥	١٧,٨	١٤,١	١٥,٥
فرنسة	٥,٥	٥,٩	٧,٥	٦,٥
ايطاليا	٤,٣	٥,٣	٤,٧	٤,٦ (٣١)

يلاحظ من الجدول السابق ان المانيا اخذت تقترب من منزلة بريطانيا بين الدول المصدرة الى فلسطين حتى بلغت نسبة صادراتها الى فلسطين ١١,١٪ بينما بلغت نسبة الصادرات البريطانية ١١,٣٪ ولعل الجدول التالي يبين بصورة اوضح طبيعة المبادلات التجارية بين فلسطين والمانيا في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٢٠ و١٩٣٢ :

السنة	قيمة الواردات من المانيا بالجنيه المصري حتى عام ١٩٢٣ وبالجنيه الفلسطيني بعد ذلك	قيمة الصادرات الفلسطينية الى المانيا بالجنيه المصري حتى عام ١٩٢٣ وبالجنيه الفلسطيني بعد ذلك
١٩٢٠	-	-
١٩٢١	٢٦٤٨٨٩	-
١٩٢٢	٦٦١٥١٦	١١٣٢٠
١٩٢٣	٤٧١٤٣٢	١٠٦٨٢ (٣٢)
١٩٢٤	٥٧٤٠٦٦	١٩٥٢٥
١٩٢٥	٩٥٤٣٢٩	٢٠٧٠٨
١٩٢٦	٧٣٤٣٠٥	٥٤٠٥٣
١٩٢٧	٥٥٧٦١٧	٩٠٠٠٩
١٩٢٨	٦٦٧٢١٨	٦٩٠٢٥
١٩٢٩	٧٤٣٦٥٦	١٧٧٣٦٥
١٩٣٠	٧٦٢٠٧٥	٢٠٣٥٤٩
١٩٣١	٦٣٨١٨٥	٢٠١٧٣٠
١٩٣٢	٧٧٥١٠٤	٣٣٢٨١٩ (٣٢)

العلاقات الالمانية ـ الفلسطينية في العهد النازي (١٩٣٣ ـ ١٩٣٩) :

وصل حزب العمال الوطني الاشتراكي الالماني National Soziatistische Deutsche Arbeiter Partei (ويطلق عليه اختصارا الحزب النازي) الى الحكم في مطلع عام ١٩٣٣ . وتولى زعيمه ادولف هتلر Adolf Hitler منصب المستشارية في ٣٠ كانون الثاني من ذلك العام[٣٤] . وبوصول هذا الحزب الى الحكم بدأت مرحلة جديدة في العلاقات الالمانية الفلسطينية . فقد عرف عن هتلر وحزبه منذ البداية عداؤهما السافر لليهود واليهودية ، انطلاقا من نظرتها العرقية لشعوب الدنيا وسعيهما الى تأمين السيطرة للعرق الآري (الجرماني) على العالم . فقد جاء في مذكرة لهتلر مؤرخة في ١٦ ايلول ١٩١٩ ما يلي :

« اللاسامية العاطفية تنتهي دوما بالمجازر . اما اللاسامية المعقولة فينبغي ان تؤدي الى كفاح منظم ومحدد بالقانون ضد الامتيازات التي يتمتع بها اليهودي والتي تميزه عن غيره من الاجانب الذين يعيشون بيننا . يجب ان يكون الهدف النهائي للاسامية المعقولة طرد جميع اليهود من المانيا »[٣٥] .

وشرع هتلر منذ وصوله الى السلطة بسن القوانين والانظمة لمكافحة اليهود في المانيا واكراههم على مغادرة البلاد . فاصدر في ٧ نيسان ١٩٣٣ قانون العودة الى الوظيفة العامة Gesetz Zur Wiederstellung des Berufsbeamtentums بهدف تطهير اجهزة الدولة من العناصر غير المرغوب فيها من غير الآريين . وفي اليوم نفسه صدر نظام بمنع المحامين من غير الآريين من الدفاع امام المحاكم الالمانية . وصدر في ٢٢ نيسان من العام نفسه نظام لا يعترف بالاطباء غير الآريين لدى شركات التأمين الطبي . وبعد ذلك بثلاثة ايام صدرت تعليمات تحدد عدد التلاميذ والطلبة اليهود في المدارس الثانوية والجامعات الالمانية وفق نسبة عدد اليهود في

---

٣١) A.A.P.A., Politische Abt, III, Wirtschaft, Wirtschaft, 8, Palaestina, Bd. 1.

تقرير القنصل الالماني العام في القدس الدكتور نورد الى وزارة الخارجية في برلين بتاريخ ١٣ آذار ١٩٢٨ .

٣٢) A.A.P.A., Politische Abt, III, Wirtschaft, Handel II, Palaestina, Bd. 1.

تقرير نائب القنصل الالماني كاب (القدس) الى وزارة الخارجية في برلين في ٣ آذار ١٩٢٦ .

٣٣) A.A.P.A., Ha-Pol., Clodius, palaestina, (1933 - 1937).

تقرير القنصل الالماني في القدس الهر فولف الى وزارة الخارجية في برلين في ٧ ايلول ١٩٣٣ .

٣٤) حول تفاصيل وصول الحزب النازي الى السلطة وكفاحه السياسي بين عامي ١٩١٩ و١٩٣٣ انظر :

Maser, W.: Die Fruehgeschichte der NSDAP.

Deuerlein, E.: Der Aufstieg der NSDAP in Augenzengenberichten.

٣٥) Ben Elissar, E.: La Diplomatie du IIIe Reich et les Juifs, pp. 50-51.

المانيا(٣٦) . ومنذ الاول من نيسان بدأت المقاطعة الالمانية للمتاجر اليهودية بحجة الدعاية المعادية التي تشنها اليهودية العالمية ضد المانيا(٣٧) .

---

٣٦) المصدر نفسه ، ص ٥٢ .

٣٧) Feilchenfeld, W., Michaelis, D. und Pinner, L.: Haavara Transfer nach Palaestina und Einwanderung deutscher Juden 1933-1939 p. 17. Lichtheim R.: op. cit., pp. 250 - 251.

صدر في ٢٨ آذار ١٩٣٣ أمر من قيادة الحزب النازي حول تنظيم المقاطعة للمتاجر اليهودية نص على ما يلي :

١ ـ تشكل لجان عمل من اعضاء الحزب في كل حي لوضع الخطط لمقاطعة المتاجر اليهودية والاطباء والمحامين اليهود . وتعتبر هذه اللجان مسؤولة عن تنفيذ المقاطعة بشكل حازم بحق كل من لا يلتزم بها .

٢ ـ لجان العمل مسؤولة عن حماية كافة الاجانب مهما كان دينهم أو جنسهم او موطنهم لأن المقاطعة مجرد اجراء دفاعي موجه ضد اليهود الالمان فقط .

٣ ـ على لجان العمل ان تقوم بالدعاية لتعميم المقاطعة وفق القاعدة التالية : على الالماني ان لا يشتري من يهودي او ان لا يبتاع منه اية بضاعة عن طريق اي وسيط .

٤ ـ المتاجر المشكوك فيها تبقى تحت المقاطعة حتى تبت في امرها اللجنة المركزية للمقاطعة في ميونخ والتي يرئسها الهر شترايشر Streicher .

٥ ـ تتولى لجان العمل مراقبة الصحف حتى لا تشارك في الحملة اليهودية في الخارج . ويمنع الالمان من نشر الاعلانات في الصحف التي تردد الدعاية اليهودية .

٦ ـ على لجان العمل ، بالتعاون مع خلايا الحزب ومنظماته ، ان توضح للرأي العام ان الرد على الحملات اليهودية هو لصالح العمل الالماني ولصالح العمال الالمان .

٧ ـ على لجان العمل نشر حملة المقاطعة حتى تبلغ أصغر قرية في المانيا .

٨ ـ المقاطعة وسيلة لتجميع قوانا لا لبعثرتها . وسوف تصدر الأوامر الى منظمتي الصاعقة Sturm Abteilung (S.A.) وفرق الحماية Schutz Staffeln (S.S.) من اجل تنظيم المقاطعة للمتاجر اليهودية تبدأ المقاطعة باعلانات على شكل لوائح حائط ونشرات توزع من الجو واعلانات في الصحف وغير ذلك من الاشكال . اما المقاطعة نفسها فتبدأ في الساعة العاشرة من صباح يوم السبت الموافق الأول من نيسان (١٩٣٣) وتستمر حتى تصدر تعليمات جديدة من قيادة الحزب .

٩ ـ تتولى لجان العمل تنظيم تجمعات جماهيرية في كل مكان بما في ذلك اصغر القرى . ويطلب من هؤلاء ان يعطوا اليهود مكانا في العمل يتناسب وعدد اليهود في المجتمع الالماني . وينبغي ان يتجه هذا التقسيم في ميادين ثلاثة هي :

أ ـ القبول في المعاهد العليا والوسطى .

ب ـ في مهنة الطب .

جـ ـ في مهنة المحاماة .

١٠ ـ من واجب لجان العمل ابلاغ كل الماني له صلة بالخارج ان يقول وينشر بالرسائل والبرقيات والهاتف الحقيقة القائلة : ان المانيا يسودها الهدوء والنظام وان ليس للشعب الالماني أمنية افضل من ان يعمل بسلام وان يعيش بسلام مع العالم . وان الكفاح ضد الحملات اليهودية المسعورة ليس الا كفاحا دفاعيا .

١١ ـ لجان العمل مسؤولة عن قيادة هذا الكفاح بهدوء ونظام تامين وان تحرص على ان لا تؤذي شعرة من يهودي . =

جاء الرد اليهودي على هذه التدابير في الصحيفة الصهيونية الالمانية Juedische Rund-schau في ٤ نيسان ١٩٣٣ في الصفحة الأولى منها وبالخط العريض : « احملوا باعتزاز النجمة الصفراء Tragt ihn mit Stolz den gelben Fleck » . وانطلقت الحركة الصهيونية في العالم بحملة عنيفة على المانيا . وبدأت بمقاطعة البضائع والمنتجات الالمانية . فتشكل في لندن مجلس المقاطعة اليهودي Jewish Boycott Council بمساع من اللورد ميلشت Melchett . وظهرت لوائح امام المخازن التجارية في لندن تحمل العبارات التالية : « No German goods sold here! No German travellers Should Call here! » . وامتدت المقاطعة الى الولايات المتحدة الامريكية ، وتولى الدعوة اليها المحامي صموئيل اونترماير Samuel Untermayer . واستطاع هذا ان يكسب الى جانب المقاطعة المؤتمر اليهودي الامريكي American Jewish Congress الذي انشأ بالتعاون مع لجنة العمل اليهودي The Jewish Labour Comittee مجلس المقاطعة المشترك Joint Boycott Council عام ١٩٣٦ . وانشأ هذا المحامي اليهودي « الرابطة الامريكية للدفاع عن حقوق الانسان «The American League for the Defence of Human Rights» التي تغير اسمها بعد وقت قليل واصبح « الرابطة اللاطائفية لمناهضة النازية Non-Sectarian Anti-Nazi League »[٣٨] .

اتفاقية هعفارا Haavara Transfer (١٩٣٣ - ١٩٤٠) :

اما في فلسطين فكانت ردة الفعل الصهيونية مختلفة تماما . ذلك ان اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية اوفدت حاييم ارلوسوروف Chaim Arlosoroff ، رئيس المكتب السياسي في الوكالة ، الى المانيا لدراسة الوضع . فاتصل باقطاب الصهيونية الالمان ، وتم الاتفاق على ان الحل الوحيد لمشكلة اليهود الالمان هو تنظيم هجرتهم الى فلسطين وفق برنامج محدود ومتفق عليه مع الحكومة الالمانية ، بحيث تشارك المانيا في تمويل هذا المشروع . وقد ردد هذا الرأي الزعيم الصهيوني الألماني ارتور روبين Arthur Ruppin في المؤتمر الصهيوني الذي عقد في براغ في آب ١٩٣٣ . كما اكده وحث عليه قنصل المانيا العام في القدس هاينريش فولف Heinrich Wolff في رسائله الى وزارة الخارجية في برلين ، والتي تضمنت تحذيرات متتالية من الاخطار الجسيمة التي

= المهم ان يسير الحزب باكمله كرجل واحد وراء الزعيم .

Hofer, Walter: Der Nationalsozialismus, Dokumente 1933-1945, pp. 282-284.

٣٨) Feilchenfeld, W. und anderen: Op. cit., 19.

Ben Elissar, E.: Op. cit., pp. 67, 72.

Lichtheim, R.: Op. cit., p. 253.

ستواجهها المصالح الالمانية في فلسطين من جراء مقاطعة اليهود للبضائع الالمانية[٣٩] . وكان هذا الحل مثاليا بالنسبة الى المانيا النازية الراغبة في التخلص من اليهود الالمان بأي ثمن . فقد بلغ عدد اليهود الالمان عند وصول هتلر الى الحكم حسب احصاءات حزيران ١٩٣٣ (٤٩٩٦٨٢) نسمة[٤٠] .

وجاءت المبادرة من فلسطين . ففي نيسان ١٩٣٣ قابل سام كوهين Sam Cohen مدير شركة الاستيطان الصهيونية هانوتيا Hanotea القنصل الالماني في القدس هاينريش فولف وعرض عليه ان تستورد شركته من المانيا التجهيزات الزراعية ومواد البناء التي اعتادت ان تستوردها من تشكوسلوفاكيا . واقترح ان يدفع ثمن هذه التجهيزات من اموال اليهود الالمان الراغبين في الهجرة الى فلسطين والمحظور عليهم تحويلها الى الخارج . وعندما يصل هؤلاء المهاجرون الالمان الى فلسطين يقبضون ما دفعوه في برلين في حساب مقفل Compte bloqué ، بالجنيه الفلسطيني . وبهذه التسوية لا تخسر المانيا عملة صعبة كما لا يخسر المهاجرون اليهود منها الى فلسطين اموالهم[٤١] . وبعث القنصل الالماني الذي استهوته الفكرة الى وزارة الخارجية يزين لها المكاسب التي تجنيها المانيا في حالة ابرام اتفاق من هذا القبيل .

وتولت شركة هانوتيا في ايار من العام نفسه التفاوض مع وزارة الاقتصاد الالمانية لابرام اتفاقية بهذا الصدد . وتم الاتفاق على شراء منتجات المانية من اموال اليهود الالمان الراغبين في الهجرة الى فلسطين بحيث توضع الاموال التي قدرت عند ابرام الاتفاقية بـمليون رايخ مارك في حساب توفير خـاص لشركة هانوتيا يخصص لتأمين معيشة هؤلاء المهاجرين في فلسطين . وتعهدت الشركة الصهيونية بأن توفر لكل مهاجر بيتا وعملا شريطة أن يوقع معها عقدا بهذا الخصوص .

وابرمت شركة هانوتيا اتفاقا آخر مع وزارة الاقتصاد الالمانية في ١٨ تموز ١٩٣٣ لشراء

---

٣٩) A.A., P.A., Ha-Pol., Clodius, Palaestina (1933-37).

٤٠) Feilchenfeld, W. Und anderen: Op. cit., p. 37.

بلغ عدد اصحاب المهن من بين هؤلاء اليهود ٢٤٠٤٨٧ رجلا وامرأة موزعين على المهن التالية :

ـ الزراعة والغابات	٪١,٧٣
ـ الصناعة والمهن اليدوية	٪٢٣,١٤
ـ التجارة والمواصلات	٪٦١,٢٦
ـ مهن حرة	٪١٢,٤٦
ـ مهن غير ثابتة	٪١,٤١

٤١) Ben Elissar, E.: Op. cit., p. 89.

منتجات المانية بمبلغ ثلاثة ملايين مارك من الاموال التي سوف تتجمع في حساب التوفير الخاص بها[٤٢] .

وقام جيورج لانداور Georg Landauer عضو اللجنة التنفيذية لاتحاد الصهاينة الالمان Z.V.F.D. بالتفاوض مع المسؤولين في وزارة الاقتصاد الالمانية بحضور سام كوهين مدير شركة هانوتيا ، وممثل عن بنك الرايخ الالماني Reichsbank وممثل عن وزارة الخارجية الالمانية ، حول امكانية تحويل ما قيمته الف جنيه استرليني من اموال كل راغب في الهجرة من اليهود الالمان بالعملة الصعبة . وذلك تنفيذا لتعليمات الهجرة السارية المفعول في فلسطين آنذاك[٤٣] . اما ما يزيد عن الالف جنيه استرليني فيشترى به بضائع المانية . واتفق ، اثناء هذه المفاوضات ، على انشاء مركزي مقاصة Clearingstellen أحدهما في المانيا لاستلام الاموال اليهودية بالمارك الالماني من اليهود المهاجرين والآخر في فلسطين لدفع ثمن البضائع المصدرة الى فلسطين من المانيا ولمحاسبة المهاجرين على الاموال التي دفعوها . واتفق ايضا على اصدار ترخيص من وزارة الاقتصاد الإلمانية بتحويل خمسة ملايين مارك قيمة العقد الأول في ٢٨ آب ١٩٣٣ .

وبموجب هذا الاتفاق حل بنك الانجلو ـ فلسطين The Anglo-Palestine Bank التابع

---

٤٢) Feilchenfeld W. und anderen: Op. cit., p. 23-4.

صنف قانون الهجرة الذي وضعته حكومة الانتداب في فلسطين تصاريح الهجرة في فئات اربع هي : الفئة (أ) :

أ / ١ : المهاجر الذي يملك ما لا يقل عن الف جنيه فلسطيني .

أ / ٢ : المهاجر ذو المهنة الحرة الذي يملك ما لا يقل عن خمسمائة جنيه .

أ / ٣ : المهاجر ذو المهنة اليدوية الذي يملك ما لا يقل عن مئتين وخمسين جنيها .

أ / ٤ : المتقاعد ذو الدخل الشهري الذي لا يقل عن اربعة جنيهات .

أ / ٥ : الذي يملك خمسمائة جنيه والذي يتوقع ان يحرز نجاحا مهنيا في المستقبل .

الفئة (ب) : المهاجرون المضمونة اعالتهم :

ب / ١ : الاطفال اليتامى الذين تضمن اعالتهم مؤسسة معروفة .

ب / ٢ : رجال الدين

ب / ٣ : التلاميذ .

الفئة (جـ) : المهاجرون من ذوي المهن الذين يحملون شهادات عمل .

الفئة (د) : مهاجرون تحت الطلب .

د / ١ : اقرباء المهاجرين .

د / ٢ : العمال الفنيون .

المصدر نفسه ، ص ٣٨ .

٤٣) المصدر نفسه ، ص ٢٣ ـ ٢٦ .

انظر تفاصيل المفاوضات التي اسفرت عن ابرام اتفاقية هعفارا في ملف A.A.,P.A., Politische Abt, III, Wirtschaft, Finanzwesen 3, Palaestina, Bd. I.

للوكالة اليهودية في فلسطين محل شركة هانوتيا واصبح المصرف التجاري المعتمد في فلسطين . وعرفت هذه الاتفاقية باتفاقية التحويل هعفارا Haavar Transfer(٤٤) . لقد نصت هذه الاتفاقية على انشاء شركة مالية خاصة Treuhandgesellschaft في فلسطين تتولى تجارة البضائع الالمانية وتحل محل بنك الانجلو ـ فلسطين . وتفاوض جيورج لانداور مع ماكس فاربورغ Max Warburg رئيس مجلس ادارة بنك MM. Warburg اليهودي في هامبورغ ومع الدكتور سيجسموند فاسرمان . Siegsmund Wassermann من بنك A.E. Wassermann اليهودي في برلين لاتخاذ كافة الاجراءات المصرفية اللازمة لتنفيذ هذه الاتفاقية .

وصدر تعميم من وزارة الاقتصاد الالمانية يحمل الرقم ٣٣/٥٤ بتاريخ ٢٨ آب ١٩٣٣ يتضمن فحوى هذه الاتفاقية . وجاء في هذا التعميم ان لليهودي الالماني الراغب في الهجرة الى فلسطين الحق في الحصول على تصريح بخمسة عشر الف مارك يدفعها في حساب خاص في بنك الرايخ الذي يقوم بتحويلها الى حساب خاص في بنك جمعية الهيكل في فلسطين Bank der Tempelgesellschaft الذي يحوله بدوره الى بنك الانجلو ـ فلسطين . وحدد التعميم الحد الاقصى لما يستطيع المهاجر اليهودي الالماني ان يحوله بخمسين الف مارك(٤٥) .

هذا وقد عينت مقدمة التعميم المذكور اهداف اتفاقية هعفارا بالامور التالية : تنظيم هجرة اليهود الالمان الى فلسطين ، وتوفير رصيد العملة الصعبة في بنك الرايخ ، وزيادة حجم الصادرات الالمانية الى فلسطين . ويمكننا ان نضيف الى هذه الاهداف او المبررات هدفا آخر وهو ايجاد عمل للعاطلين من العمال الالمان عن طريق هجرة اليهود الالمان الى فلسطين . فقد بلغ عدد العاطلين عن العمل في المانيا في بداية عام ١٩٣٣ ستة ملايين عامل(٤٦) . كما ان تخوف الحكومة الالمانية من نتائج المقاطعة اليهودية للبضائع الالمانية ، وبخاصة في بريطانيا وامريكا ، شجعها على ابرام هذه الاتفاقية .

تشكلت شركة هعفارا المحدودة في فلسطين وكان يملك كافة اسهمها بنك الانجلو ـ فلسطين ، الى ان قرر المؤتمر الصهيوني التاسع عشر المنعقد في لوزان في صيف عام ١٩٣٥ نقل ملكيتها الى الوكالة اليهودية(٤٧) .

---

٤٤) Feilchenfeld, W. und anderen: Op. cit. p. 26.

٤٥) المصدر نفسه ، ٢٧ .

٤٦) لقد حلت مشكلة البطالة بعد ثلاث سنوات عند تنفيذ الخطة الاقتصادية الرباعية وفتح ابواب التجنيد امام الشباب الالمان وتنفيذ برامج التسلح . المصدر نفسه ، ص ٢٨ ـ ٢٩

٤٧) المصدر نفسه ، ص ٤٢ .

كان من نتائج اتفاقية هعفارا زيادة قيمة الصادرات الالمانية الى فلسطين ، فبينما لم تزد قيمة هذه الصادرات عام ١٩٣٢ عن تسعة ملايين مارك (٧٧٥١٠٤ جنيه فلسطيني) ، ارتفعت في عام ١٩٣٣ الى (١١٩٣٣٠٣جنيه فلسطيني) . والجدول التالي يبين نمو واردات فلسطين من المانيا بين عامي ١٩٣٣ و١٩٣٨ بالجنيه الفلسطيني مقارنة بوارداتها من الدول الأخرى :

الدولة	قيمة الواردات عام١٩٣٣	قيمة الواردات عام ١٩٣٤	قيمة الواردات عام ١٩٣٥	قيمة الواردات عام ١٩٣٦	قيمة الواردات عام ١٩٣٧	قيمة الواردات عام ١٩٣٨
بريطانيا	١٤٠٠٠٢٣	٣٥٣٤٠٠٠	٣٨٠٠٠٠٠	٣٢٨٥٠٠٠	٣٢٥٠٠٠٠	٢٢٢٢٢١٧
فرنسا	٤٥٩٥٧٥	٤٣٦٠٠٠	٣٤٥٠٠٠	٢١٠٠٠٠	٢٧٠٠٩٩	٢٠٧٧٧٤
المانيا	١١٩٣٣٠٣	١٦٧٠٠٠٠	٢١٧٠٠٠٠	٢٠٣٥٠٠٠	٢٦٢٨٢٢٦	٦٤٤٨٣٨
مصر	١٢٠٨٢٢٧	٤٥٠٠٠٠	٥٩٠٠٠٠	٥١٠٠٠٠	٦٣٢٥٠	٤٠٥٢٤٩
العراق	-	-	٢٣٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠	٣٦١١٦٠	١٧٢٨٣٥
سورية	٩٤٢٦٦٣	١٠٦٦٠٠٠	١٣٠٠٠٠٠	١٤٥٠٠٠٠	١٣٧٤٤٥٠	١٠١٤٩٥٣
ايطاليا	-	-	٤٤٥٠٠٠	٧٥٠٠٠	-	-
الولايات المتحدة	٨٣٨٧٧٤	١٢٩٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠	٩٧٥٠٠٠	١٠٩٩٠٦١	١٦٩٥٧٣ (٤٨)

وبلغ مجموع ما حوله بنك الرايخ في برلين من اموال اليهود الالمان الى فلسطين بين عامي ١٩٣٣ و ١٩٣٥ (٣١١٠٠٠٠٠) مارك(٤٩) . اما قيمة ما استورده العرب والمستوطنون الالمان في فلسطين من المانيا في الفترة الواقعة بين بداية ١٩٣٣ وايلول ١٩٣٧ فبلغت نحو ٣٣ مليون مارك(٥٠) .

اما صادرات فلسطين الى المانيا فقد اقتصرت على المنتجات الزراعية وبخاصة الحمضيات . وكانت المانيا تدفع ثمن ما تستورده من فلسطين بالعملة الصعبة حتى عام

---

٤٨) Colonial No. 104 (1935), p. 203.
Colonial No. 112 (1936), p. 227.
Colonial No. 166 (1939), p. 254.

٤٩) Feilchenfeld, W.: Op. cit., p. 75.

٥٠) المصدر نفسه ، ص ٤٦ .

١٩٣٤ ، عندما ابرمت الحكومة الالمانية اتفاقية خاصة مع الوكالة اليهودية اصبحت بموجبها تدفع ثمن ما تستورده من منتجات زراعية من فلسطين بضائع المانية . وحرصت شركة هعفارا على تزويد المانيا بما تحتاجه من الحمضيات من فلسطين فضربت بذلك الانتاج العربي من الحمضيات، كما تولت في حالات كثيرة تصدير هذا الانتاج، كوسيط، الى المانيا. والجدول التالي يبين قيمة صادرات فلسطين الى بعض الدول ونصيب المانيا من هذه الصادرات بين عامي ١٩٣٣ و ١٩٣٨ وبالجنيه الفلسطيني :

الدولة	قيمة الصادرات عام ١٩٣٣	قيمة الصادرات عام ١٩٣٤	قيمة الصادرات عام ١٩٣٥	قيمة الصاد ات عام ١٩٣٦	قيمة الصادرات عام ١٩٣٧	قيمة الصادرات عام ١٩٣٨
بريطانيا	١٦١٠١٠٩	١٨٣٩٠٠٠	٢٦٣٩٠٦٩	٢٠٣٨٠٠٠	٣٢٥٥٩٥٣	٢٦١٣٧٧٥
فرنسا	٢١٩٢٢	٣٠٠٠٠	٨٩٧٦٩	٤٨٠٠٠	١٣٩٣٢٢	٨٢٤١٣
المانيا	٣٧٣٧٤٩	٦٦٤٠٠٠	٢٥٠٩٠٩	١٣١٠٠٠	١٠٦٠٩٤	٧٣٨٣٧
ايطاليا	١٤٣١٢	١٩٠٠٠	٢٢٦٧٩	٣٠٠٠	٧٠٤٠٢	٥٤٨٩٧
مصر	٧١٩٦٢	٧٥٠٠٠	٧٧٤٠٢	٦٣٠٠٠	٩٩٢٤٣	١٠١٧٢٥
سورية	٢١٢٩٨٢	٢١٦٠٠	٣٠٢٩٨٨	٣١٠٠٠٠	٦٢٥٢٥٨	٤١٢٨٢٥
الولايات المتحدة	٢١٤١٥	٣٣٠٠٠	١٥٨٥٥	٢٢٠٠٠	٣٥٢٢٣	١٠٨٥٤١ (٥١)

ويلاحظ من هذا الجدول ان المانيا كانت تحتل المرتبة الثانية بين الدول المستوردة من فلسطين حتى عام ١٩٣٥ . ثم قلت مستورداتها فاصبحت تحتل المرتبة الخامسة في العام التالي (١٩٣٦) واستمرت في هذا التراجع حتى بداية الحرب العالمية الثانية . ويعود سبب هذا الانخفاض في قيمة المستوردات الالمانية الى ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ واثارها على الاقتصاد الفلسطيني والى القيود التي فرضتها حكومة الانتداب على الاستيراد اعتبارا من عام ١٩٣٦(٥٢) .

---

(٥١) Colonial No. 104 (1935), p. 203.
Colonial No. 122 (1936), p. 227.
Colonial No. 166 (1939), p. 254.
Himadeh, S.: op. cit., p. 416

(٥٢) Himadeh, S: op. cit., p. 417

ولم يقتصر نشاط شركة هعفارا على التحكم بصادرات فلسطين ووارداتها وانما امتد الى المانيا نفسها . فقد تمكنت من فتح حساب خاص في برلين عام ١٩٣٥ لجمع التبرعات من اليهود الالمان الموسرين للانفاق على الفقراء منهم . وابرمت اتفاقا مع الحكومة الالمانية في الأول من آذار ١٩٣٧ حدد اغراض التبرع وكميته كما يلي :

- يخصص لكل شخص التبرع بمئتي مارك شهريا لدعم اليهود الالمان .

- ويحق له تقديم هدايا لليهود بمناسبات الزواج والمباركات بقيمة مئتي مارك .

- تكاليف الدفن في المانيا .

- تبرعات الاجانب للجمعيات الخيرية اليهودية بمبالغ مساوية لما سبق ذكره(٥٣) .

وتجمع لديها كميات كبيرة من الاموال في هذا الحساب . ولكي تضمن الاستفادة منه اتفقت مع بعض المصارف البريطانية والامريكية لشراء الماركات الالمانية التي تجمعت في هذا الحساب بعملات صعبة(٥٤) واستمر هذا الاتفاق ساري المفعول حتى بداية الحرب العالمية الثانية . وبلغ مجموع التبرعات اليهودية الالمانية منذ بدء المشروع وحتى قيام الحرب اربعة ملايين ونصف مليون مارك الماني او ما يعادل (١٧٣٠٠٠) جنية فلسطيني(٥٥) .

ولبيان دور اتفاقية هعفارا في بناء الاقتصاد اليهودي في فلسطين نثبت فيما يلي جدولا بالاموال التي حولت لحسابها بين عامي ١٩٣٣ و ١٩٣٩ :

---

٥٣) Feilchenfeld, W.: op. cit., p. 62.

٥٤) المصدر نفسه ، ص ٦١ ، ٦٣ .

٥٥) المصدر نفسه ، ص ٦٣ .

السنة	التحويل النقدي		التحويل الخاص		مجموع الاموال المحولة	
	بالمارك الالماني	بالجنيه الفلسطيني	بالمارك الالماني	بالجنيه الفلسطيني	بالمارك الالماني	بالجنيه الفلسطيني
من ١٩٣٣/٩/١	١٢٥٤٩٥٦	٩٦٥٣٥	-	-	١٢٥٤٩٥٦	٩٦٥٣٥
١٩٣٤	٦٧١٥٠٩٤	٥٠٤٩٧٥	٢١٧٩٩٤٥	١٥٢٤٥٥	٨٨٩٥٠٣٩	٦٥٧٤٣٠
١٩٣٥	٩٩٥٩٠٦٠	٦٦٨٠٥١	٧١٤٤٠٩٣	٤١٤٠٩٤	١٧١٠٣١٥٤	١٠٨٢١٤٦
١٩٣٦	٩٩٦١٦٧٤	٥٩٠٦١١	٩٩٩٦٦٧٢	٥٠٤٩٢٨	١٩٩٥٨٦٤٦	١٠٩٥٥٣٩
١٩٣٧	١٨٥٩٥٢٨٠	٩٠٥٠٢٦	١٢٨١٢٢٢١	٥٥٦٦٠٣	٣١٤٠٧٥٠١	١٤٦١٦٢٨
١٩٣٨	١٣٥٤٧٤٨٥	٦٢٣٧٩٧	٥٣٠٦٤٢٩	١٧١٥٦٧	١٨٨٥٣٩١٤	٧٩٥٣٦٤
١٩٣٩	٦٤٩٧٦٧٦	٢٥١٦٧٦	١٦٩٩٣٥٨	٣٩٤٤٣	٨١٩٧٠٣٤	٢٩١١١٩
المجموع	٦٦٥٣١٢٢٤	٣٦٤٠٦٧٢	٣٩١٣٩٠١٩	١٨٣٩٠٨٩	١٠٥٦٧٠٢٤٧	٥٤٧٩٧٦١
ماحوله‌بنك الرايخ ١٩٣٥/١٩٣٤	-	-	-	-	٣١١٠٠٠٠٠	٢٤٠٠٠٠٠
١٩٣٧/١٩٣٦	-	-	-	-	٢٧٩٧٨٦٧	٢٢١٧٣٠
مجموع التحويلات	٦٦٥٣١٢٢٤	٣٦٤٠٦٧٢	٣٩١٣٩٠١٩	١٨٣٩٠٨٩	١٣٩٥٦٨١١١	٨١٠١٤٩١ (٥٦)

٥٦) المصدر نفسه ، ص ٧٥

يتضح من هذا الجدول ان قيمة ما حول من أموال المانية الى الصهاينة في فلسطين بموجب اتفاقية هعفارا هي ١٣٩٥٦٨١١١ مارك الماني او ما يعادل ٨١٠١٤٩١ جنيه استرليني في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٣٣ و ١٩٣٩ . وهذه القيمة تساوي ١٥٪ من مجموع قيمة الواردات الرأسمالية ليهود فلسطين من المانيا خلال الفترة نفسها والبالغة (٥٤,٢) مليون جنيه فلسطيني[٥٧] .

ولما كان معظم تجارة الاستيراد من المانيا في الاقطار العربية المجاورة في ايدي اليهود ، فقد اقامت هعفارا مكاتب لها في دمشق وبغداد والقاهرة وبيروت تحت اسم شركة الشرقين الادنى والاوسط التجارية .Near and Middle East Commercial Co واعتمدت بصورة اساسية على بنك زلخا Zilkha Bank اليهودي في بيروت . واخذت تعيد تصدير البضائع الالمانية التي تستوردها بموجب اتفاقها مع الالمان الى البلاد العربية المجاورة فتتقاضى ثمنها عملة صعبة من الاسواق العربية[٥٨] وكانت مكاتب هعفار في لبنان وسوريا والعراق ومصر تحصل على تعهدات لتنفيذ مشاريع حكومية بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة[٥٩] . وبذلك ساهمت الاموال العربية في تهجير اليهود الالمان الى فلسطين وبناء الاقتصاد اليهودي فيها .

كان لاتفاقية هعفارا نتائج اخرى مهمة على الوضع اليهودي في فلسطين . فقد استطاع اليهود الالمان المهاجرون الى فلسطين انشاء شركات عديدة بما حولوه من اموال مثل شركة نعمان Naaman في حيفا التي كانت تزود البلاد بالفحم ، وشركة البواخر آتيد Atid ومعمل الاقمشة لودزا Lodza في تل أبيب . كما ساهمت الاموال المحولة من المانيا في قيام العديد من شركات التعهدات العامة وتأمين القروض الطويلة الأمد للمشروعات الاقتصادية الصهيونية في البلاد .

لجأت شركة هعفارا في فلسطين الى مختلف الاساليب والسبل لجلب الاموال اليهودية من المانيا . فقامت ببيع اسهمها واسهم الشركات اليهودية في فلسطين الى المهاجرين من اليهود الالمان الذين لا يستطيعون تحويل ما تبقى لهم من اموال في المانيا عن طريق دفع هذه الاموال في حسابها الخاص في المانيا . واستثمرت الاموال التي تجمعت لديها بهذه الاساليب في انشاء وتمويل الشركات الصهيونية في فلسطين مثل شركة المياه ميكروت Mekoroth وشركة نير Nir للتمويل ، وشركة فلسطين للاستيطان الزراعي Palestine Agricultural Settlement Association وشركة الاستيطان في الريف والضواحي Rural and Suburban Settlement Company التي ساهمت في بناء عدة مستعمرات يهودية مثل مستعمرة كفارشمارياهو Kfarrschmarjahu ، ومستعمرة سده فاربورغ Sdej Warburg ، ومستعمرة بيت يتسحاق Beth Jizhak ، ومستعمرة

---

٥٧) المصدر نفسه ، ص ٩٦ . ٥٨) المصدر نفسه ، ص ٥٤ ـ ٥٥ . ٥٩) المصدر نفسه ، ص ٥٥ .

شافاي تسيون Schawei Zion ، ومستعمرة نهاريا[٦٠] .

وبلغ عدد اليهود الالمان الذين هاجروا الى فلسطين بموجب اتفاقية هعفارا في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٣٣ و ١٩٤١ ثلاثة وخمسين الف ومئتي نسمة . يشكل هؤلاء ٢٥٪ من مجموع المهاجرين اليهود الى فلسطين خلال الفترة نفسها . والجدول التالي يبين هجرة اليهود الالمان ، وفق هذه الاتفاقية . ومن الجدير بالذكر ان عدد سكان فلسطين قد بلغ (١٠٨٠٠٠٠) نسمة عام ١٩٣٢ بينهم نحو مئتي الف يهودي أي ١٨,٥٪ من السكان . وبلغ عدد سكان فلسطين (١٦١٦٠٠٠) نسمة عام ١٩٤١ بينهم (٥٠٥٠٠٠) يهودي أي ٣١,٢٪ من مجموع السكان . وهذا يعني ان عدد السكان اليهود قد زاد نتيجة للهجرة والزيادة الطبيعية بمقدار (٣٠٥٠٠٠) نسمة أي بنسبة ١٥٠٪ . اما عدد المهاجرين في الفترة نفسها فقد بلغ (٢٣٠٣٠٠) نسمة[٦١] .

السنة	مجموع المهاجرين اليهود الى فلسطين	مجموع المهاجرين اليهود من المانيا	نسبتهم المئوية
١٩٣٣	٣٠٣٠٠	٦٧٠٠	٪٢٥
١٩٣٤	٤٢٦٠٠	٩٨٠٠	٪٢٣
١٩٣٥	٦١٩٠٠	٨٦٠٠	٪١٤
١٩٣٦	٢٩٧٠٠	٨٧٠٠	٪٢٩
١٩٣٧	١٠٥٠٠	٣٧٠٠	٪٧٥
١٩٣٨	١٢٩٠٠	٤٨٠٠	٪٣٧
١٩٣٩	١٦٤٠٠	٨٥٠٠	٪٥٢
١٩٤٠	٤٥٠٠	٩٠٠	٪٢٠
١٩٤١	٣٦٠٠	٦٠٠	٪١٨
المجموع	٢١٢٢٠٠	٥٣٢٠٠	٪٢٥
المهاجرون بالتهريب	١٨١٠٠	١٨٠٠	٪١٠
المجموع العام	٢٣٠٣٠٠	٥٥٠٠٠	٪٢٤[٦٢]

٦٠) المصدر نفسه ، ص ٥٦ ـ ٥٩ .
٦١) المصدر نفسه ، ص ٨٩ .
٦٢) المصدر نفسه ، ص ٩٠ .
هناك بعض الفروق البسيطة في هذه الاحصائية المقتبسة عن كتاب W. Weilchenfeld ورفاقه والتي تعتمد احصائيات =

ويمكن تصنيف المهاجرين الالمان الى فلسطين في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٣٣ و ١٩٤١ الى الفئات التالية :

فئات المهاجرين اليهود الى فلسطين	نسبة كل فئة	نسبة المهاجرين من المانيا
أ/١ الرأسماليون الذين حولوا ما لا يقل عن الف جنيه فلسطيني	١٩,٩٪	٣٦٪
أ/٢ اصحاب المهن الحرة الذين حولوا ما لا يقل عن خمسمائة جنيه	٠,١٪	٠,٢٪
أ/٣ الحرفيون	١,٣٪	٠,٩٪
أ/٤ ذوو الدخل المتوقع (المتقاعدون)	٠,٢٪	٠,٤٪
ب/٢ رجال دين	٢,٢٪	٠,٦٪
ب/٣ تلامذة وطلبة	٨,٢٪	١٤,٥٪
جـ عمال فنيون	٤٦,٥٪	٣٢,٥٪
د معالون	٢١,٦٪	١٤,٨٪

يلاحظ في هذا الجدول ان اكثرية اليهود الالمان المهاجرين الى فلسطين هم من فئة الاثرياء وتشكل ٣٦٪ من مجموع المهاجرين . ويلي هذه الفئة العمال الفنيون الذين يشكلون ٣٢,٦٪ ثم الطلبة الذين يشكلون ١٤,٥٪ وهاتان الفئتان الأخيرتان من الشباب وتشكلان ٤٨,١ من مجموع المهاجرين .

والجدول التالي يبين توزيع هؤلاء المهاجرين من اليهود الالمان حسب اعمارهم :

= الوكالة اليهودية ووثائق شركة هعفارا وبين الاحصائيات الواردة في تقارير الحكومة البريطانية السنوية الى عصبة الأمم عن ادارة فلسطين .

٦٣) المصدر السابق ، ص ٧٧ .

العمر بالسنوات	النسبة المئوية بين مجموع المهاجرين اليهود الى فلسطين	النسبة المئوية بين المهاجرين من اليهود الالمان الى فلسطين
٠ - ٩	٪١١,٥	٪٩,٧
١٠ - ٢٠	٪٢١,٣	٪٢٢,٨
٢١ - ٣٠	٪٣١,٦	٪٢٥,٣
٣١ - ٤٠	٪١٤,٤	٪١٦,٩
٤١ - ٥٠	٪٧,٣	٪١٠,٠
٥١ - ٦٠	٪٧,٤	٪٨,٤
٦١ فما فوق	٪٦,٣	٪٥,٩
غير معروف	٪٠,٢	٪٠,٩ (٦٤)

يلاحظ في هذا الجدول ان نسبة الاطفال والمسنين من اليهود الالمان المهاجرين الى فلسطين لا تتجاوز ١٥,٦٪ اما الباقي فمن الرجال والنساء القادرين على العمل . كما يلاحظ ايضا ان ٥٧,٨٪ من هؤلاء المهاجرين دون سن الثلاثين . ولهذا اثره الكبير في بناء المجتمع اليهودي في فلسطين وتوفير اعداد كبيرة قادرة على العمل وعلى حمل السلاح عند الحاجة كما حصل في نهاية الاربعينات .

محاولات انهاء اتفاقية هعفارا :

جرت محاولات المانية لانهاء اتفاقية هعفارا لشعور العديد من المسؤولين الالمان بالحيف اللاحق بالمانيا من جراء هذه الاتفاقية . وجاءت المبادرة الأولى من وزارة التجارة الخارجية في عام ١٩٣٥ . غير ان وزارتي الاقتصاد والخارجية لم تعيرا اهتماما لهذه المبادرة . وجاءت مبادرة جديدة من دائرة الشؤون الخارجية Auslandsorganisation التابعة للحزب النازي في ٥ حزيران عام ١٩٣٧ ، اذ بعثت هذه الدائرة مذكرة الى وزارة الخارجية تفند فيها الاسس التي قامت عليها اتفاقية هعفارا . وجاء في هذه المذكرة ان تصدير البضائع الالمانية الى فلسطين وفقا لاتفاقية هعفارا يشكل خسارة ملموسة في ميزان المدفوعات الالماني ، لأن المانيا لا تتلقى ثمن هذه المنتجات المصدرة بالعملات الصعبة . كما ان التبرعات التي يقدمها اليهود الالمان والتي تحول الى فلسطين عن طريق شراء الماركات الالمانية بعملات صعبة تعتبر تهريبا غير مشروع لرؤوس

٦٤) المصدر نفسه ، ص ٧٨ .

الاموال الالمانية . هذا من الناحية الاقتصادية.اما من الناحية السياسية فقد اكدت المذكرة على أن الاموال الالمانية المحمولة الى فلسطين بموجب هذه الاتفاقية تساهم بصورة فعالة في بناء دولة يهودية في فلسطين . وهذا يتعارض والسياسة الالمانية نحو اليهود واليهودية العالمية(٦٥) .

هذا وقد وافقت دائرة الشؤون الالمانية Referat Deutschland في وزارة الخارجية على وجهة نظر الدائرة الخارجية في الحزب النازي . وقدم مدير الدائرة فون بيلوف شفانته Von Buelow-Schwante مذكرة الى وكيل وزارة الخارجية في ١٢ حزيران ١٩٣٧ تضمنت رأيه في الموضوع . واقترح تهجير اليهود الالمان بالتضييق عليهم من خلال التشريعات المحلية الخاصة باليهود مثل فرض ضرائب خاصة على الدخول اليهودية(٦٦) .

وتقرر على ضوء ذلك اجراء مباحثات بين الاطراف الالمانية المعنية (وزارة الاقتصاد ، ووزارة الداخلية ، ووزارة الخارجية ، ووزارة التجارة الخارجية ، ودائرة الشؤون الخارجية في الحزب النازي) لاعادة النظر في اتفاقية هعفارا . كانت احداث فلسطين وراء هذه المبادرة وبخاصة بعد نشر توصيات لجنة بيل Peel Commission المتضمنة تقسيم فلسطين وانشاء دولة يهودية فيها . وانطلقت المحادثات بين الدوائر الالمانية المختصة حول اتفاقية هعفارا ، والتي بدأت في ٢٩ تموز ١٩٣٧ ، من النقاط التالية :

١ ـ هجرة اليهود من المانيا .
٢ ـ النتائج الاقتصادية لهذه الهجرة .
٣ ـ علاقات المانيا بالعرب .

ظهرت حول مسألة هجرة اليهود من المانيا اتجاهات ثلاثة : يقول الاتجاه الأول بمنع هجرة اليهود من المانيا ووضعهم تحت رقابة مشددة . اما الاتجاه الثاني فيقول بفتح ابواب الهجرة لليهود الى جميع بلدان العالم من اجل الابقاء على تشتتهم والحيلولة دون هجرتهم الى فلسطين لأن هذه الهجرة سوف تساعد على قيام قاعدة سياسية لليهودية العالمية من شأنها ان تخلق المتاعب لالمانيا من خلال نشاطها المعادي . ويقول الاتجاه الثالث بفتح ابواب الهجرة الى فلسطين لأن تجميع اليهود في مكان واحد في العالم قد يضعف من نشاطهم في مناطق اخرى ويسهل بالتالي العمل على القضاء عليهم من خلال نشاط المخابرات الالمانية Abwehr .

وانطلاقا من النظرة الاقتصادية البحتة للموضوع ، اكد ممثل دائرة مبادلة العملات

---

٦٥) A.A.P.A., Buero Unterstaatssekretaer, Palaestina Frage, Notiz Von Herr Ehrich, Chef der Auslandsorganisation, Berlin, 5.6. 1937.

٦٦) D.G.F.P., Series D., Vol V, No. 563, p. 749 Memorandum by the Chief of Protocol, Berlin, 11.6.1937.

الصعبة Reichstelle fuer Devisenwirtschaftung ان اتفاقية هعفارا لا تجلب لالمانيا اية عملة صعبة ، وان واردات المانيا السنوية من فلسطين لم تزد عن مليوني مارك ، كما ان ثمن البضائع الالمانية المصدرة الى الخارج يزيد بنسبة ٢٠٪ عن ثمن البضائع نفسها المصدرة الى فلسطين بموجب اتفاقية هعفارا .

وبحث المسؤولون الالمان الاتفاقية من منظار علاقاتهم بعرب فلسطين . واشار ممثل وزارة الخارجية الى ان القنصلية الالمانية في القدس لجأت الى التحايل على العرب وذلك بالاتفاق مع البنك الالماني Tempel Bank لاستيراد البضائع الالمانية المصدرة الى فلسطين بموجب اتفاقية هعفارا . واكد الممثل ان هذا التحايل وخيم العاقبة ، وان لا بد من ايجاد سبيل آخر للتبادل الاقتصادي بين العرب والالمان بدون وساطة اليهود(٦٧) .

ولكن المسؤولين الالمان وجدوا انفسهم اثناء مباحثاتهم هذه امام معضلة كبيرة وهي : هل تتجه النية الى الغاء اوامر الزعيم هتلر بتهجير اليهود من المانيا ؟ هذه الاوامر التي ما زالت سارية المفعول والتي اكدتها تعليمات زعيم الرايخ روزنبرغ Rosenberg عام ١٩٣٧(٦٨) . وجد المسؤولون الالمان ان ليس باستطاعتهم اتخاذ قرار يخالف لهذه الاوامر . وان لا بد من العودة الى المستشار هتلر نفسه .

وفي اثناء هذه المباحثات جددت الجهات الالمانية المختصة اتفاقية هعفارا . غير ان الوكالة اليهودية تدخلت في الأمر . وقدم مندوبها في برلين دافيد فيرنر سناتور David Werner Senator مذكرة الى وزارة الخارجية الالمانية في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٣٧ يطالب بفتح ابواب الهجرة اليهودية من المانيا الى فلسطين والافراج عن المنتجات الالمانية المطلوب استيرادها(٦٩) . وبعد عشرة ايام رد مدير دائرة مبادلة العملات الصعبة على المذكرة برسالة موجهة الى وزارة الخارجية طالب فيها بعدم السماح لأثرياء اليهود الالمان بالهجرة الى فلسطين لأنهم يقومون باعالة الكثير من الاسر اليهودية الفقيرة في المانيا(٧٠) .

اما دائرة الشؤون الخارجية في الحزب النازي فقد بعثت بمذكرة الى وزارة الخارجية في

---

٦٧) A.A., P.A., Politische Abt. VII, Polotische Beziehungen Palaestina zu Deutschland, Bd.I.
Aufzeichnung ueber die Besprechung am 29 Juli 1937 betreffend Haavara, Berlin, 3.8.1937,

٦٨) A.A.P.A., Politische Abt. VII, po. 11, Palaestina, Bd. I.
مذكرة مرفوعة الى مدير الدائرة السياسية فون فايتسزيكر في ٢٧ آب ١٩٣٧ .

٦٩) المصدر نفسه . David Werner Senator an Von Hentig, Berlin, 27. 11. 1937.
Memorandum: Palaestina - Wanderung und Palaestina - Transfer aus Deutschland.

٧٠) المصدر نفسه Memorandum der Reichstelle fuer Devisenbewirtschftung Berlin, 7.12.1937.

١٢ كانون الثاني ١٩٣٨ اكدت فيها رفضها لتجديد اتفاقية هعفارا . وبررت رفضها بالحجج التالية :

١ - يساهم اثرياء اليهود الالمان ، بموجب اتفاقية هعفارا ، في بناء الاقتصاد والمجتمع اليهوديين في فلسطين . وهذا من شأنه ان يفضي الى اقامة دولة صهيونية في فلسطين معادية لالمانيا .

٢ - تمنح اتفاقية هعفارا اليهود في فلسطين السيطرة التامة على التجارة الالمانية مع فلسطين . وقد جعل هذا الوضع العرب والمستوطنين الالمان هناك مجرد زبائن لشركة هعفارا الصهيونية . كما اصبحت هذه الشركة هي التي تتحكم باسعار المنتجات الالمانية في فلسطين .

٣ - لما كانت العملات الصعبة في فلسطين لا تخضع لأية رقابة او قانون فان من مصلحة المانيا تصدير منتجاتها الى هذه البلاد ودفع ثمنها بالعملة الصعبة .

٤ - اذا اخذت المانيا بعين الاعتبار التوتر السياسي القائم بين العرب واليهود في فلسطين ، فليس من اللياقة ولا من المصلحة تسليم التجارة الالمانية لأيدي الصهاينة .

٥ - اصبح من المؤكد ان البضائع الالمانية المصدرة الى فلسطين بموجب اتفاقية هعفارا يعاد تصديرها الى الاقطار العربية المجاورة وبذلك تحدث ارتباكا في اسواق هذه الاقطار التي اعتادت ان تشتري المنتجات الالمانية من المانيا بعملات صعبة .

وجاء في هذه المذكرة ان الحزب النازي اعترض مرات عديدة على هذه الاتفاقية منذ عام ١٩٣٤ ودون ان يحظى اعتراضه بأي رد ايجابي من الجهات المسؤولة[٧١] .

ورغم هذه الحجج المنطقية صمّت المستشارية الالمانية آذانها واصدرت تعليماتها بوجوب استمرار العمل باتفاقية هعفارا . فقد كان هدفها التخلص من اليهود الالمان باي ثمن . وابلغت هذه التعليمات الى الدوائر الالمانية المختصة في اجتماع عقد في وزارة الاقتصاد في ٢٢ كانون الثاني ١٩٣٨[٧٢] .

أدى تجميد اتفاقية هعفارا في النصف الثاني من عام ١٩٣٧ الى قيام المنظمة الصهيونية العالمية بنشاط واسع في العالم الغربي للضغط على الحكومة الالمانية لفتح ابواب الهجرة لليهود الالمان . واستطاعت الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة الامريكية ان تدفع حكومتها الى

---

٧١) A.A.,P.A., Chef A- O Haavara Abkommen 1935 - 1939, Memorandum Vom 12.1.1937.

٧٢) المصدر نفسه ، محضر المحادثات التي تمت في وزارة الاقتصاد في ٢٢ كانون الثاني ١٩٣٨ . انظر ايضا ملف A.A.,P.A., Ha-Pol. Wiehl, Palaestina, Maerz 1934 - April 1941.

مذكرة كلوديوس رئيس الدائرة الاقتصادية في وزارة الخارجية الالمانية المؤرخة في ٢٧ كانون الثاني ١٩٣٨ .

التحرك في هذا الاتجاه . فوجه الرئيس روزفلت Roosevelt الدعوة الى عدد من الحكومات الغربية في ٢٥ آذار ١٩٣٨ لعقد مؤتمر دولي للنظر في مشكلة اللاجئين اليهود . وفي ٦ تموز من العام نفسه لبت اثنتان وثلاثون دولة هذه الدعوة . وعقد المؤتمر الذي اطلق عليه «Internation Conference on Refugees» في مدينة ايفيان Evian الفرنسية . واتخذ بالاجماع القرارين التاليين :

- دعوة الحكومات المشاركة في المؤتمر والحكومات الأخرى الى اعادة النظر في الهجرة الاجبارية لليهود المقيمن في بلدانها ووضع برنامج لتقديم العون لليهود المهاجرين اليها بالقوة والتنسيق فيما بينها وفقا لقوانين الهجرة النافذة المفعول فيها .
- على الدول التي تهجر اليهود بالقوة ان تتعاون مع الدول المضيفة لهم وان تؤمن نقل ممتلكاتهم واموالهم الى الموطن الجديد .

أسفر مؤتمر ايفيان عن تشكيل لجنة حكومية Intergovernmental Comittee من مندوبي الدول المشاركة لتنفيذ هذين القرارين . واتفق على ان تتخذ لندن مقرا لها . هذا وقد اجتمعت اللجنة المذكورة في العاصمة البريطانية في ٦ آب ١٩٣٨ وانتخبت اللورد ونترتون Lord Winterton رئيسا لها ومندوبي الولايات المتحدة وفرنسا وهولندا والبرازيل نوابا له . وعينت اللجنة المحامي الامريكي جورج روبلي George Rublee مديرا لها[٧٣] .

وانتهز مكتب الوكالة اليهودية في لندن تشكيل اللجنة المذكورة وقدم اليها مذكرة في ٢٩ كانون الأول ١٩٣٨ تضمنت خطة متكاملة لانقاذ اللاجئين اليهود . فاذا قبلت اللجنة هذه الخطة تفاوضت مع الحكومة الالمانية من اجل تنفيذها . وفيما يلي الخطوط العريضة لهذه الخطة :

١ ـ انشاء شركة تحويل دولية International Transfer مقرها لندن تتبع اللجنة الحكومية وتتولى المهمة التي كانت تقوم بها شركة هعفارا . وبذلك تكون هذه الشركة بمثابة «هعفارا دولية» .

٢ ـ على الحكومة الالمانية ان تدفع مبلغ مليوني مارك الماني من اموال اليهود المجمدة في المصارف الالمانية لهذه الشركة .

٣ ـ تتولى هذه الشركة المهام التالية :

---

٧٣) A.A., P.A., Inland II, A - B (83 - 24), Judenauswanderung Allgemeines Von 1938 bis 1939, Bd.1.
مذكرة السفارة البريطانية في برلين الى وزارة الخارجية الالمانية المؤرخة في ١٧ تشرين الاول ١٩٣٨ .

أ ـ تحويل الاموال اليهودية المجمدة في بنك الرايخ والتي تبلغ ٢٥ ٪ من اموال اليهود المودعة في البنك المذكور ، وذلك بالعملة الصعبة .

ب ـ شراء العملات الصعبة التي يملكها يهود المان في الخارج يرغبون في العودة الى بلادهم ، شريطة ان يدفع لهم بدلا منها ماركات المانية من حساب هعفارا المجمد في المانيا .

جـ ـ شراء المنتجات الالمانية التي تصدر الى فلسطين وبلدان الشرق الادنى ، شريطة ان يدفع نصف ثمنها من اموال اليهود في المانيا والنصف الآخر بالعملة الصعبة .

وجاء في مذكرة الوكالة اليهودية هذه ان تطبيق هذه الخطة سوف يؤدي الى جمع اثني عشر مليونا من الجنيهات الاسترلينية سنويا تكفي لدفع فوائد قرض دولي مقداره مئة مليون جنيه استرليني لمساعدة اللاجئين اليهود ، تقوم الحكومات المشتركة في مؤتمر ايفيان بضمانته .

٤ ـ عندما يتوفر للشركة المقترحة القرض الدولي المذكور يصبح بامكانها انقاذ جميع اليهود الالمان بالوسائل التالية :

أ ـ دفع تكاليف اعاشة المسنين والعجزة والذين لا يستطيعون الهجرة ، بالعملة الالمانية .

ب ـ دفع تكاليف نقل المهاجرين اليهود الالمان بالمارك الالماني ويشمل هذا ثمن الملابس والادوات المهنية وكل ما يحتاجه المهاجر .

جـ ـ دفع مبلغ مئتي جنيه استرليني للشخص الواحد من المهاجرين بالعملة الصعبة كحد ادنى ، او الف جنيه استرليني للاسرة الواحدة منهم(٧٤) .

اما اللجنة الحكومية المنبثقة عن مؤتمر ايفيان فقد قبلت هذه الخطة وبدأت نشاطها في خريف عام ١٩٣٨ . وطلب مديرها جورج روبلي زيارة المانيا لبحث موضوع هجرة اليهود الالمان مع المسؤولين الالمان في ١٧ تشرين الأول ١٩٣٨(٧٥) . وسلم السفير البريطاني في برلين نيفيل هندرسون Nevill Henderson مذكرة الى سكرتير الدولة في وزارة الخارجية الالمانية فون فايتسزيكر Von Weizsaecker في ١٨ تشرين الأول ١٩٣٨ تضمنت طلب معلومات وافية عن حجم الهجرة اليهودية من المانيا ، وعن الممتلكات التي يمكن للمهاجرين ان ينقلوها معهم . وطلب السفير البريطاني السماح لجورج روبلي بزيارة برلين ومقابلة المسؤولين الالمان لبحث هذا الموضوع معهم . غير ان فايتسزيكر ابلغ السفير البريطاني بأنه لا يرى جدوى من حضور

---

٧٤) Feilchenfeld, W.: Op. cit., pp. 83 - 4.

٧٥) A.A.,P.A., Inland II, A - B (83 - 24). Judenauswanderung Allgemeines, Von 1938 bis 1939, Bd.1.

روبلي الى برلين وان الحكومة الالمانية لن تسمح لرعاياها اليهود الراغبين في الهجرة بنقل ممتلكاتهم معهم .

وفي اليوم نفسه قابل السفير الأمريكي فايتسزيكر وبحث معه الموضوع ذاته فاجابه سكرتير الدولة الالماني جوابا مماثلا للجواب الذي قدمه للسفير البريطاني . واقدمت السفارة الفرنسية في برلين على خطوة مماثلة ، وقدم مستشارها الكونت دومونتبا Comte de Montbas مذكرة بهذا الخصوص الى مساعد سكرتير الدولة للشؤون الخارجية الهرفورمان Woermann[٧٦] . واخذت الضغوط تشتد على الحكومة الالمانية للسماح لجورج روبلي بزيارة برلين .

ازاء هذه الضغوط اصدر الفيلدمارشال غورينغ Hermann Goering ، مستشار المانيا ، تعليمات في ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٨ تضمنت تنظيم هجرة اليهود من المانيا . وتنفيذا لهذه التعليمات قام مدير الأمن العام الالماني بانشاء مركز لهجرة اليهود الالمان Reichszentrale fuer Juedische Auswanderung يضم مندوبين عن الدوائر الالمانية المختصة[٧٧] .

وكلفت الحكومة الالمانية وزير الاقتصاد والمالية النمساوي الدكتور فيشبوك Fischboack بمقابلة جورج روبلي والتباحث معه باسم الحكومة الالمانية ، على ان تتم هذه المقابلة سرا[٧٨] .

وفي اثناء ذلك وضع الدكتور شاخت Schacht رئيس بنك الرايخ خطة لهجرة اليهود من المانيا أقرتها الحكومة الالمانية . وتلقى شاخت دعوة من مدير بنك انكلترا Bank of England لزيارة لندن للتباحث مع المسؤولين الانكليز حول موضوع هجرة اليهود الالمان . قبل شاخت الدعوة وسافر الى لندن وعرض على المسؤولين الانكليز خطته فوافقوا على ان تكون اساسا للمفاوضات المقبلة التي سيقوم بها جورج روبلي مع المسؤولين الالمان في برلين والتي اقترح ان تبدأ في كانون الثاني ١٩٣٩[٧٩] .

وبناء على ذلك جاء روبلي الى برلين وتباحث مع المسؤولين في وزارة الداخلية ومع الدكتور شاخت . وقد لخص مباحثاته هذه في مذكرة بعث بها الى هلموث فولتات Helmuth

---

٧٦) المصدر نفسه : مذكرة السفارة البريطانية في برلين في ١٨ /١٠/١٩٣٨ .
مذكرة السفارة الامريكية في برلين في ١٨/١٠/١٩٣٨ .
مذكرة السفارة الفرنسية في برلين في ٢٤/١١/١٩٣٨ .
٧٧) المصدر نفسه : كتاب مدير الأمن العام Chef der Sicherheitspolizei الى وزارة الخارجية في ١٥/١١/١٩٣٨
٧٨) المصدر نفسه : مذكرة فورمان Woermann بتاريخ ٢١ / ١١/١٩٣٨ .
٧٩) المصدر نفسه : برقية السفارة الالمانية في لندن الى وزارة الخارجية في برلين في ٢١ /٢/١٩٣٨ .

Wohlthat المدير في وزارة الداخلية للتأكد من صحة ما جاء فيها . وجاء في هذه المذكرة ان الاتفاق قد تم على برنامج لتسهيل هجرة اليهود من المانيا بصورة منتظمة شريطة ان تلتزم الدول المضيفة لهؤلاء المهاجرين ببنود هذا البرنامج .

أما البرنامج المتفق عليه فيتضمن البنود التالية :

اولا : تنظيم الهجرة :

١ ـ يشمل هذا البرنامج اليهود الالمان واليهود بلا جنسية المقيمين في المانيا . واليهودي هو الذي تنطبق عليه قوانين نورنمبرغ ، اي الشخص الذي ينحدر من ثلاثة او اربعة جدود يهود او من جدين يهوديين وكان في ١٦ ايلول ١٩٣٥ يهوديا او اعتنق اليهودية بعد هذا التاريخ ، او ذاك الذي ينحدر من جدين يهوديين وتزوج في ١٦ ايلول ١٩٣٥ او بعد هذا التاريخ زوجة يهودية(٨٠) .

٢ ـ يقيم حاليا في المانيا والنمسا والسوديت نحو ستمائة الف يهودي ، بينهم مئة وخمسون الف يهودي قادرون على كسب عيشهم ومئتان وخمسون الف يهودي يعتمدون في عيشهم على معيلين . اما الباقي فمن المسنين او العجزة الذين لا يدخلون لهذا السبب ، في برنامج الهجرة هذا .

٣ ـ القادرون على كسب العيش من الرجال والنساء هم الذين تتراوح اعمارهم بين خمس عشرة وخمس واربعين سنة .

٤ ـ تتألف فئة المعالين من اسر المعيلين ويستثنى من ذلك المسنون والعجزة .

٥ ـ تتم هجرة القادرين على كسب العيش وفق حصة quota سنوية لمدة ثلاثة اعوام لا تتجدد لاكثر من عامين .

٦ ـ تقبل الدول المضيفة كافة المهاجرين اليها من فئة المعيلين وفقا لقوانين الهجرة لديها .

٧ ـ يشارك في تنظيم الهجرة ممثلو المنظمات اليهودية في المانيا .

٨ ـ يسمح لمكاتب تنظيم الهجرة بالتعاون مع خبراء أجانب يمثلون المنظمات الخاصة بالهجرة ويتمتعون بثقة الحكومات المضيفة شريطة ان توافق الحكومة الالمانية على تعيين هؤلاء الخبراء .

---

٨٠) Hofer, W.: Der Nationalsozialismus, pp. 284-5.

٩ ـ يزود المهاجرون اليهود من المانيا بجوازات سفر المانية ويزود اليهود الذين لا يحملون جنسية باوراق مناسبة للهجرة من المانيا .

١٠ ـ تزول الاوضاع التي أدت الى اعتقال اليهود ، باستثناء اولئك المعتقلين لأسباب أمنية ، في معسكر الاعتقال عند دخول هذا البرنامج حيز التنفيذ .

١١ ـ تقدم تسهيلات للمهاجرين من فئة المعيلين ، من اجل تدريبهم في مراكز تدريب على العمل الزراعي او في مدارس مهنية .

١٢ ـ يتم تهجير المعالين بعد هجرة الذين يعيلونهم واستقرارهم ، بحيث يصبحون قادرين على استقبالهم واعالتهم .

ثانيا : وضع الاشخاص المقيمين اقامة دائمة في المانيا والذين ينتظرون الهجرة .

١ ـ لم يتم بعد التوصل الى نظام او طريقة للعناية بالمسنين والعجزة من اليهود الالمان غير القادرين على الهجرة ، والذين لا يدخلون في هذا البرنامج ، ومن المفروض السماح لهم بقضاء بقية حياتهم في المانيا وتقوم الحكومة الالمانية بالسماح لهم بالعمل لاعالة انفسهم ، ومنحهم حرية التجول والانتقال .

٢ ـ يمول المسنون والعجزة من اليهود من اموال التبرعات التي تجمع في صندوق خاص لهذه الغاية . واذا لم تكفهم اموال هذا الصندوق تقدم لهم الحكومة الالمانية المساعدات اللازمة التي تقدمها عادة للعجزة من المواطنين الالمان .

ثالثا : تمويل الهجرة :

١ ـ من اجل تمويل الهجرة ، وفقا لهذا البرنامج ، يؤسس صندوق Trust Fund توضع فيه كمية من المال لا تقل عن ٢٥٪ من مجموع ثروة اليهود في المانيا .

٢ ـ تدار اموال الصندوق من قبل ثلاثة أمناء اثنان من الالمان وثالث من جنسية اخرى يتمتع بمستوى مرموق .

٣ ـ تنفق اموال الصندوق في شراء التجهيزات الخاصة بالمهاجرين من فئة المعيلين ، وفي شراء بضائع رأسمالية Capital goods لتطوير مشاريع الاستيطان . وينفق من اموال الصندوق ايضا على تكاليف السفر والنقل على ظهر البواخر الالمانية وفقا لهذا البرنامج . وتتشكل وكالة Purchasing Agency لشراء ما يحتاجه المهاجرون بالاتفاق مع السلطات الالمانية . وتتولى معالجة كافة المسائل المتعلقة بتحويل الاموال من هذا الصندوق . ومن المفروض ان لا

تتضمن المشتريات التي تقوم بها الوكالة مواد اولية مستوردة وبامكانها شراء بعض المواد الاولية المستوردة اذا دفع لالمانيا ثمنها بالعملة الصعبة . وتتم ترتيبات خاصة لاعفاء البضائع الالمانية من الرسوم والضرائب وغيرها من القيود في الدول المضيفة للمهاجرين . اما اسعار المواد التي تشتريها الوكالة فهي الاسعار المحلية في المانيا .

٤ ـ تستمر اتفاقية هعفارا نافذة المفعول كما كانت في السابق وتدفع مشتريات شركة هعفارا من البضائع الالمانية من اموال الصندوق السابق الذكر .

٥ ـ بالامكان تحويل الاموال المتجمعة في الصندوق السابق الذكر الى الخارج اذا توفرت الشروط المناسبة للتحويل او اذا تم التوصل الى ترتيب بهذا الخصوص او عن طريق زيادة الصادرات الالمانية .

٦ ـ تعفى البضائع المشتراة من اموال الصندوق المذكور من كافة الضرائب والرسوم المفروضة على البضائع المصدرة من المانيا . ويسمح للمهاجرين ان يحملوا معهم امتعتهم الشخصية معفاة من كل انواع الرسوم والضرائب (باستثناء المجوهرات والمعادن الثمينة والتحف الفنية او البضائع الثمينة جدا) وكذلك المتاع المنزلي والادوات المهنية .

٧ ـ يعفى المهاجرون اليهود من رسوم المطارات ورسوم الموانىء او غير ذلك من الشروط المالية المفروضة في المانيا[٨١] .

وافقت الحكومة الالمانية على هذا البرنامج واصدر المستشار الالماني قرارا بتشكيل مركز الرايخ للهجرة اليهودية من مندوبين عن المستشارية ومديرية الأمن العام وادارة مبادلة العملات الصعبة ووزارة الخارجية ووزارة الاقتصاد ووزارة المالية ووزارة الداخلية واوكل الى مدير الأمن العام رئاسته[٨٢] .

ازدادت هجرة اليهود من المانيا بعد الموافقة على هذا البرنامج ووضعه موضع التنفيذ في الأول من شباط ١٩٣٩ . فبلغ عدد المهاجرين خلال الاشهر الأربعة الأولى من تنفيذه اربعة وثلاثين الف يهودي[٨٣] . ومن الجدير بالذكر ان معظم المهاجرين اليهود من المانيا اتجهوا الى اوروبا الغربية وامريكا ولم يتجاوز عدد المهاجرين منهم الى فلسطين بين عامي ١٩٣٩ و ١٩٤٤

---

٨١) A.A., P.A., Inland II, A- B, (83-24), Bd.1 Judenvanderung, Strictly Confidential Memorandum: The migration of Jews from Germany, London, 1.2.1939.

٨٢) المصدر نفسه كتاب غورينغ الى وزير الداخلية في ٢٤ كانون الثاني ١٩٣٩ .

٨٣) المصدر نفسه : محضر اجتماع مركز الرايخ للهجرة اليهودية المنعقد في ٢٩ حزيران ١٩٣٩ .

ثمانية آلاف مهاجر (٨٤) .

اما مكاتب الحركة الصهيونية في المدن الالمانية الكبرى فلم تتعرض الى اية مضايقات من جانب السلطات الالمانية او اجهزة الشرطة والأمن . ولقيت هذه المكاتب كل تشجيع من قبل تلك السلطات حتى بداية الحرب العالمية الثانية(٨٥) . وسمح للصحف الصهيونية السياسية الكبرى التي كانت تصدر في برلين وهي Juedische Rundschau التي كانت تصدر مرتين في الاسبوع ، و Central Vereinigung Zeitung الاسبوعية ، و Israelische Familienbatt الاسبوعية ، ان تنشر ما تريد بحرية تامة(٨٦) .

ادى اندلاع الحرب العالمية الثانية في بداية ايلول ١٩٣٩ الى قطع العلاقات بين المانيا وفلسطين بصفتها بلدا تحت الانتداب البريطاني . وتوقفت المبادلات التجارية والمالية بين البلدين . غير ان السلطات الألمانية ابدت ميلا نحو الاستمرار في تنفيذ اتفاقية هعفارا . وتحقق لها ذلك بصورة سرية . واستمر العمل بها حتى آذار ١٩٤٠ . وكانت حجة المانيا في ذلك ان فلسطين بلد تحت وصاية عصبة الأمم وانها بهذه الصفة ليست في حالة حرب مع المانيا . ولذلك وافقت وزارة الاقتصاد الالمانية ، منذ ايلول ١٩٣٩ ، على الاستمرار في تحويل الاموال اليهودية الى الحساب الخاص لهعفارا في برلين . غير ان قانونا المانيا صدر في تشرين الثاني ١٩٣٩ نص على حظر تحويل اية عملة صعبة الى الدول العدوة . وبذلك اصبح من المتعذر الاستمرار في تحويل الاموال اليهودية الى فلسطين . بينما بقي التعامل مع شركة التحويل الدولية في لندن مفتوحا . وبواسطته تم تحويل الاموال لدعم المشاريع الخيرية اليهودية في المانيا(٨٧) .

أما شركة هعفارا فقد سارعت الى تصفية حساباتها في الخارج . واستمرت عملية التصفية هذه منذ بداية الحرب العالمية الثانية وحتى ٣١ كانون الأول ١٩٤٠ . والغيت الشركة في ١٦ شباط ١٩٤١ ولم يعد لها وجود(٨٨) .

ومن الجدير بالذكر ان ابرام اتفاقية هعفارا مع الحكومة الالمانية قد شجع الوكالة اليهودية

---

٨٤) Gilbert, Marten: The Arab Israeli Conflict, Its History in Maps, p. 17.

٨٥) Yisraeli, D.: Germany and Zionism, in «Germany and the Middle East», p. 157.

٨٦) polkehn, K.: Op. cit., p. 61.

حول الصحف والمطابع اليهودية في المانيا خلال هذه الفترة انظر الملف :

A.A.P.A., Politische Abt. VII. po 25, Palaestina, Bd. 1.

٨٧) Feilchenfeld, W.: Op. cit., pp. 70-71.

٨٨) المصدر نفسه ، ص ٧٢ - ٧٣ .

على ابرام اتفاقيات مماثلة مع الحكومات الاوروبية الأخرى التي تضم دولها اقليات يهودية مهمة مثل بولندا وهنغاريا . فقد ابرمت اتفاقية مماثلة في تموز ١٩٣٧ بين الوكالة اليهودية وممثلها « شركة التحويل هاليفين Transfergesellschaft Halifin Ltd.» في تل ابيب من جهة ، والحكومة البولندية من جهة أخرى . كما أبرمت الوكالة اليهودية اتفاقية مماثلة مع الحكومة الهنغارية في ٢١ آذار ١٩٣٩ . وسعت الوكالة اليهودية الى عقد اتفاقيتين مماثلتين مع الحكومتين التشيكو سلوفاكية والايطالية ، غير ان اندلاع الحرب العالمية الثانية حال دون ذلك [٨٩] .

الرايخ الثالث[٩٠] والمستعمرات الالمانية في فلسطين :

أبدى الحزب النازي منذ وصوله الى الحكم اهتماما بالاقليات الالمانية حيثما وجدت ، وسعى الى تنظيمها في صفوفه ووضعها في خدمة اهداف الحزب والحكم . وكانت الأقلية الالمانية في فلسطين والتي بلغت في اواخر عهد جمهورية فايمار نحو ثلاثة آلاف نسمة من الاقليات الالمانية ذات الصلة الوطيدة بالوطن الأم . وكان الحزب النازي يعتبرها مواقع متقدمة للرايخ الثالث . بدأ تنظيم الالمان المستوطنين في فلسطين منذ عام ١٩٣٣ وبخاصة بعد ان تكررت الاعتداءات اليهودية على القنصلية الالمانية في القدس[٩١] . وكانت تصلهم المنشورات الدعائية الصادرة عن الحزب النازي عن طريق القنصل الالماني العام في القدس . وعين لكل مستعمرة المانية مسؤول حزبي يتصل مباشرة بدائرة الشؤون الخارجية Auslandsorganisation في الحزب النازي[٩٢] .

هناك اختلاف حول عدد المستوطنين الالمان في فلسطين ، فبينما تذكر احصائيات الوكالة اليهودية ان عددهم لم يتجاوز الفي نسمة عام ١٩٣٧ يؤكد القنصل العام الالماني في القدس في تقريره المؤرخ في ٢٢ تموز ١٩٣٧ ان عددهم يبلغ الفين وخمسمائة نسمة . وانهم كانوا موزعين على المستعمرات الالمانية في فلسطين كما يلي :

---

٨٩) المصدر نفسه ، ص ٨١ ـ ٨٢ .

٩٠) يطلق الرايخ الثالث Das Dritte Reich على فترة الحكم النازي الممتدة من عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٤٥ . اما الرايخ الأول فيطلق على فترة الامبراطورية الرومانية المقدسة من عام ٨٤٣ حتى عام ١٨٠٦ . ويطلق الرايخ الثاني على فترة الحكم القيصري الممتدة من عام ١٨٧١ وحتى عام ١٩١٨ .

٩١) A.A.P.A., Politische Abt, III, po 10, Palaestina, Bd.2. Wolff an A.A., Jerusalem dem 11.5.1933, den 29.5.1933 und den 24.2.1934.

٩٢) Ibid. Bd.1. Nationalsozialismus, Faschismus und achnliche Bestrebungen .
كتاب شكر من دائرة الشؤون الخارجية في الحزب النازي الى وزارة الخارجية، برلين في ١٥ تشرين الأول ١٩٣٥ .

٧٠٠ نسمة في مستعمرات القدس وضواحيها ،
٨٠٠ نسمة في مستعمرات يافا وسارونا وفيلهلما ،
٨٠٠ نسمة في مستعمرات حيفا وفالدهايم وبيت لحم ،
٢٠٠ نسمة موزعون على المدن الفلسطينية .

أما ممتلكات المستعمرين الالمان فقد بلغت في العام نفسه (٤٣٠٠٠) دونم منها (٢٩٠٠٠) دونم مستعمرات زراعية و (١٥٠٠) دونم عقارات في القدس ويافا وحيفا و (١٢٥٠٠) دونم من الاراضي الزراعية موزعة على ثلاث عشرة قرية[٩٣] .

لم تشجع حكومة الرايخ الثالث هؤلاء المستوطنين على العودة الى المانيا وطلبت منهم أن لا يبيعوا ممتلكاتهم لليهود . فاتخذت المجالس البلدية في المستعمرات الالمانية قرارات في شهر تموز ١٩٣٧ بمنع بيع الأرض والعقارات التي يملكها الالمان في فلسطين لليهود[٩٤] .

كانت العلاقات بين المستعمرين الالمان والاقلية اليهودية في فلسطين خالية من التوتر قبل وصول هتلر الى السلطة . غير ان المقاطعة اليهودية للبضائع الالمانية التي اعلنت في مطلع عام ١٩٣٣ سببت اضرارا جسيمة للمستوطنين الالمان في فلسطين . وساد العلاقات بين الطائفتين توتر شديد وعداء متزايد . ولا عجب ان رأينا المستوطنين الالمان ينظرون بعين العطف نحو ثورة عرب فلسطين عام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ . فقد اقتنع الالمان ان ازدياد الاقلية اليهودية في البلاد سوف يجعل حياتهم صعبة جدا ، وان أي حل للقضية في صالح اليهود سيرغمهم على مغادرة البلاد .

ولما جاءت لجنة التحقيق الملكية البريطانية المعروفة بلجنة بيل Peel Commission الى فلسطين للتحقيق في اسباب ثورة ١٩٣٦ والتعرف على الحلول التي يراها سكان فلسطين ، استدعت وزارة الخارجية الالمانية القنصل الالماني في يافا تيم فورست Tim Wurst ، الذي كان في الوقت نفسه مديرا لبنك جمعية الهيكل Bank der Tempelgesellschaft الى برلين . وقابل هناك مدير الدائرة السياسية في وزارة الخارجية فون هنتغ Von Hentig يومي الثالث والرابع من تشرين الثاني ١٩٣٧ ، وتباحث معه حول مستقبل المستوطنين الالمان . وكان رأي القنصل ، الذي

٩٣) A.A.,P.A., Politische Abt. VII, po,25, palaestina, Bd. 2. هيرزويز ، لوكاز : المانيا الهتلرية والمشرق العربي ، ص ٤٥ .

٩٤) A.A.P.A., Politische Abt. VII, po. 25, Palaestina, Bd.1, Deutschtum im Ausland.
اتخذ القرار في مستعمرة حيفا في ١٩٣٧/٧/١٦ وفي مستعمرة بيت لحم في ١٩٣٧/٧/٢١ وفي مستعمرة فيلهلما في ١٩٣٧/٧/٢٣ وفي مستعمرة فالدهايم في ١٩٣٧/٧/٢٥ .

يعبر عن رأي المستوطنين الالمان آنذاك ، انه يفضل ضم المستعمرات الى منطقة الانتداب البريطاني او الى المنطقة العربية في حالة تقسيم فلسطين . اما في حالة وقوع احدى هذه المستعمرات في المنطقة اليهودية فقد اقترح فورست بيعا وشراء اراضٍ في سورية عوضا عنها . وألح القنصل الالماني على ضرورة منع اليهود الالمان من الهجرة الى فلسطين وابقائهم في المانيا تحت المراقبة(٩٥) .

وطلبت لجنة التقسيم The Palestine Partition Commision من المستوطنين الالمان بيان رأيهم في موضوع الانضمام الى المناطق المقترحة من قبل لجنة بيل . فقدم فيليب فورست Philip Wurst رئيس جمعية الهيكل في فلسطين مذكرة الى سكرتير اللجنة المذكورة في ٢٦ تموز ١٩٣٨ بيّن فيها موقف المستوطنين الالمان من التقسيم . فطالب ببقاء المستعمرات الالمانية تحت الانتداب البريطاني لأن « الالمان مسيحيون ولا يرغبون في البقاء تحت الحكم اليهودي او تحت الحكم العربي ، وان السنوات الثماني عشرة الماضية من الانتداب أثبتت لهم عدالة المعاملة البريطانية ، وانهم يخشون تعذر العيش في ظل الحكم اليهودي . وخير دليل على ذلك مقاطعة اليهود للمستوطنين الالمان . كما يتعذر على الالمان تصور كيفية تطور الأمور في ظل الحكم العربي »(٩٦) .

هذا وقد استجوبت لجنة التقسيم من المستوطنين الالمان مدير دار الايتام السورية ارنست شنلر Ernst Schneller ، ورئيس الطائفة الالمانية في يافا وسارونا غوتهلف فاغنر Gotthilf Wagner ، ورئيس بلدية مستعمرة سارونا ماكس فرانك Max Franck ورئيس بلدية مستعمرة حيفا يوهانس بروس Johannes Pross وممثلا عن مستعمرتي فالدهايم وبيت لحم هو هانز زوز Hans Sus . واقترح هؤلاء الممثلون الالمان ، في حالة تنفيذ التقسيم ما يلي :

- ضم املاكهم في الجليل الى عكا .
- ضم املاكهم في منطقة حيفا الى مدينة حيفا .
- ضم املاكهم في مستعمرتي بيت لحم وفالدهايم الى الناصرة .
- مد منطقة الانتداب البريطاني لكي تشمل مستعمرة فيلهلما .
- اضافة اراضي مستعمرة فيلهلما واراضي مستعمرتي بيرسالم وخيمة الى الممر الممتد من

٩٥) A.A., P.A., Politische Abt. VII, po. 25, Palaestina, Bd.1. Politische Beziehung Palaestinas Zum Deutschland.
انظر مذكرة فون هنيتغ بتاريخ ١٩٣٧/١١/٤ .

٩٦) المصدر نفسه ، رسالة فيليب فورست الى سكرتير لجنة التقسيم ، القدس في ٢٦ تموز ١٩٣٨ .

يافا الى القدس والذي سيقع تحت الانتداب البريطاني[٩٧] .

أما في حالة وجود أجزاء من المستعمرات الالمانية خارج منطقة الانتداب البريطاني فيفضل الالمان ضمها الى المنطقة العربية[٩٨] .

هذا وقد نقلت الحكومة الالمانية الى الحكومة البريطانية رغبة المستوطنين الالمان في فلسطين . ولكن حكومة الرايخ لم تعر بالا لمطالب الالمان في فلسطين الخاصة بايقاف الهجرة اليهودية من المانيا . فقد كان همها الاول التخلص من اليهود الالمان بأي ثمن . واستمرت اتفاقية هعفارا على الرغم من الاضرار الجسيمة التي ألحقتها بهؤلاء الالمان .

---

٩٧) المصدر نفسه . Doehle an A.A., Jerusalem, den 12.7.1938.

٩٨) المصدر نفسه ، رسالة فيليب فورست الى سكرتير لجنة التقسيم
Philip Wurst to the Secretary of palestine partition Commission, Jerusalem, 26. 7. 1938.

الخلاصة :

اتسمت العلاقات الالمانية ـ الفلسطينية في ظل جمهورية فايمار بلا مبالاة واضحة على الصعيد السياسي . بينما استأنفت المانيا ، على الصعيد الاقتصادي ، مبادلاتها التجارية مع فلسطين منذ عام ١٩٢١ واحتلت موقعا ممتازا بين الدول المصدرة الى فلسطين والدول المستوردة منها . وحرصت على اعادة المستوطنين الالمان الذين اعتقلتهم السلطات العسكرية البريطانية اثناء الحرب الى فلسطين . وتمكنت من تحقيق ذلك ، كما تمكنت من استعادة الممتلكات الالمانية التي صادرتها السلطات المذكورة اثناء الحرب . وشرعت بالتفاوض مع الحكومة البريطانية لاعادة فتح قنصلياتها في فلسطين . ونجحت في ذلك في مطلع ١٩٢٥ . وبذلك استعادت المانيا ، في ظل جمهورية فايمار ، وضعها السابق في فلسطين كما كان في العهد القيصري بعد مرور ستة اعوام على نهاية الحرب .

اما في ظل الرايخ الثالث ، فقد حرصت الحكومة الالمانية على التخلص من اليهود الالمان بأي ثمن . فسنت التشريعات للتضييق عليهم واكراههم على الهجرة . ولم تتردد في عقد اتفاقية هعفارا بمبادرة من الوكالة اليهودية في فلسطين . وتمكنت بموجب هذه الاتفاقية من التخلص من (٥٢٣٠٠) يهودي الماني ، استقروا على ارض فلسطين ، وجلبوا معهم من الاموال ما يزيد عن ثمانية ملايين جنيه فلسطيني . وبذلك ساهم هؤلاء المهاجرون بخبراتهم واموالهم في بناء الاقتصاد اليهودي والمجتمع اليهودي في فلسطين .

ورغم اهتمام المانيا النازية بالمستعمرات الالمانية في فلسطين ، باعتبارها مواقع متقدمة للرايخ ، وسعيها الى تنظيم المستوطنين الالمان في صفوف الحزب النازي ، فقد ضربت بمصالحهم عرض الحائط عندما رفضت الاستجابة لمطالبهم في ايقاف الهجرة اليهودية من المانيا الى فلسطين . ولم تعر بالا للمصالح العربية فوضعت في ايدي الصهاينة صادراتها الى البلاد العربية . وبذلك تغلبت الاعتبارات الداخلية الالمانية على أي اعتبار آخر .

الفصل الخامس

الرايخ الثالث والحركة الوطنية العربية الفلسطينية ١٩٣٣ - ١٩٤٥

نمو الحركة الوطنية العربية في فلسطين :

تبلورت الحركة الوطنية العربية في فلسطين ، في اعقاب الحرب العالمية الأولى ، بانعقاد المؤتمرات العربية الفلسطينية التي دعت اليها الجمعيات الاسلامية ـ المسيحية التي تشكلت في المدن الكبرى في البلاد للرد على الحركة الصهيونية المتنامية وعلى الاحتلال البريطاني الذي كان يرعاها ويحميها . وانعقد أول هذه المؤتمرات بين ٢٧ كانون الثاني و ١٠ شباط ١٩١٩ . وكان من مقرراته التوكيد على اعتبار فلسطين جزءا من سورية العربية ، وعلى تحريرها من كافة انواع النفوذ والحماية الأجنبيين ، وعلى رفض كل وعد او معاهدة بين الدول الاجنبية تتعلق بفلسطين[١] . وتكررت في المؤتمرات الثالث (حيفا ١٣ ـ ١٩ كانون الأول ١٩٢٠)[٢] والرابع (القدس ٢٩ أيار ـ ٤ حزيران ١٩٢٠)[٣] والخامس (نابلس ٢٢ آب ١٩٢٢)[٤] ، والسادس (يافا ١٦ ـ ٢٠ حزيران ١٩٢٣)[٥] والسابع (القدس ٢٠ حزيران ١٩٢٨)[٦]

١) وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩١٨ ـ ١٩٣٩) من اوراق اكرم زعيتر ص ١٤ ـ ١٧ ، الكيالي ، عبد الوهاب : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

٢) لم يعقد المؤتمر العربي الفلسطيني الثاني في موعده المقرر في القدس عام ١٩١٩ بسبب معارضة السلطات البريطانية ، الكيالي ، عبد الوهاب :
ص ١٥٦ ـ ١٥٩ ، ١٦٣ وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩١٨ ـ ١٩٣٩) ، ص ٤٢ ـ ٥٨ (محاضرات جلسات المؤتمر العربي الفلسطيني الثالث) .

٣) وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩١٨ ـ ١٩٣٩) ، ص ٧٦ ـ ٨٦ (محاضر جلسات المؤتمر العربي الفلسطيني الرابع) .

٤) الكيالي ، عبد الوهاب : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٢٠٠ .

٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠٩ .

٦) وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩١٨ ـ ١٩٣٩) ، ص ٣٢١ ـ ٣٢٢ (مقررات المؤتمر العربي الفلسطيني السابع) .

المطالب الاساسية التالية :

- شجب السياسة الصهيونية التي تنطوي على اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين والمبنيّة على تصريح بلفور .

- رفض مبدأ الهجرة اليهودية الى البلاد .

- اقامة حكومة تمثيلية وطنية في البلاد .

وأسفر كل مؤتمر من هذه المؤتمرات عن انتخاب لجنة تنفيذية تتولى تنفيذ قراراته . وتألفت هذه اللجان ، التي كانت بمثابة قيادة عامة للحركة الوطنية العربية في فلسطين ، من الزعماء الاقطاعيين واعيان المدن (طبقة الأفندية) ، الذين حرصوا على اقامة علاقات ودية مع السلطات البريطانية المنتدبة . وما لبثت هذه القيادة ان ابتعدت تدريجيا عن قواعدها الشعبية من الفلاحين والحرفيين والعمال في المدن والقرى، حتى ذهبت هذه الأخيرة الى تشكيل العصابات المسلحة في الريف وتولي مهمة مقارعة سلطات الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية في البلاد ، في معزل عن تلك القيادة السياسية . وكانت اولى تلك العصابات عصبة « الكف الأخضر » بقيادة أحمد طافش التي نشطت في منطقة الجليل بين تشرين الأول عام ١٩٢٩ وشباط عام ١٩٣٠[٧] .

وشهد مطلع الثلاثينات من هذا القرن قيام جمعيات الشباب التي تمردت على القيادة السياسية التقليدية . وكان أولها « جمعية الشباب العرب » التي أدانت قيادة الاعيان واتهمتها بالتخاذل والعجز عن انقاذ عرب وادي الحوارث والتنازل عن جزء من ارض الوطن للعدو الصهيوني[٨] . ومنها « جمعية مؤتمر نابلس » التي تشكلت في آب ١٩٣١ في اعقاب اجتماع للجمعية الاسلامية المسيحية في المدينة ، واطلقت على نفسها « الجمعية العربية الوطنية » وتولى رئاستها فهمي العبوشي كما تولى أعمال السكرتارية كامل الدجاني واكرم زعيتر . وطالبت هذه الجمعية بتسليح العرب ردا على تسليح السلطات البريطانية لليهود[٩] . وعقد المؤتمر الأول للشباب العرب في يافا في كانون الثاني عام ١٩٣٢ وأصبح ينعقد بصورة دورية كل عام[١٠] . كما تشكل حزب الاستقلال العربي في أيلول ١٩٣٢ بعد أن يئس الشباب العربي الفلسطيني من

---

٧) الكيالي ، عبد الوهاب : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣

٨) Porath, Y.: The Palestinian Arab National Movement, 1929- 1939, Vol. 2, p. 119

٩) Ibid, O. 120.

١٠) الغوري ، اميل : فلسطين عبر ستين عاما ، ج ١ ، ص ١٤٨

Porath, Y. : Op. Cit. p. 121.

جدوى العمل في نطاق اللجنة التنفيذية العربية ، وبخاصة بعد ممانعة الحاج أمين الحسيني ، رئيس المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى في فلسطين ، في انتهاج سياسة صريحة معادية للانكليز[11] . وأكد الحزب الجديد على البعد القومي للقضية الفلسطينية فنص قانونه على استقلال البلاد العربية استقلالا تاما ، وعلى أن هذه البلاد تشكل وحدة تامة لا تقبل التجزئة ، وان فلسطين بلاد عربية وهي جزء من سورية (المادة ٣ أ ، ب ، ج)[12] .

في هذه الفترة التي بدأت تأخذ الحركة الوطنية العربية في فلسطين اتجاها متصلبا في مقاومة الانتداب البريطاني والنشاط الصهيوني في البلاد وشرعت العناصر العربية الشابة في التحرك لأخذ زمام القيادة من اللجنة التنفيذية العربية ، حدثت تطورات سياسية مهمة في المانيا . اذ وصل حزب العمال الوطني الاشتراكي N.S.D.A.P. الى السلطة في ٣٠ كانون الثاني عام ١٩٣٣[13] . واثار وصول هذا الحزب بزعامة ادولف هتلر الى الحكم في المانيا اهتمام الحركات السياسية في المشرق العربي . فقد رأت في القوة الالمانية الجديدة حلفا محتملا يمكن الاعتماد عليه في نضالها الوطني من اجل الحرية والاستقلال والوحدة . ورأى بعضها في الانموذج الالماني الجديد مثالا يحتذى . وتشكلت منظمات شبه عسكرية من الشباب في مدن الشرق العربي ، مثل فرق القمصان الحديدية والحرس الوطني في دمشق ، والكشافة في حلب ، والشباب العربي في حمص ، والشباب الوطني في حماه ، والنجادة والوحدات اللبنانية والكتائب في لبنان ، والفتوة والجوالة في العراق ، والحزب القومي السوري في لبنان وسورية وفلسطين[14] . وتألفت في فلسطين فرق كشفية ونواد أدبية في المدارس التابعة للمجلس الشرعي الاسلامي الاعلى وبعض المعاهد الوطنية لغرض تنظيم الشباب وتهيئته وطنيا . فتشكلت منظمة « الجوال المسلم » التي ضمت في صفوفها ما يزيد عن الف شاب[15] . وكانت المنظمات النازية مثالا يحتذى لدى منظمات الشبيبة العربية في فلسطين . ففي الاجتماع الذي عقد في القدس في ١١ شباط ١٩٣٦ القى ايوب مسلم خطابا اشار فيه الى دور منظمة الشباب الهتلرية في وصول هتلر الى الحكم،وفي اكراه فرنسا على الانسحاب من المناطق الصناعية الالمانية (منطقة الرور). واتخذ المؤتمر شعارا « الحرية حقي ، والاستقلال غايتي ، والعروبة مبدأي ، وفلسطين موطني وحدي »[16] .

---

١١) الكيالي ، عبد الوهاب : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٢٧١ .

١٢) وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩١٨ ـ ١٩٣٩) ، ص ٣٦١ (قانون حزب الاستقلال العربي) .

١٣) Hefer, W.: Der Nationalsozialismus, p. 14.

١٤) M.A.E., Serie E, Syrie, Carton 771 (Lettre du delegue général à Beyrouth au M.A.E., date du 10.7 1937.

١٥) الغوري ، أميل ، فلسطين عبر ستين عاما ، ج١ ، ص ٢٤٧ .

١٦) Porath, Y. Op. Cit., p. 76.

غير ان هذا الاعجاب العربي بالتنظيم العسكري الالماني للشباب لم يرافقه قناعات فكرية بالعنصرية النازية ، كما يحلو للكثير من الكتاب والمؤرخين المغرضين ان يؤكدوه .

المانيا النازية وثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٦ - ١٩٣٩ :

قبل ان يصل الحزب النازي الى السلطة بخمس سنوات قامت مجموعة من الطلبة العرب في المانيا بمقابلة ادولف هتلر في ميونخ واقترحت عليه انشاء رابطة للشعوب المضطهدة لمقاومة الدول الاستعمارية وبخاصة انكلترا وفرنسا . وكان القصد من هذه المحاولة كسب المساندة الالمانية في نضال العرب القومي من اجل تحرير بلادهم من الهيمنة الانكلو- فرنسية . غير ان هذا الاقتراح لم يلق استجابة لدى الزعيم النازي . فقد زعم ان يديه مغلولتان وانه عاجز عن تلبية هذا المطلب . والواقع ان رفض هتلر لمطالب الطلبة العرب يعود الى نظرته العرقية نحو العرب والى كون المقترحات العربية لا تتفق والسياسة الواقعية Real Politik التي تبناها الحزب نحو بريطانيا وفرنسا[١٧] .

والواقع ان موقف هتلر بعد وصوله الى الحكم لم يتغير حتى قيام ثورة فلسطين الكبرى عام ١٩٣٦ . ففي لقاء تم بين القنصل الالماني هاينرش فولف والحاج أمين الحسيني في موسم النبي موسى في نيسان ١٩٣٣ اعرب المفتي عن رغبته في ايقاف تهجير اليهود الالمان الى فلسطين ، واكد الزعيم الهندي شوكت علي الذي كان يرافق المفتي على مشاركته لعرب فلسطين في هذه الرغبة[١٨] . غير ان مطلب المفتي ذهب مع الريح لأن المانيا لم تدخل العرب في حساباتها آنذاك .

وحصل تطور مهم في نفوس العرب بعد غزو ايطاليا للحبشة عام ١٩٣٥ . اذ افتضح عجز عصبة الامم وقصور بريطانيا عن حمايتها للحبشة . وبدأ بعض العرب يعتقد ان الوقت مناسب للتحرك ضد بريطانيا والتخلص من انتدابها . وانتعشت الآمال لدى عرب فلسطين بعد ان استعادت المانيا منطقة الراين في ٧ آذار ١٩٣٦[١٩] . واعتقد بعض العرب ايضا ان الحرب بين الدول الاوروبية قادمة لا محالة ، وانها قد تكون الفرصة المناسبة لتحقيق أهدافهم الوطنية في التحرر والاستقلال . وكان تزايد اعداد المهاجرين اليهود الى فلسطين بعشرات الآلاف وتعنت بريطانيا في ورفض الاستجابة لمطالب العرب التي تحددت في ايقاف الهجرة

---

١٧) Amin, A.M.: Deutsche Orientpolitik heute, in Aussenpolitik 5-1 - 1954, Heft 1, Stuttgart, 1954, p. 29. Watti, M.M.: Analyse des Nationalen Interessen am Beispiel der Deutschen Arabischen Beziehung, p. 103.

١٨) Porath, Y. Op. Cit, P. 76.

١٩) Ibid. p. 140.

اليهودية ، ومنع بيع الاراضي الاميرية والخاصة ، وقيام حكومة وطنية تمثيلية ، من الاسباب التي حركت الجماهير العربية في فلسطين وقياداتها الشابة المتمردة على القيادات الاقطاعية التقليدية واعلان الثورة .

وبينما كانت ثورة فلسطين مشتعلة عام ١٩٣٦ ، كان هتلر يغازل بريطانيا ، سعيا الى كسب ودها ورضاها عن تنفيذ مخططاته في اوروبا . وابدى هتلر رغبته في مقابلة لويد جورج Loyd - George ، فتم له ذلك في بيرغهوف Berghof في آب ١٩٣٦ . وتملق هتلر بريطانيا في خطابه في الريخستاغ Reichstag (مجلس الأمة الالماني) مؤكدا ان عهد المفاجآت قد ولى ولن يعود . وفي شباط ١٩٣٧ ابلغ فون ريبنتروب Von Ribbentrop مستشار هتلر الموثوق وسفيره في لندن ، اللورد هاليفاكس Lord Halifax وزير خارجية بريطانيا ، رغبة هتلر في التفاهم الالماني ـ البريطاني[٢٠] . وكان القصد من هذه المساعي الحصول على وعد من بريطانيا باطلاق يد هتلر في المناطق التي يعتبرها ضمن المجال الحيوي الالماني في اروربا الوسطى والشرقية . وكان هتلر يدرك مدى حساسية بريطانيا في كل ما يتعلق بالوضع في حوض البحر الأبيض المتوسط ، كما كان يعتقد ان تقديم أي عون مادي او معنوي لعرب فلسطين سوف يؤدي الى توتر في العلاقات الالمانية ـ البريطانية .

وعلى الرغم من هذا الموقف الحذر الذي وقفته المانيا من ثورة عرب فلسطين شنت الصحف اليهودية في فلسطين حملة على الحكومة الالمانية واتهمتها بتقديم العون المالي لعرب فلسطين وتزويدهم بالسلاح . وتناقلت الصحف الاوروبية هذه الاتهامات وروجتها على نطاق واسع[٢١] .

---

٢٠) Hilderbrand, K. :Deutsche Aussenpolitik 1933- 1945, p. 51.

٢١) A.A., P. A., Politische Abt. VII, Politische Beziehungen Palaestina Zu Deutschland , Bd. 1. Doehle an A.A., Jerusalem 7.7. 1936.

نشرت الصحيفة الاشتراكية السويسرية « Le Travail » الصادرة في جنيف في ٣٠ ايلول ١٩٣٨ مقالا بعنوان « النشاط الهدام في الشرق الأدنى : برلين ضد انكلترا » .

« L'agitation subversive dans le Proche- Orient : Berlin Contre L'Angleterre » .

وذكرت في عددها الصادر في ٥ تشرين الاول ١٩٣٨ ان عرب فلسطين يتلقون الدعم المالي والعسكري من الألمان . وفي اثناء مناقشة المسألة الفلسطينية في مجلس العموم البريطاني في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٣٨ شنت صحف المعارضة البرلمانية هجوما عنيفا على الحكومة الالمانية واتهمتها بدعم العرب ماليا واعلاميا . كما اكدت جريدة التايمز The Times اللندنية في مقالة طويلة نشرت في عددها الصادر في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٣٨ بعنوان

Arab and Jew in Palestine: Foreign Propaganda

ذكرت فيها ان عرب فلسطين يتلقون المال من المانيا عن طريق دمشق .

والواقع ان أول لقاء تم بين اللجنة العربية العليا والتي تولت قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية منذ اعلان الاضراب العام في البلاد في نيسان ١٩٣٦ ، والسلطات الالمانية كان في بداية كانون الثاني عام ١٩٣٧ . اذ قابل الأمين العام للجنة المذكورة محمد عزة دروزة يرافقه معين الماضي الوزير المفوض الالماني في بغداد فريتس غروبا Fritz Grobba وأوضحا له ان استمرار الهجرة الى فلسطين سيجعل اليهود الاكثرية في البلاد في مدى السنوات الخمس التالية ، وبذلك يتمكنون من بناء الدولة اليهودية . وان الرد على هذا الاحتمال هو قيام دولة عربية في فلسطين صديقة لالمانيا . واكد الزعيمان الفلسطينيان على ان انتصار العرب في فلسطين سيكون لصالح المانيا[٢٢] . ورد غروبا على هذه المطالب بان الجهات الالمانية المختصة تدرس مسألة الهجرة اليهودية من المانيا وانها سوف تبلغه بقراراتها بهذا الصدد . أما بالنسبة الى العون الذي يمكن ان تقدمه المانيا للحركة العربية في فلسطين فلن يتجاوز التعاطف المعنوي معها[٢٣] .

غير ان هذا الموقف المتحفظ جدا من الثورة الفلسطينية اثار قلق القنصل الالماني في القدس الهر دولهDoehle الذي بعث بتقرير الى وزارة الخارجية الالمانية يؤكد فيه ان تطور الحالة الداخلية في فلسطين يقتضي اعادة النظر في السياسة الالمانية . وبين القنصل الالماني ان اتفاقية هعفارا التي ابرمتها الحكومة الالمانية مع الوكالة اليهودية نظمت هجرة اليهود الالمان الى البلاد ، وسهلت لهم تحويل اموالهم ووضعت احتكار استيراد المنتجات الالمانية في ايدي الوكالة اليهودية . وبذلك حالت المانيا بهذه الاتفاقية ، دون منح العرب امكانية استيراد المنتجات الالمانية خارج نطاق احتكار هعفارا . وحذر القنصل الالماني حكومته من مغبة سياستها التي تعرضها لخطر انضمام العرب الى صفوف اعدائها . واكد ان قيام وطن قومي لليهود في فلسطين سيجعل حياة العرب والاقلية الالمانية صعبة جدا . واقترح دوله على حكومته ايقاف الهجرة اليهودية من المانية ، والحفاظ على عواطف الود التي يكنها العرب نحو المانيا الجديدة وزعيمها باللجوء الى ما يلي :

- قيام تعاون ثقافي الماني ـ عربي بقبول اعداد من الطلبة العرب في المعاهد العليا الالمانية .
- تنمية التعاون الصحفي بين الصحف العربية والصحف الالمانية[٢٤] .

وساهم التعاطف الشعبي العربي مع الثورة الفلسطينية والذي تجسّد بقيام مظاهرات

---

٢٢) A.A., P.A. , Pol. Abt. VII, Politik, 11, Bd 1, Grobba an A.A., Bagdad, 5. 1. 1937.

٢٣) Ibid. Pilger an Grobba, Berlin, 5.2. 1937.

٢٤) A.A., P.A. Buero Reichsaussenminister, Akten Betreffend Palaestina, Doehle an A,A. Jerusalem, 22. 3. 1937.

التأييد للثورة في العواصم والمدن العربية ، وادانة بريطانيا واستنكار سياستها من قبل كافة الاوساط الوطنية العربية ، في دفع المانيا إلى اعادة النظر في سياستها نحو فلسطين .

اصدر وزير الخارجية الالماني فون نويرات Von Neurath تعميما الى السفارة الالمانية في لندن والقنصلية الألمانية في القدس والمفوضية الالمانية في بغداد في الأول من حزيران عام ١٩٣٧ يحدد معالم السياسة الجديدة :

١ ـ ليس في صالح المانيا قيام دولة يهودية او كيان سياسي يهودي في فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، ما دامت اية دولة في فلسطين عاجزة عن استيعاب يهود العالم . ولكنها ستقيم مركز قوة جديدا لليهودية العالمية في ظل القانون الدولي بشكل يشبه دولة الفاتيكان بالنسبة الى الكاثوليكية السياسية او موسكو بالنسبة الى الكومنترن .

٢ ـ ان مصلحة المانيا تقتضي جعل اليهود متفرقين ـ وحين لا يوجد على الأرض الالمانية أي فرد من الجنس اليهودي ، لن تحل المسألة اليهودية بالنسبة الى المانيا . لقد دلت تطورات السنوات الاخيرة ان اليهودية العالمية ستكون دائما وبالضرورة العدو الايديولوجي ، وبالتالي العدو السياسي لالمانيا الوطنية الاشتراكية . ولهذا فان المسألة اليهودية في الوقت نفسه احدى المشكلات شديدة الاهمية بالنسبة الى سياسة المانيا الخارجية . ولهذا فان لالمانيا مصلحة في تقوية العالم العربي ، وذلك لموازنة احتمال ازدياد سطوة اليهودية العالمية .

٣ ـ ليس من المتوقع ان يؤثر التدخل الالماني المباشر بصورة جذرية على تطور المسألة الفلسطينية ومن الافضل ان لا ندع الحكومات الاجنبية المعنية لا تعرف شيئا عن موقفنا .

وجاء في التعميم الموجه الى السفير الألماني في لندن اضافة تبين اهتمام الحكومة الالمانية بما يجري في فلسطين من تطورات وانها لا ترحب بقيام كيان سياسي يهودي فيها ،وانها لا « تعتقد ان اقامة دولة يهودية في فلسطين سيساند الجهد المبذول لتهدئة الموقف الدولي » .

اما الاضافة الى التعميم الموجه الى الوزير المفوض الالماني في بغداد فقد جاء فيها : « ينبغي التعبير بشكل أوضح من ذي قبل عن تفهم المانيا لأماني العرب القومية ، ولكن دون الادلاء بأية وعود محددة »[٢٥] .

كان من المنطقي ان يتلو هذا الاتجاه الجديد في السياسية الالمانية نحو فلسطين اعادة النظر

---

٢٥) A.A., P. A. , Buero Unterstaatssekretaer, Palaestina frage
D.G.F.P., Series D, Vol. V, No. 561, pp. 746- 7. The Foreign Minister to the Embassy in Great Britain, the Consulate General at Jerusalem and the Legation in Iraq, Telegram, Berlin, 1.6. 1937.

في اتفاقية هعفارا . وبدأت محاولات في هذا الصدد اشتركت فيها وزارة الخارجية الالمانية ووزارة الداخلية ومركز الرايخ للتخطيط الاقتصادي وبنك الرايخ ووزارة الاقتصاد وادارات الحزب الوطني الاشتراكي . واستمرت المشاورات طوال عام ١٩٣٧ دون ان تسفر عن اي تغيير في هجرة اليهود الالمان إلى فلسطين او عن اي تبديل في نصوص اتفاقية هعفارا(٢٦) .

وحرصت المانيا على ان لا تتخذ موقفا واضحا مؤيدا للعرب . فبعد صدور توصيات اللجنة الملكية البريطانية (لجنة بيل Peel Commission) بأسبوع (اي في ١٥ تموز ١٩٣٧) قابل المفتي امين الحسيني ، رئيس اللجنة العربية العليا ، القنصل الالماني في القدس الهر دوله Doehle ، وابلغه معارضة عرب فلسطين والعالمين العربي والاسلامي لتقسيم فلسطين ، واعرب عن امله في ان يحصل عرب فلسطين على مساندة المانيا لنضالهم . وطلب من القنصل تحديد الموقف الالماني الرسمي من تقسيم فلسطين وقيام دولة يهودية فيها ، واعلان هذا الموقف بوسائل الاعلام الالمانية . كما اعرب المفتي عن رغبته في ارسال شخص موثوق به بصورة سرية الى المانيا للتباحث في المصالح الالمانية ـ العربية الاسلامية(٢٧) .

درست وزارة الخارجية الالمانية مطالب المفتي وقدم فون هنتغ Von Hentig رئيس الدائرة السياسية مذكرة الى سكرتير الدولة فون فايتسزيكر Von Weizsaecker أشار فيها الى تناقض المواقف العربية من التقسيم ، واكد ان لا وجود للعالم الاسلامي كقوة سياسية ضاغطة ، وان القوة الدولية الحقيقية هي قوة اليهود . وبناء على هذه المذكرة جاء الرد على مطالب المفتي سلبيا وموجزا جدا . « زيارة الرجل الموثوق لا جدوى منها ما دام موقف الدول العربية غير موحد »(٢٨) .

هذا وقابل زعيمان فلسطينيان من اللجنة العربية العليا هما عوني عبد الهادي ومعين الماضي الوزير المفوض الالماني في بغداد فريتس غروبا وحثاه على ضرورة اهتمام حكومته بالمسألة الفلسطينية ودعم عرب فلسطين . وابدى عوني عبد الهادي رغبته في زيارة برلين فورا(٢٩) .

واستدعى رئيس وزراء العراق ، حكمت سليمان ، الوزير المفوض الالماني في بغداد في ١٧ تموز ١٩٣٧ وطلب منه ان تبذل حكومته مساعيها في اوساط عصبة الأمم لمقاومة تقسيم

(٢٦ D.G.F.P., Series D, Vol. V, No. 562, pp. 747- 8.

(٢٧ A.A., P. A:·, Pol. Abt. VII, Po. 5 A. Palaestina . Bd. 1 Doehle an A.A., Jerusalem, 15. 7. 1937.

(٢٨ Ibid. Weizsaecker an Doehle ,Berlin, 30. 7. 1937.

(٢٩ Hirszowicz, L. :The Third Reich and the Arab East , p. 34

فلسطين واقامة دولة يهودية فيها . كما طلب منه ان يصدر تصريح علني من احدى الشخصيات الالمانية المسؤولة ضد مشروع الدولة اليهودية(٣٠) . وطلب القائد العام للجيش العراقي من الهر غروبا في ٢٠ تموز ١٩٣٧ ان يتعاون القنصل الالماني العام في جنيف مع المندوب العراقي من اجل التأثير على لجنة الانتدابات الدائمة ومجلس عصبة الأمم لتأييد وجهة النظر العربية(٣١) . وجاء الرد الالماني مخيبا لآمال العرب : « ان عدم توحيد الموقف العربي يجعل من المتعذر اصدار تصريح مؤيد للعرب من شخصية المانية مسؤولة . اما بشأن تعاون قنصلنا مع المندوب العراقي في جنيف فنحن لا نعارض في ذلك(٣٢) » .

ولما طلب بعض الوطنيين السوريين من القنصل الالماني في بيروت الهر زايلر Seiler في مطلع ايلول ١٩٣٧ شراء اسلحة وذخيرة المانية لدعم الكفاح المسلح في فلسطين ، مقابل دفع ثمنها بالعملة الصعبة ، رحبت السلطات الالمانية بهذه الصفقة شريطة ان تتم مع شركة المانية تحدد لهذا الغرض(٣٣) .

وعاد المفتي امين الحسيني يلح على القنصل الالماني في القدس لارسال موفد شخصي منه الى برلين ، ويطلب ان تهاجم الصحف الالمانية تقسيم فلسطين وقيام دولة يهودية فيها ، وان تمارس المانيا نفوذها لدى الحكومة البولندية لتغير من موقفها المعادي للعرب (وبخاصة موقفها في عصبة الأمم)(٣٤) استجابت الحكومة الالمانية للمطلب الأول . واخذت الصحف الالمانية تشن هجوما على توصيات اللجنة الملكية (لجنة بيل) ، فكان ذلك سببا في احتجاج القائم بالاعمال البريطاني في برلين على هذه الحملة الاعلامية في ٢٦ تشرين الاول ١٩٣٧(٣٥) .

وكان امين الحسيني قد تعرض لملاحقة السلطات البريطانية ، وفي تموز ١٩٣٧ القت هذه السلطات القبض على عدد من اعضاء اللجنة العربية العليا ونفتهم الى جزر سيشل . اما المفتي فقد افلت من ايديها ولجأ الى المسجد الاقصى . وبقي مختبئا حوالي اربعة اشهر تمكن بعدها من الهرب واللجوء الى لبنان(٣٦) . ومن لبنان اوفد المفتي الدكتور سعيد عبد الفتاح الامام ، رئيس

---

٣٠) A.A.,P.A., Pol . Abt. VII, Po. 5A. Palaestina, Bd. 1Grobba an A.A., Bagdad, 17. 7. 1937.

٣١) Ibid, Grobba an A.A., Bagdad , 20. 7 1937.

٣٢) Ibid, Weizsaecker an Grobba, Berlin 30. 7. 1937.

٣٣) Ibid. Bd. 2. Seiler an A.A. Beirut, 22. 9. 1937.

٣٤) A.A., P. A., Pol, Abt . VII, Politik 11 Bd. 1, Dittmann an A.A., Gerusalem. 10.8.1937.

٣٥) A.A., P.A. , Pol. Abt. VII, Po. 25, Palaestina, Bd. 1.

٣٦) حداد ، عثمان كمال : حركة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١ ، ص ٤ ـ ٥ .
زعيتر اكرم : الحركة الوطنية الفلسطينية ، ص ٣٣١ ـ ٣٣٣ .

النادي العربي بدمشق ، واحد خريجي الجامعات الالمانية ، الى برلين في تشرين الثاني ١٩٣٧ حاملا معه مشروعا للتعون الإعلامي بين السلطات الالمانية المختصة من جهة وبين مفتي القدس امين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا ، والمجلس الاداري للمكتب العربي القومي للدعاية والارشاد العام ، ومجلس مدراء النادي العربي في دمشق من جهة اخرى . ويتضمن مشروع الاتفاق تنفيذ البرنامج التالي :

١ ـ تعضد المانيا العرب ايديولوجيا بالتعبير عن التعاطف مع حركة الاستقلال العربية في الأوساط المحلية والدولية في كل فرصة سانحة ، وماديا عن طريق تزويد حركة الاستقلال العربية بالمال ، وتجهيز كافة مراكز الدعاية التي يكونها الفريق العربي .

٢ ـ يدعم العرب المانيا في المجالات التالية :

- تنمية التجارة الالمانية في العالم العربي الاسلامي .
- تهيئة المناخ الودي المتعاطف مع المانيا .
- نشر الافكار الوطنية الاشتراكية (النازية) في العالم العربي الاسلامي .
- مكافحة الشيوعية التي تنتشر تدريجيا بكل الوسائل الممكنة .
- مقاطعة البضائع اليهودية .
- الاستمرار بأعمال العنف في كافة المستعمرات الفرنسية والمناطق الواقعة تحت الانتداب الفرنسي والتي يقطنها عرب او مسلمون .
- مكافحة اقامة دولة يهودية في فلسطين بكل الوسائل الممكنة .
- نشر الثقافة الالمانية في الاقطار العربية الاسلامية .
- تشجيع استثمار رؤوس الأموال الالمانية(٣٧) .

غير ان هذا المشروع لم يحظ بالتأييد من جانب السلطات الالمانية فأهملته ولم تُعره بالا .

وشعر العرب في فلسطين بخيبة امل كبرى ومرارة شديدة عبرت عنها صحيفة « الجامعة الاسلامية » اليافية المقربة من اوساط حزب الاستقلال العربي الفلسطيني ، في عددها الصادر في ٩ كانون الثاني ١٩٣٨ . تساءلت الصحيفة عما قدمته المانيا للعرب حتى تستحق السمعة الواسعة التي تتمتع بها بينهم . وردت هذه السمعة الى كراهية الالمان لليهود . ولكنها

٣٧) D.G.F.P.Series D, Vol. V, No. 576,pp. 778-9, The Propaganda Ministry, Berlin, 14. 12. 1937.

استدركت وقالت : ان سياسة العداء الالماني لليهود قد جاءت لنا بهجرة يهودية كبيرة الى فلسطين . واصبح اليهود الالمان يشكلون أكبر المجموعات الغربية في البلاد . وتناولت هذه الصحيفة تصدير البرتقال العربي الى المانيا مقابل استيراد بضائع المانية بضعف ثمنها الحقيقي ، وما في ذلك من غبن يلحق بالتجار العرب . وتساءلت بعد ذلك عن اسباب هذا الموقف الالماني ، وعن انخداع العرب بالصداقة المزعومة[٣٨]

ولم يكن قادة الثورة الشعبية الفلسطينية في الداخل على علم باتصالات المفتي بالمانيا، ولذلك حاولوا بدورهم القيام بهذا الاتصال . فقد وجه يوسف سعيد ابو درة ، قائد احد فصائل الثورة في شمال فلسطين رسالة الى ادولف هتلر في منتصف كانون الأول ١٩٣٨ عن طريق القنصلية الالمانية في القدس . وتتضمن هذه الرسالة ايضاحا لموقف الثورة من اليهود والانتداب البريطاني في فلسطين[٣٩] .

وقام عوني عبد الهادي بتلبية دعوة المفكر والزعيم النازي ألفرد روزنبرغ Alfred Rosenberg الذي تعرف به عن طريق رئيس تحرير صحيفة « أخبار ميونخ الجديدة Muenchen-er Neusten Nachrichten الهر غيزيلر فيرزينغ Gieselher Weirsing . فزار برلين وأجرى مباحثات مع الزعيم النازي المذكور ومع المسؤولين في دائرة الشؤون الخارجية في الحزب النازي . والتقى في ٣١ آذر ١٩٣٩ بالهر فورمان Woermann وكيل وزارة الخارجية الالمانية . وأوضح الزعيم الفلسطيني للهر فورمان ان عرب فلسطين يناضلون نضالا مستميتا ضد الانكليز من أجل نيل حقوقهم وانهم يأملون في دعم المانيا لنضالهم هذا »[٤٠] .

وخلاصة القول ان هذه المساعي العربية لم تسفر عن اية نتيجة ايجابية . ولم يحصل عرب فلسطين على اي دعم مالي او عسكري من المانيا طوال ثورتهم الوطنية التي دامت ثلاث سنوات ونيفاً . واكتفت المانيا ، وفي فترة متأخرة ، بالاعلان عن معارضتها لاقامة دولة يهودية في فلسطين . وتبرير الحكومة الالمانية لهذه المعارضة أن قيام دولة يهودية في فلسطين على غرار دولة الفاتيكان يشكل خطرا كبيرا على المانيا . وقد أوضح هذه النقطة المفكر النازي ألفرد روزنبرغ في خطاب القاه في مدينة ديتمولد Detmold في ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٩ اذ قال :

---

٣٨) A.A., P.A., Pol, Abt. VII. Politik 11 Bd. 1.
ترجمة مقال الجامعة الاسلامية في عددها الصادر في ١٩٣٨/١/٩ .

٣٩) A.A., P.A. , Pol. Abt VII. Po 2, Palaestina Bd.1. Doehle an A.A, Jerusalem, 23,12. 1938.

٤٠) A.A., P. A. Akten U.St. S. Palaestinafrage, Notiz ueber ein Gespraech mit Aauni Bey Abdel Hadi, Woermann, Berlin, 1. 4. 1939.

« ان اليهودية تكافح اليوم من اجل بناء دولة يهودية في فلسطين ، ليس من أجل منح اليهود في العالم وطنا ، وانما لأسباب اخرى . فاليهودية تسعى الى انشاء دولة صغيرة ليكون لها ممثلون في كافة دول العالم ، تستطيع من خلالهم تأمين سيطرتها هناك . فقبل كل شيء يسعى اليهود الى الحصول على مركز يهودي او دولة يهودية يلتقي فيها اليهود المحتالون من كافة ارجاء العالم والذين تلاحقهم قوات الأمن في الدول الاخرى ، حيث يمنحون جوازات سفر جديدة تمكنهم من الانتقال الى اجزاء أخرى من العالم . ولعله من أمنيات اصدقاء اليهود في العالم ، وبخاصة في الديمقراطيات الغربية ، أن ينتشر اليهود في كافة انحاء الأرض ، وان يمنحوا منطقة أخرى غير فلسطين للاستقرار فيها . ان من واجب المانيا السعي لابقاء اليهود مشردين مشتتين في كافة أرجاء العالم »[٤١] .

اتصالات الزعماء الفلسطينيين بالرايخ الثالث من بداية الحرب العالمية وحتى نهاية حركة رشيد عالي الكيلاني ١٩٣٩ - ١٩٤١ :

مع بداية الحرب العالمية الثانية كانت الحالة في فلسطين سيئة للغاية ، بسبب الدمار الاقتصادي الذي سببه الاضراب العام والثورة المسلحة والتدابير الزجرية التي فرضتها السلطات البريطانية على العرب ، وهجرة العديد من اغنياء البلاد ، والمقاطعة العربية - اليهودية المتبادلة ، وعزل البلاد عن الاسواق الاجنبية[٤٢] . ومنيت الحركة الوطنية الفلسطينية بالشلل بعد ان اعتقلت السلطات البريطانية العديد من قادتها واودعتهم السجون والمعتقلات وهرب الباقون الى الخارج . ومنذ اندلاع الحرب وضع المفتي وكافة الزعماء الفلسطينيين تحت الرقابة الفرنسية الشديدة في سورية ولبنان[٤٣] .

---

٤١) A.A., P. A. Pol. Abt. VII, Po. 36, Palaestina.

مذكرة وزارة الخارجية الالمانية الى كافة بعثاتها الدبلوماسية والقنصلية في العالم ، برلين ١٩٣٩/١/٢٥ .

٤٢) الكيالي ، عبد الوهاب : تاريخ فلسطين الحديث ص ٣٤٤ .

٤٣) من الشخصيات السياسية الفلسطينية التي لجأت الى دمشق وبيروت : جمال الحسيني وعزة دروزة وممدوح السخن وخالد الفرخ واسحق درويش وواصف كمال ومصطفى الطاهر ومحمد علي دروزه وداود الحسيني وسليم ابو لبن وحسن ابو السعود وصفوت الحسيني وفريد فخر الدين واكرم الجاعوني وعز الدين الشوا ومعين الماضي وامين التميمي وعارف الجاعوني . ومن قادة فصائل الثورة : حسن سلامة ومحمود زلوم وخليل الياس وتوفيق ابراهيم وحمدي زواتي واحمد طوبي وفارس العزوني وراضي الريماوي وعبد الله الأسعد وعبد القادر الحسيني وعبد الحي عرفة .

M.A.E. Serie E, Palestine, Carton 118 , Havard, Consul général de la Grande- Bretagne au délegue.général du Hautcommissaire, Damas, 30. 8. 1939.

Puaux, G. : Deux Années au Levant, 1939- 1940, P. 168.

وخشية من ان يقع المفتي والزعماء الفلسطينيون في قبضة الانكليز ، قرروا الخروج سرا من لبنان وسورية الى العراق . وفي ليلة ١٤ تشرين الاول ١٩٣٩ هرب الحاج أمين متخفيا من بيروت الى بغداد(٤٤) ، فوصلها في ١٦ منه(٤٥) . وكان قد سبقه اليها عبد القادر الحسيني وامين التميمي وفوزي القاوقجي القائد العام للثورة الفلسطينية وعارف عبد الرزاق والشيخ حسن سلامة(٤٦) .

لعب الحاج امين دورا بارزا في الاحداث السياسية العراقية طوال فترة اقامته في بغداد بين ١٦ تشرين الأول ١٩٣٩ و ٢٩ ايار ١٩٤١ . فمنذ وصوله الى العاصمة العراقية شرع يتصل بالشخصيات السياسية العراقية من وزراء ونواب وزعماء وطنيين يتبادل معهم الرأي في القضية الفلسطينية خاصة والقضايا العربية عامة . ووجد المفتي نفسه يلتقي فكريا والشخصيات العراقية ذات الاتجاه القومي العربي الراغبة في تحرير العراق من قيود المعاهدة العراقية ـ البريطانية لعام ١٩٣٠ ، والساعية الى تحرير بقية الاقطار العربية من ربقة الاحتلال والانتداب الأجنبيين . وقد اعتقدت هذه الشخصيات ان الحرب العالمية فرصة لا بد للعرب من اقتناصها من اجل نيل استقلالهم الكامل ووحدتهم السياسية . وكان هذا الفريق من السياسيين العراقيين يأخذ على الحلفاء (الانكليز والفرنسيين) اهمالهم للعرب وقضاياهم ، ويرى ان لا بد من الاستفادة من الوضع الدولي باتخاذ موقف الحياد بين الكتلتين المتحاربتين(٤٧) . وحاول المفتي ان يقنع هذا الفريق من السياسيين بضرورة تحاشي اغضاب دول المحور (المانيا وايطاليا واليابان) ومسايرة بريطانيا في نطاق الالتزام بما جاء في معاهدة التحالف العراقية ـ البريطانية ، وتجنب دخـول الحرب حفاظا على القوى العربية من ان تستنزف في سبيل انتصار بريطانيا ، اعتقادا منه ان انتصارها لن يفيد العرب في شيء . وكانت تجربة الحسين بن علي وتنكر بريطانيا لوعودها التي قطعتها للعرب في الحرب العالمية الاولى ما تزال ماثلة امام عينيه(٤٩) . وكان يرى

---

٤٤) حداد ، عثمان : حركة رشيد عالي ، ص ٣٨ ـ ٣٩ .

٤٥) M.A.E., Serie E, Palestine, Carton 118, Puaux au M.A.E. Beyrouth, 15. 10 1939.

Ibid., Puaux au M.A.E., Beyrouth, 17.10.1939.

زعيتر، اكرم : الحركة الوطنية الفلسطينية ، ص ٦٠٨ ـ ٦٠٩ .

الحسني ، عبد الرزاق : تاريخ الوزارات العراقية ، ج ٥ ، ص ٨٣ .

٤٦) F.R.U.S., 1939, Vol. IV, F. 808, Knabenshue to Secretary of State, Baghdad, 17. 10. 1939.

زعيتر، اكرم : الحركة الوطنية الفلسطينية ، ص ٦٠٧ .

٤٧) حداد ، عثمان : حركة رشيد عالي ، ص ٦ ـ ١٠ .

٤٨) قال المفتي في رسالة الى عبد الرزاق الحسني مؤرخة في ١/٧/ ١٩٧٠ :

« لم يكن جهدي وقفا على فلسطين وحدها . ولكني كنت اعتقد بضرورة الحذر من ان نلدغ من جحر انكلترا مرتين ،

ايضا وجوب ثورة العرب على بريطانيا وفرنسا اذا اشتركت روسيا واليابان وايطاليا في الحرب الى جانب المانيا ووصلت جيوشها الى مصر وايران[٤٩] .

واصبح المفتي صديقا حميا لهذا الفريق من السياسيين العراقيين الذي يضم رشيد عالي الكيلاني وناجي السويدي وناجي شوكت من رؤساء الوزارات السابقين ، وموسى الشهبندر ويونس السبعاوي ومحمود الشيخ علي وكبار ضباط الجيش وبخاصة العقداء الأربعة صلاح الدين الصباغ ومحمود سلمان وكامل شبيب وفهمي سعيد (الذين كان يطلق عليهم المربع الذهبي) . وتوثقت صلات المفتي بقيادة الجيش العراقي الذين اصبحوا مركز الثقل في السياسة العراقية فتدخلوا لدى الوصي على العرش الأمير عبد الاله في تشكيل الوزارات واختيار الوزراء[٥٠] .

وانقسم السياسيون العراقيون في هذه الفترة الى فريقين : فريق يرى ان مصلحة العراق هي في التعاون مع بريطانيا والدول الحليفة ويمثله نوري السعيد وجميل المدفعي وتوفيق السويدي وغيرهم وفريق آخر يرى رأي المفتي الذي اشرنا اليه سابقا . وتمكن المفتي من تشكيل « لجنة للتعاون بين البلاد العربية » في صيف عام ١٩٤٠ ضمت رشيد عالي وناجي السويدي وناجي شوكت ويونس السبعاوي والعقداء الأربعة (المربع الذهبي) والعقيد اسماعيل حقي من العراق ، وشكري القوتلي وعادل ارسلان وزكي الخطيب من سورية ، ويوسف ياسين وخالد الهود من العربية السعودية[٥١] .

ولما توقف القتال بين فرنسا والمانيا في النصف الأول من حزيران ١٩٤٠ حاول صديق شنشل ويونس السبعاوي بالتفاهم مع بعض الزعماء السياسيين السوريين واللبنانيين والفلسطينيين المقيمين في بغداد اقناع قادة الجيش العراقي بضرورة الاستفادة من حالة الارتباك

فلا ينخدع العرب بوعودها في الحرب العالمية الثانية كما خدعوا في الحرب العالمية الاولى اذ استغلت العرب ابشع استغلال كما غدرت بهم لما قضت وطرها ، فنقضت عهودها ، وتواطأت مع اليهود فمنحتهم فلسطين ، ومزقت شمل البلاد العربية . لذلك نبهت الى ضرورة الحذر من المستعمرين والى محاولة انتهاز فرصة الحرب العالمية الثانية لحمل بريطانيا على اصلاح ما فعلته في الحرب العالمية الأولى . » الحسني : عبد الرزاق : الأسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١ التحررية ، ص ٣٢ .

٤٩) الصباغ ، صلاح الدين : فرسان العروبة في العراق ، ص ١١١ .

٥٠) حداد ، عثمان : حركة رشيد عالي ، ص ٨ . الدرة ، محمود: الحرب العراقية ـ البريطانية ١٩٤١ ، ص ١٩٠ ، الصباغ ، صلاح الدين : فرسان العروبة في العراق ، ص ١٣٩ ، الحسني ، عبد الرزاق : الاسرار الخفية ص ٤٢ .

٥١) D.G.F.P., Series D. Vol, X No. 403, P. 557, Grobbas Memorandum of 27 August 1940.
Grobba, F.: Maenner und Maechte im Orient, pp. 192 -5.

التي كانت عليها القوات الفرنسية في سورية ولبنان وتدخل الجيش العراقي لتحرير هذين القطرين . غير ان المفتي اقنع قادة الجيش العراقي بعدم جدوى هذا التدخل وضرورة حصر الجهود لمعالجة القضية الفلسطينية(٥٢) .

وكان لانهيار فرنسا امام الزحف الالماني اثر كبير على المفتي والزعماء العراقيين المتعاونين معه ، اذ ازدادت ثقتهم بامكانية انتصار المانيا في الحرب الدائرة ، ورأوا ان الوقت قد حان للتفاوض معها حول مستقبل البلاد العربية . وانطلاقا من هذه القناعة حمل ناجي شوكت ، وزير العدلية العراقي الذي اوفد مع نوري السعيد ، وزير الخارجية ، في ٢٤ حزيران ١٩٤٠ الى انقرة للتفاوض مع الحكومة التركية حول الموقف الواجب اتخاذه في الصراع الدولي القائم ، باعتبار ان العراق وتركيا عضوان في حلف سعد اباد (١٩٣٧) ، رسالة من المفتي امين الحسيني الى السفير الالماني في اسطنبول فون بابن Von Papen . وتتضمن الرسالة تهنئة الزعيم الالماني هتلر بالانتصارات التي احرزها في الميادين الأوروبية ، ورجاء بالتفاوض مع ناجي شوكت حول المسألة العربية ومستقبل فلسطين والتعاون بين المانيا والعرب عن طريق ابرام معاهدة صداقة وتعاون بين الطرفين (٥٣) . وقابل ناجي شوكت السفير الالماني في ٥ تموز ١٩٤٠ بحضور قنصل المانيا العام في تركيا الهر زايلر Seiler . واقترح ناجي شوكت ان يستمر التفاوض بين العرب والالمان عن طريق وزير العراق المفوض في انقرة كامل الكيلاني ، شقيق رشيد عالي ، رئيس الوزراء آنذاك ، والدكتور فريتس غروبا وزير المانيا المفوض في بغداد . واكتفى فون بابن بالاعراب عن استعداده لنقل وجهة النظر العربية الى الجهات المعنية في المانيا(٥٤) .

كان لقاء ناجي شوكت بفون بابن بداية لمفاوضات سرية طويلة بين المفتي والزعماء العراقيين الملتفين حوله من جهة وبين المسؤولين الألمان من جهة ثانية . فبعد عودة شوكت الى بغداد بشهر واحد ، أوفد المفتي سكرتيره الخاص عثمان كمال حداد الى برلين يحمل المطالب

---

٥٢) جاء في رسالة المفتي الى عبد الرزاق الحسني المؤرخة في ٧ كانون الثاني ١٩٧٠ ما يلي : « ان معارضتي لفكرة تدخل الجيش العراقي في سورية صحيحة لان تلك كانت خطة وضعها الانكليز ليشغلوا العراق والمجاهدين الفلسطينيين الذين كانوا في العراق في معركة مع الافرنسيين في سورية ، وازعاج دول المحور التي كنا نأمل فيها خيرا لنا لموقفها المعادي لليهود والانكليز ، فنصحت بعدم التورط مع الانكليز وعملت على احباط خطتهم » الحسني ، عبد الرزاق ، الاسرار الخفية ، ص ٤٢ ـ ٤٣ .

٥٣) نص رسالة المفتي بالانكليزية D.G.F.P., Series D, Vol.X.No. 125.pp. حول مفاوضات ناجي شوكت مع المسؤولين الاتراك ومع فون بابن . 143-4.

انظر : ناجي شوكت : سيرة وذكريات ، ص ٣٩٢ ـ ٤٠٥ .

٥٤) Ibid. No. 200,pp. 261- 2 Woermann's note Berlin, 21. 7. 1940.

العربية ومشروع بيان رسمي حول سياسة دول المحور نحو البلاد العربية(**) . أجرى حداد مباحثات في وزارة الخارجية الالمانية مع غروبا الذي عاد الى برلين بعد قطع العراق علاقاته الدبلوماسية مع المانيا في ١٩٣٩/٩/٥ ، وميلشرز Milchers مدير القسم الشرقي في وزارة الخارجية ، وسكرتير الدولة فون فايتسزيكر . أما المطالب العربية التي تقدم بها عثمان حداد فيتضمنها مشروع التصريح الرسمي المطلوب من دول المحور اصداره والذي يشمل النقاط التالية :

١ ـ اعتراف المانيا وايطاليا بالاستقلال التام للبلاد العربية المستقلة الآن ، وبالاستقلال التام للبلاد العربية التي هي تحت الانتداب الفرنسي (سورية ولبنان) ، والتي تحت الانتداب البريطاني (فلسطين وشرق الأردن) . والتي هي مستعمرات او محميات بريطانية (الكويت ومسقط وحضرموت) .

٢ ـ اعلان المانيا وايطاليا ان ليست لهما اية مطامع استعمارية في مصر والسودان ، والاعتراف باستقلالهما التام ، واعتبار التحفظات التي وضعتها انكلترا على هذين البلدين لاغية من اساسها .

٣ ـ تعهد المانيا وايطاليا بعدم اللجوء الى اي اسلوب من الاساليب ضد استقلال البلاد العربية التام ، كأسلوب الانتداب الذي اخترعته عصبة الأمم بصورة احتيالية بالاتفاق مع الديمقراطيات لاخفاء شهواتها الاستعمارية .

٤ ـ اعتراف المانيا وايطاليا للبلاد بحق تأسيس وحدتها القومية حسب رغائبها وبالطريقة التي تراها موافقة ، والتعهد بعدم وضع العراقيل في سبيل انشاء هذه الوحدة .

٥ ـ مطلب المانيا وايطاليا الوحيد ان تريا الأمة العربية متمتعة بالازدهار والأقبال وان تتبوأ مكانها التاريخي والطبيعي تحت الشمس ، وهذا لصالح الانسانية جمعاء ، وفي سبيل تعاون اقتصادي على اساس تبادل المنافع ، مقابل تعهد البلاد العربية باحترام الحالة الراهنة (Statu quo) في فلسطين او سواها فيما يتعلق باملاك الكنائس والأرساليات المسيحية وحرية تمتع المسيحيين ، على اختلاف مذاهبهم باقامة طقوسهم الدينية ورعاية المنشآت الخيرية (المستشفيات ودور الأيتام ومآوي العميان) وحرية الاعتقاد في المسائل الدينية .

٦ ـ تعتبر المانيا الوطن القومي اليهودي كيانا غير مشروع وتعترف بحق العرب في حل هذه

(**) A.A., P. A., Akten des St. s., Arabien, Bd. 1. Krollan A.A:, Tarabya, D31.7. 1940, Woermann an Papen, Berlin, 18. 1. 1940 Papen an A.A. Trabya, 6.8.1940.

المسألة وفقا للمصالح القومية العربية(٥٦) .

تحدث حداد الى المسؤولين الالمان عن اللجنة العربية في بغداد التي يرئسها المفتي ، ووعدهم باسمها بإعادة العلاقات الدبلوماسية مع المانيا وابرام اتفاق معها حول استثمار الموارد الطبيعية العراقية ، وبذل مساعي العراق لدى الدول العربية الأخرى لابرام اتفاقيات مماثلة مع دول المحور . كما وعدهم بالتخلص من نوري السعيد ، زعيم الفريق المعتدل من السياسيين العراقيين المنادين بالالتزام بالتحالف العراقي - البريطاني ، وباشعال نار الثورة في فلسطين وشرقي الأردن حينما تحين الفرصة المناسبة . واقترح حداد ان يتم الاعداد لهذه الثورة من سورية ، وان يزود الثوار بالاسلحة من مستودعات الجيش الفرنسي في سورية والواقعة تحت تصرف لجنة الهدنة الايطالية . أما الأموال المقدرة للانفاق على هذه الثورة فتبلغ ثلاثين الف جنيه استرليني شهريا ، تدفع اللجنة العربية في بغداد ثلثها والباقي تتقاسمه المانيا وايطاليا . وكان حداد يعتقد ان المانيا قادرة على التأثير على حكومة فيشي VichyالفرنسيةVichy بحيث تمنح سورية استقلالها(٥٧)

ويلاحظ ان المطالب العربية التي حملها حداد قد اقتصرت على اقطار المشرق العربي واهملت المغرب العربي اهمالا تاما . وبذلك لم يخرج القادة القوميون العرب في المشرق في مطالبهم بالاستقلال والوحدة عن الاطار الذي وضعه اسلافهم من الرعيل الاول في فترة الحرب العالمية الأولى ، اللهم اذا استثنينا ما ورد بشأن استقلال مصر والسودان . وكانت هذه المطالب الحد الأعلى لما طالب به هذا الفريق من القوميين العرب من دول المحور خلال الحرب العالمية الثانية .

درس المسؤولون الالمان هذه المطالب دراسة وافية وابلغوا عثمان حداد ان من المتعذر عليهم تلبيتها كاملة بسبب تعقيدات الوضع الدولي آنذاك(٥٨) . فقد كانت المانيا تعتقد آنذاك ان بالامكان التوصل الى صلح مع بريطانيا لاقتسام مناطق النفوذ في اوروبا والعالم . كما انها كانت تخشى اثارة حكومة فيشي اذا ما اصدرت بيانا يتضمن استقلال سورية ولبنان ، وربما ادى هذا البيان الى اضعاف موقف حكومة فيشي واتجاه الفرنسيين الى لجنة فرنسا الحرة في لندن التي يتزعمها الجنرال ديجول . كما كان على المانيا ان تأخذ بعين الاعتبار الأطماع التوسعية لحليفتها

---

٥٦) Ibid. Grobba Aufzeichnung Vom 27. 8. 1940.

D.G.F.P., Series D, Vol. X, PP. 559 - 560 (Text of the declaration draft).

حداد ، عثمان : حركة رشيد عالي ، ص ٢٩ - ٣١ .

٥٧) حداد ، عثمان : حركة رشيد عالي ، ص ٣٣ .

٥٨) المصدر نفسه ، ص ٣٤ - ٣٦ .

ايطاليا في شرق البحر الابيض المتوسط[٥٩]. كل هذه الاعتبارات درسها المسؤولون الالمان في مباحثاتهم مع حداد . وأخيرا اتفقوا معه على صيغة بيان رسمي يحقق بعض المطالب العربية ، حولت الى الحكومة الايطالية في ١٠ ايلول ١٩٤٠ لا بداء رأيها فيها[٦٠] . وجاء الرد الايطالي بعد شهر ونيف . وفي ١٨ تشرين الاول استقبل فون فايسزيكر عثمان حداد واطلعه على صيغة البيان الالماني الايطالي المنوي اذاعته . وأهم ما جاء فيه : « ان المانيا وايطاليا تعترفان باستقلال البلاد العربية وتتابعان بعطف واهتمام ما يقوم به العرب من جهود في سبيل تحقيق استقلالهم »[٦١] لم ترض صيغة البيان عثمان حداد فطلب تعديلها الا ان سكرتير الدولة الألماني رفض ذلك ، وأكد له أن هذا البيان « مجرد بداية وخطوة اولى »[٦٢] .

أذيع البيان في ٢٣ تشرين الأول ١٩٤٠ من اذاعتي برلين وروما . ولكنه لم ينشر في صحف البلدين الا في ٥ كانون الأول ١٩٤٠ . واحدث هذا البيان ردود فعل واسعة بين العرب ، واثار تحفظات العديد من قادتهم . فقد بعثت اللجنة القومية العربية في بيروت مذكرة الى الحكومة الالمانية في كانون الثاني ١٩٤١ بينت فيها ان مطلب العرب الأول هو قيام دولة عربية متحدة في آسيا يتلوها الاتحاد مع مصر ، وان العرب يتوقعون دعم المانيا لاهدافهم .[٦٣]

حمل عثمان حداد معه رسالة من وزير الخارجية الالماني فون ريبنتروب Von Ribbentrop الى المفتي حذّره فيها من مغبة نزاع مسلح بين العراق وبريطانيا ، وأكد في الوقت نفسه استعداد المانيا لمساندة العراق في حالة هجوم بريطاني عليه .

وبينما كان موفد المفتي يجري مباحثاته مع المسؤولين الألمان والايطاليين كانت تطورات الوضع الدولي تشير الى ضرورة اتخاذ موقف واضح في العراق . ورأى المفتي والمقربون منه ان من مصلحة العراق خاصة والعرب عامة المحافظة على الحياد التام في النزاع الدولي القائم للأسباب التالية :

ـ عدم استقرار العلاقات بين المانيا والاتحاد السوفيتي .

---

٥٩) المصدر السابق ، ص ٤٦ .

D.G.F.P., Vol. X. No. 200, P. 261- 2, Woermann's note, Berlin, 21.7. 1940.

٦٠) A.A., P. A. Akten St. S., Arabien, Bd. 1

٦١) Grobba, F. : Op. Cit., P. 199. Kirk, C.: The Middle East in the War, P. 64.

٦٢) حداد ، عثمان : حركة رشيد عالي ، ص ٤٦ .

٦٣) Hirszowicz, L. : Op. Cit., p. 94.

ـ ضعف البلاد العربية عسكريا بحيث لا تستطيع الصمود في وجه اي هجوم من جانب المحور او من جانب الحلفاء .
ـ لا تكفي التصريحات الرسمية من جانب المحور او من جانب الحلفاء لتقرير مصير العرب .
ـ الحرب فرصة ثمينة لا بد من انتهازها لأخذ اكبر قسط من الحقوق للأمة العربية .[٦٤] .

وعقد اقطاب الحركة العربية في بغداد اجتماعا بحضور المفتي في نهاية عام ١٩٤٠ . وتدارسوا الوضع العربي العام ، ورأوا ان الهدف الاول لحركة العرب القومية هو تحرير الوطن العربي من الاستعمار بمختلف اشكاله ، وتوحيد كافة الأقطار العربية ، واقامة نظم سياسية واقتصادية واجتماعية جديدة تضمن العدالة والحرية وتستهدف رفع مستوى الشعب وزيادة رفاهه المادي والمعنوي بحيث يصبح قادرا على المساهمة في الحضارة الانسانية . واستقر الرأي على ضرورة قيام حزب قومي يتولى مهمة تحقيق هذا الهدف[٦٥] .

وسعيا الى تشكيل الحزب المذكور عقد اجتماع في منزل أمين الحسيني في بغداد في ١٨ شباط ١٩٤١ حضره أمين الحسيني ورشيد عالي الكيلاني وناجي شوكت والعقيد صلاح الدين الصباغ والعقيد فهمي سعيد والعقيد محمود سلمان ويونس السبعاوي . وتقرر في هذا الاجتماع اناطة زعامة الحزب القومي العربي بأمين الحسيني[٦٦] . وأجمع الحضور على ضرورة الحفاظ على الوضع الراهن في العراق مع التمسك بالمعاهدة العراقية ـ البريطانية ، والتحلي بالروية والتبصر في الأمور ،ومحاولة اقناع طه الهاشمي ،رئيس الوزراء آنذاك ،بضرورة العدول عن فكرة قطع العلاقات الدبلوماسية مع ايطاليا والانتظار ريثما ينجلي الموقف الدولي ، والمطالبة بحل المجلس النيابي وانتخاب مجلس جديد يمثل الشعب العراقي تمثيلا صادقا ، واخراج نوري السعيد وعلي جودت وجميل المدفعي من البلاد وذلك بتعيينهم سفراء في الخارج ، وتعديل الدستور العراقي بصورة تحول دون قيام الوصي بنشاط مخالف للدستور ، والاطاحة بطه الهاشمي في حالة رفضه مخططهم وتشكيل حكومة برئاسة رشيد عالي[٦٧] . واخذت هذه القيادة او اللجنة تجتمع باستمرار وبصورة سرية طوال احداث العراق التي تلت

---

٦٤) حداد ، عثمان : حركة رشيد عالي ، ص ٨٠ .
٦٥) المصدر نفسه ، ص ٨٤ .
٦٦) وتقرر في هذا الاجتماع ان يتستر هؤلاء باسماء مستعارة .
٦٧) : صلاح الدين : فرسان العروبة في العراق ، ص ٢١٨ ـ ٢٢٠ ،
ياغي اسماعيل : وحركة رشيد الكيلاني ، ص ٨٧ ـ ٨٨ ،
الدرة ، محمود : الحرب العراقية ـ البريطانية ، ص ١٨٣ -١٨٤
شوكت ، ناجي : سيرة وذكريات ، ص ٤٣٣ ـ ٤٣٥ .

هذا الاجتماع حتى تم القضاء على حركة رشيد عالي الكيلاني في ٢٩ أيار ١٩٤١ .

رأى المفتي ان لا بد من استئناف التفاوض مع دول المحور وبخاصة مع المانيا . فأوفد سكرتيره عثمان حداد مرة اخرى الى برلين حاملا رسالة منه الى أدولف هتلر ومؤرخة في ٢٠ كانون الثاني ١٩٤١ . وصل حداد الى برلين في ١٢ شباط وقدم رسالة المفتي الى المسؤولين في وزارة الخارجية الالمانية . تتضمن الرسالة تذكيراً بمطالب العرب القومية وتأكيدا لعداء العرب لبريطانيا وتعاطفهم مع دول المحور واستعدادهم للنهوض في وجه العدو المشترك (الانجليز واليهود) حينما يتحررون من بعض العوائق المادية . كما تتضمن ايضاحا حول تفويض عثمان حداد بالتباحث مع الحكومة الالمانية باسم اقوى واوسع منظمة سياسية في العالم العربي وباسمه شخصيا بصفته المفتي الأكبر لفلسطين(٦٨) . وحمل سكرتير المفتي بالاضافة الى هذه الرسالة ، مشروع بيان رسمي من دولتي المحور بشأن مستقبل البلاد العربية(٦٩) ، يختلف عن مشروع البيان الذي حمله سكرتير المفتي في رحلته الأولى الى برلين .

وبعد لقاءات عدة مع عثمان حداد قررت وزارة الخارجية الألمانية الرد على رسالة المفتي برسالة من سكرتير الدولة فايتسزيكر تضمنت وعودا غامضة بالاعتراف باستقلال البلاد العربية وبمساندة العرب عسكريا اذا اضطروا الى الحرب ضد الانكليز . فقد جاء في هذه الرسالة ما يلي : -

« ان المانيا التي لم تحتل قط ارضا عربية ، لا تستهدف ان تستولي على أي جزء من البلاد العربية . وهي ترى ان الشعب العربي ، وهو شعب ذو ثقافة قديمة وقد برهن على لياقته الادارية وفضائله العسكرية لجدير بان يحكم بلاده بنفسه . ولهذا فان المانيا تعترف باستقلال البلاد العربية استقلالا تاما . ويحق للبلاد العربية التي لم تستقل حتى الآن ان تنال استقلالها التام .

ان كلا من الأمتين الالمانية والعربية متفقتان على الكفاح ضد عدوهما المشترك اي الانكليز واليهود . ان المانيا مستعدة للعمل المشترك معكم ، ولمساعدتكم مساعدة عسكرية فعالة على قدر الاستطاعة اذا اضطررتم الى الحرب ضد الانكليز لتحقيق غاية شعبكم وذلك

---

٦٨) D.G.F.P., Vol. XI, No. 680, pp. 1151-5.
A.A., P.A., Akten U.St.S., Irak. Bd.1.

نص رسالة المفتي بالفرنسية

٦٩) D.G.F.P., Vol. X, No. 403, pp. 559-560
A.A.P.A., Akten U.St. S., Irak, Bd. 1

بناء على صداقة المانيا وانجازا للرغبة التي أبديتموها بواسطة سكرتيركم الخاص . ان المانيا مستعدة ايضا لتسليم المواد الحربية فورا لتقوية استعداد الامة العربية للحرب المحتلمة ضد الانكليز متى امكن وجود طريق لنقل هذه المواد الحربية »[٧٠] .

ويوصي فايتسزيكر المفتي باعادة سكرتيره للتفاوض في التفصيلات المتعلقة بالعمل المشترك بين الطرفين او بارسال مندوب آخر غيره . كما يرجوه ايضا ان يبقي مضمون هذه الرسالة مكتوما ، ويبلغه ان الحكومة الايطالية قد اخذت علما بهذا المضمون ووافقت عليه .

لعل أهم ما في الرد الالماني على رسالة المفتي ليس مضمونه وانما التدابير التي اتخذتها الحكومة الالمانية في أعقابه . فقد وافق وزير الخارجية الالماني على دفع مئة ألف مارك الماني ولمرة واحدة للحاج أمين الحسيني . ولم يوافق على دفع مبلغ عشرة الآف جنيه استرليني شهريا كما طالب عثمان حداد . كما شرعت وزارة الخارجية الالمانية بالاتصال بالمفتي باعتباره الشخص المعني بالقضايا العربية العامة . وفتحت منذئذ باب الاتصال بعبد العزيز بن سعود وبالحكومة العراقية والزعماء الوطنيين السوريين . واتجهت الى تعزيز الدعاية الالمانية في البلاد العربية . فازدادت فترة الارسال في اذاعة برلين العربية وزادت مدتها اليومية من ٩٥ دقيقة الى ٢٠٥ دقائق . وصدرت ، طبعة عربية لصحيفة الجيش الالماني (الاشارة Singal) . واصدرت اذاعة الرايخ Reichsrundfunkgesellschft صحيفة « بريد الشرق » مرتين في الأسبوع والتي كانت توزع مجانا . واصبحت الصحف العربية تتلقى بانتظام نشرات وكالتي الأنباء الالمانية Transozean ووكالة الانباء الالمانية D.N.B باللغة العربية[٧١] وتقرر توسيع نشاط الجاسوسية ومكافحة التجسس في كل من فلسطين وشرق الاردن ومصر[٧٢] .

فلماذا تغير موقف المانيا ، وأقدمت على هذا النشاط بعد ان كانت قد اعتبرت منطقة شرق البحر الابيض المتوسط حتى هذا التاريخ منطقة نفوذ ايطالية ؟ لا بد من العودة الى استعراض تطور العمليات العسكرية في ساحات القتال لنعرف أسباب هذا التغير . فمن المعروف ان الهجوم الايطالي على مصر قد بدأ في ١٣ ايلول ١٩٤٠ دون احراز نتائج ملموسة .

(٧٠ D.G F.P., Vol, XII, No. 295, pp. 488-490, Berlin, March 11, 1940.

Berlin, 8, 4. 1941.

حداد ، عثمان : حركة رشيد عالي : ص ١٠٦ - ١٠٨

(٧١ D.G.F.P. Vol. XII, Ruehle's notes for Ribbentrop, Berlin, 5.5. 1941.

(٧٢ Ibid. Woermann's note, Berlin, 26.3. 1941.

A.A., P.A., Akten U. St. S, Irak, Bd. 11.6.K. W. (Geplante)

Massnamen des Amtes Ausland / Abwehr in Vorderon Orient, Berlin 25. 3. 1941.

وفي ٩ كانون الأول ١٩٤٠ شن الجنرال ويفل Wavell قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط هجوما على القوات الايطالية فردها على اعقابها وطاردها الى خارج الحدود المصرية وتراجعت من السلوم الى بردية . ومنيت القوات الايطالية بقيادة الجنرال غرازياني Graziani بهزيمة ماحقة . اذ استسلم ١٩ جنرالا ومئة وثلاثون الف جندي ايطالي . واصبحت برقة بيد القوات البريطانية . أذهلت هذه الهزيمة هتلر . كما طلبت ايطاليا المعونة منه في كانون الاول ١٩٤٠ ،لنجدتها في اليونان . وفي ١٩ كانون الأول طلبت القيادة العامة الايطالية المعونة من المانيا لنجدة قواتها في ليبيا . فاضطرت المانيا الى تقديم النجدة . وفي ٥ شباط ١٩٤١ أعلم موسوليني بارسال فرقة مدرعة من الجيش الالماني « الفرقة الافريقية Afrika Korps » واختير الجنرال ارفين روميل Erwin Rommel قائدا لها[٨٣] . منذئذ اصبحت المانيا تهتم اهتماما جديا بمنطقة شرقي البحر المتوسط بعد ان كانت متروكة لايطاليا . واقتضى الوضع الجديد اعادة النظر في سياستها نحو العرب ، ورأت ان لا بد من اتخاذ خطوات ايجابية في هذا الصدد .

تطورت ، في هذه الاثناء ، الامور بسرعة في العراق . ففي الثاني من نيسان ١٩٤١ اكره قائد الجيش طه الهاشمي ، رئيس الوزراء ، على الاستقالة . وهرب الوصي الأمير عبد الاله من بغداد الى الحبانية فالبصرة فالقدس فعمان يرافقه عدد من انصاره من رؤساء الوزارات والوزراء العراقيين[٨٤] . وعهد الجيش الى رشيد عالي بتأليف حكومة الدفاع الوطني في اليوم نفسه . وكان لهذا الانقلاب العسكري رد فعل سريع في بريطانيا . اذ قررت الحكومة البريطانية برئاسة ونستون تشرشل W. Churchill القضاء على الحركة الجديدة بأسرع وقت ممكن . وأنزلت قواتها في ميناء البصرة تمهيدا لذلك .

اما المفتي فقد كان حريصا على تجنب الصدام مع القوات البريطانية وطلب من رشيد عالي ان يبدي تسامحا مع الانكليز بشأن انزال قواتهم في البصرة[٧٥] وكان المفتي يستشار في اتخاذ كافة القرارات المهمة[٧٦] . كما اخذ يسعى الى كسب بعض الشخصيات السياسية في مصر للوقوف الى جانب المحور[٧٧] . وتلقى معونات مالية من المانيا وايطاليا لهذا الغرض

---

٧٣) Churchill, W.: The Great Alliance, pp. 374-9.

٧٤) Eden, A., The Reckoning, p. 242.

Churchill, W.: op. cit., p. 225.

شوكت ، ناجي : سيرة وذكريات، ص ٤٣٨ ـ ٤٤٨ .

٧٥) ياغي ، اسماعيل : حركة رشيد عالي ، ص ١٤٤ .

٧٦) الدرة ، محمود : الحرب العراقية ـ البريطانية ، ص ٣٦٠ .

٧٧) A.A.P.A., Akten Reichsaussen minister, Irak.

مذكرة السفارة الايطالية في برلين المؤرخة في ١٩ نيسان ١٩٤١ .

وللاعداد للثورة المقبلة في فلسطين وشرقي الأردن[٧٨] .

ولما تطورت احداث العراق الى صدام بين القوات العربية والقوات البريطانية المرابطة في قاعدة الحبانية وفي ميناء البصرة رأى الحاج أمين ان الفرصة مناسبة لاشعال نار الثورة في فلسطين . فطلب من غروبا ، (الوزير المفوض الالماني السابق في بغداد الذي عاد اليها سرا بعد انقلاب رشيد عالي) في ١٧ ايار ١٩٤١ ارسال خمسين رشاشا خفيفا ومئة مسدس رشاش جديد مع ذخيرتها الى دمشق لهذا الغرض[٧٩] . غير ان المانيا طلبت من المفتي ان لا يبدأ العمل الثوري الفلسطيني من دمشق ، ارضاء لحكومة فيشي ، فاستجاب المفتي لهذا الطلب[٨٠] . واثناء الحرب العراقية ـ البريطانية تشكلت قوة البادية ، بقيادة فوزي القاوقجي ، من المناضلين الفلسطينيين والسوريين في العراق لمساندة القوات العراقية . وتولى أمين الحسيني قيادة المقر الخلفي لهذه القوة[٨١] .

قضت القوات البريطانية على حركة رشيد عالي يوم ٣٠ أيار ١٩٤١ ، وهرب الحاج أمين الحسيني مع قادة الحركة من بغداد الى طهران[٨٢] . اما المناضلون الفلسطينيون والبالغ عددهم حوالي سبعين رجلا فقد عبروا الحدود العراقية ـ السورية[٨٣] . وفي ٢٨ حزيران ١٩٤١ أبرق المفتي من طهران ، عن طريق السفارة الالمانية هناك ، يطلب من اسحق درويش أحد الزعماء الفلسطينين المقربين من المفتي ، ان يسافر الى صوفيا (بلغاريا) ، وان يختار افضل العناصر من الضباط المناضلين لتدريبهم في المانيا[٨٤] وتمكن المفتي من الوصول الى روما بصورة سرية عن طريق السفارة الايطالية في طهران[٨٦] .

(٧٨ D.G.F.P., Vol. XII, No. 494, pp. 775-6. Gehrke's despatch, Bagdad, 11.5. 1941, 21.5. 1941. and 24.5. 1941.
تلقى المفتي خمسة عشر الف دولار من غروبا في ١١/٥/١٩٤١ وعشرة آلاف دولار في ٢١/٥/١٩٤١ وبلغ مجموع ما تلقاه من غروبا في بغداد (٣٥٠٠٠) دولار .

(٧٩ A.A., P.A., Akten U. St,S. Irak, Bd. 3, Gehrke an A.A., Bagdad. 17. 5. 1941.

(٨٠ Ibid. Gehrke an A.A., Bagdad. 21. 5. 1941.

٨١) الريس ، منير : الكتاب الذهبي للثورات العربية ، حرب العراق عام ١٩٤١ ، ص ٧٢ ـ ٧٤ .

(٨٢ D.G.F.P. Vol. XII, Ettel's despatch, Teheran, 30.5. 1941.

(٨٣ A.A., P.A., Akten Reichsaussenminister, Irak, Gehrke an A.A., Bagdad, 31. 5. 1941.

(٨٤ A.A., P.A., Akten U. St. S. Irak. Bd. 4, Etel an A.A. Teheran, 28. 6. 1941.

(٨٥ Ibid. Bismarck an A.A., Roma. 13. 10. 1941.

(٨٦ A.A., P.A., Akten St. S., Irak Bd. 2, Seiler an A.A., Istanbul, 1. 7. 1942.

نشاط أمين الحسيني في المانيا بين ١٩٤١ و ١٩٤٥ :

انتقل الحاج أمين الحسيني من روما الى برلين في ٦ تشرين الثاني ١٩٤١ بعد أن اجرى مباحثات مع الدوتشي موسوليني Mussolini ، رئيس وزراء ايطاليا . والكونت شيانوCiano ، وزير خارجيتها ، حول اصدار بيان يؤيد المطالب العربية . واعد الايطاليون صيغة بيان ينص على مساندة دول المحور للأقطار العربية الواقعة تحت الهيمنة البريطانية في نضالها من اجل الحرية ، وعلى استعداد دول المحور للاعتراف بالاستقلال التام للأقطار العربية في الشرق الادنى . وتنص الصيغة الايطالية للبيان على تأييد دول المحور للمساعي الرامية الى القضاء على الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وعلى استعدادها لابرام معاهدة صداقة وتعاون مع الزعماء العرب على ان يتم التفاوض بشأنها في اقرب فرصة ممكنة ، وعلى اعترافها بالدول العربية المستقلة[٨٧] . ويلاحظ ان الصيغة الايطالية للبيان المنوي اصداره عن دول المحور يؤكد على الأقطار العربية في الشرق الادنى ، والمقصود بذلك سورية ولبنان وشرق الاردن والعراق (أقطار الهلال الخصيب) ، كما سيتضح ذلك فيما بعد .

عند وصول المفتي الى برلين استقبله فريتس غروبا ، وأعد له مقابلة مع فون فايتسزيكر ، سكرتير الدولة للشؤون الخارجية . ولما حاول المفتي ابداء تحفظاته على مشروع البيان الايطالي وبخاصة عدم اشارته الى مساندة دول المحور للوحدة العربية واستقلال كافة اقطار المشرق العربي ، لم يأخذ فايتسزيكر بهذه التحفظات وابدى تحفظا من جانبه على المشروع الايطالي نفسه[٨٨] .

ولتعزيز المطالب التي تقدم بها المفتي الى المسؤولين في وزارة الخارجية الالمانيه افضى الى مرافقه غروبا بمعلومات عن « حزب الامة العربية » الذي زعم بأنه رئيسه ، وقال : « ان هذا الحزب امتداد لجمعية العربية الفتاة التي تأسست في باريس عام ١٩١١ ، والتي نقلت نشاطها الى سورية عام ١٩١٥ ، والتي علق العديد من قادتها ومؤسسيها على اعواد المشانق التي نصبها لهم جمال باشا . وقد تغير اسم الحزب اثناء الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ ، وكان يرئسه في بادىء الامر الملك فيصل الأول الذي كان يرى ان تحقيق الأهداف العربية لا يتم بالتعاون مع بريطانيا وانما بالنضال وحده . وكان فيصل يرى ضرورة بناء الحزب من جديد وطرد بعض الأشخاص منه مثل نوري السعيد . . . » ويستطرد المفتي فيقول : « ان للحزب اعضاء في كافة الأقطار العربية ، وتقوده لجنة ادارية واحدة تمثل هذه الأقطار . وكان الحزب ولجنته الادارية

---

٨٧) D.G.F.P., Vol. XIII, Mackensen's despatch, Rome, 14.11. 1941.

٨٨) Ibid, Weizsaecker, note, Berlin, 7.11.1941.

وراء الكفاح العربي في فلسطين والعراق » . اما رئاسة الحزب فقد تولاها (المفتي) بعد موت الملك فيصل الأول . ولما انتقل المفتي الى العراق ضم الى الحزب ناجي شوكت ورشيد عالي الكيلاني كما كسب اليه قادة الجيش العراقي الذين كانوا حتى ذلك الوقت تحت تأثير نوري السعيد . اما اسماء اللجنة الادارية التي ذكرها المفتي فهي : رشيد عالي وناجي شوكت ويونس السبعاوي وعبد الواحد السكر وعدد من شيوخ عشائر الشيعة من العراق ، وعزة دروزة واسحق درويش وحسن ابو السعود ومحمد العفيفي وراسم الخالدي من فلسطين، والدكتور صبحي أبو غنيمة وحسين باشا الطراونة وسليمان السودي من شرق الاردن ، ومحمد علي علوبه وغيره من مصر ، والأمير عادل ارسلان وسامي الصلح من سورية ، والشيخ يوسف ياسين والشيخ خالد الهود قرقان ورشيد السعداوي من السعودية ، وعبد الله الوزير من اليمن(٨٩) .

لقد كان قصد المفتي من الادلاء بهذه المعلومات تعزيز موقفه لدى الالمان واضفاء هالة من التقدير والاحترام على شخصه . فقد أنكر فيما بعد قيام حزب الأمة العربية ، كما أنكر ان يكون قد ادلى بمعلومات عن هذا الحزب للمسؤولين الألمان(٩٠) .

وعلى أية حال فقد تناول المسؤولون في وزارة الخارجية الالمانية مشروع البيان الايطالي . وكان من رأي فورمان Woermann وكيل الوزارة ، رئيس الدائرة السياسية ، ان اصدار مثل هذا البيان ضروري للرد على الدعاية البريطانية وبخاصة بعد صدور تصريح ايدن في ٢٩ ايار ١٩٤١ حول الوحدة العربية(٩١) . اما مسألة تحقيق ما في هذا البيان من وعود فقد ربطها فورمان بمستقبل سير الحرب . ورأت وزارة الخارجية الالمانية التعرف على رأي حكومة فيشي في الموضوع ، خاصة وقد اصبح لتعاونها مع دول المحور أهمية كبيرة بعد التقدم الذي أحرزته القوات البريطانية في شمال افريقيا . وجاء الرد من السفير الالماني في باريس هرمان آبتس Hermann Abetz يؤكد ان اصدار هذا البيان سيكون له أثر سيىء في فرنسا وفي صفوف قواتها المرابطة في شمالي وغربي افريقيا .(٩٢) واستشير السفير الالماني في تركيا فون بابن عن موقف تركيا من هذا البيان ، لأن دول المحور كانت تعول كثيرا على موقفها في العمليات العسكرية المقبلة في الشرق الأوسط . نصح فون بابن حكومته بضرورة تقديم ضمانات لتركيا

---

٨٩) A.A., P.A., Handakten Ettel (3). Grobba Aufzeichung, Berlin, 12.11. 1941.

٩٠) الاخبار القاهرة ، رقم ١٦٠٨ ، ٢ سبتمبر ١٩٥٧ ، ص ٥ - ٦ .

٩١) Eden, A.: Freedom and Order, pp. 104-5.

٩٢) D.G.F.P., Vol. XIII, No. 494, pp. 815-6, Abetz's despatch, Paris, 23. 11. 1941.

بحيث لا يؤثر هذا البيان على مطالبها الارضية في شمالي سورية والعراق[٩٣] . وعلى ضوء هذه الاستشارات ادخلت الخارجية الالمانية تعديلات على مشروع البيان الايطالي وحولت الصيغة الجديدة الى روما فوافقت عليها الحكومة الايطالية في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤١[٩٤] . غير ان البيان لم يصدر رغم ذلك كله بسبب تدخل هتلر في الأمر .

قابل ادولف هتلر المفتي بحضور فون ريبنتروب وغروبا في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٤١ . بدأ المفتي حديثه بالاشادة بالزعيم الالماني وبثقة البلاد العربية في انتصار المانيا . واكد ان العرب والالمان حلفاء طبيعيون لانهم يحاربون اعداء مشتركين هم بريطانيا واليهود والبلاشفة . وانهم على استعداد للتعاون مع المانيا، ليس باثارة المتاعب في وجه بريطانيا او القيام بأعمال التخريب وانما بتكوين فرق مسلحة تحارب الى جانب قوات المحور . وأوضح المفتي للزعيم الالماني ان مطلب العرب الراهن هو استقلال ووحدة اقطار فلسطين وشرق الاردن وسورية والعراق . ثم انتقل بعد ذلك الى موضوع التصريح الالماني ـ الايطالي بشأن مستقبل البلاد العربية .

بدأ هتلر حديثه بالتنديد باليهود الذين اعتبرهم المهيمنين على الدول الحليفة والموجهين لسياستها . واكد ان هدفه تحطيم الشيوعية واليهودية واخراج الانكليز من الشرق الاوسط . وقال للمفتي : « ان كسبنا الحرب هو وحده الذي سيؤذن بدق ساعة التحرير التي هي ايضا تحقيق اماني العرب » . واعرب عن معارضته للتصريح المطلوب وقال : « ان مجرد وعد لن تكون له اية قيمة . ولن تكون ثمة قيمة حقيقية الا لليقين الذي يعتمد على القوات المسلحة المنتصرة » . وبرر هتلر هذا الموقف بالخشية من ردود فعل فرنسا . وقال ايضا : « يبدو ان الموقف كالآتي : اننا نشن حربا ضارية لنفتح لانفسنا طريقا الى شمال القفقاس . ان الصعاب المرتبطة بهذا تزيد على صعاب النقل المترتبة على تدمير السكك الحديدية والطرق وعلى ظروف الشتاء . فاذا ما جرؤت في ظل هذا الموقف على اصدار تصريح ينطبق على سورية كذلك ، فسيشتد ساعد العناصر التي تساند ديجول في فرنسا ، مما قد يؤدي الى نشوب الثورة . وسيقنع هؤلاء الناس ان من الاسهل ان ينضموا الى بريطانيا العظمى . وسيكون انفصال سورية نموذجا يحتذي في اجزاء اخرى من الامبراطورية الفرنسية . ومن شأن هذا ان يقوي موقف الديجوليين في المستعمرات . فاذا ما صدر تصريح الآن ، فستتلوه صعاب في غربي اوروبا بحيث يكون من الضروري سحب بعض القوات للدفاع ، مما يحول بيننا وبين حشد كل قواتنا في الشرق » .

---

٩٣) Ibid., No. 468, P 775., Ribbentrop's memorandum, Berlin, 13. 11. 1941.

٩٤) Ibid. Mackensen's despatch, Rome, 14. 11. 1941, 22. 11. 1941.

وأكد هتلر للمفتي ان الحرب التي تشنها المانيا ضد اليهود تستهدف القضاء على العنصر اليهودي في البلاد العربية . ووعده باصدار تصريح حول مستقبل البلاد العربية حين تصل القوات الالمانية الى جنوبي القفقاس وهذا ، في رأيه ، يستلزم بضعة شهور فقط . وطمأن المفتي بأن الوقت سيحين «حين لايقتصر أمره (المفتي) على ان يقدم للعرب تصريحا من المحور ، بل سيكون له الرأي الحاسم في الشؤون العربية باعتباره ذا السلطة المطلقة في التحدث باسم العرب وزعيما لهم . »[٩٥] وبعد هذه المقابلة تقرر ايقاف التصريح الذي اتفقت على صيغته وزارتا الخارجية الالمانية والايطالية .

لم يثن هتلر الحاج أمين عن الاستمرار في المطالبة باصدار التصريح المطلوب ، ولو جاء في صيغة رسالة سرية صادرة عن الحكومة الالمانية . وهدد المسؤولين الالمان بالحصول على مثل هذه الرسالة من الحكومة الايطالية .[٩٦] وكانت ايطاليا آنذاك على استعداد لاصدار التصريح المطلوب خوفا من انحياز الزعماء العرب كليا الى المانيا . كما أخذ اليابانيون ، في مطلع ١٩٤٢ ، يميلون الى اصدار ذلك التصريح مع اقتراب قواتهم من بحر العرب (المحيط الهندي) .[٩٧]

وابدى الالمان مزيدا من الاهتمام بالقضية العربية . فشكلوا لجنة في وزارة الخارجية لمتابعتها برئاسة الوزير المفوض الدكتور فريتس غروبا وعضوية القنصل العام كاب Kapp ، ومستشار المفوضية الدكتور ميلشرز Melchers من الدائرة السياسية السابعة ، والمستشار الدكتور غرانوف Granow ، وسكرتير المفوضية كاسبار Kasper ، والهر مونسيل Munzel والهرشتيفن Steffen . ومهمة هذه اللجنة وضع الترتيبات السياسية للزحف الالماني في المنطقة العربية وتنفيذ تعليمات وزارة الخارجية بعد احتلال الاقطار العربية .

واقترحت هذه اللجنة في ٧ شباط ١٩٤٢ ان تتشكل حكومة عراقية برئاسة رشيد عالي وحكومة سورية برئاسة المفتي او احد اعوانه بعد احتلال القوات الالمانية لتفليس وان تعترف الحكومة الالمانية بها . وان يبدأ تنظيم الجيش العربي ، حين دخول القوات الالمانية للبلاد العربية ، من ثلاث فرق عراقية وفرقة سورية وفرقة فلسطينية ـ شرق اردنية ، وان يقوم الجنرال فيلمي Felmy بارسال القوات العربية تحت امرته في اليونان لتساهم في تشكيل الجيش العربي ، وان تتحول القيادة الخاصة Sonder Stab F التي يرئسها فيلمي الى بعثة عسكرية المانية في البلاد العربية .

---

٩٥) Ibid., No. S. 514, 515, pp. 876-885.

٩٦) Ibid. Grobba's note, Berlin, 21 and 26.1. 1942.

٩٧) Ibid. Text of the Japanese draft, Berlin, 10.1. 1942.

أما مقترحات اللجنة بشأن تنظيم البلاد العربية فهي :

١ ـ بقاء العراق والسعودية واليمن ومصر دولا مستقلة .
٢ ـ توحيد سورية ولبنان وفلسطين وشرق الاردن في دولة سورية الكبرى .
٣ ـ قيام اتحاد فيدرالي بين العراق وسورية .
٤ ـ قيام رابطة تعاقدية بين كافة هذه الدول العربية .
٥ ـ الاطاحة بالحكم الهاشمي في العراق وشرق الاردن وضـم معان والعقبة الى العربية السعودية ، وضم عمان وساحل الجزيرة وحضرموت والبحرين اليها ايضا .
٦ ـ تعطى ايطاليا الاولوية السياسية في هذه الاقطار وتعطى المانيا الاولوية العسكرية ولا يجوز لايطاليا ان تمارس اي نشاط سياسي في هذه الاقطار بدون موافقة المانيا .
٧ ـ تشارك اليابان في المسألة العربية بعد ان يتم الاتفاق معها على المسألة الهندية(٩٨) .

وتعاون المفتي ورشيد عالي الكيلاني الذي وصل الى برلين في نهاية تشرين الثاني ١٩٤١ ، لاستصدار التصريح المطلوب من دول المحور . وسافر الزعيمان العربيان الى روما في شباط ١٩٤٢ . واستقبل ملك ايطاليا المفتي في ١٣ شباط كما استقبل رشيد عالي في اليوم التالي . ونجح الزعيمان العربيان في اقناع موسوليني وشيانو بضرورة اصدار التصريح المطلوب . واستمر نشاطهما حتى يوم ٢٥ نيسان ١٩٤٢ عندما تسلما مشروع تصريح من دول المحور بصيغة رسالة موقعة من وزير خارجية المانيا فون ريبنتروب ، ووزير خارجية ايطاليا الكونت شيانو موجهة الى كل من الزعيمين العربيين . وتم التبادل الرسمي لهاتين الرسالتين في ٢٨ نيسان ١٩٤٢(٩٩) .

جاء في رسالة فون ريبنتروب الى المفتي ما يلي :

« ان الحكومة الالمانية تقدر كل التقدير ثقة الامة العربية في دول المحور واهدافها واستعدادها للمشاركة في الكفاح ضد العدو المشترك حتى يتم النصر النهائي . كما انها تدرك تماما ما أوضحتموه من الاهداف القومية للاقطار العربية في الشرق الادنى التي تقاسي الآلام تحت نير الاضطهاد البريطاني في الوقت الحاضر . ولذا فاني اتشرف بأن أؤكد لكم ، باتفاق تام مع الحكومة الايطالية ، ان استقلال وحرية البلاد العربية المضطهدة الآن تحت الحكم البريطاني ، هما هدف من أهداف الحكومة الالمانية . وبناء على ذلك فان المانيا مستعدة لتقديم كل ما تستطيعـه من

٩٨) A.A., P.A., Handakten Ettel (II), 1942-1943, Grobba Aufzeichung, Berline, 7.2. 1942.

٩٩) A.A.P.A., Akten St.S., Irak. 2. Handakten Ritter,

نص الكتب المتبادلة بين ريبنتروب والمفتي ورشيد عالي ، الحسني ، عبد الرزاق : الاسرار الخفية ، ص ٦٢ (النص الكامل للتصريح بالعربية) .

مساعدات للاقطار العربية في الشرق الادنى الرازحة الآن تحت نير الاضطهاد البريطاني ، وان تعترف بسيادتها واستقلالها ، وتوافق على وحدتها اذا كان مرغوبا فيها ممن يعنيهم الامر ، وعلى القضاء على الوطن القومي اليهودي في فلسطين » .

ويلاحظ ان الرسالة اقتصرت على دعم المحور للأقطار العربية الواقعة تحت نير الاضطهاد البريطاني في الشرق الادنى ، والمقصود بذلك العراق وشرق الاردن وفلسطين ، وفي ذلك اغفال تام لسورية ولبنان وبقية اقطار المشرق العربي : كما اتفق على ان يبقى مضمون هذه الرسالة سرا مكتوما ، وبذلك فقد هذا التعهد من جانب دولتي المحور قيمته الاعلامية على الصعيد العربي . كما يلاحظ تراجع في موقف المفتي من موضوع الوحدة العربية والقبول بوحدة اقطار الهلال الخصيب في احاديثه مع المسؤولين الالمان والايطاليين . ففي مباحثاته مع الهراتل Ettel السفير في وزارة الخارجية الالمانية ، يؤكد المفتي ان « الهدف القريب الذي نسعى اليه هو قيام دولة عربية تمتد من البحر الابيض المتوسط الى الخليج العربي وتضم سورية ولبنان وفلسطين وشرق الاردن والعراق والكويت . . . »[١٠٠] .

بقي الزعماء الفلسطينيون والسوريون المقيمون في اسطنبول يجهلون موضوع تبادل الرسائل بين المفتي والكيلاني من جهة وريبنتروب وشيانو من جهة اخرى في ٢٨ نيسان ١٩٤٢ . ولذلك اجتمع نفر منهم وهم عادل ارسلان واسحق درويش وعزة دروزة ومعين الماضي والشيخ حسن سلامة ومحمود زايد مع مستشار المفوضية الالماني غرانوف Granow ورجوه ان تبحث الحكومة الالمانية ، بالتعاون مع الحكومة الايطالية ، امكانية اصدار تصريح علني من دولتي المحور يبين العلاقات الودية مع الامة العربية ويعترف بحقها في الحرية والاستقلال والوحدة . واكدوا له ان اصدار هذا التصريح بات ضروريا وقوات المحور اصبحت على ابواب العالم العربي . وفي ٣ تموز ١٩٤٢ التقى الزعماء العرب مجددا بالمستشار غرانوف وشارك في هذا اللقاء عادل العظمة ونبيه العظمة واكرم زعيتر بالاضافة الى الزعماء السابقي الذكر . وسلّم اسحق درويش غرانوف برقية موجهة الى المفتي والكيلاني ، باسم هؤلاء الزعماء السياسيين ، تتضمن النقاط التالية :

١ ـ ان تطورات الحرب في افريقيا تجعل من الضروري اصدار بيان من دول المحور حول الاعتراف بالاستقلال التام للبلاد العربية وحقها في الوحدة .
٢ ـ السعي لدى السلطات العسكرية الالمانية لنقل « قوات التحرير العربية » الموجودة في رأس سونيون Cape Sunion قرب اثينا الى قوات رومل في مصر حتى تشارك في العمليات العسكرية

---

١٠٠) A.A., P.A. Handakten Ettel (3) Grossmufti
مذكرة ، اتل ، برلين في ٢٦ حزيران ١٩٤٢ .

المقبلة في البلاد العربية .[101]

وبعد استيلاء القوات الالمانية بقيادة روميل على طبرق (ليبيا) في حزيران ١٩٤٢ ، اصبح الطريق الى مصر مفتوحا . ومع وصول هذه القوات الى الحدود المصرية اصدرت الحكومتان الالمانية والايطالية بيانا في ٧ تموز ١٩٤٢ وعدتا فيه شعب مصر بالحرية والاستقلال . واصدر المفتي في اليوم السابق نداء موجها الى الشعب المصري جاء فيه : « ان الامة العربية التي شاطرت المحور في تحمل مظالم فرساي والتي تمتعت باعجاب المحور اثناء جهادها في سبيل حريتها ترى في جنود المحور المتقدمين اليوم في مصر حلفاء يساندونها على تحطيم قيودها والتخلص من خصومها . واني لواثق من ان مصر وسائر البلاد العربية في الشرق الادنى واصلة الى اهدافها وما ترمي اليه من سيادة صحيحة واستقلال[102] .

دفعت انتصارات المحور في الشمال الافريقي المفتي الى التحرك بسرعة ، فالتقى في ٢٦ تموز ١٩٤٢ بالكونت شيانو وطلب منه ان يسافر الى شمال افريقيا للقيام بالنشاط الدعائي اللازم لدول المحور تمهيدا لعمل المحور المقبل في الاقطار العربية في الشرق الادنى . غير ان شيانو رفض طلب المفتي ، خشية من نشاطه السياسي الذي قد يؤدي الى تحريك الليبيين من اجل الاستقلال[103] .

ومع انتصار القوات البريطانية في العلمين (مصر) في ٢٣ تشرين الأول ١٩٤٢ ، وتقدمها في الأراضي الليبية امام تراجع القوات الألمانية ، ونزول القوات الامريكية والبريطانية على الشواطىء المغربية في ٨ تشرين الثاني ١٩٤٢ ، غادر المفتي روما الى برلين وقدم مذكرة الى قيادة الجيش الالماني تحتوي على عدد من المقترحات للاستفادة من عرب المغرب العربي لصالح المحور ، وهي :

- احتلال تونس وجعلها منطقة دفاعية .
- تكوين جيش تحرير مغربي من اسرى الحرب المغاربة المقيمين في فرنسا ، بحيث يصل تعداد هذا الجيش الى نصف مليون مقاتل .
- دعوة العرب المغاربة في الجيش الفرنسي للالتحاق بهذا الجيش .

(١٠١ Ibid., Seiler an A.A. Istanbul, 4. 7. 1942.

(١٠٢ A.A., P.A., Handakten Ettel (5), Grossmufti.

نسخة من بيان المفتي الى الشعب المصري .

(١٠٣ Ibid. Handakten Ettel (3) Grossmufti

رسالة شيانو الى المفتي في ايلول ١٩٤٢ .

- تحريك القبائل العربية في المغرب للثورة على الحلفاء .
- الاستفادة من جيش التحرير المغربي في القتال على الجبهات الاخرى بعد تحرير المغرب .
- استعمال الوحدات العربية العاملة مع المحور في تونس .
- انشاء مركز سري للاتصال في تطوان (الاسبانية المحايدة) مهمته اقامة الاتصالات الوثيقة بمختلف انحاء المغرب .

واقترح المفتي ان تصدر دول المحور تصريحا علنيا يوضح مراميها في المغرب العربي ومنها الاعتراف بحرية واستقلال هذه الاقطار وابرام معاهدات معها على نمط المعاهدة العراقية ـ البريطانية لعام ١٩٣٠ والمعاهدة المصرية ـ البريطانية لعام ١٩٣٦ ، وذلك قبل البدء بتنفيذ المقترحات الأولى .

لقيت هذه المقترحات قبولا من جانب العسكريين الالمان . وفي ٨ كانون الاول ابلغ الكولونيل لاهوزن Lohousen ، من وزارة الدفاع الالمانية ، وزارة الخارجية رأي قيادة الجيش في مقترحات المفتي . وعقد في اليوم التالي اجتماع في منزل المفتي حضره الاميرال كاناريس Canaris والكولونيل لاهوزن والميجور زوييرت من وزارة الدفاع . وبحثوا مسألة الثورات العربية في المغرب . وفي ١٠ كانون الاول استقبل فايتسزيكر المفتي وبحث معه المقترحات السابقة الذكر . ونقلت هذه المقترحات الى هتلر في مركز قيادته . درس كبار المسؤولين الالمان هذه المقترحات من خلال التزاماتهم نحو حلفائهم فرفضوها ، لأن الوعد باستقلال اقطار المغرب العربي يتناقض ووعود هتلر للماريشال بيتان Pétain رئيس الدولة الفرنسية ، ويتناقض ايضا والوعود المقطوعة للحليفة ايطاليا باعتبار تونس من مناطق مجالها الحيوي . كما يمكن لهذا الوعد او التصريح ان يحدث اثارا سلبية لدى الاسبان . وقرر هتلر في نهاية الامر عدم الاستجابة لمقترحات المفتي[١٠٤] .

التعاون الاعلامي العربي ـ الالماني :

مع الانتصارات الالمانية في شمال افريقيا ازاداد اهتمام الالمان بالنشاط الاعلامي الموجه الى البلاد العربية . ففي ٣٠ آذار ١٩٤٢ انشىء مركز الانباء العربي Arabische Nachrichten Dienst وتولى ادارته الصحفي اللبناني عفيف الطيبي . وكان للمركز مندوب في صوفيا هو كامل مروة الذي كان يزوده يوميا بالانباء وينقلها ايضا الى الاذاعة العربية في اثينا(الواقعة تحت الاحتلال

---

١٠٤) A.A., P.A., Akten St. S., Irak, Bd. 2.
مذكرة فورمان لريبنتروب ، برلين في ١٩٤٢/١٢/٨ .

الالماني) . وكان هذا المركز يصدر نشرة اخبارية يومية مع تعليق سياسي على الانباء ومقالتين تذيعها الاذاعتان العربيتان في برلين واثينا . وكان يصل الى هذا المركز خمس عشرة صحيفة عربية من مختلف الاقطار العربية بصورة منتظمة بالاضافة الى عدد من الصحف التركية والفرنسية . ووجد للمركز مندوبان في أنقرة هما جلال عوف ونجيب كنعان ، ومندوبان في بخارست هما حمدي الخوجا ويونس البحري . وكان يعمل في مكتب برلين من العرب بالاضافة الى المدير (عفيف الطيبي) كميل سلطان والدكتور والي وتوفيق مجاهد والسيد معلوف ومن الالمان ريكوفسكي Rekowski كرئيس تحرير(١٠٥) .

كما كان المعهد الاسلامي المركزي Islamiche Zentral- Institut يقوم بترجمة خطب المفتي أمين الحسيني في المناسبات العربية والاسلامية ونشرها بالالمانية(١٠٦) .

ولم يقتصر نشاط المفتي السياسي والاعلامي على العالم العربي بل امتد ليشمل العديد من الاقطار الاسلامية . فقد اقترح على وزارة الخارجية الالمانية في ٢ آذار ١٩٤٣ احداث دائرة فيها للشؤون الاسلامية يديرها الوزير المفوض اتل Ettel ، كما طلب انشاء اذاعة سرية اسلامية(١٠٧) . وتولى المفتي مهمة الاتصال بالشخصيات الاسلامية البارزة في العالم لكسبها الى جانب المحور وتحريضها على الثورة على الحلفاء . فاتصل بالمجاهد الهندي فقير آبي يحرضه على الثورة على الانكليز ويعده بمساعدة المحور المالية لهذا الغرض(١٠٨) .

وتعاون المفتي مع السلطات الالمانية المحتلة في يوغسلافيا والبانيا واوفد عددا من المقربين اليه الى البوسنة ومكدونيا والبانيا من اجل الاتصال بالزعماء المسلمين في هذه البلاد . وشجع الدعوة الى انشاء دولة اسلامية تضم البانيا والبوسنة والهرسك(١٠٩) . وقام المفتي نفسه بزيارة كرواتيا في نيسان ١٩٤٣ واتصل بالمسلمين فيها . وساهم في تكوين فرقة عسكرية اسلامية (فرقة الصاعقة) تعاونت مع الالمان المحتلين في هذه البلاد(١١٠) . واوفد احد سكرتيريه كامل مصطفى

---

١٠٥) A.A., P.A., Handakten Ettel (2) 1942-1943, Grobba Aufzeichnung, Berlin, 26.9.1942.

١٠٦) Handakten Ettel (6) Grossmufti

١٠٧) A.A., P.A. Inland 9, Bd. 410. Naher Osten, Hofheinzund Boehm Bericht.

١٠٨) A.A.P.A., Handakten Ettel (5) Grossmufti.

نص رسالة المفتي الى فقير آبي بدون تاريخ .

١٠٩) A.A., P.A., Inland II 9. Bd. 410, Naher-Osten.

تقرير من القنصل الالماني Witte في مدينة سكوبيا Skopje عاصمة مكدونيا في ١٩٤٤/٣/٢٨ .

١١٠) Ibid. Woermann Aufzeichung, Berlin, 29. 4. 1943.

الريس ، منير ، حرب العراق ، ص ٢٨٥ - ٢٨٨ .

في نهاية آذار ١٩٤٤ الى منطقة كوسوفو Kossovo على الحدود الالبانية ـ اليوغوسلافية فأجرى محادثات مع الزعيم الالباني بدري بياني صاحب الدعوة الى قيام دولة اسلامية في شبه جزيرة البلقان. غير ان الوزير المفوض الالماني في بلغراد لم يحبذ هذا النشاط واعتبره مخالفا لسياسة المانيا في المنطقة والرامية الى وضع البوسنة والهرسك تحت سيطرة الرايخ الالماني(١١١).

واقام المفتي صلات مع المنظمات الاسلامية في شبه جزيرة القرم وشمال القفقاس واذربيجان واواسط آسيا . وحث هذا المنظمات على التعاون مع الالمان ومقاومة العدو المشترك المتمثل في تحالف الانكليز واليهود والبلاشفة . وفي تموز ١٩٤٢ اتصل المفتي بالمجتهد الايراني الطباطبائي نائب رئيس المؤتمر الاسلامي ، مستشار الشاه رضا بهلوي سابقا ،واقترح على الالمان دعوته الى اسطنبول للتفاوض معه(١١٢).

المفرزة العربية الحرة :

تعود فكرة انشاء هذه المفرزة الى ايام الحرب العراقية ـ البريطانية في ايار ١٩٤١ . فقد تظاهر الطلبة العرب في برلين آنذاك ، وطالبوا الحكومة الالمانية باعطائهم السلاح ونقلهم الى العراق ليقاتلوا الانكليز الى جانب الجيش العراقي . واستجابت السلطات الالمانية لطلبهم فنقلت من اراد منهم الى معسكر للتدريب في غرب المانيا. ولما انتهى أمر حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق ، غادر الطلبة المعسكر المذكور ونقلتهم السلطات الالمانية الى اليونان ليتموا تدريبهم العسكري في معسكر خاص في رأس سونيون Cape Sunion قرب اثينا . والتحق بهذا المعسكر العديد من الشباب والعسكريين العرب الذين هربوا من العراق بعد القضاء على حركة رشيد عالي(١١٣) . وكان الجنرال فيلمي Felmy ، قائد القوة الالمانية الصغيرة التي اقامت في بغداد لدعم الجيش العراقي في مقاومته للانكليز خلال شهري نيسان وايار ١٩٤١ ، قد نقل الى جنوبي اليونان حيث اصبح قائدا للقوات الالمانية المرابطة هناك منذ منتصف حزيران ١٩٤١ .

ولما قدم المفتي الى اوروبا كان المعسكر العربي في رأس سونيون قائما . غير ان الفكرة لم تعجبه ، وكان يرى انشاء فرقة عربية تعمل بصورة مستقلة مع جيوش المحور . وقدم مقترحات عديدة بشأن انشاء هذه الفرقة في محادثاته مع موسوليني وشيانو في تشرين الاول وتشرين الثاني

(١١١ Ibid. Neubacher an A.A., Belgrad, 9.4. 1944.

(١١٢ A.A., P.A. Handakten Ettel (5) Grossmufti. Ettel Aufzeichnung, Berline, 12.7. 1942.

١١٣) الريس ، منير : حرب العراق عام ١٩٤١ ، ص ١٧٨ .

١٩٤١(١١٤) ، وفي مباحثاته مع هتلر وريبنتروب وفايتسزيكر في برلين(١١٥) . ومنذ كانون الاول ١٩٤١ وافق الزعيم هتلر على انشاء الفرقة المطلوبة(١١٦) . غير أن موافقة هتلر لم تخرج الى حيز التنفيذ لعدة اسباب اولها معارضة ايطاليا للفكرة . فقد كانت تعتبر البلاد العربية ضمن مجالها الحيوي . وثانيها رغبة الالمان في الاستفادة من الشباب العرب كضباط سياسيين يرافقون قواتهم لا كقوات منظمة مستقلة قد تحد من حريتهم في اتخاذ القرارات النهائية عند دخولهم البلاد العربية . وثالثها خشية الايطاليين والالمان من النتائج السياسية التي قد تترتب على تأليف جيش عربي من الاسرى العرب الجزائريين والتونسيين والمراكشيين . ولذلك حرص الالمان على ان لا يزيد عدد المتطوعين العرب في معسكر رأس سونيون بصورة ملموسة . فلم يتجاوز عددهم في ايار ١٩٤٢ (أي بعد عام واحد من انشاء المعسكر عن مئة وثلاثين رجلا(١١٧) .

وقد امتعض المفتي من تسمية المفرزة العربية في رأس-سونيون « بمركز التدريب العربي - الالماني «Deutsche Arabische Lehrabteilung» واثناء زيارته لروما في شباط ١٩٤٢ اقترح من جديد على الحكومة الايطالية تشكيل جيش عربي . وكان الجواب الايطالي مخيبا للآمال : « انه مشروع مفيد ولكن لا قيمة عسكرية له(١١٨) » .غير ان هذا الجواب لم يفت في عضد المفتي الذي طلب اكثر من مرة من دولتي المحور زيادة عدد المفرزة العربية وابرام اتفاقية عسكرية حول هذا الموضوع(١١٩) .

وازاء الحاح المفتي ابلغه الالمان ان لا بد من استعمال المفرزة العربية بعد اجتياز القفقاس ودخول الحدود العراقية . وكان من المقرر ان ينتقل المفتي الى تفليس عند احتلال القوات الالمانية لها . وحالما تدخل القوات الالمانية العراق تتولى المفرزة العربية بالتعاون مع القيادة الالمانية الخاصة Sonder Stab F اعادة تشكيل الجيش العراقي(١٢٠) .

ومع تقدم القوات الالمانية في القفقاس انتقلت المفرزة العربية الى الاتحاد السوفيتي مع القيادة الخاصة واخذت اسما جديدا « القيادة العامة ٦٨ » للمهمات الخاصة «Genral -

---

(١١٤ D.G.F.P., VOL. XIII. Granow's. and Bismarck's despactches Rome, 28. 3. 1942.

(١١٥ Ibid., Weizsaecker's notes, Berlin, 7.11. 1941.

(١١٦ Ibid., Notes on Statement by Colonel Rudolf. Abteilung Ausland, O.K.W., Berlin, 12.1. 1942.

(١١٧ Ibid., Grobba's note Berlin, 30.5. 1942.

(١١٨ Ibid., Gronow's and Bismarcks despathes, Rome, 28.3. 1942. 30.3. 1942.

(١١٩ Ibid., General Felmy to Haj Amin al-Husseini, 18.6. 1942.

(١٢٠ Ibid., Unsigned notes, Westfallen, May 31.1942.

«Kommando 68 Z. B. V. والحقت بالجيش الالماني المدرع الاول واتخذت مقر قيادتها في بود يونوفسكايا Budionovskays على نهر الكوما(١٢١) . ويبلغ عدد هذه القوة الالمانية ـ العربية المشتركة ستة آلاف جندي وضابط . وكانت قوة مدرعة ميكانيكية ولديها اسلحة كافية لفرقة كاملة من المتطوعين العرب . وزودت بسبع طائرات وبكافة التجهيزات القتالية . وانتقلت المفرزة العربية الى مدينة ستالينو Stalino غير ان المفتي عارض بشدة ارسال المفرزة الى الاتحاد السوفيتي وطلب نقلها الى مصر او الى شمال افريقيا ، لقرب قوات المحور هناك من بلدان المشرق العربي(١٢٢) . والواقع ان الهجوم المضاد السوفيتي على القوات الالمانية منذ شتاء عام ١٩٤٢ ، وتراجع قوات المحور في شمالي افريقيا ، جعل موضوع المفرزة العربية امرا ثانويا لا قيمة له .

وردا على قرار الحكومة البريطانية في ٢٠ ايلول ١٩٤٤ بانشاء لواء مشاة يهودي برئاسة جنرال يهودي ، وبلباس يهودي خاص ، والذي اتخذ بعد مفاوضات طويلة مع الوكالة اليهودية ، قررت القيادة العليا للقوات الالمانية O.K.W. في الأول من تشرين الثاني ١٩٤٤ جمع الوحدات العربية المقاتلة في الجيش الالماني في لواء اطلق عليه « اللواء العربي المستقل »(١٢٣) . ومن الجدير بالذكر ان عدد الاسرى العرب الذين وجدوا في معسكر اوبيليكا Opelika في الاباما Alabama قد بلغ في نهاية الحرب العالمية الثانية حوالي الفي أسير حسبما جاء في تصريح النائب الامريكي امانويل سيلر Emanuel Celler في الكونغرس الامريكي في ٢٠ نيسان ١٩٤٦(١٢٤) .

الخلاف بين المفتي والكيلاني

يجمع العراقيون من رجال السياسة والجيش الذين كانت لهم صلة بالحاج امين الحسيني على الدور الفعال الذي لعبه مفتي فلسطين الاكبر في السياسة الداخلية العراقية . ويجمع هؤلاء أيضا على دوره في اقناع قادة الجيش العراقي بتأييد رشيد عالي الكيلاني ، رئيس الديوان الملكي آنذاك ، وترشيحه لرئاسة الوزارة . لقد كان المفتي ، في رأي هؤلاء الساسة والعسكريين ، وراء كافة القرارات السياسية المهمة التي اتخذت في عهد « حكومة الدفاع الوطني » من ٢ نيسان حتى

---

١٢١) Goerlitz, W.: Der Zweite Weltkrieg, Stuttgart, 1951, Vol. 1. p. 358.

مذكرة غروبا حول تفاصيل تشكيل القوات ، برلين ١٩٤٢/٩/٣ A.A., P.A., Handakten Ritter.

١٢٢) D.G.F.P.. Vol. XIII. Amin el-Husseini memorandum for the Commando Supremo, Rome, 29.8.1942.

رسالة المفتي الى الفيلدرماشال كاتي A.A., P.A., Handakten Ritter Keitel رئيس هيئة اركان الجيش الالماني في ١٩٤٢/٨/٣٠ .

١٢٣) Pearlman, M.,: Mufti of Jerusalem, p. 59 Kirk, G.: Op. Cit., p. 321.

١٢٤) Congressional Record. Vol. 92. Dt. 3. Col. 3460.

٣٠ ايار ١٩٤١ . وذهب بعضهم الى تحميله مسؤولية احداث تلك الفترة بما فيها من اخطاء . ومن هؤلاء طه الهاشمي وناجي شوكت وتوفيق السويدي. يقول طه الهاشمي في مذكراته :

« واما المفتي فظل المحور الذي تدور حوله المزاعم الوطنية ويعتبر كل تفاهم مع الانكليز خيانة للقضية العربية »[١٢٥] .

ويقول ناجي شوكت :

« لقد كنت وما ازال اكن للمفتي الحسيني كل ود واحترام ، لاني كنت مطلعا - اكثر من غيري - على آرائه السياسية . وكان كثيرا ما يسألني الرأي عما يجب عمله ، وعما كنت اتوقعه في المستقبل من الأحداث . وكثيرا ما كنت اختلف واياه في بعض الامور . اذ كان ينظر الى بعضها كعربي فلسطيني شرد الاستعمار شعبه ، ومكن الصهيونية اللئيمة من اغتصاب ارضه . فهو - اي المفتي - يحاول ان يوجه السياسة العراقية من خلال نظرته هذه ، وجعل مصالح العراق الوطنية في الدرجة الثانية »[١٢٦] .

اما توفيق السويدي الخصم السياسي لناجي شوكت وللمفتي فيقول في مذكراته رأياً لا يختلف عن رأي ناجي شوكت في هذا الصدد :

« وقلت للمرحوم امين بك التميمي الذي كان مع المفتي ان من حق سماحته ، اي المفتي ، كزعيم لفلسطين خاض المعارك هذه السنين الطوال دفاعا عن بلاده ودفعا للشرور الصهيونية ان يتوسل بجميع الوسائل لتحقيق مآربه الوطنية ،وحتى له ان يتفق مع الشيطان لا مع المانيا او اليابان او ايطاليا للدفاع عن بلاده . ولكن ليس له ان يورط العراق في محنة كانت تؤمن خيرا لفلسطين ، ولا تدفع عن العراق الغائلة ، لأن ضعف العراق ليس الا ضعفا في جبهة الدفاع عن فلسطين . فطالما كان العراق قويا كان الدفاع اقوى ، فجعل العراق ضعيفا ليس من مصلحة فلسطين نفسها »[١٢٧] .

وقد اكد هذا الرأي العقيد صلاح الدين الصباغ ، صديق المفتي الحميم في مذكراته.[١٢٨] كما اكده منير الريس ،احد اللاجئين السياسيين السوريين في العراق آنذاك،اذ قال :

« كان الحاج أمين الحسيني ، مفتي فلسطين ، اللاجىء الى العراق ، في لقاءاته بقادة

١٢٥) الهاشمي ، طه : مذكرات طه الهاشمي ١٩١٩ - ١٩٤٣ ، ص ٤١٠ .

١٢٦) شوكت ، ناجي : سيرة وذكريات ، ص ٤٣٩ .

١٢٧) السويدي ، توفيق : مذكراتي : نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية ، ص ٣٧٨ .

١٢٨) الصباغ ، صلاح الدين : فرسان العروبة في العراق ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

الجيش وبالوزراء الوطنيين في العراق يحرضهم على التشدد مع بريطانيا والضغط عليها ، ويظهرها امامهم عاجزة عن الاعتداء على العراق ، بل كان يزين لهم ان الجيش الالماني الذي اخضع اوروبا . . . . سيهب فورا لنجدة العراق ، فيما اذا تعرض للعدوان البريطاني . . . . وكان يسر لهم بمضمون الكتاب (وهو رد على كتاب المفتي الذي بعث به مع سكرتيره عثمان كمال حداد) ويفسر كل كلمة من كلماته بما يتفق ورأيه ، في ضرورة زيادة الضغط على بريطانيا خلال الحرب ، حتى تحل قضية فلسطين ، وان هذه القضية لن تحل لصالح العرب اذا لم ترغم بريطانيا على حلها ، وهي مرتبكة في حربها مع دول المحور »(١٢٩) .

لا شك ان في هذه الأقوال بعض المبالغة والرغبة في تحميل المفتي مسؤولية فشل الحركة العسكرية في العراق . لم يحدث أي خلاف يذكر بين المفتي والكيلاني اثناء وجودهما في العراق . ولكن بوادر هذا الخلاف بدأت في المنفى . واختلف السياسيون العرب الذين لجأوا الى دول المحور في اسباب هذا الخلاف . فبينما يعزوه ناجي شوكت الى اعوان رشيد عالي وبخاصة شقيقه كامل الكيلاني الذي كان « السبب في كل ما ساد بين رشيد والمفتي من سوء تفاهم وتزاحم امتد الى اعوان الطرفين »(١٣٠) يذهب فوزي القاوقجي الى ان« طموح المفتي الى الملك والخلافة »هو سبب الخلاف . فهو - أي المفتي - « لا يقبل أية مداخلة ولا يعترف بوجود أية شخصية من العرب ، مستبد بكل المواضيع »(١٣١) ويؤيد القاوقجي في هذا الرأي منير الريس الذي يعزو هذا الخلاف الى رغبة المفتي في ان يكون « الزعيم العربي الذي له الكلمة الأولى لدى الالمان والطليان »(١٣٢) .

وسواء أكان البادىء بالخصومة المفتي ام الكيلاني فمن المؤكد ان سببها طموح الرجلين الى الزعامة ، وظمأهما الى السلطة ، ورغبتهما في احتلال المكانة الأولى لدى الزعيم الالماني ادولف هتلر والزعيم الايطالي بنيتوموسوليني .

كان من نتائج هذه الخصومة انقسام اللاجئين السياسيين العرب في دول المحور الى فريقين : اولهما مؤيد للمفتي ويتألف في معظمه من الفلسطينيين والسوريين والمصريين ، وثانيهما مؤيد للكيلاني ويتألف في معظمه من العراقيين . وكان لكل فريق حججه ومبرراته لاولوية هذا الزعيم وذاك . ففريق المفتي ما انفك يشيد بفضله وجهاده وبمواقفه الوطنية والقومية ، ويؤكد

---

١٢٩) الريس ، منير : حرب العراق عام ١٩٤١ ، ص ٦٩ .
١٣٠) شوكت ، ناجي : سيرة وذكريات ، ص ٥٠٢ .
١٣١) القاوقجي ، فوزي : فلسطين في مذكرات القاوقجي ، ص ١٠٥ .
١٣٢) الريس ، منير : حرب العراق عام ١٩٤١ ، ص ٢٢٠ .

رئاسته للتنظيم السري الذي عرف « باللجنة العربية » او « بحزب الأمة العربية » الذي تألف في بغداد في مطلع عام ١٩٤١ ، وانه هو الذي عرف رشيد عالي بقادة الجيش العراقي ورشحه لرئاسة الحكومة العراقية . أما فريق الكيلاني فقد كان يقول عن المفتي : انه لم يكن اكثر من لاجيء سياسي في العراق ،لا حول له ولا قوة في كل ما جرى . وان رشيد عالي رئيس الحكومة العراقية الشرعي ، ويتقدم ، بهذه الصفة على المفتي في كل الامور السياسية .

احدث هذا الانقسام استياء في اوساط وزارة الخارجية الالمانية . وسعت هذه الى التوفيق بين الزعيمين العربيين. ولما اتصل الهرايتل Ettel (الوزير المفوض الالماني السابق في طهران) الوزير المفوض في وزارة الخارجية ، بالمفتي للتعرف على وجهات نظره يومي ٢٥ و٢٦ حزيران عام ١٩٤٢ .شكا اليه المفتي تدخل فريتس غروبا (الوزير المفوض الالماني السابق في بغداد)في النزاع بينه وبين الكيلاني . واسهب المفتي في الحديث عن اهداف التنظيم السري العربي الذي يرئسه والذي يستهدف « قيام دولة عربية موحدة تمتد من البحر الابيض المتوسط الى الخليج العربي وتضم سورية ولبنان وفلسطين وشرقي الاردن والعراق والكويت . واكد المفتي للهرايتل بانه لا يطمع في رئاسة او في حكم وانما يكتفي بصفته الراهنة كأمين عام للحركة القومية العربية . وأتى في حديثه على الكيلاني وقلل من شأنه وقال : لا يتوقع منه شيء ذوبال بسبب سلوكه فهو رجل من السهل التأثير عليه ، يغير رأيه بين يوم وليلة ، وانفعالي غير منضبط . واردف قائلا : « لقد كان الكيلاني معلما ثم اصبح محاميا ثم نائبا في مجلس النواب العراقي ورئيسا لوزراء العراق لعدة اسابيع في عهد فيصل الأول . فهو ، في الواقع ، نتاج الديمقراطية البرلمانية ، وتنقصه مقومات الزعامة » . وتوكيدا لزعامته قال المفتي : ان منصب مفتي القدس ما تزال تتوارثه اسرتي منذ ثلاثة قرون . وقد ورثت هذا المنصب عن أخي الاكبر بعد وفاته ، وبناء على رأي « المنظمة العربية السرية » . واوضح لأيتل ايضا انه ليس رجل دين وانما كان ضابطا في الجيش العثماني ثم اصبح سياسيا ، واحتفظ بمنصب مفتي القدس ، لأن الدين الاسلامي لا يفرق بين النشاط السياسي والنشاط الديني(١٣٣) .

ولما وشى به انصار الكيلاني لدى السلطات الالمانية واتهموه بالولاء لايطاليا ، التقى المفتي في ٢٧ حزيران ١٩٤٢ بالهر ايتل ليدحض هذه التهمة . واوضح له بانه « عربي لا ينظر إلا الى مصالح العرب . وأنه من المضحك ان يزعم احد بأنه موال لايطاليا » . وقال ايضاً : « ان اوساط القوميين العرب لا تنظر الى ايطاليا بالثقة التي تنظر بها الى المانيا . . . ومن المخجل ان يتهم

---

(١٣٣) A.A., P.A., Handakten Ettel (3) Grossmufti

مذكرة ايتل ، برلين في ٢٦ حزيران ١٩٤٢ .

باللعب بالورقة الايطالية ، لان هذه اللعبة غبية جداً » واتهم المفتي المر غروبا بتلفيق هذه الشائعات . وقال عنه : « انه لا يفكر كدبلوماسي وانما يفكر كمترجم قضى عشرات السنين من عمره وهو ينقل آراء غيره دون ان يتمكن من بناء رأي مستقل »[١٣٤] .

ورد انصار المفتي على ما يشيعه انصار الكيلاني من تهم بحق المفتي . ولم يترددوا في اطلاق الشائعات عن الكيلاني . فقد قابل الدكتور راسم الخالدي ، سكرتير المفتي الدكتور تيزمر Dr. Tismer من كبار موظفي الخارجية الالمانية في اليوم الاول من ايلول عام ١٩٤٢ ، ونقل اليه اخبارا ملفقة وسيئة عن الكيلاني[١٣٥] . ووشى الخالدي أيضا بعفيف الطيبي وقال عنه « انه مأجور وخطير » . كما وشى بجلال عوف وبكامل مروة ، وقال عن الأخير « انه كان مراسلا لوكالة رويتر في بيروت » مشككا في تعاطفه مع دول المحور[١٣٦] .

ولما سئل غروبا عن الخلاف بين المفتي والكيلاني ، قدم في ١٠ ايلول ١٩٤٢ مذكرة الى سكرتير الدولة في وزارة الخارجية الهرفون فايتسزيكر جاء فيها على اقوال المفتي التي تؤكد زعامته للحركة العربية واعتراف الكيلاني بها حتى وقت قريب ، واعتراف الزعيم هتلر ووزير خارجيته فون ريبنتروب ووزير خارجية ايطاليا الكونت شيانو بهذه الزعامة. واتى غروبا ايضا على حجج الكيلاني التي تؤكد تقدمه على المفتي . ومنها ان العراق مركز حركة التحرر العربي وانه في كفاحه الماضي لم يستهدف استقلاله فحسب وانما استهدف ايضا استقلال الاقطار العربية الاخرى . وان الكيلاني باعتباره رئيسا لوزراء العراق اهتمت حكومته بالقضايا العربية ولا بد ان تكون الناطقة باسمها ، وان تكون لها الكلمة الأولى في المفاوضات التي ستدور حول مستقبلها . ويعزز الكيلاني اقواله هذه بما جاء في برنامج وزارته الثالثة من توكيد على ان السعي الى استقلال الاقطار العربية من الاهداف الاساسية للسياسة الخارجية العراقية . وذكر غروبا ان الكيلاني يرى من المستحيل عليه ان يتخلى عن زعامة العراق للأمة العربية وان يتنازل عنها لصالح المفتي « لأن مثل هذه الخطوة سوف تعتبر في نظر العراقيين خيانة كبرى » .

كان غروبا من المحبذين لـلاعتراف بزعامة الكيلاني وتقديمه على المفتي ، اعتقادا منه ان ذلك في صالح المانيا . وحلا للخلاف القائم بين الزعيمين العربيين اقترح غروبا في مذكرته هذه ايجاد مصالحة بينهما وتشكيل مجلس عربي اعلى Oberster Arabischer Rat من ثلاثة من العراقيين

---

١٣٤) المصدر نفسه ، مذكرة ايتل ، برلين في ٢٧ حزيران ١٩٤٢ .

١٣٥) A.A., P.A., Handakten Ettel (11) 1942-1943.

مذكرة تيزمر الى ايتل ، برلين في ١ /١٩٤٢/٩ .

١٣٦) A.A., P.A., Buero des Staatssekretaer, Irak, Bd. 2. Dr. Tismer Aufzeichnung an Ettel, Berlin, 28. 7. 1942.

واثنين من السوريين وفلسطيني واحد ولبناني واحد وشرق اردني واحد تحت زعامة المفتي ، للنظر في المسائل العربية العامة . وتكون قرارات هذا المجلس مجرد توصيات توضح الاتجاه العام لحل المسائل العربية في منطقة الهلال الخصيب . واقترح غروبا ايضا تأليف لجان حكومية في كل من سورية وفلسطين ولبنان وشرقي الاردن والعراق للنظر في مسائل كل قطر على حدة . وتقدم هذه اللجان مقترحاتها الى المجلس العربي الاعلى . ويتولى الكيلاني رئاسة لجنة العراق ، كما يتولى في الوقت نفسه رئاسة الهيئة الادارية للمجلس العربي الاعلى . ويعتبر الممثل الوحيد للاقطار العربية الخمسة . وعليه ان يستشير المجلس العربي الاعلى في كافة المسائل المهمة . اما عند تحرير الاقطار العربية على يد قوات المحور فلا بد من زيادة عدد اعضاء المجلس العربي الاعلى ليضم الزعماء الموثوقين في منطقة الانتداب البريطاني . واقترح غروبا ان يرئس المفتي مجلسا تأسيسيا لوضع دستور لاتحاد الاقطار العربية الخمسة . ويضم هذا المجلس الزعماء السياسيين واعيان المدن وشيوخ العشائر وقادة النقابات المهنية والعمالية . وذكر غروبا في مذكرته هذه انه بحث هذا المشروع مع كل من المفتي والكيلاني فقبلا به(١٣٧) .

كان المفتي نشيطا وسريع التحرك . فقد سافر الى روما في مطلع ايلول ١٩٤٢ وقدم مذكرة الى موسوليني عرض عليه فيها اقتراحا بنقله الى شمال افريقيا من اجل التمهيد للعمل السياسي والعسكري المقبل في الشرق الادنى . ورجا الزعيم الايطالي ان يعترف به ناطقا بلسان الحركة القومية العربية واشترط ان يتم هذا الاعتراف قبل سفره الى مصر ليبدأ نشاطه بالتعاون مع القادة السياسيين في الاقطار العربية(١٣٨) . وقد رد شيانو ، وزير خارجية ايطاليا على هذه المذكرة فابلغه شكر موسوليني له والاعتراف به رئيسا لحزب الامة العربية وممثلا لنضال الاقطار العربية في الشرق الادنى(١٣٩) .

هذا وقد اطلعت وزارة الخارجية الالمانية على هاتين الوثيقتين . كما تلقت تقريرا من السفارة الالمانية في روما مؤرخا في ٢٤ ايلول ١٩٤٢ حول الموضوع . واعد الوزير المفوض الهرايتل مذكرة في ١٥ ايلول بهذا الخصوص . وجاء فيها ان الكيلاني قد اكد في حديثه مع وكيل وزارة الخارجية الالمانية ، الهر فورمان ، ان لا وجود لحزب الامة العربية السري وانه من بنات خيال المفتي(١٤٠) .

---

١٣٧) A.A., P.A., Handakten Ritter

مذكرة غروبا الى فايتسزيكر برلين في ١٠ ايلول ١٩٤٢ .

١٣٨) A.A.P.A., Handakten Ettel (3) Grossmufti

ملخص باللغة الالمانية لمذكرة المفتي الموجهة الى موسوليني في ايلول ١٩٤٢ .

١٣٩) المصدر نفسه ، رد شيانو على مذكرة المفتي مترجما الى الالمانية .

١٤٠) المصدر نفسه ، مذكرة ايتل ، برلين في ١٩٤٢/٩/١٥ .

كما قدم غروبا مذكرة مماثلة في ١٦ ايلول جاء فيها :

« يزعم المفتي وجود جمعية الأمة العربية ، وانه رئيسها بينما ينكر الكيلاني ذلك . انني لا اعرف لماذا يطلب المفتي اعتراف دول المحور به رئيسا لهذه الجمعية . فاذا كان اعضاء الجمعية يعترفون به زعيما لها فلماذا يطلب من دول المحور الاعتراف به ؟ وما دامت الجمعية سرية فما قيمة اعتراف دول المحور بها ؟ من غير الطبيعي ان تعترف حكومتان برجل ديني زعيما لمنظمة سرية أجنبية ، ومن غير الحق ان يتم ذلك في عصرنا »[١٤١] .

ولما بلغ الأمر هذا المدى ، طلبت وزارة الخارجية الالمانية سؤال اللاجئين السياسيين العرب المقيمين في دول المحور وفي تركيا لابداء رأيهم في مزاعم كل من المفتي والكيلاني .

وحالما علم المفتي بذلك ، بعث برسائل الى كل من عادل ارسلان وناجي شوكت[١٤٢] وحسن ابو السعود ومحمد العفيفي والذكتور محمد صبحي ابو غنيمة وفرحان الجندلي يسألهم توكيد اقواله بانه زعيم الحركة السرية العربية . وجاءت ردود هؤلاء جميعا تؤكد اقوال المفتي[١٤٣] .

ووجد المسؤولون الالمان حرجا في النزاع القائم بين الزعيمين العربيين . وحاولوا المصالحة بينهما . وتم ذلك في ٤ كانون الثاني ١٩٤٣ في منزل غلام صادق خان ، وزير خارجية افغانستان السابق ، في برلين[١٤٤] .

غير ان هذه المصالحة لم تزل ما علق في النفوس من أضغان . وبعد تراجع قوات دول المحور على كافة الجبهات خلال عام ١٩٤٣ ، اهمل المسؤولون الالمان والايطاليون مسألة الخلاف بين المفتي والكيلاني ، ولم تعد القضية العربية من القضايا التي تحتل مرتبة الاولوية في حساباتهم .

ولما اقتربت نهاية الحرب العالمية الثانية وجد المفتي والكيلاني في برلين . وكانا يتنقلان باستمرا من منزل الى آخر . حتى اذا استسلمت المانيا هربا الى سويسرا ، فرفضت السلطات السويسرية دخول الكيلاني ، فعرج على بلجيكا ففرنسا حيث هرب من مرسيليا بحرا في منتصف تموز ١٩٤٥ وبلغ بيروت . وانتقل منها الى دمشق فالرياض حيث حل لاجئا سياسيا على الملك عبد العزيز آل سعود .

---

١٤١) المصدر نفسه ، مذكرة غروبا ، برلين في ١٩٤٢/٩/١٦ .

١٤٢) المصدر نفسه ، نص رسالة المفتي الى ناجي شوكت في ٢٨ ايلول ١٩٤٢ .

١٤٣) المصدر نفسه ، نص رسالة الجندلي شوكت الى المفتي المؤرخة في ٣٠ ايلول ١٩٤٢ .
ورسالة فرحان الجبذل المؤرخة في ١٩٤٢/٩/٣٠ ورسالة الدكتور محمد صبحي ابو غنيمة في ١٩٤٢/١٠/٢ ، ورسالة محمد العفيفي في ١٩٤٢/١٠/٣ .

١٤٤) المصدر نفسه ، مذكرة تيزمر ، برلين في ١٩٤٣/١/٥ .

أما الحاج امين الحسيني فقد دخل سويسرا وحاول الاقامة في بيرن ، غير ان السلطات السويسرية رفضت السماح له بالاقامة ، فحاول عبور الحدود الفرنسية . والقي القبض عليه ووضع في دار قرب باريس . وسمح له بالاتصال بالعرب هناك . ولما احس باحتمال محاكمته كمجرم حرب هرب في ايار ١٩٤٦ بجواز سفر الطالب السوري معروف الدواليبي المقيم في باريس . وغادر فرنسا الى القاهرة على متن طائرة عسكرية أمريكية وحل في العاصمة المصرية ضيفا على الملك فاروق(١٤٥) .

الخلاصة :

مرت العلاقات بين الحركة الوطنية العربية في فلسطين والرايخ الثالث بمراحل ثلاث :

- المرحلة الأولى وتبتدىء بوصول الحزب النازي الى الحكم عام ١٩٣٣ وتنتهي ببداية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ .
- المرحلة الثانية وتبتدىء باندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ وتنتهي بالقضاء على حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق في أيار ١٩٤١ .
- المرحلة الثالثة وتبدأ بوصول الحاج امين الحسيني الى روما في تشرين الأول ١٩٤١ ، وتنتهي بنهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ .

تميزت المرحلة الأولى باعجاب الحركة الوطنية الفلسطينية ، كغيرها من الحركات الوطنية في المشرق العربي ، بالنظام النازي وبتعاطفها مع المانيا . وسبب ذاك الاعجاب والتعاطف الانجازات الكبرى والسريعة التي حققتها المانيا في العهد الجديد على الصعيدين الداخلي والخارجي وبخاصة التخلص من القيود التي فرضتها علها معاهدة فرساي عام ١٩١٩ ، بالاضافة الى الكراهية الشديدة التي كان يكنها النازيون لليهود وتصميمهم على « تطهير » المانيا منهم . ورافق ذلك الاعجاب والتعاطف جهل تام بحقيقة السياسة الالمانية نحو اليهود ، وبخاصة اتفاقية هعفارا التي ابرمتها السلطات الألمانية مع الوكالة اليهودية في فلسطين ، والاخطار التي ترتبت على هذه الاتفاقية .

ورافق جهل عرب فلسطين بحقائق السياسة الالمانية جهل مماثل من الجانب الالماني بحقائق القضية الفلسطينية سببه عدم اكتراث المانيا الجديدة لما كان يجري في فلسطين . اذ كان اهتمامها

---

١٤٥) Hirzowicz, L.: op. cit., p. 315.

منصبا على مخططاتها التوسعية في اوروبا الوسطى والشرقية ، وعلى السعي لكسب ود بريطانيا وسكوتها عن هذه المخططات . اما شاغلها الاول فهو التخلص من الاقلية اليهودية في المانيا . ورغم مظاهر الود والتعاطف التي ابداها عرب فلسطين وقادتهم نحو المانيا ومساعيهم للحصول على تأييدها لنضالهم فقد كان أقصى ما بذلته المانيا من جهد رفض مقررات لجنة بيل (١٩٣٧) وبخاصة قيام دولة يهودية في فلسطين ، انطلاقا من اعتبارات داخلية المانية واعتبارات ايديولوجية بحتة ، لا عطفا على العرب وقضيتهم . وامتنعت المانيا عن تقديم اي عون مادي او معنوي للثورة العربية في فلسطين بين عامي ١٩٣٦ و١٩٣٩ ، رغم المحاولات العربية المتكررة للحصول على هذا العون . وكان ذلك ممالأة منها لبريطانيا واعتقاداً منها بعدم جدوى التعاون مع العرب عامة .

أما المرحلة الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤١) فقد شهدت انتقال قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية الى العراق . وجاء اندلاع الحرب العالمية الثانية بقناعات جديدة بقادة هذه الحركة . فقد اعتقدوا ، مثل كثيرين من قادة الحركات الوطنية العربية ، ان لا بد من طرح القضية العربية برمتها طرحا جديدا . ذلك ان الحلفاء الانكليز والفرنسيين قد اخضعوا المشرق العربي لسياسة استعمارية غاشمة الهبت في نفوس العرب الحقد والثورة عليهم . وان هؤلاء الحلفاء هم الذين خلقوا المشكلة الفلسطينية عندما قدموا فلسطين « هبة سخية » لتكون وطنا قوميا لليهود ، وسمحوا تحت حرابهم للهجرة اليهودية بأن تتدفق على البلاد ليحل اليهود محل اهلها العرب أصحابها الشرعيين . وتراءى للقادة العرب الفلسطينيين ان في العالم معسكرين : معسكر الاعداء من مستعمرين وصهاينة من جهة ومعسكر المحور من جهة اخرى . ولما لم يكن لالمانيا وجود استعماري في أي بلد عربي ، لذلك كان « من الطبيعي ان تكون عواطف العرب شعوبا ومسؤولين مع المانيا انطلاقا من القول المأثور « عدو عدوك صديقك »[١٤٦] . وبعبارة اخرى لم تكن البلاد العربية ، بما فيها فلسطين ، بمنأى عن الصراع الدولي القائم . ولذلك لا بد من التعاون مع معسكر المحور والاستفادة من التناقضات الدولية . هذا التحليل السياسي الذي توصلت اليه القيادة الفلسطينية ، وبخاصة أمين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا ، جعلتها تقلع نهائيا عن فكرة الكفاح القطري في فلسطين ، والاتجاه الى ربط القضية الفلسطينية بالقضية العربية العامة . ولم يكن السياسيون العراقيون والسوريون الذين التفوا حول المفتي في بغداد يختلفون في تحليلهم للأوضاع السياسية الدولية عن تحليله[١٤٧] . ولعل هذه القناعات السياسية هي التي جعلت المفتي يتصرف في العراق وكأن البلد بلده والأهل أهله والقضية قضيته . وهي

---

١٤٦) حديث لأمين الحسيني مع خيرية قاسمية ، مجلة شؤون فلسطينية ، بيروت آب ١٩٧٤ ، ص ١٧ ـ ١٨ .
١٤٧) الشيخ علي ، علي محمود : آراء في القضية العربية وذكريات عنها ، ج١ ص ٢٥٧ .

التي جعلت فريقا من السياسيين العراقيين يرحبون به بينهم ويستشيرونه في كل صغيرة وكبيرة في شؤون العراق الداخلية ، ويعتمدونه امينا على اسرارهم ، ولا يتورعون عن التضحية بمصالح العراق الوطنية من اجل الصالح القومي العربي العام . ولذلك لم يترددوا في الموافقة على الاتصال بالمانيا وايطاليا عن طريقه لطلب العون منها ، وان يوكلوا اليه مهمة التفاوض السري معها .

أما المانيا فقد كانت ترى ، طوال هذه المرحلة ، ان المشرق العربي يقع في منطقة المجال الحيوي لحليفتها ايطاليا . وان لهذه الحليفة الاولوية في معالجة القضية العربية . لذلك تلكأت في اصدار التصريح الذي طلبه المفتي والزعماء العراقيون حول مستقبل البلاد العربية . كما أنها خشيت ردود فعل حكومة فيشي تجاه اي وعد بشأن سورية ولبنان ، وهي التي قطعت الوعود لها وأبرمت اتفاقية الهدنة معها التي تنص على عدم المساس بالامبراطورية الفرنسية .

واتصفت المرحلة الثالثة في هذه العلاقات (١٩٤١ ـ ١٩٤٥) باستغلال المانيا لقادة الحركة العربية المتعاونين معها ، وبخاصة مفتي فلسطين الذي بذل جهودا كبيرة لخدمة الاهداف السياسية والعسكرية الالمانية من خلال اتصالاته بقادة الحركات الوطنية في البلاد العربية والاسلامية . وعلى الرغم من هذه الجهود اقتصرت وعود المانيا للمفتي وغيره من القادة العرب على استقلال ووحدة اقطار الهلال الخصيب ، مع تجنب الاشارة بصراحة الى سورية ولبنان ، والتأكيد على تحرير واستقلال الاقطار العربية الواقعة تحت الهيمنة البريطانية . وقد اخذت المانيا بعين الاعتبار مصالح حلفائها الايطاليين والفيشيين ، وراعت مصالح تركيا واسبانيا في معالجتها للقضية العربية . لقد كانت الفلسفة النازية وراء العلاقات العربية ـ الالمانية بعامة والعلاقات الالمانية الفلسطينية بخاصة . فقد اعتقد الالمان بعجز العرب عن بناء دولة حديثة . كما شكوا في ولائهم السياسي ، كما هو واضح في تقارير ومذكرات المسؤولين الالمان الموجودة في الارشيف السياسي لوزارة الخارجية الالمانية ، وفي المذكرات والمؤلفات التي نشرها قادة المانيا النازية بعد الحرب العالمية الثانية . وكان تصور النازيين لاقتسام العالم يفترض وقوع العرب تحت النفوذ الاوروبي الايطالي والفرنسي . ولا شك ان مقتضيات الحرب العالمية الثانية هي التي اكرهت المانيا على انتهاج سياسة مخالفة لفلسفتها السياسية النازية . واما المعاملة الحسنة التي لقيها الحاج امين فقد كانت استثناء وربما لاعتقاد هتلر باصوله الآريه على حد تعبيره . فقد صرح زعيم الرايخ الثالث بأن « شعر المفتي الأشقر وعينيه الزرقاوين يعطيان الانطباع بأنه شخص كان في اسلافه اكثر من آري . . . وان من المحتمل ان هذه الآرية قد امتزجت لديه بأحسن ما ورثه عن الرومان »[١٤٨] .

(١٤٨ Hirszowicz, 1. op. cit., p. 313.

ومنذ تراجع القوات الالمانية على الجبهة السوفيتية في شمال افريقيا اخذت القضية العربية دورا ثانويا في حسابات المانيا الدولية . ومنذ منتصف عام ١٩٤٣ اصبح هم المانيا الاول الدفاع عن مواقعها في الجبهات الاوروبية وغدا تحرير البلاد العربية بعيد المنال . وشعر الزعماء العرب المتعاونون مع الالمان بذلك ، واخذوا يوجهون نقدهم علنا للسياسة الالمانية . ولم يعد للعمل الدعائي الذي كان يقوم به المكتب العربي في برلين والذي كان تحت اشراف المفتي ، اية اهمية خلال عام ١٩٤٤ . وشعر هتلر نفسه خلال الاشهر الاخيرة من الحرب بالأخطاء التي وقع فيها. فاعرب عن أسفه لأنه لم يستغل بشكل واف امكانيات حركات التحرر الوطني في المستعمرات الفرنسية وبخاصة في سورية وتونس . كما ابدى خيبة امله في التحالف مع موسوليني الذي لم يفد منه شيئا في الشرقين الأدنى والاوسط(١٤٩) .

---

١٤٩) انظر تصريحات هتلر في الكتاب الذي نشره مارتن بورمان :
Bormann, M.: Le Testement Politique de Hitler, Paris, 1959

مصـــادر
البحـــث

١ - الوثائق غير المنشورة :

أ - الأرشيف السياسي في وزارة الخارجية الالمانية في بون : تحتوي وثائق هذا الارشيف على معلومات وافرة عن الشرق العربي بوجه عام وفلسطين بوجه خاص . وهي تقسم الى قسمين :

القسم الأول : ويشمل وثائق الفترة الواقعة بين عامي ١٨٧١ و١٩١٨ . وتندرج الوثائق الخاصة بفلسطين في هذا القسم تحت عنوان « تركيا Tuerkei » والملفات التي تحمل عنوان Tuerkei 173 تتناول الاماكن المقدسة في فلسطين . كما تحتوي الملفات التسعة عشر التي تحمل عنوان Tuerkei 177, Der Libanon (Syrien) معلومات جيدة عن فلسطين . اما وثائق الملفات التي تحمل عنوان Tuerkei 195 فتعالج وضع اليهود في تركيا بما في ذلك يهود فلسطين ، وتغطي الفترة الواقعة بين عامي ١٨٩٠ و١٩١٨ .

أما القسم الثاني : فيحتوي على الوثائق التي تعود الى الفترة الممتدة من عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٤٥ . وهي مبوبة تبويبا جيدا . اذ قامت وزارة الخارجية الامريكية بالتعاون مع مؤسسة هوفر Hoover Institution on War, Revolution and Peace بوضع فهرس (كتالوج) مفصل لهذه الوثائق مؤلف من ثلاثة مجلدات .

ويندرج تحت اسم فلسطين Palaestina الملفات التالية :

- ملف فلسطين في مكتب وزير الخارجية Buerodes Reichsaussenministers ويحتوي على وثائق تتناول الفترة الواقعة بين آذار ١٩٣٧ وشباط ١٩٤١ .
- ملف فلسطين في مكتب مساعد سكرتير الدولة في وزارة الخارجية Buero des Unterstastssek-retaers وهو بعنوان المسألة الفلسطينية من حزيران ١٩٣٧ حتى نيسان ١٩٣٨ .

- ملف فلسطين في الدائرة السياسية الأولى المعنية بعصبة الأمم Politische Abt.I, Voelker-bund (شباط ١٩٣٧ - ايار ١٩٣٩) .
- ملف الدائرة السياسية الثانية .Politische Abt.II وتتناول العلاقات السياسية بين المانيا وفلسطين من آذار ١٩٢٧ حتى ايلول ١٩٣٤ .
- ملفات الدائرة السياسية الثالثة .Politische Abt. III وتتناول علاقات فلسطين السياسية والتجارية مع المانيا وبقية دول العالم بين ١٩٢٢ و١٩٣٣ .
- ملفات الدائرة السياسية السابعة .Politische Abt. VII وتشتمل على معلومات غزيرة عن علاقـات المانيا بفلسطين بين عامي ١٩٣٦ و١٩٤٠ .
- ملفات فلسطين في مكتب الوزير المفوض فيل Handakten Wiehl وتغطي الفترة الواقعة بين آذار ١٩٣٤ ونيسان ١٩٤١ .
- ملفات الوثائق السرية Geheimakten وتتناول علاقات المانيا بفلسطين بين عامي ١٩٢٧ و١٩٣٤ .
- ملفات فلسطين في مكتب رئيس دائرة الشؤ ون الاجنبية Buero des Chefs des Auslandsorga-nisation وهي في عدة مجلدات وتتناول موضوع اتفاقية هعفارا .
- ملف فلسطين في دائرة عصبة الأمم والتعويضات Abteilung Voelkerbund und Ruestung (٦ آب ١٩٣٧ - ٢٦ أيار ١٩٣٩)
- اوراق الوزير المفوض ريتر Handakten Ritter
- اوراق الوزير المفوض ايتل Handakten Ettel وتحتوي على اربعة ملفات ضخمة عن نشاط مفتي فلسطين الحاج امين الحسيني .

ولا بد من الرجوع الى الملفات الخاصة بالعراق للاطلاع على سير المفاوضات السرية بين المفتي اثناء وجوده في بغداد وبين المسؤ ولين الالمان .

ب - ارشيف الدولة الرئيسي في شتوتجارت Hauptstaatsarchiv ويحتوي على معلومات واسعة عن نشاط جمعية الهيكل في فلسطين وعلاقاتها بحكومة فورتمبرغ .

جـ - وثائق مكتب السجلات العامة في لندن ، والمقصود منها وثائق وزارتي الخارجية والمستعمرات وبخاصة الملفات ذات الارقام .F. O. 78, F. O. 195, F. O. 371 المتعلقة بالنشاط البريطاني في فلسطين في القرن التاسع عشر ، والملفات ذات الرقم C.O. 733 المتعلقة بعلاقات بريطانيا بفلسطين في فترة الانتداب .

د - الارشيف الدبلوماسي في وزارة الخارجية الفرنسية :

Ministère des Affaires Etrangères, Archives Diplomatiques.

وأهم ما يعنينا في هذا الارشيف السلسلة Série E (Levant) والكرتونة رقم ١١٨ المتعلقة بالاوضاع الداخلية في فلسطين بين عام ١٩٣٠ و١٩٣٩ والكرتونات الخاصة بالمفوض السامي الفرنسي في بيروت غابريل بيو Papiers GabrielPueaux1939-1940. التي تحتوي على معلومات جيدة عن نشاط المفتي والوطنين الفلسطينيين المبعدين الى سورية ولبنان .

٢ ـ الوثائق المنشورة :

أ ـ الوثائق العربية :

- وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية ، ١٩١٨ ـ ١٩٣٩ ، اعداد عبد الوهاب الكيالي ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٨ .
- وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ، من اوراق اكرم زعيتر ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٩ .

ب ـ الوثائق الالمانية :

- الوثائق الدبلوماسية لوزارة الخارجية ١٨٧١ ـ ١٩١٤

ويتناول القسم الاول منها فترة حكم بسمارك (١٨٧١ ـ ١٨٩٠) ويحتوي على ستة مجلدات .

Die Diplomatische Akten des Auswaertiges Amt 1871-1914, Ein Wegweiser durch das grosse Aktenwerk der deutschen Regierung von Bernhard Schwetfeger, Deutsche Verlaggesellschaft fuer Politik und Geschichte, Erster Teil, Die Bismarck Epoche 1871-1890, Bd 1-VI, Berlin, 1923.

أما القسم الثاني فيحتوي على ستة مجلدات ايضا ويغطي الفترة الواقعة بين عامي ١٨٩٠ و١٨٩٩ ، وهو منشور في برلين عام ١٩٢٤ .

- الوثائق الالمانية عن نشوب الحرب العالمية الاولى وهي في اربعة مجلدات

Die Deutsche Dokumente Zum Kriegsausbruch 1914, Deutsche Verlaggesellschaft fuer Politik und Geschichte, Berlin, 1924 (4 Bde).

وقد ترجمت الى الانكليزية بعنوان Official German Documents Relating to the World War, Oxford University Press, London, 1923.

- وثائق عن السياسة الخارجية الالمانية Akten Zur deutschen auswaertigenPolitik وهي في اربع سلسلات وهي : سلسلة (B) وتتألف من احد عشر مجلدا وسلسلة (C) وتتألف من ثمانية

مجلدات ، وسلسلة (D) تتألف من احد عشر مجلدا وسلسلة (E) وتتألف من اربعة مجلدات . وجميعها مترجمة الى الانكليزية بعنوان : Documents on German Foreign Policy وصادرة عن المطبعة الرسمية للحكومة الامريكية في واشنطن ، في سلسلتين هما (C) وتتألف من خمسة مجلدات (١٩٣٣ - ١٩٣٧) و(D) وتتألف من ثلاثة عشر مجلدا (١٩٣٧ - ١٩٤٥) .

جـ - الوثائق البريطانية :

وهي عبارة عن سبعة عشر تقريرا عن الادارة البريطانية في فلسطين وشرق الاردن بين عامي ١٩٢٣ و١٩٣٩ .

Colonial No. 5, Report on Palestine Administration for the year 1923, London, 1924.

Colonial No. 9, Report on Palestine Administration for the year 1923, First annual Report to the Council of the League of Nations, London, 1924.

Colonial No.15, Report of the High Commissionner on the Administration of Palestine, 1920-1925, to the Secretary of State for Colonies, Jerusalem 22.4. 1925.

Colonial No. 20, Report...(Palestine and Transjordan) for the year 1925, London, 1926.

Colonial No. 26, Report.... (Palestine and Transjordan) for the year 1926, London, 1927.

Colonial No. 31, Report.... (Palestine and Transjordan)for the year 1927, London, 1928.

Colonial No. 40, Report... (Palestine and Transjordan) for the year 1928, London 1929.

Colonial No. 47, Report...(Palestine and Transjordan) for the year 1929, London 1930.

Colonial No. 59, Report.... (Palestine and Transjordan) for the year 1930, London 1931.

Colonial No. 75, Report... (Palestine and Transjordan) for the year 1931, London, 1932.

Colonial No. 82, Report.... (Palestine and Transjordan) for the year 1932 London, 1933.

Colonial No. 94, Report.... (Palestine and Transjordan) for the year 1933, London, 1934.

Colonial No. 104 , Report....(Palestine and Transjordan)for the year 1934, London,1935.

Colonial No. 112, Report... (Palestine and Transjordan) for the year 1935, London, 1936.

Colonial No. 129, Report... (Palestine and Transjordan) for the year 1936, London, 1937.

Colonial No. 146, Report,... (Palestine and Transjordan) for the year 1937, London, 1938.

Colonial No. 166, Report... (Palestine and Transjordan) for the year 1938, London, 1939.

د ـ وثائق الوكالة اليهودية في فلسطين .

Jewish Agency For Palestine: Documents and Correspondence Relating to Palestine, August 1939-March 1940, London 1940.

٣ ـ المؤلفات العربية :

ـ ابو عز الدين ، سليمان : ابراهيم باشا في سورية . بيروت . ١٩٢٠ .

ـ احمد . ابراهيم خليل : الاستشراق والتبشير وصلتها بالامبريالية العالمية . مكتبة الوعي العربي . القاهرة . ١٩٧٢ .

ـ الاسود . ابراهيم : الرحلة الامبراطورية في الممالك العثمانية . بعبدا . لبنان . ١٨٩٨ .

ـ انغرامز . دورين : اوراق فلسطين ١٩١٧ ـ ١٩٢٢ . دار النهار للنشر . بيروت . ١٩٧٢ .

ـ البراك، فاضل : دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني والحرب مع بريطانيا سنة ١٩٤١ . الدار العربية للطباعة . بغداد . ١٩٧٩ .

ـ جمال باشا الصغير : كيف جلت القوات العثمانية عن بلاد العرب . تعريب فؤاد ميداني ، منشورات جريدة الاحرار . بيروت . ١٩٣٢ .

ـ حداد. عثمان كمال : حركة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١ . صيدا . ١٩٥٠ .

ـ الحسني . عبد الرزاق : تاريخ الوزارات العراقية . مطبعة دار الكتب . بيروت . ١٩٧٨ (الجزء الخامس) .

ـ الحسني . عبد الرزاق : الاسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١ التحررية . مطبعة العرفان . الطبعة الثالثة . صيدا . ١٩٧١ .

ـ الحسيني. محمد امين . مذكرات مفتي فلسطين . اخبار اليوم . القاهرة ٢٨ سبتمبر ١٩٥٧ .

ـ حلاق . حسان . موقف الدولة العثمانية من النشاط الصهيوني ١٨٩٧ ـ ١٩٠٤ . شؤون فلسطينية . عدد ٧٤ . ٧٥ ؛ شباط . ١٩٧٨ .

ـ الخالدي . مصطفى وفروخ ، عمر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية . الطبعة الثانية . المكتبة العصرية للطباعة والنشر . صيدا . بيروت . ١٩٥٧ .

ـ خدوري . مجيد : عرب معاصرون . بيروت . ١٩٧٣ .

- الدرة ، محمود : الحرب العراقية - البريطانية ١٩٤١ . دار الطليعة للطباعة والنشر . بيروت . ١٩٦٩ .
- رستم . اسد : الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا . خمسة اجزاء . بيروت . ١٩٣٠ - ١٩٣٤ .
- الريس . منير : الكتاب الذهبي للثورات العربية . حرب العراق . مطابع الف باء . دمشق . ١٩٧٧ .
- زعيتر . اكرم : الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٥ - ١٩٣٩ يوميات اكرم زعيتر ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية . بيروت . ١٩٨٠ .
- سلمان . سلمان رشيد : المانيا النازية والقضية الفلسطينية . شؤون فلسطينية . بيروت . ١٩٧٤/٣/٣١ .
- السويدي . توفيق : مذكراتي : نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية . دار الكاتب العربي . بيروت . ١٩٦٩ .
- شوكت . ناجي : سيرة وذكريات ثمانين عاما ١٨٩٤ - ١٩٧٤ . الطبعة الثالثة . مطبعة دار الكتاب . بيروت . ١٩٧٧ .
- الشيخ علي . علي محمود : اراء في القضية العربية وذكريات عنها . الجزء الأول . مطبعة السعدي . بغداد . ١٩٥٠ .
- الصباغ . صلاح الدين : فرسان العروبة في العراق . الشباب العربي . دمشق . ١٩٥٦ .
- العارف . عارف : تاريخ القدس ، دار المعارف . القاهرة . ١٩٥١ .
- العارف . عارف : المسيحية في القدس . مطبعة دير الروم الارثوذكسي . القدس . ١٩٥١ .
- العارف . عارف : تاريخ قبة الصخرة والمسجد الاقصى . لمحة عن تاريخ القدس . مطبعة دار الايتام الاسلامية الصناعية . القدس . ١٩٥٥ .
- العقيقي . نجيب : المستشرقون . الجزء الثاني . الطبعة الثالثة . دار المعارف بمصر . القاهرة . ١٩٦٥ .
- عوض . عبد العزيز محمد : الادارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤ - ١٩١٤ دار المعارف بمصر . القاهرة . ١٩٦٩ .
- الغوري . اميل : فلسطين عبر ستين عاما . جزءان . دار النهار . بيروت . ١٩٧٢ .
- فؤاد ، علي : كيف غزونا مصر : مذكرات الجنرال التركي علي فؤاد ، نقله الى العربية نجيب الارمنازي ، منشورات دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٦٢ .
- قاسمية ، خيرية : النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ - ١٩١٨ ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٣ .

- قاسمية ، خيرية : حديث لامين الحسيني ، شؤون فلسطينية ، عدد ٢٦ بيروت آب ١٩٧٤ .
- الكتاب المقدس ، جمعيات الكتاب المقدس المتحدة ، مطبعة جامعة كمبردج ، بيروت ، ١٩٥٠ .
- الكيالي ، عبد الوهاب : تاريخ فلسطين الحديث ، الطبعة الثالثة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٣ .
- الكيلاني. رشيد عالي : مذكرات رشيد عالي الكيلاني ، مجلة آخر ساعة . عدد ١١٦٨ ، القاهرة ، ١٩٥٧/٣/١٣ .
- لوشاتليه : غزو العالم الاسلامي، تلخيص وتعريب محب الدين الخطيب ومساعد اليافي ، منشورات العصر الحديث ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ .
- المنجد ، صلاح الدين : المستشرقون الالمان ، دار الكتاب الجديد ، بيروت . ١٩٧٨ .
- نديم ، محمود شكري : حرب فلسطين ١٩١٤ ـ ١٩١٨ . الطبعة الثالثة ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥ .
- الهاشمي ، طه : مذكرات طه الهاشمي ١٩١٩ ـ ١٩٤٣ . باشراف خلدون ساطع الحصري . دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٧ .
- هتلر ، ادولف : كفاحي ، منشورات المكتبة الاهلية ، بيروت بلا تاريخ .
- هرتزل ، ثيودور : يوميات هرتزل ، تحرير انيس صايغ ، ترجمة هيلدا شعبان صايغ ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٣ .
- هيرزويز ، لوكاز : المانيا الهتلرية والمشرق العربي ، ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- ياغي ، اسماعيل : حركة رشيد عالي ، بيروت ، ١٩٧٤ .

٤ ـ المؤلفات الأجنبية :

- Abu Manneh, B.: The Rise of the Sanjak of Jerusalem in the 19th Century, in «Studies on Palestine During the Ottoman Period», Jerusalem, 1975.
- Adler, H.G.: Die Juden in Deutschland, von der Aufklaerung bis zum Nationalsozialismus, Koesel- Verlag, Muenchen, 1960.
- Albright, W.F: The Archaeology of Palestine, Penguing Books, London, 1956.
- Allemagne et le Protectorat Français Imp.Sueur, charrueg,Arras,1899.
- Alonzo, Alphonse d':La Russie en Palestine, L. Boyer, Paris, 1901.
  :Les Allemands en Orient, Oscar Schepens et Cie, Bruxelles, 1904.

- Amin, A.M.: Deutsche Orientalpolitik heute, in Aussen,-politiks, 1/1954, Heft, I Stuttgrat, 1954.
- Anderson, M.S.: The Eastern Question, The Macmillan press, London, 1974.
- Baedeker, Karl: Palestine and Syria, Handbook for Travellers,. Kar Baedker Pubisher,Leipzig,1912.
- Ballod, Carl: Palestina als Jeudisches Ansiedlungsgebiet, Die Schriften des Deutschen Komitees Pro-Palaestina,Berlin, 1918.
- Ben-Arieh, J.: The Population of the large Towns in Palestine during the first eighty Years of the 19th Century, in «Studies on Palestine during the ottoman period», Jerusalem, 1975.
- Ben - Dor, Gabriel (ed.) The Palestinians and The Middle East Conflict, (An International Conference held at the Institute of Middle Eastern Studies, University of Haifa, April 1976.) Turtledove Publishing, Ramat Gan, 1978.
- Ben Elissar, E.: La Diplomatie du III Reich et les Juifs (1933 - 1939), Julliard, Paris, 1969.
-Bennathan, Esta: Die Demographische und Wirtschaftliche Struktur der Juden, Entscheidungsjahre 1932. Zur Judenfrage in der Weimar Rpublik, Tuebingen, 1966.
- Benson, A.C.: The Life of Edward White Benson, 2 Vols, London, 1899.
- Benzinger, J: Researches in Palestine in «Exploration in Bible Land During The 19th Century. by H.V. Hilprecht With Cooperation of J. Benzinger, Hommel, Jensen, Steindorf, T. And T. Clark Edinburgh, 1903.
- Blumenfeld, Kurt: Erlebte Judenfrage, Stuttgart, 1962.
- Bodenheimer, H.H: Die Zionisten und das Kaiserliche Deutschland, Bensberg, 1972.
- Bodenheimer, Max: So Wurde Israel, Erinnerungen von Dr. Max I. Bodenheimer, Frankfurt am Main, 1958.
- : The Memoirs of Max I. Bodenheimer (Translation), New York, London, 1963. (etidted by Hanriette Hannah Bodenheimer).
- Boehmer, J.: Palaestina im Lichte der gegenwaertigen Orient Krise, Stuttgart, 1909.
- Bonne, A.: The Economic Development of the Middle East, London, 1945.
- Bormann, M.: Le Testement Politique de Hitler , Paris, 1959.
- Bracher, Karl Dietrich: Kritische Betrachtung ueber das primat der Aussenpolitik in Festschrift Ernst Frankel Berlin, 1963.
- Brude - Firnau, Gisela: Vision und Politik, Die Tagesbuecher Theodor Herzls, Suhrkamp Verlag Taschenbuch, Frankfurt am Main, 1976.
- Brugger, Hans: Die Deutschen Siedlungen in Palaestina, Ihre Vorgeschichte, Gruendung und Entwicklung, NeujahreBlatt der Liberalischen, Gesellschaft Ber auf das Jahr 1909, Bern, 1908.

- Buelow, Bernhard Von: Memoirs Denkwuerdigkeiten, Berlin, 1930 (4Bde) (Translation) 4 vols, London, 1931.

- Bunsen, France: A Memoir of Baron Bunsen, 2 vols, London, 1968.

-Burkhardt, John, Lewis: Travels in Syria and the Holy Land, John Murray, London, 1822.

-Busch, Moritz: Eine Wallfahrt nach Jerusalem, Leipzig, 1881.

Carmel, Alex: Die Siedlungen der Wuerttembergischen Templer in Palaestina, 1868-1918, W. Kohlhammer Verlag, Stuttgart, 1973.

: Geschichte Haifas in der tuerkischen Zeit 1516-1918, Otto Harrassowitz, Wiesbaden, 1975.

:The Political Significance of German Settlement in Palestine 1868-1918, in «Germany and the Middle East 1835-1939, Jehuda L. Wallach-Editor, Tel-Aviv University Tel-Aviv, 1975.

:The German Settlers in Palestine and Their Relations with the local Arab Population and the Jewish Community 1868-1918, in «Studies on Palestine durning the Ottoman Period», Jerusalem, 1975.

-Cecil, L. and Ballin, Albert: Business and Politics in Imperial Germany, 1883-1918, Princeton, 1967.

Chateaubriand, François-René de: Itinéraire de Paris à Jerusalem, Nouvelle Edition, Garnier Frères, Paris, S.d.

- Christoph, Paulus: Die Temple Colonien in Palaestina, in «Zeitschrift des Deutschen Palaestina Vereins» (1883), vol. VI.

- Churchill, Winston: The Great Alliance, Cassel and Ltd., London,1950.

-Cohen, Ammon: Palestine in the 18th Century, The Magnes press, The Hebrew University, Jerusalem, 1973.

-Copping, Arthur E.: A Journalist in The Holy land. Glimpses of Egypt and Palestine, The Religions Tract Society, London, 1911.

- Cramer, Valmar: Ein Jahrhundert Deutschen Katholische Palastinamission 1855-1955, Druck und Verlag Bachem, Koeln, 1956.

- Cunningham, Allan: The Wrong Horse? A Study of Anglo-Turkish Relations Before the First World War, in «St. Anthony's Papers No. 17., Middle Eastern Affairs No. 4, Edited by Albert Hourani, Oxford University Press, London, 1956.

- Curtis, W.E: Today in Syria and Palestine, Chicago, 1903.

- Dahrendorf, Ralf: Gesellschaft und Demokratie in Deustschland, Muenchen, 1974.

- Das Heilige Land Und die Evangelische Liebesarbeit, Neuruppen, 1903.

-Davison, Roderic: Reform in the Ottoman Empire (1856-1876), New Jersy, 1963.

- Der Reichstagbrand: Die Provokation des 20 Jahrhunderts, Forschungsergeb nis Internationales Komitee zur Wissenschaftlichen Erforschung der Ursachen und Folgen des Zweiten Weltkrieges, Verlag der Freundeskreis, Luxemburg, 1978.

- Derogy, Jacques et Carmel Hesi: Histoire Secrète d'Israel, 1917-1977, Olivier Orban, Paris, 1978.

- Deuerlein, Ernst: Der Reichstag , 1871-1933, Deutscher Bundestag, Bonn, 1978.

:Der Aufstieg der NSDAP in Augenzeugenbericliten, Deutscher Taschenbuch Verlag, Muenchen, 1980.

- Dixon, W.H.: The Holy Land, 2vols, Leipzig, 1865.

Djemal Pasha: Memories of a Turkish Statesman 1913-1919 (Reprint Edition of Georg H. Doranco. Editon , New York 1922) Arno Press, New York, 1973.

- Drexler, Jeseph: Mit Jildirim ins Heilige Land, Ravensburg, 1919.

- Ducruet, J.: Les Capitaux Européens en Proche-Orient, Paris, 1964.

- Duroselle, J.-B. : Histoire Diplomatique de 1919 à nos Jours, 7e édition, Dalloz, Paris, 1978.

- Earle, E.M.: Turkey, The Great Powers and The Bagdad Railway , A Study in Imperialism, London-New York, 1923.

- Eden, Anthony: Freedom and order, Faber and Faber, London, 1947.

:The Reckoning, Cassel, London, 1960.

- Eliav, M.: German Interests and the Jewish Community in the 19th Century Palestine, in «Studies on Palestine During The Ottoman, Period», Jerusalem, 1975.

- Famchon, Y. et Leruth, M.: L'Allemagne et le Moyen - Orient, Paris, 1957.

- Farhi, David: Documents on the Attitude the Ottoman Government towards the Jewish Settlement in Palestine after the Revolution of the Young Turks (1908-1909), in Studies on Palestine during the Ottoman Period , Jerusalem, 1975.

- Feilchenfeld (Werner), Michaelis (Dolf) und Pinner (Lndwig): Haavara-Transfer nach Palaestina und Einwanderung deutscher Juden 1933-1939, J.C. B. Mohr, Tuebingen, 1972.

- Fischer, Fritz: Griff nach der Weltmacht, Duesseldorf, 1967.

- Fisher-Werth, K.: Amin Al-Husseini,Berlin, 1943.

- Frankl, Ludwig August: Nach Jerusalem, 3Bde., Leipzig, 1858-1860.

:The Jews in the East, 2 vols (Translation of «Nach Jerusalem» by P. Beaton Reprint of the 1859 edition published by Hurst and Blackett, London.) Green-

wood press Publisher, Westporl, Connecticut, 1975.
- Frankin G.E.: Palestine Depicted and Described, J.M. Dent and Sons, London, 1911.
- Freytagh - Loringhoren, Axel Freiherr Von: Deutschlands Aussenpolitik 1933-1941, 10 Auflage, Verlagsanstalt otto stollberg, Berlin, 1942.
- Friedman, Isaiah: Germany, Turkery and Zionism 1897-1918, At The Clarendon press, Oxford, 1977.
- Furlonge, Geoffrey: Palestine is My Country, The Story of Musa Alami, John Murray, Lonon, 1969.
- Geschichte der Deutschen Evangaelische Kirche und Mission im Heiligen Lande, Druck und Verlag von C. Bertelsmann, Guetersloh, 1898.
-Gilbert, Martin: The Arab-Israeli Conflict, Its History in Maps, Revised Edition, Weidenfeld and Nicolson, London 1976.
- Goerlitz, W.: Der Zweite Weltkriege, Stuttgart, 1951
-Goetz, K.: Das Deutschtum in Palaestina, Mitteilungen der Deutschen Akademie, Muenchen, 1931.
- Goldmann, Nahom: Statatsmann Ohne Staat, Koeln-Berlin, 1970.
- Gontaut- Biron, Comte de: Comment la France s'est installée en Syrie 1918-1919, Plon, Paris, 1922.
- Goodrich - Freer, A.: In a Syrian Saddle, Methuen and co., London, 1905.
- Grimberg, Carl, Sranstroem, Ragnar et Dumont Georges-H:Histoire Universelle, De la Faillite de la Paix à la Couquête de L'Espace, Marabout Université, Verviers (Belgique), 1974.
- Grobba, Fritz: Maenner und Maechte im Orient, Musterschmidt Verlag, Goetingen, 1967.
- Grothe, Hugo: Bevoelkerung und Wirtschaftliche Lage der Schwaebischen Ansiedlugen in Palaestina, Palaestina 1, 1902.
- Grunwald, Kurt: Pénétration Pacifique- The Financial Vehicles of Germany's «Drang Nach dem Osten,», in «Germany and the Middle East, Tel Aviv, 1975.
- Hajjar, J.: L'Europe et les Destinées du Proche - Orient 1815 - 1848, Blud et Gay, Tournai (Belgique), 1970.
- Haller, Johannes: Philip Eulenburg: The Kaiser's Friend. Translated by E. C. Mayne,2 vols, London, 1930.
- Hallgarten G. und Radkan, J.: Deutsche Industrie und Politik von Bismarck bis Heute, Frankfurt/M-Koeln, 1974.
- Halpern, Ben: The Idea of The Jewish State, Harvard Middle Eastern Studies 3,

2nd Edition, Harvard University press, Cambridge, Massachusetts, 1969.

- Hardegg, G.D.: Mitteln zur Loesung des sozialen Frage, Verlag von Carl Scholer, Stuttgart, 1866.
  : Das Ewige Evangelium , Verlag Von Carl Scholer, Stuttgart, 1866.
  :Die Tuerkische Frage oder die Sechste Zornschale, Messler Buchdrucker, Stuttgart, 1877
- Harper, Henry A.: Walks in Palestine, The Religions Tract Society, London, 1889.
- Hecker, M..: Railways 1888-1914, in «The Economic History of The Middle East 1800-1914, By Charles Issawi (editor)»,The University of Chicago press, Chicago 1966.
- Helchers, W.H.: The Jerusalem Bishcopric, London, 1883.
- Helfferisch, Karl: Die Deutsche Tuerkenpolitik, Berlin, 1929.
- Hentig, W.O. von: Mein, Leben eine Dienstreise, Goettingen, 1962.
- Herzl, Theodor: Der Judenstaat, Koeln 1914.
  : The Complete Diaries of Theodr Herzl ed. Raphael Patai, Trans, Harry Zohn, Herzl press and Thomas Yoseloff, London, 1960. (5 vols).
- Hildebrand, Klaus:DeustschlandsAussenpolitik 1933-1945, 3 Auflage, Verlag W. Kohlhammer, Stuttgart, 1976.
- Hilferding, Rudolf: Das Finanzkapital, Wien, 1923.
- Himadeh, Said B.: Economic Organization of Palestine, American University, Beirut, 1938.
- Hirzsowicz,Lukasz: The Third Reich and the Arab East, Translated frome the Polish (III Rzesza I Arabski Wschod Warsaw 1963) Routledge and Kegan Paul Ltd., University of Toronto press, Toronto- London, 1966.
- Hofer, Walter: Die Entfesselung des Zweiten Weltkrieges (Eine studie ueber die Internationalen Beziehungen im sommer 1939 mit Dokumenten), S. Fischer Verlag, Frankfurt -Main, 1964.
  :Der Nationalsozialismus, Dokumente 1933-1945, Fischer Buecherei, Frankfurt/Main 1957.
- Hoffmann, Christoph: Gedichte und Lieder, Druck und Verlag von J.F. Steinkopf, Stuttgart, 1869.
  : Okzident und Orient: Eine kulturgeschichte Betrachtung vom Standpunk der Tempelgemeinden in Palaestina, Druck and Verlag J. F. Steinkopf, Stuttgart, 1875.
  : Sendschreiben ueber den Tempel und die Sakramente, das Dogma ueber die Dreieinigkeit und von der Gottheit Christi, Sowie ueber die Versoehnung der

Menschen mit Gott. Warte des Tembels, Stuttgart, 1878.

: Mein Weg nach Jerusalem

I Teil: Erinnerungen aus meiner Jugend.

II Teil: Erinnerungen des Mannesalters, Verlag von ch. Hoffmann, Jun. Jerusalem, 1881, 1884.

- Hoffmann, J.: Die Wirtschaftliche Arbeit der Templer in Palaestina, Deutsches Orient - Jahrbuch, 1913.

- Hoffmann, Karl: The struggle for oil in Iraq, in «The Economic History of the Middle East 1800-1914 (ed.) Charles Issawi» The University of Chicago Press, Chicago, 1966.

- Hohenlohe - Schillingsfuerst Prince: Memoirs of Prince Schlodwig of Hohenlohe - Schillingsfuerst, ed. Friedrich Curtius, 2 vols, London, 1907.

- Hohlfeld, Johannes: Deutsche Reichsgeschichte in Dokumenten 1849-1926, Deutsche Verlaggesellschaft fuer Politik und Geschichte 2 Bde, Berlin, 1927.

- Holborn, Hajo: Deutschland und die Tuerkei 1878-1890, Berlin, 1926.

- Holdheim, Gerhard: Der Zionismus in Deutschland, in «Sueddeutsche Monatshefte 12/1930.

: Politischer zionismus, Hanover, 1964.

- Hurewitz, J.C.: Diplomacy in the Near and Middle East. 2vols., D. Van Nostrand, 2nd Edition, Princeton, 1958.

- Hummel, Hans and Siewert, Wulf: Der Mittelmearraum Zur Geopolitik eines Maritimen Gerossraumes, Kurt Vowinckel Verlag, Heidelberg- Berlin, 1936.

- Hurlbut, Jesse Lymann : Traveling in the Holy land Through The Stereoscope, Underwood and underwood, New York, 1900.

- Hyamson, Albert M.: The British Consulate in Jerusalem in Relation to the Jews of Palestine (1838-1914), 2 vols., Edward Goldston, Published by «The Jewish Historical Society of England», London, 1941.

: British Projects for the Restauration of Jews to Palestine in «Publications of the American Jewish Historical Society, No.: 26, New York, 1918».

- Inchbold, A. C.: Under the Syrian Sun, 2vols,. Lonon, 1906.

- Ingrams, Doreen: Palestine Papers 1917-1922, Seeds of Conflict, John Murray, London, 1972.

- Issawi, Charles(Ed.) : The Economic History of the Middle East 1800-1914, The University of Chicago Press, Chicago, 1966.

- Jabotinsky, Vladimir: Turkey at the War, London, 1917.

- Joehlinger, Otto: Bismarck und die Juden, Berlin, 1921.

- Karpat, Kemal H. (Ed): Political and Social Thought in the Contemporary Middle East, Pall Mall Press, London, 1968.

- Khadduri, M.: Independant Iraq, 2nd Edition, Oxford Univesity press, London, 1960.

- Khader, Bichara: Histoire de la Palestine, Tome Premier, Maison Tunisienne de l'édition, Alger, 1976.

- Kimche, John and David: The Secret Roads, The «Illegal» Migration of a People 1938-1948, Secker and Warburg, London, 1954.

- Kirk, George: The Middle East in the War, Oxford University press, 3rd Edition, London, 1954.

- Kressentein, Friedrich Kress von: Mit den Tuerken zum Suezkanal Berlin, 1938.

- Lamartine, A.M.L.: Souvenirs, Impressions, Pensées et Paysages pendant un Voyage en Orient, 2 vols., Paris, 1849.

- Lange, Friedrich: Geschichte des Tempels, Verlag von Ch. Hoffmann, Jerusalem, 1899.

: Kurze Darlegung der Entstehung und des strebens der Tempelgesellschaft. und ihrer Kolonien im Heiligen Lande, Verlag von Ch. Hoffmann, Jerusalem, 1904.

- Langer,, William L.: The Diplomacy of Imperialism 1890- 1902, New York - London, 1935 (2vols.)

- Lansing, Robert: War Memoirs, London, 1935.

- Laqueur, Walter: A History of Zionism, London, 1972.

- Laubach, Ernst: Die Politik der kabinette Wirth, Mathhiesen Verlag, Luebeck-Hamburg, 1968.

-Lehmann, Walter: Die Kapitulationen, Weimar, 1917.

- Lewin, Evans: The German Road to the East, William Heinemann, London, 1916.

- Lichtheim, Richard: Das Programm des Zionismas, Berlin, 1911.

: Der Geschichte des deutschen Zionismus, Verlag Rubin Mass, Jerusalem, 1954.

: Rueckkeher Lebenserinnerungen aus der Fruehzeit des deutschen Zionismus, Stuttgart, 1970.

- Loewenstein, Durt: Die inner Juedische Reaktion auf die Krise der deutschen Demokratie in «Das Kritische Jahr 1932. «Tuebingen 1966.

- Loewenthal, Marvin: The Jews of Germany, Philadelphia, 1944. : The Diaries of Theodor Herzl, Victor Gollancz Ltd., London, 1958.

- Lorch, Fritz: Die Deutschen Tempel Kolonienin Palaestina, Metteilungen und Nachrichten des Deutschen Palaestina-Verein, 1909.

- Loyoson, Hyacinthe: To Jerusalem Through The Lands of Islam Among Jews, Christians and Moslems, The Open Court Publishing, Co., Chicago, 1905.

- Mac Munn, George and Falls, Cyril (eds.,): Military Operations in Egypt and Palestine, vol. 1, London, 1928-1930.

- Mandel, Neville; Turks, Arabs and Jewish Immigration into Palestine 1882-1914, in «Middle Eastern Affairs, No. 4, St.Anthony'sPapers, No. 17, edited by Albert Hourani, Oxford University Press, London, 1965.

- Mann, Golo : Deutsche Geschichte des 19,und 20. Jahrhunderts, S. Fischer Verlag, Frankfurt/Main 1969.

- Maoz, Moshe: Ottoman Reform in Syria and Palestine,1840-1861,London, 1968

: Studies on Palestine During the Ottoman Period, The Magness Press, Jerusalem, 1975.

: Palestine Arab Politics, Truman Institue Studies, Middle East Series, The Hebrew University, Jerusalam, 1975.

- Marie - Bernard du Sacre Coeur, R.P.: Le Mont Carmel, Paris, 1911.

- Maroun, Salah: Der Westen und Palaestina, Rustatt, 1973.

- Maser, W: Die Fruegeschichte der NSDAP, Frankfurt - Athenaeum, 1965.

- Maximillian, Alexander F.: The Memories of Prince Maximillian of Baden Trans, W.M. Calder and S.W.H. Sutton, Lonon, 1928 (2 Vols,).

- Mayer, Philip: Erinnerungen aus Jerusalem und Palaestina, Muenchen, 1858.

- Medlicott, W.N.: The Congress of Berlin and After, A Diplomatic History of The Near Eastern Stetlement, 1880, London, 1938.

- Meinertz G.: Ein Jahrhundert Kampf umden Besitz und die Erhaltung der Heiligen Staetten in Das Heilige Land, vol. III, 1941.

- Meyer, Henry C.: Mitteleuropa in German Thought and Action 1815-1945, The Hague, 1955.

-Minerbi, Sergio: L'Italie et la Palestine 1914-1920, P.U.F., Paris, 1970.

- Mirbach, Freiherr von: Das Deutsche Kaiserpaar im Heiligen Landes. Ernst Siegfried Mittler und Sohn, Berlin, 1998.

- Mohrmann, Walter: Antisemitismus, Berlin, 1972.

- Moltke, Field - Marshall Count Helmuth von: Essays, Speeches and Memoirs, (English Translation), London, 1893.

· Briefe ueber Zustaende und Begebenheiten in der Tuerkei aus den Jahren

1835 bis 1839, Berlin 1893.
: Vermischte Schriften 2 Bde, Berlin 1893.

- Moore, John Northon: The Arab- Israeli Conflict, Readings and Documents, Princeton University press, Princeton, 1977.
- Muehlmann, Carl: Deutschland und die Tuerkei 1913-1914, Berlin, 1929.

: Das Deutsch-Teurkische Waffenbuendnis im Weltkrieg, Leipzig, 1940.

- Mueller-Werth, H.: Friedreich Rosen. Wiesbaden 1969.
- Muenz, Sigmund: Prince Buelow, The Statesman and man (Eng trans)., London 1935.
- Naumann, Friedrich: Mitteleuropa, Berlin 1915.
- Neil, James: Palestine Explored, 12 th Ed., James Nisbet and Co., London, 1907.
- Niebuhr, Carsten: Entdeckungen im Orient, Reise nach Arabien und anderen Laendern, 1761-1767, Horst Erdmann Verlag, Tuebingen - Basel, 1975.
- Nippold, Friedrich: Christain Carl Josias Freiherr von Bunsen aus seinen Briefen und nach einiger Erinnerung geschildert von seiner witwe, 3 Bde., Leipzig, 1868-1871.
- Oliphant, Laurence: Haifa, or life in Modern Palestine, Edinburgh, 1887.

: Memoir of The Life of Laurence Oliphant and of Alice Oliphant, His life, 2 vols., Edinburgh, 1891.

- Overbeck, Alfred von: Die Kapitulationen des Osmanische Reiches, Breslau, 1917.
- Palestine Exploration Fund: The city and the Land, Lectures, London,

:Thirty Years' Work in the Holy Land 1862-1892, A.A. Watt and Son, London, 1895.

- Papen, Franz von: Die Wahrheit eine Gasse, Paul List Verlag, Muenchen, 1952.

: Memoires Traduit de L'Allemand par Max Roth, Flammarion Paris, 1953.

- Paucher, Arnold: Der Juedische Abwehrkampf gegen Antisemitismus und Nationalsozialismus in den letzten Jahren der Weimar Republik, Hamburg, 1968.
- Pearlman, M.: Mufti of Jerusalem, London, 1947.
- Pichon, Jean: Les Origines orientales de la Guerre Mondiale, Charles Lavauzelle, Paris, 1937.
- Pick, Penhas Walter: German Railway Construction in the Middle East, in «Ger-

many and the Middle East, Tel Aviv, 1975.

- Pinon, René: L'Europe et L'Empire Ottoman Perrin et Cie, Paris, 1908.
- Poidevin, Raymond: Les Relations Economiques et Financières entre la France et L'Allemagne de 1898 à 1914, Armand Collin Paris, 1969.
- Poliakov, Leon und Wulf, Joseph: Das Dritte Reich und die Juden, K.G. Saur, Muenchen, 1978.
- Polkeh, Klaus: Zionism and Kaiser Wilhelm, in «Journal of Palestine Studies, vol. IV., No. 2, Beirut, 1975.

  : The Secret contact: Zionism and Nazi Germany 1933-1941, Journal of Palestine Studies 19/20 Spring-Summer 1976, vol. V., Nos, 3,4, Beirut, 1976.
- Popoff, Alex: La Question des lieux Saints de Jerusalem dans La Correspondance diplomatique russe du XIX Siècle, St, Petersbourg, 1910 (1 vol.).
- Porath, Y.: The Emergence of the Palestinian Arab National Movement 1918-1929, Frank Cass, London, 1974.

  : The Palestinian Arab National Movement, From Riots to Rebellion, 1929-1939, Frank Cass, London, 1977.
- Prothero, G.W.: German Policy Before the War, London, 1916.
- Rathmann, Lothar: Stossrichtung Nahosten, zur Expansion des deutschen Imperialismus im Ersten Weltkrieg 1914-1919, Berlin 1963.
- Razzouk, Ass'ad: Greater Israel, A Study in Zionist Expansionist Thought, Palestine Books No. 13, Palestine Liberation Organisation, Research Center, Beirut, 1970.
- Reichstaagsreden, 3, Baende, AZ Studio, Bonn, 1972-1974.
- Richter, Julius: A History of Protestant Missions in the Near East (Reprinted from the edition of 1910), AM press, Newy York, 1970.
- Reisser, Dr.: Deutsche Bank, Frankfurt/Main, 1970.
- Rinnot, Moshe: Hilfsverein der deutschen Juden, Creation and Struggle, Jerusalem, 1971.
- Ritter, Carl: The Comparative Geography of Palestine and the Sinaitic Peninsula, (translated and adapted to the use of Biblical Students by William L. Gage) Greenwood Press, New York, 1968 (4 vols).
- Roehricht, R.: Die Deutschen im Heiligen Lande, Innsbruck, 1894.
- Rohde, H.: Deutschland in Vorderasien Berlin, 1916.
- Rosen, Friedrich: Oriental Memoirs of a German Diplomatist, Methuen and Co. London, 1930.

- Rosenberg, Alfred: Die Spur des Juden im Wandel der Zeiten, Muenchen, 1937.
- Rotschild, Julius J.: History of Haifa and Mount Carmel, Jerusalem, 1934.
- Roumani, A.: Essai Historique et Technique sur la Dette Publique Ottomane, Paris, 1927.
- Ruppin, Arthur: Syrien als Wirtschaftsgebiet, 2nd Edition, Berlin, 1920.
: Memoirs, Diaries, Letters (ED). Alex Bein, New York, 1971.
- Saint - Sauveur, Albert du: Le Sanctuaire de Mont carmel, Lille, 1897.
- Samuel Edwin: A lifetime in Jerusalem The Memoirs of the Second Viscount Samuel, Israel University Press, Jerusalem, 1970.
- Samuel, Herbert: Memoirs of the Right Honorable Viscount Samuel, Crescent Press, London, 1945.
- Schaefer, E.: Die Juden Vornemlich, Berlin 1913.
- Schegg, Peter: Gedenkbuch einer Pilger - Reise nach dem Heiligen Land, Muenchen, 1867.
- Schmelz, U.O: Some Demographic Peculiarities of Jerusalem in the 19th Century, in «Studies on Palestine During the Ottoman Period» Jerusalem, 1975.
- Schmitz, L.: The Late Baron Bunsen London, 1862.
- Schneller,Theodor ;Vater Schneller,ein Patriarch der evangelischen Mission im Heiligen Lande, Leipzig, 1898.
- Scholz, J.M.A: Reise in die Gegend zwisthen Alexandria und Paratonium, Egypten, Palaestina und Syrien, Leipzig, 1822.
- Schubert, G.H. von: Reise in das Morgenland in den Jahren 1836, 3 Bde. Erlangen 1838-9.
- Schulz, E.W.: Reise in das Gelobte Land, Muehlheim ander Ruhr, 1853.
- Seetzen Ulrich Jasper: Reisen Durch Syrien, Palaestina, Phoenicien, die Trans-Jordan Laender, Arabia Petraea und Unter Aegypten 4 Bde, Berlin 1854-9.
- Seidel, Hans-Joachim: Der Britische Mandatstaat Palaestina im Rahmen der Weltwirtschaft, Watter der Gruyter und Co., Berlin-Leipzig, 1926.
- Seifert, H.E.: Der Aufbruch in der Arabischen Welt, Berlin, 1941.
- Sepp, J. N.: Jerusalem und das Heilige Land,2Bde. Schaffhausen 1873, Regensburg, 1876.
- Sokolow, Nahum: History of Zionism, 2 vols, London, 1919.
- : Hibbath Zion (The Love for Zion), Rubin Mass, Jerusalem, 1935.
- Sousa, Nasim:The Capitulary Regime of Turkey,Its History, Origins and Nature, Baltimore, 1933.

- Spehl, Helmut: Spaetfolgen einer kleinbuergerinitiative Deutschland, Israel und die Palaestinenser, Bd. 2, Materialen und Korrespendenzen, Druckerei Karl Schillinger, Freiburg, 1979.
- Stein, Leonard: The Balfour Declaration, Vallentine and Mitchell, London, 1961.
- Stevens Richard P.: Zionism and Palestine Before the Mandate, The Institute for Palestine Studies, Beirut, 1972.
- Stewart, Desmond: Theodor Herzl, Doubleday and Co., New York, 1974.
- Strauss, Friedrich A.: Sinai und Glogotha, Berlin, 1853.
- Suvla, Rafii - Sukru. The Ottoman Debt 1850-1939 in «The Economic History of the Middle East 1800-1914, The University of Chicago Press, Chicago, 1966.
- Thèry, Edouard: Les Finances Ottomnes, Paris, 1907.
- Thieme, Karl: Judenfeindenschaft, Fischer Buecherei, Frankfurt am Main, 1963.
- Thomson, W.M.: The Land and the Book or Biblical Illustrations, T. Nelson and Sons, Edinburgh, 1873.
- Tibawi, A. L: British Interests in Palestine, Oxford University Press, London, 1961.
- Tillmann, Heinz H.: Deutschlands Araberpolitik im Zweiten Weltkrieg, Berlin, 1965.
- Tischendorf, Constantin von: Aus dem Heiligen Land, Leipzig, 1862.
- Tobler, Titus: Bibliographia Geographiea Palaestinae, Leipzig, 1867.
- Treue, Wolfgang: Deutschland seit 1848, Geschicthe der Neusten Zeit, Wiesbaden 1968.
- Trevor - Roper, H.R.: Hitler's Secret Conversations 1914-1944, New York, 1953.
- Trumpener, Ulrich: Germany and the Ottoman Empire 1914-1918, Princeton Unversity press, Princeton, 1968.
- Van de Velde, C.W.M.: Reise durch Syrien und Palaestina, 2Bde., Leipzig, 1855-6.
- Verney, N. et Dambmann, G: Les Puissances Etrangères dans le Levant, en Syrie et en Palestine, Paris 1900.
- Visino, J.: Meine Wanderung nach Palaestina, Passau, 1840.
- Vital, David: The Origins of Zionism, The Clarendon Press, Oxford, 1975.
- Wahlinowski, T.: Die Deutsche Bundes Republik, Israel und Poland, Warschau, 1968.
- Walker, B.: The Future of Palestine, London, 1881.
- Wallach, Jehuda L.(ed.) : Germany and the Middle East 1835-1939, International

Symposium, April 1975, Jahrbuch des Institut fuer Deutsche Geschichte Beiheft 1, Tel-Aviv University, press Tel Aviv, 1975.

- Warburg, Otto: Deutsche Kolonisationsbestrebungen in Tuerkischen Orient, Altenland Vol, II, 1905.

- Watti, Mohamed Mostafa: Analyse des Nationales Interesses am Beispiel der Deutsch-Arabisch Beziehung, Studienverlag Dr, N. Brockmeyer, Bochum, 1976.

- Wavell, Archibald p.: The Palestine Campaigns, Constable and co. 3rd Edition, London, 1932.

- Weber, Max: Der Nationalstaat und die Volkswirtschaftspolitik, Akademische Antrittsrede in: «Gesammelte Politische Schriften Hrsg. v. j. Winkelman Tuebingen 1958.

-Weisgal, M. and Carmichael, J.(eds.) : Chaim Weizman, A Biography by several Hands, New York, 1963.

- Weizman, Chaim: Trial and Error, The Autobiography, Hamish Hamilton 3rd Impression, London, 1949.

- Weizsaecker, Ernstvon: Erinnerungen, List, Muenchen, 1950.

: Die(Ernst) von Weizsaecker Papiere 1933-1950, Leonidas E Hill, Frankfurt/Main, 1974.

- Wertheimer, Mildred S.: The Pan-German League 1880-1914, New York, 1924.

- Weidenfeld, K.: Die Deutsch-Tuerkischer Wirtschaftsbeziehungen, Muenchen, 1951.

-Wiener, Alfred: Kritische Reise durch Palaestina, Berlin, 1927.

:Juden und Araber in Palaestina, Berlin, 1929.

- Wolf, Philip: Jerusalem, Leipzig, 1857.

-Wright, J.E.: Round About Jerusalem, Harrolds Publishers, London, 1918.

- Wright, Thomas (ed.): Early Travels in Palestine, Ams press, New York 1969 (Reprinted from the edition of 1848)

- Yisraeli, David: Germany and Zionism in «Germany and the Middle East», Tel-Aviv, 1975.

- Zechlin, Egmont: Die Deusche politik und die Juden im Ersten Weltkrieg Goettingen 1969.

- Zionist Organisation: Report of the Executive of the Zionist Origanisation submitted to the XIX Zionist Congress at Lucerne , August 20th-30the , 1935, Published by the Central office of the Zionist Organisation, London, 1935.

الصحف والمجلات :

١ ـ باللغة العربية :

- آخر ساعة ، مجلة اسبوعية مصرية تصدر في القاهرة ، ١٩٥٧ .
- الاهرام صحيفة يومية مصرية تصدر في القاهرة ١٩٠٠ ـ ١٩١٨ .
- الوقائع الفلسطينية ، الجريدة الرسمية لحكومة فلسطين في عهد الانتداب ١٩٢٢ ـ ١٩٤٥ .

٢ ـ باللغات الاجنبية :

- Berliner-Lokalanzeiger, Berlin, 1918.
- Journal of Palestine Studies, A Quarterly on Palestine Affairs and the Arab-Israeli Conflict, Beirut, 1975, 1976.
- Juedische Rundschau, Berlin, 1897-1918.
- Mitteilungen und Nachrichten des Deutschen Palaestina Vereins Leipzig, 1895-1912.
- Monatshefte fuer Auswaertige Politik, in Gemeinschaft mit dem Hamburger Institut fuer Aussen Politische Forschung, Berlin, 1933-1945
- Sueddeutsche Warte, Stuttgart 1845-1912.
- Die Welt, Wien, 1897-1918.
- Zeitschrift des Deutschen Palaestina - Verein, Kolen, 1885-1945.

كشـــاف الأعـــلام

- ب -

ـ ت ـ

- ج -

- ذ -

- ر -

- ز -

- س -

- ش -

ـ ص ـ

ـ ض ـ

ـ ط ـ

- ع -

- غ -

- ف -

- ق -

ـ ك ـ

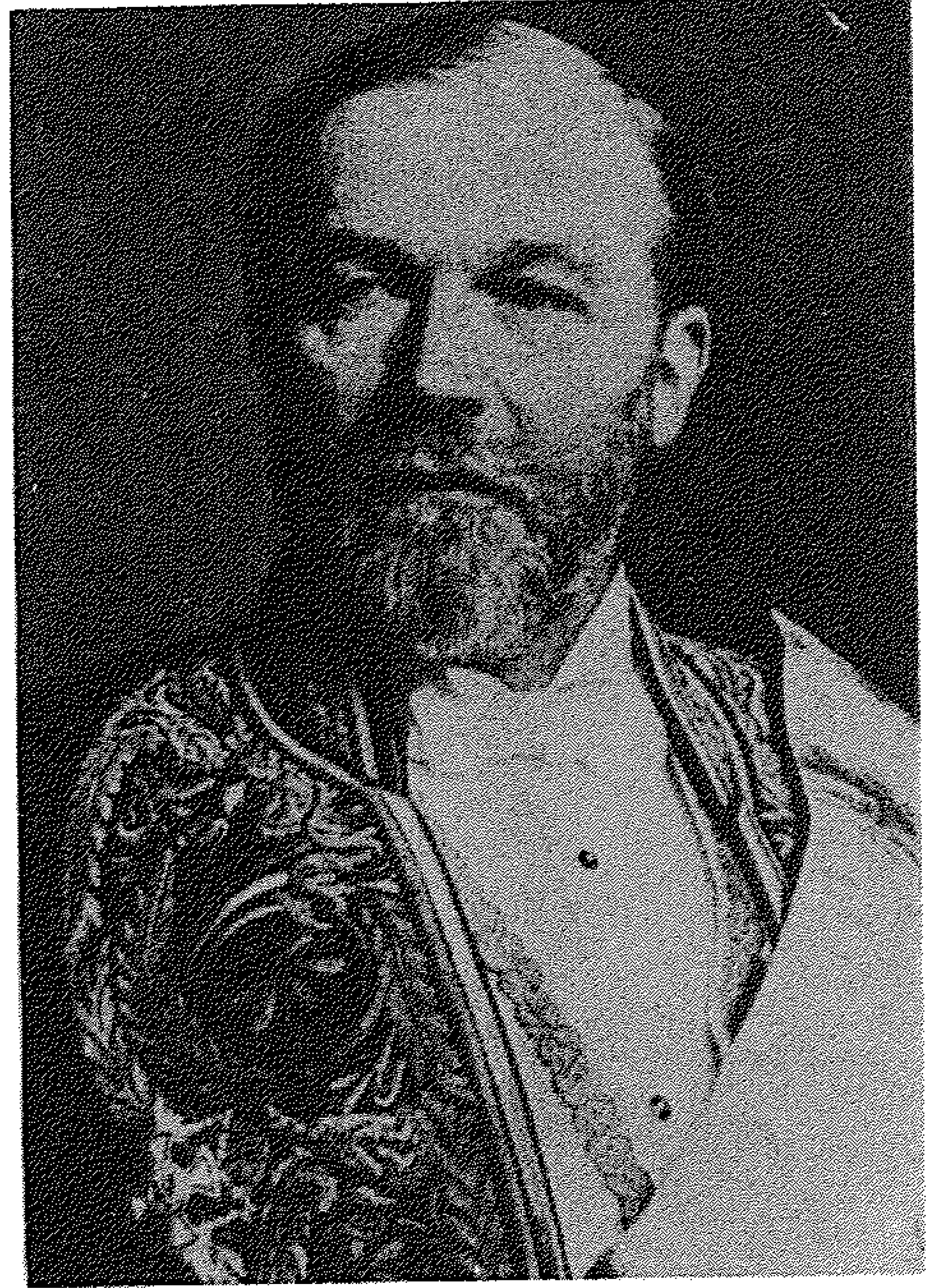
ـ ل ـ

- م -

- و -

- ي -

صـــــور
ووثـــــائق



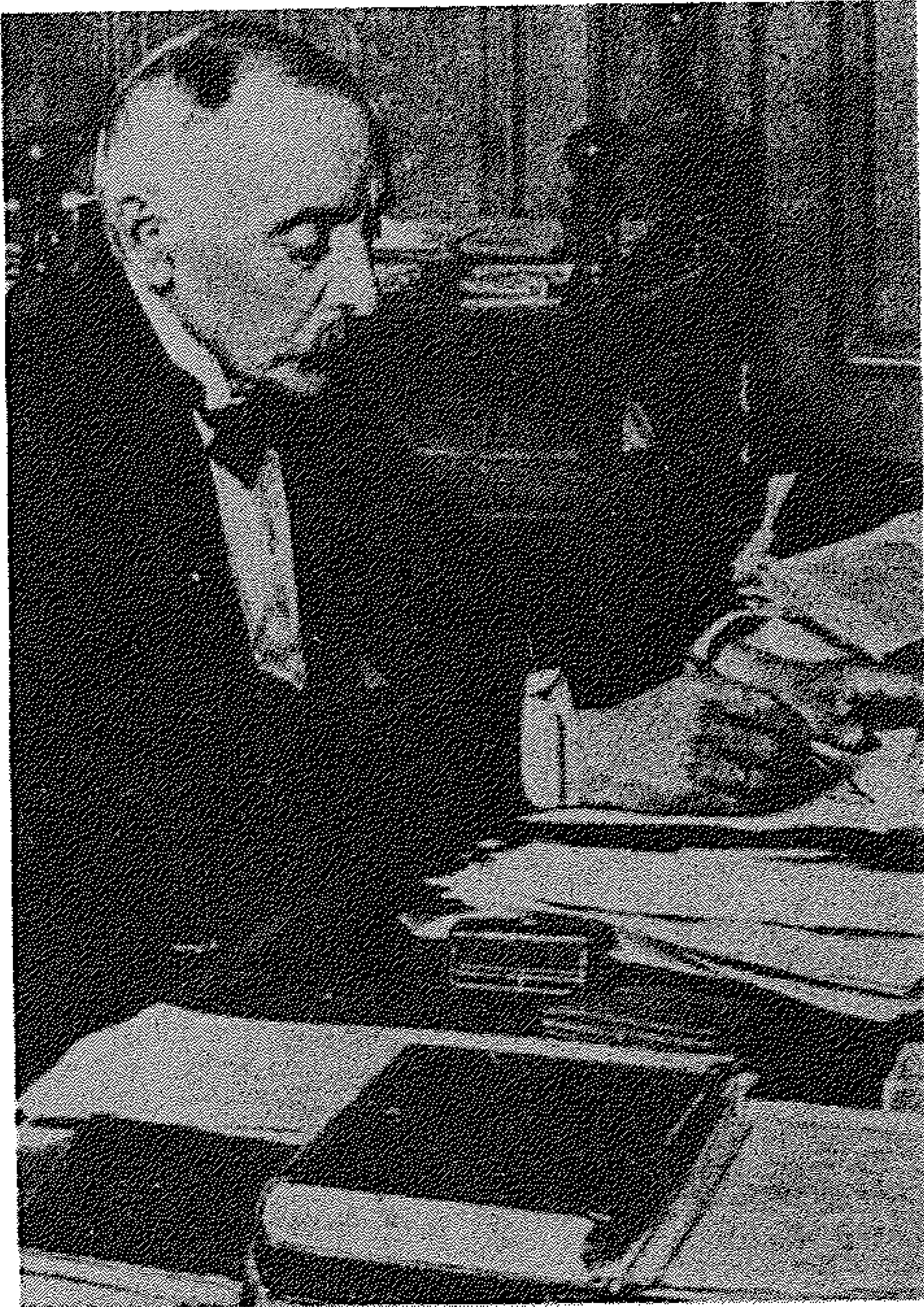
الامير الالماني فيليب تسو اويلنبورغ وزير البلاط لدى القيصر الالماني فيلهلم الثاني



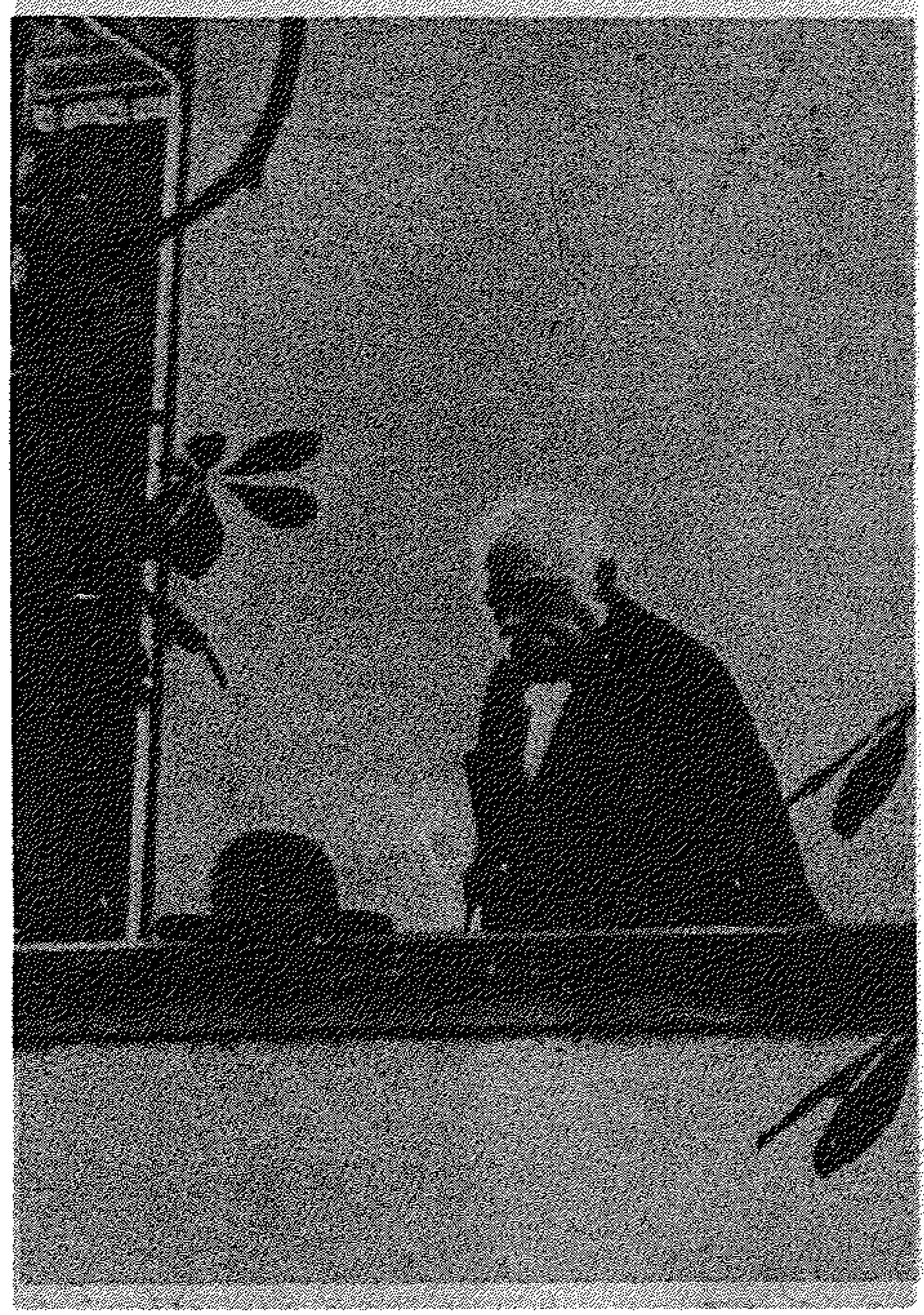
الحاج محمد امين الحسيني



كريستوف هوفمان مؤسس جمعية الهيكل الالمانية (١٨١٥ - ١٨٨٥)



شلود فيج فون هوهنلوه - شلنجفورست مستشار المانيا في عهد فيلهلم الثاني



اوتوفون بسمارك ، مستشار المانيا بين ١٨٧١ و ١٨٩٠



فريدريش كيلر ، نائب القنصل الالماني في حيفا الذي ساهم في تأسيس اول مستعمرة هيكلية المانية فيها عام ١٨٦٩ .



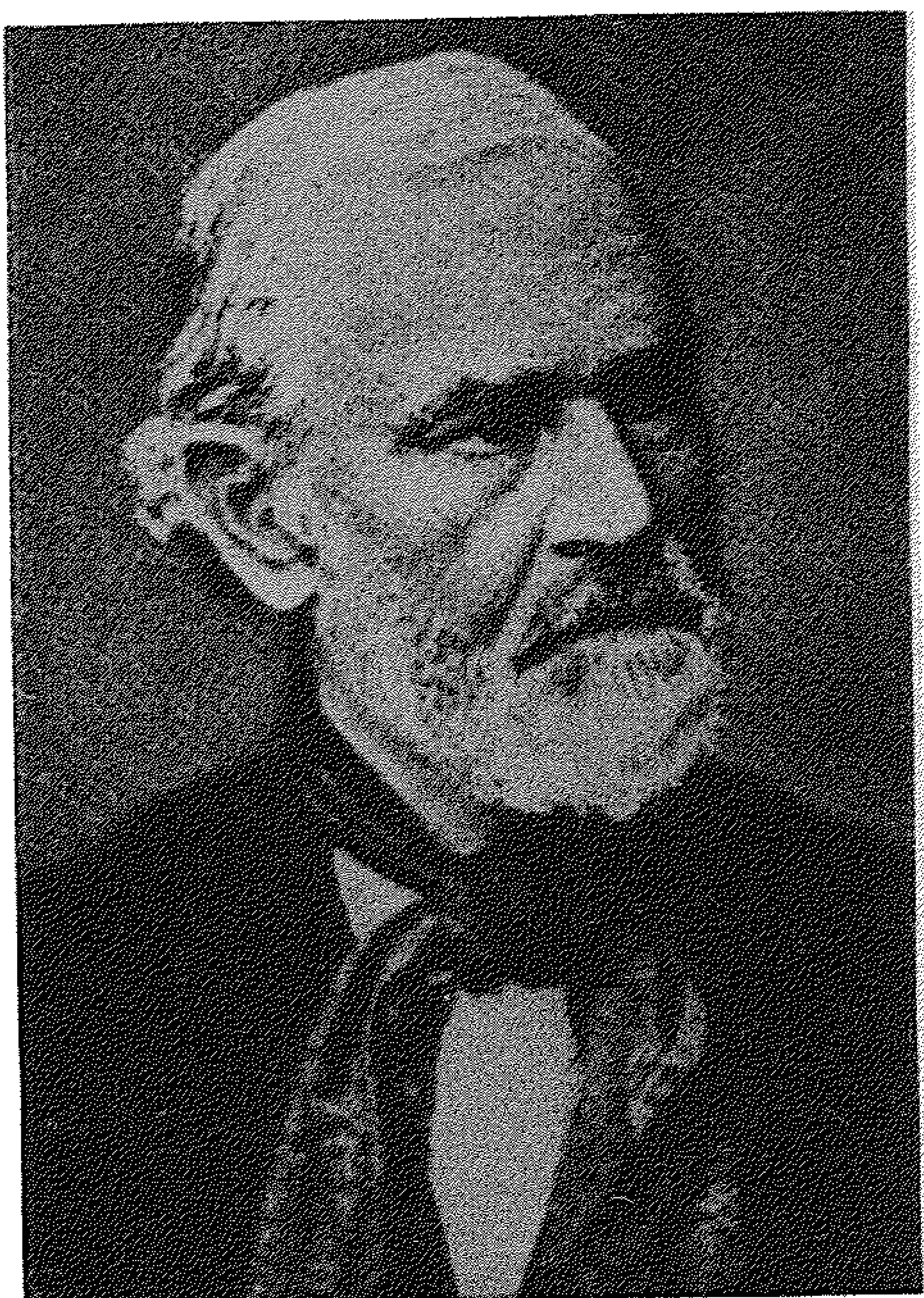
البارون مارشال فون بيبرشتاين سفير المانيا في اسطنبول ووزير خارجيتها اثناء الحرب العالمية الأولى



المستشار الالماني فون بيلوف والامير فون ميرباخ



المبشر الكاثوليكي الالماني لاديسلاوس شنايدر .



جورج دافيد هارديج المؤسس المشارك في جمعية الهيكل الالمانية (١٨١٢ - ١٨٧٩)



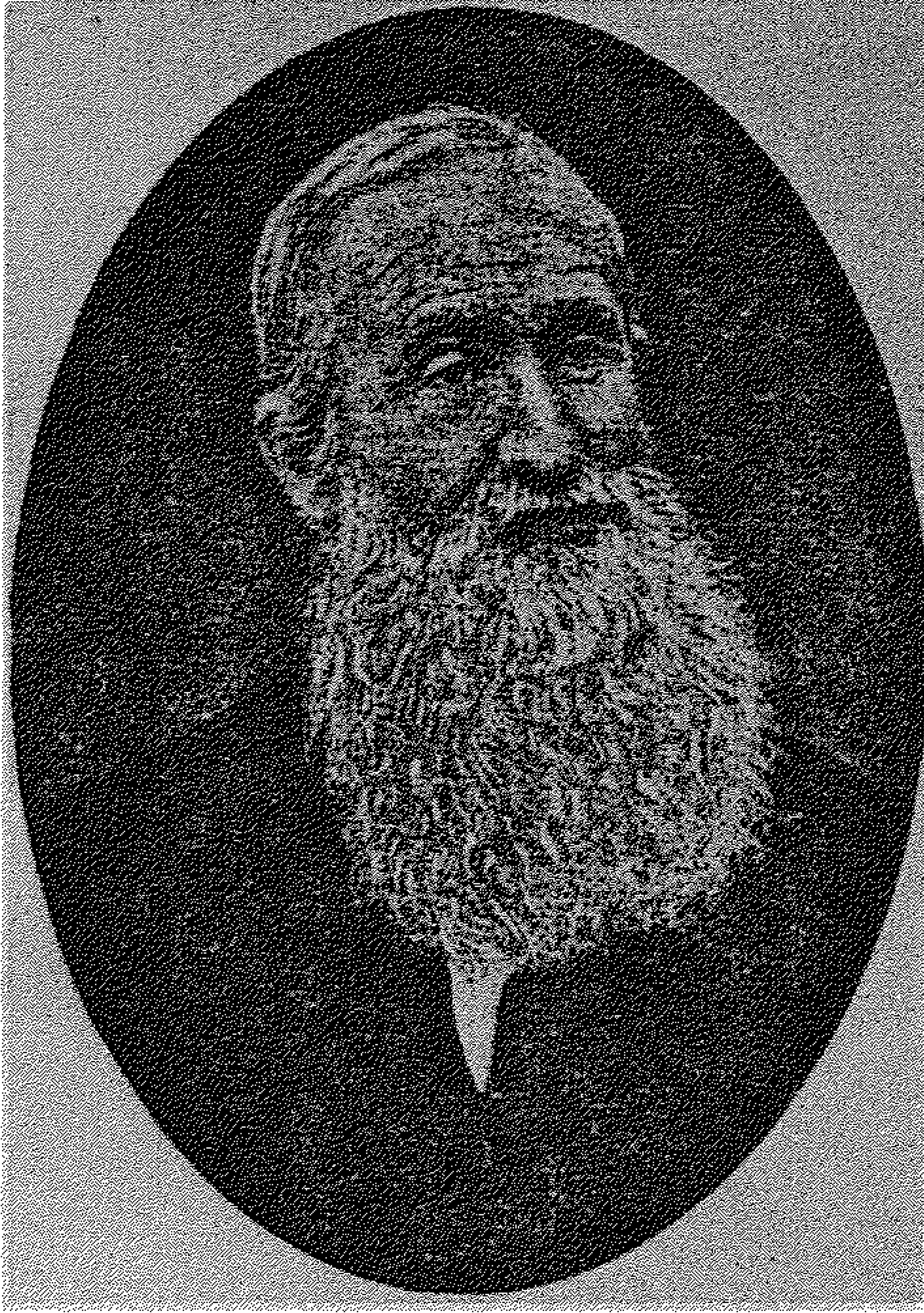
المطران مايكل سلومون الكسندر أول مطران بروتستانتي للقدس ١٨٤٢ - ١٨٤٦ .



المطران صموئيل غوبات ، مطران القدس الانجليكاني ١٨٤٦ - ١٨٧٩ م .



الاب ف . شبتلر من مؤسسي البعثة التبشيرية الانجيلية البازلية التي كان لها نشاط واسع في فلسطين .



المبشر لودفيج شنلر من اعضاء الارسالية الانجلية الالمانية في فلسطين .



كريستيان روهرر ١٨٦٠ - ١٩٣٤ رئيس جمعية الهيكل من ١٩١١ - ١٩٣٤



برنهارد فون بيلوف ، وزير خارجية ومستشار المانيا في عهد القيصر فيلهلم الثاني

Die Länder des arabischen Raumes

im Nahen Osten.

Zu den Ländern des arabischen Raumes im Nahen Osten gehören: Irak, Syrien, Palästina, Libanon und Transjordanien.

In allen diesen vom Feind besetzten Ländern besteht bei dem größten Teil der arabischen Bevölkerung eine englandfeindliche Stimmung, die insbesondere im Irak in Attentaten auf britische Offiziere und Anschläge gegen englische Militärtransporte zum sichtbaren Ausdruck kommt. Diese Stimmung hat eine weitere Verschärfung durch die Hinrichtung von Führern der englandfeindlichen nationalen arabischen Bewegung (Mitkämpfer von Gailani) in Baghdad erfahren.

Die derzeitigen Regierungen dieser Länder sind englandhörig. Sie können sich nur auf eine kleine Minderheit ihrer Völker stützen.

Aufgabe der deutschen Aussenpolitik ist es, unter Ausnutzung aller gegen England gerichteten Strömungen die Freiheitsbestrebungen der Araber zu unterstützen und zur Bildung national arabischer Regierungen in enger Zusammenarbeit mit dem Achsenpartner Italien beizutragen.

Über die Neubildung einer irakischen Regierung unter Gailani besteht Einverständnis.

Die staatliche Neugestaltung der übrigen Länder muß durch Vereinbarungen zwischen der deutschen und der

مذكرة سرية من وزارة الخارجية الالمانية حول مفهوم الشرق العربي

Tel-Aviv,den 22.3.34

An die

Haavara

Tel-Aviv.

Sehr geehrte Herren!

Hiermit bestaetigen wir den Empfang Ihres Schreibens vom 21.ds.Mts.betr.Einzahlungen zu unsern Gunsten auf Sonderkonto II und teilen Ihnen mit,dass wir die Angelegenheit folgendermassen festlegen wollen:

1.) Diese Regelung hindert uns nicht,auch Einzahlungen auf Sonderkonto anzunehmen und zu verwenden.

2.) Die 4% der Transferspesen laut b) Ihres Schreibens,sollen,wie folgt, verrechnet werden:

a.) 2% an die "Haavara" fuer Transfer und sonstige Spesen,die mit dem Transfer zusammenhaengen,wie Bankspesen etc.

b.) 1% Kommission an die Anglo-Palestine Bank Ltd.

c.) 1% an die Exim Ltd. als Kommission fuer die von der Fa.A.Salzmann,Jerusalem,getaetigte Warenverkaeufe.Es ist klar,dass fuer die von uns fuer eigene Zwecke verwendete Waren,wir dieses 1% nicht bezahlen werden.

Ausser den oben genannten Abgaben,sollen keine Spesen entstehen.Wir freuen uns darueber,dass wir weitgehendsten Einfluss auf die Gewaehrung von Abschlaegen auf die von uns eingefuehrten Waren haben werden.

Hochachtungsvoll

L015577 gez.Hanotea Ltd.

رسالة من شركة هانوتيا الصهيونية الى شركة التحويل هعفارا في ٢٢/ ٤/ ١٩٣٤

PROGRAMM

Das Deutsche Komitee Pro Palästina zur Förderung der Jüdischen Palästinasiedlung wird in der Überzeugung, daß der Aufbau der im Palästinamandat vorgesehenen Heimstätte für das jüdische Volk als ein Werk menschlicher Wohlfahrt und Gesittung Anspruch auf die deutschen Sympathien und die tätige Anteilnahme der deutschen Juden hat, bemüht sein, die deutsche Öffentlichkeit über das jüdische Kolonisationswerk in Palästina aufzuklären, die Beziehungen zwischen Deutschland und Palästina zu pflegen und allgemein die Erkenntnis zu verbreiten, daß das jüdische Aufbauwerk in Palästina ein hervorragendes Mittel für die wirtschaftliche und kulturelle Entwicklung des Orients, für die Ausbreitung deutscher Wirtschaftsbeziehungen und für die Versöhnung der Völker ist.

برنامج جمعية فلسطين » الالمانية

بيان سماحة المفتي الاكبر الى الشعب المصرى

ان الانتصارات العظيمة التي أحرزتها جيوش المحور في افريقيا الشمالية قد أبهجت العرب جميعاً والشرق كافة ، وملأتهم اعجاباً بعبقرية رومل وشجاعة جنود المحور. ذلك لأن العرب يعتقدون بأن دول المحور انما تكافح الأعداء المشتركين من انجليز ويهود وتدرء الخطر الشيوعي الذى أصبح يجاور البلاد العربية بعد اجتياح الشيوعيين لايران.

ان هذه الانتصارات من ناحية عامة سيكون لها تأثير عظيم على مصر ، اذ ان فقدان الانجليز لوادى النيل وقناة السويس وانهيار السيادة البحرية الانجليزية في البحر الأبيض والبحر الأحمر يقرّب خذلان بريطانيا في هذه الحرب وهو بدء النهاية كما يظهر للامبراطورية البريطانية . أما نتائجها المباشرة فهي انقاذ مصر وسائر البلاد العربية في الشرق الادنى من النير البريطاني.

ولا شك ان مصر التي خبرت الاستعمار البريطاني وذاقت مصائبه ستين سنة وقاومته بتصميم وبدون كلل ولم تغفل يوماً عن التمسك بحريتها والدفاع عن استقلالها وثارت في وجه بريطانيا ولم تخش بأسها حتى وهي في عنفوان سيطرتها سنة ١٩١٩ ، تتلقى هذه الحوادث بابتهاج ، وتعرف أن هذه الفرصة مواتية للخلاص نهائياً من المستعمرين والحصول على استقلال وادى النيل وحريته . وهي تعلم ولا شك أن تصفية النفوذ البريطاني في الشرق الأدنى معناه تأمين استقلالها واستقلال البلاد العربية الأخرى وسيادتها.

←

• ان لمصر بالاضافة الى أهميتها العسكرية مركزاً ممتازاً جغرافياً وثقافياً وسياسياً في الشرق العربي وأن مستقبل مصر يهمّ البلاد الاسلامية عامة والعربية خاصة للروابط الوثيقة فيما بينها. واني واثق من أن مصر سيحترم استقلالها الناجز وسيادتها الصحيحة، كما اني قانع من أن مصر التي تملك قناة السويس ستكون باستقلالها الصحيح وسيادتها وصداقتها للمحور أكبر ضمان لحرية هذا الطريق العالمي للملاحة وسلامته.

ان البلاد العربية جميعها قد ابتليت بمصائب الانجليز على انواع شتى، وقد قاومت جميعها هذا النفوذ مقاومة مستمرّة ولم يرهب مليون واحد من ملايينها في جزء من الوطن العربي قوة الانجليز واليهود مجتمعة، وقاومها مقاومة عنيفة سنين طويلة بجرأة فائقة أظهرت قوة الحيوية في الحركة القومية العربية وأضعفت هيبة الامبراطورية البريطانية القائمة على البغي والعدوان.

ان الأمة العربية التي شاطرت المحور في تحمل مظالم فرساي والتي تمتعت باعجاب المحور أثناء جهادها في سبيل حريتها ترى في جنود المحور المتقدمين اليوم في مصر حلفاء يساعدونها على تحطيم قيودها والتخلّص من خصومها، واني لواثق من ان مصر وسائر البلاد العربية في الشرق الأدنى واصلة الى أهدافها وما ترمي اليه من سيادة صحيحة واستقلال.

١٩٤٢/٧/١

Jerusalem

Nr. Polit. 24/33 Jerusalem, den 20. April 1933

Inhalt: 1) Arabische Einstellung zur Lage der Juden in Deutschland.

2) Wunsch der Araber nach deutschen Waren und seine Realisierbarkeit.

3 Durchschläge.

III O 1427

Zwischen der Linie Jerusalem-Bethlehem im Westen und dem Toten Meer im Osten liegt in der nach dem Toten Meer zu sich erstreckenden Bergwüste das von einigen Häusern und Höfen umschlossene mohammedanische Heiligtum »Nebi Musa«, wo sich angeblich das Grab des von den Mohammedanern ebenfalls als Propheten verehrten Moses befindet. Bei hohen mohammedanischen Feiertagen versammeln sich dort Tausende von Pilgern und auch die mohammedanische hohe Geistlichkeit des Landes ist an solchen Tagen dort in grosser Zahl versammelt. An einem der Tage des letzten Biramfestes, vor jetzt ungefähr 10 Tagen, bin ich nach Nebi Musa gefahren und habe dort neben einer ganzen Reihe von Scheichs, die mir von meinen Besuchen der Omarmoschee und des Tempelplatzes bereits bekannt waren, wieder den Grossmufti von Jerusalem getroffen sowie den bekannten Führer der indischen Mohammedaner Schaukat Ali; er ist der Bruder des vor einigen Jahren verstorbenen Mohammed Ali, der (vgl. Bericht vom 23. Januar 1931 -Nr. Polit. 7/31-) in Jerusalem beigesetzt worden ist. Noch bevor die üblichen Zigaret-

ten

An das

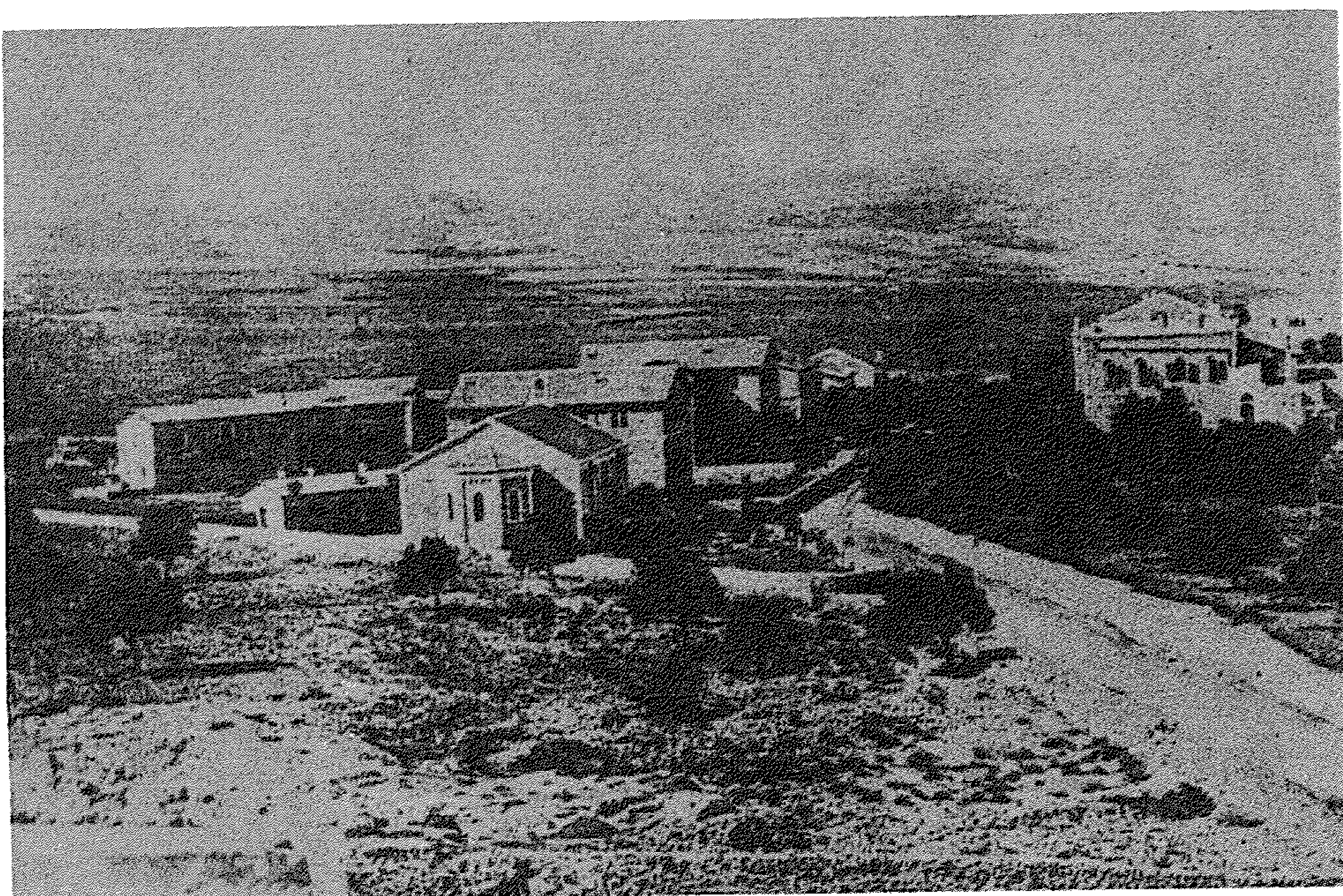
Auswärtige Amt

Berlin

L015423

L318994

تقرير من القنصل الالماني في القدس حول موقف عرب فلسطين من اليهود في المانيا ٢٠/ ٤/ ١٩٣٣



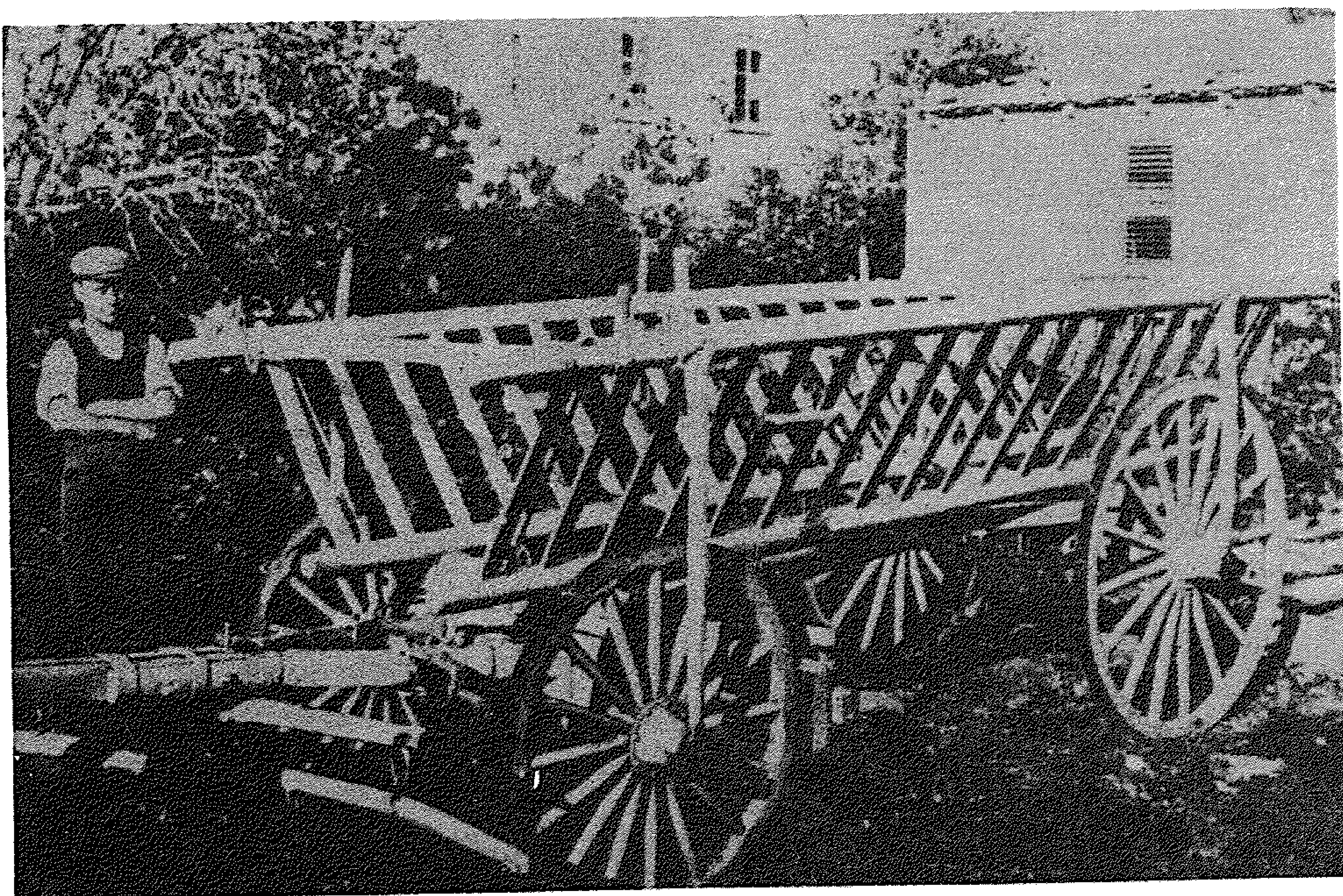
مستعمرة الهيكلية في القدس عام ١٨٩٠



صورة لمجموعة من الالمان الهيكلية في حيفا عام ١٩٠٨



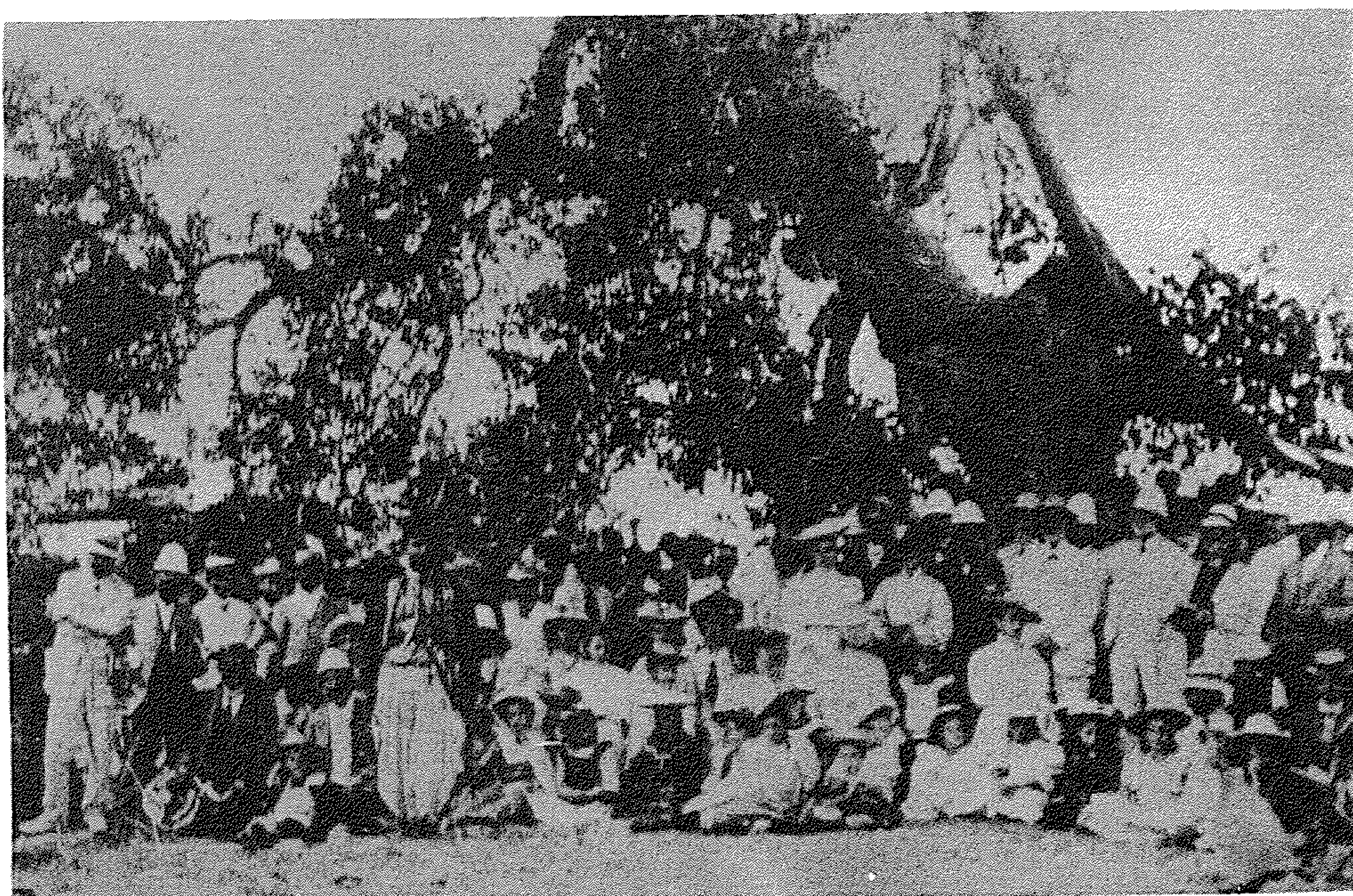
منزل الماني في مستعمرة حيفا الهيكلية عام ١٩١٤



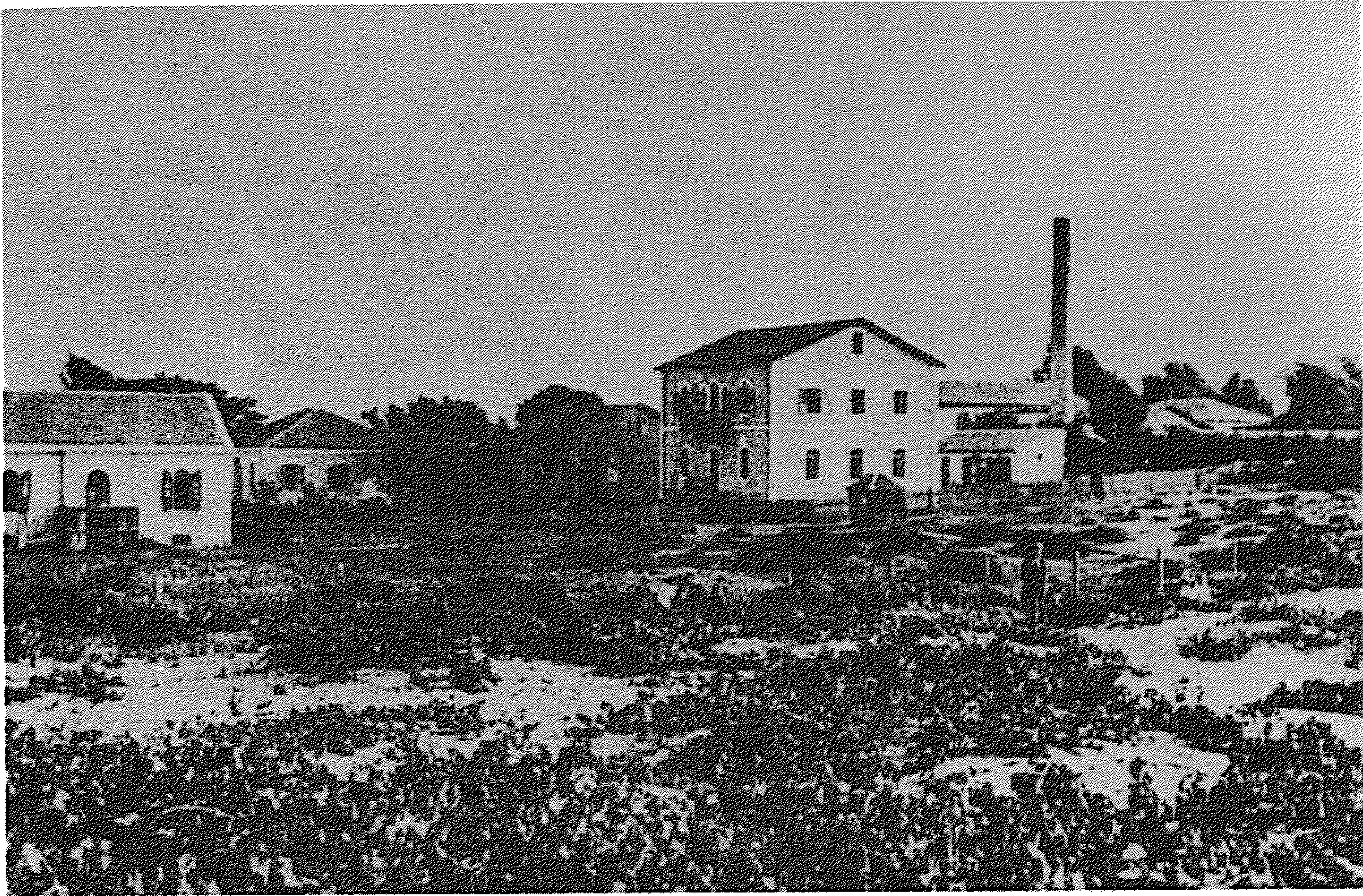
صناعة العربات في معمل في مستعمرة حيفا الهيكلية عام ١٩٠٠



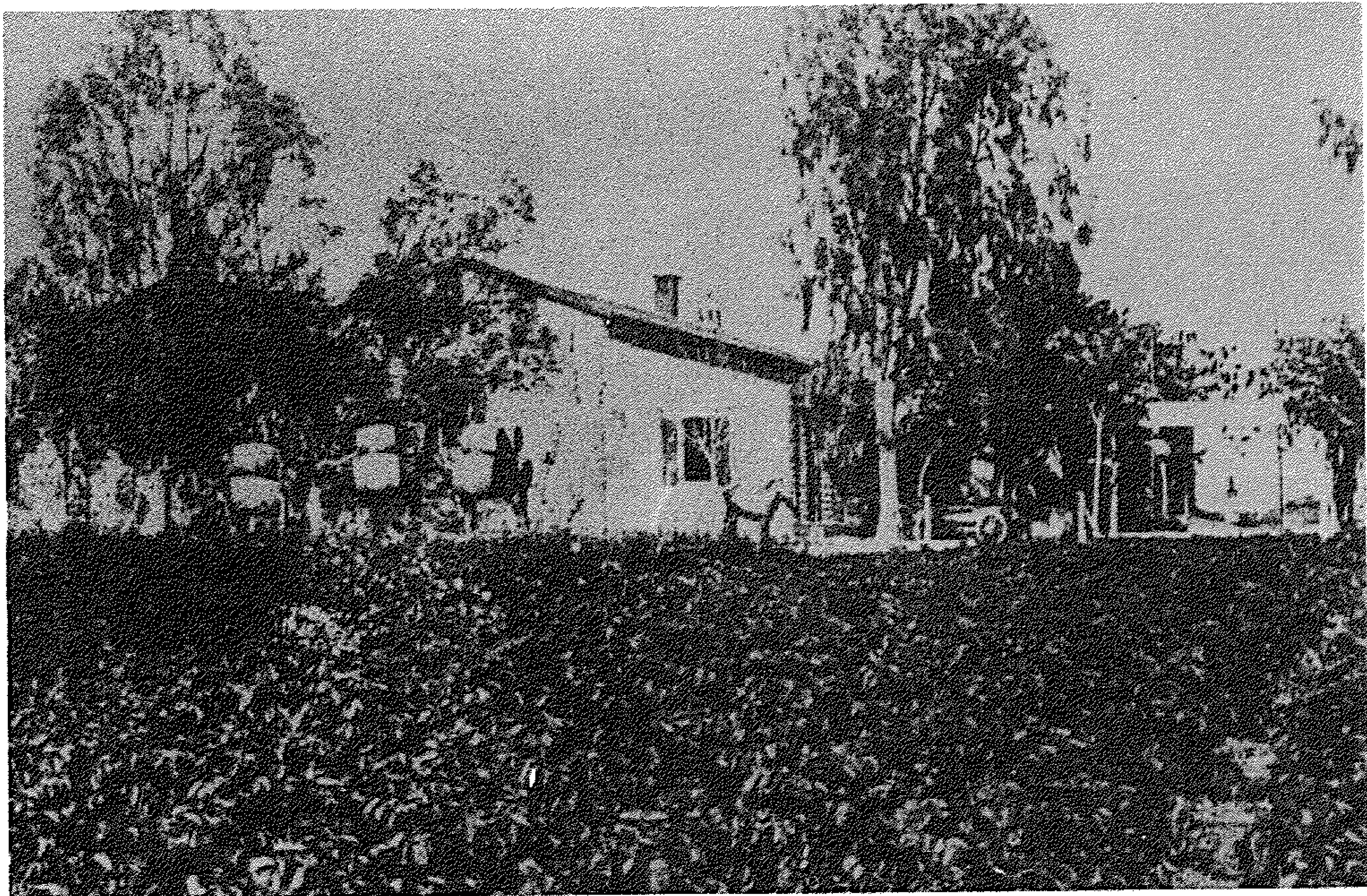
العرب يزودون مصنع الصابون في مستعمرة حيفا الالمانية في عام ١٩٠٠



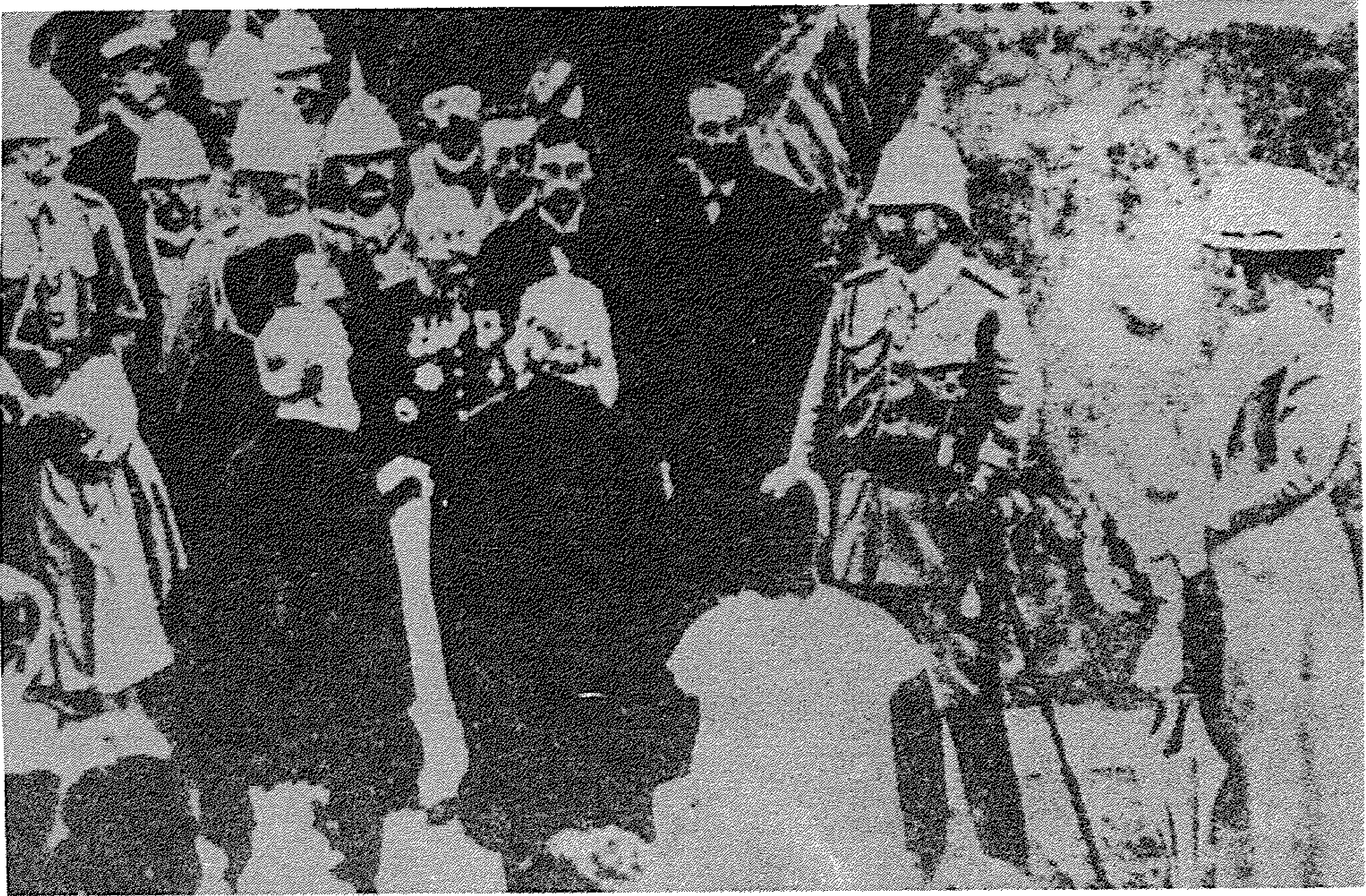
صلاة في مستعمرة الهيكلية في بيت لحم الجليل عام ١٩١١



مستعمرة الهيكلية في فالهالا عام ١٩١٤



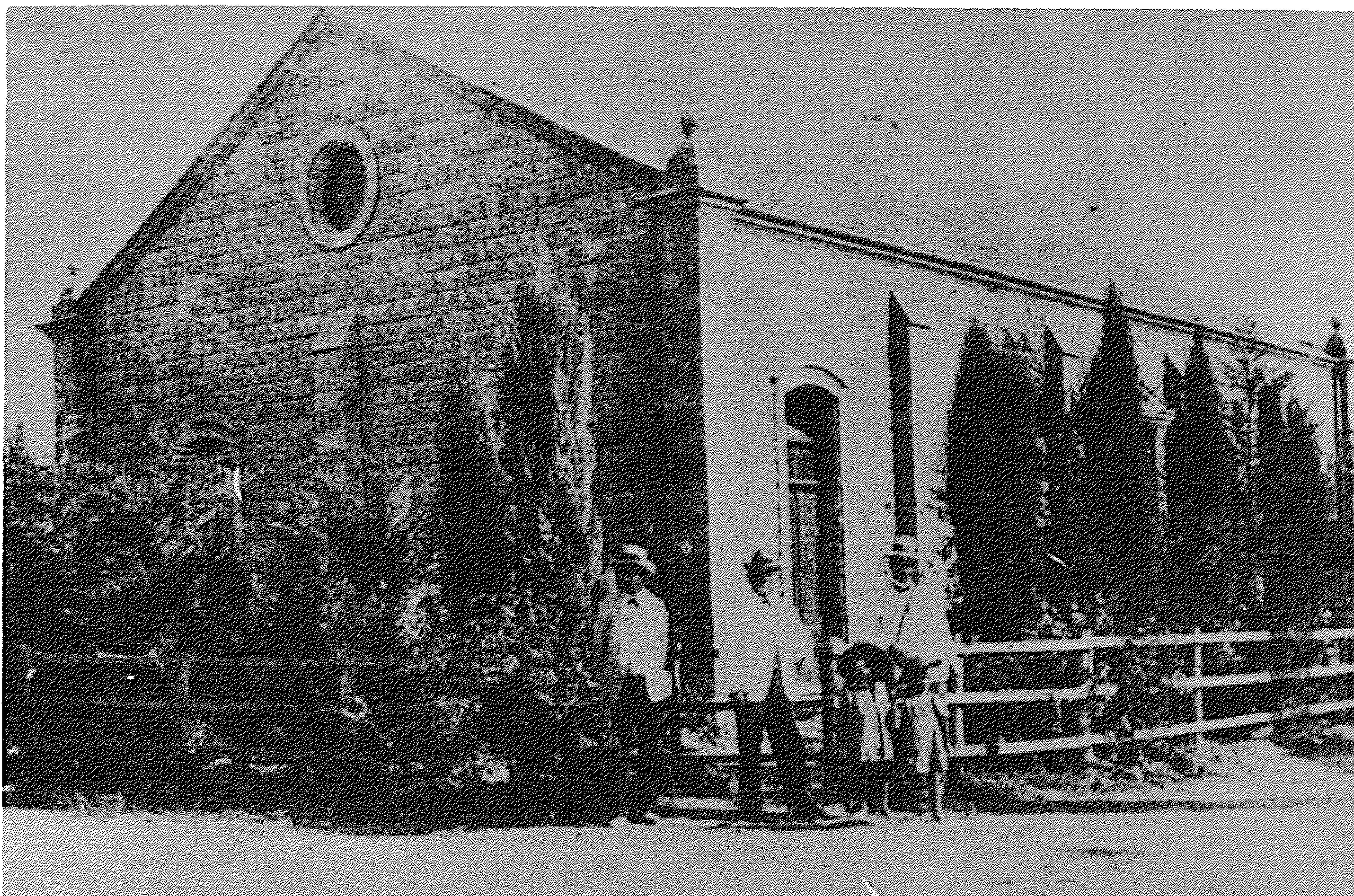
مستعمرة الهيكلية الالمان في سارونا عام ١٩٠٠



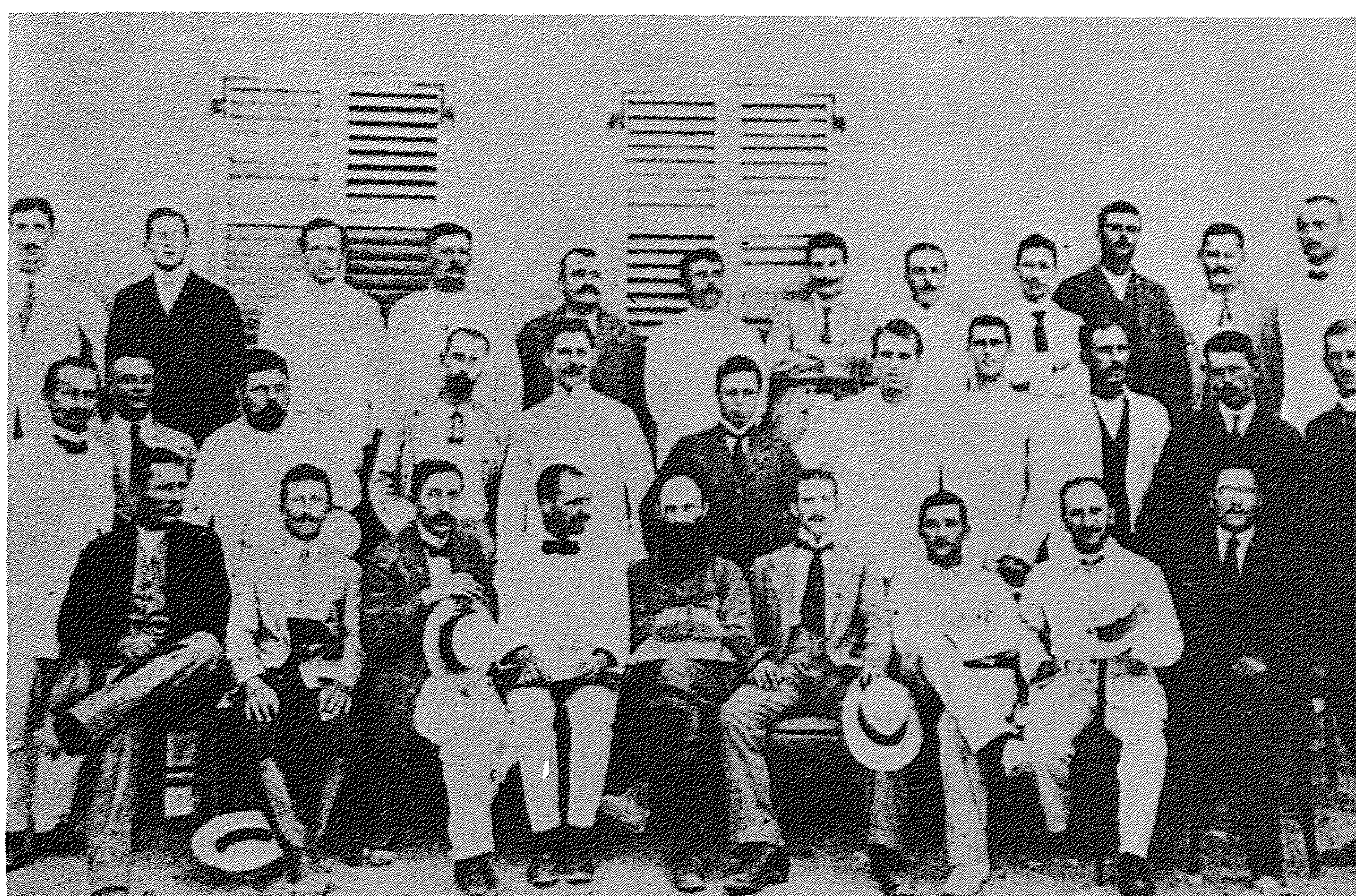
القيصر فيلهلم الثاني وقرينته في استقبال في حيفا عام ١٨٩٨



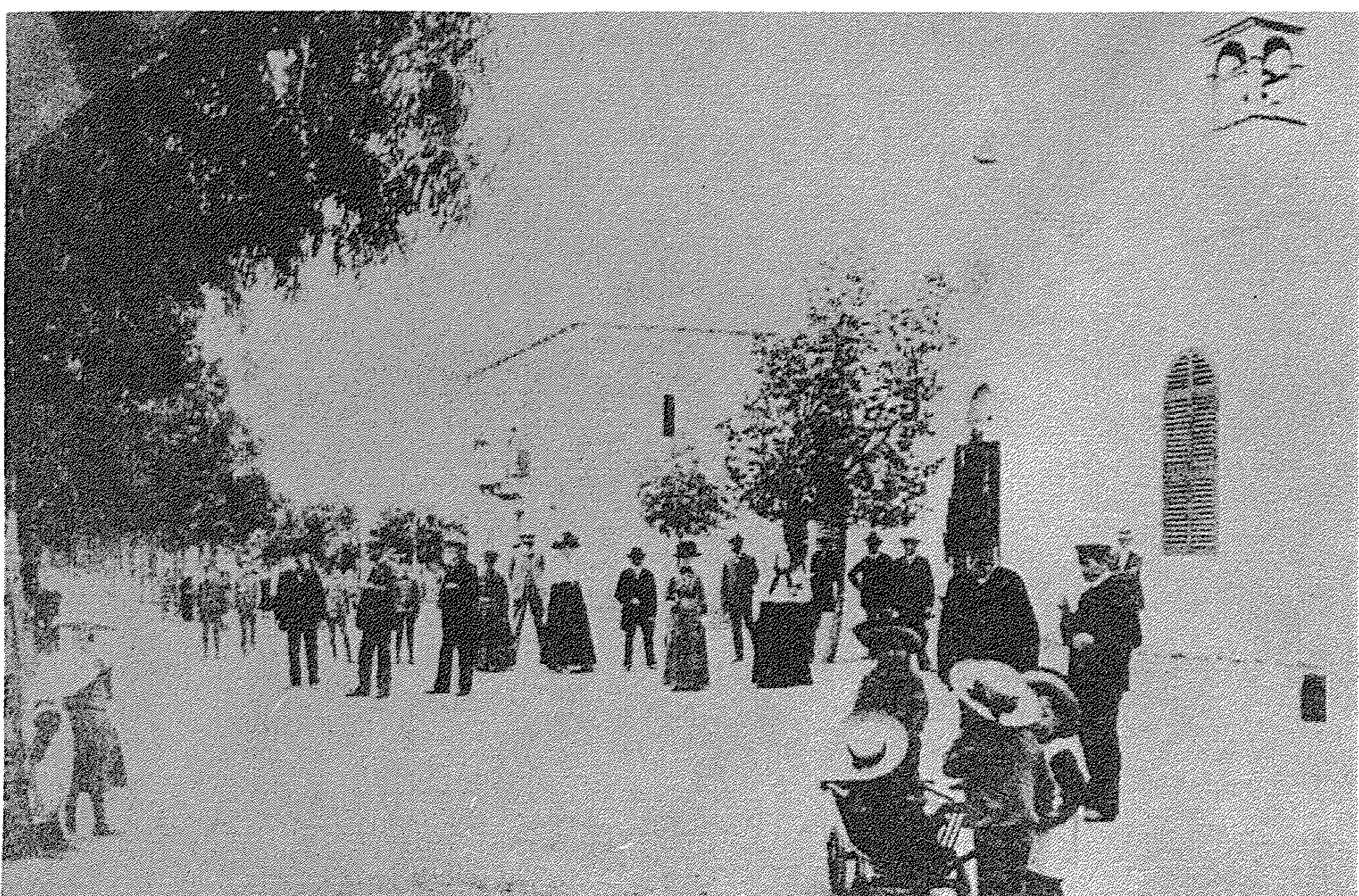
ساحة القيصر فيلهلم على جبل الكرمل عام ١٩١٠



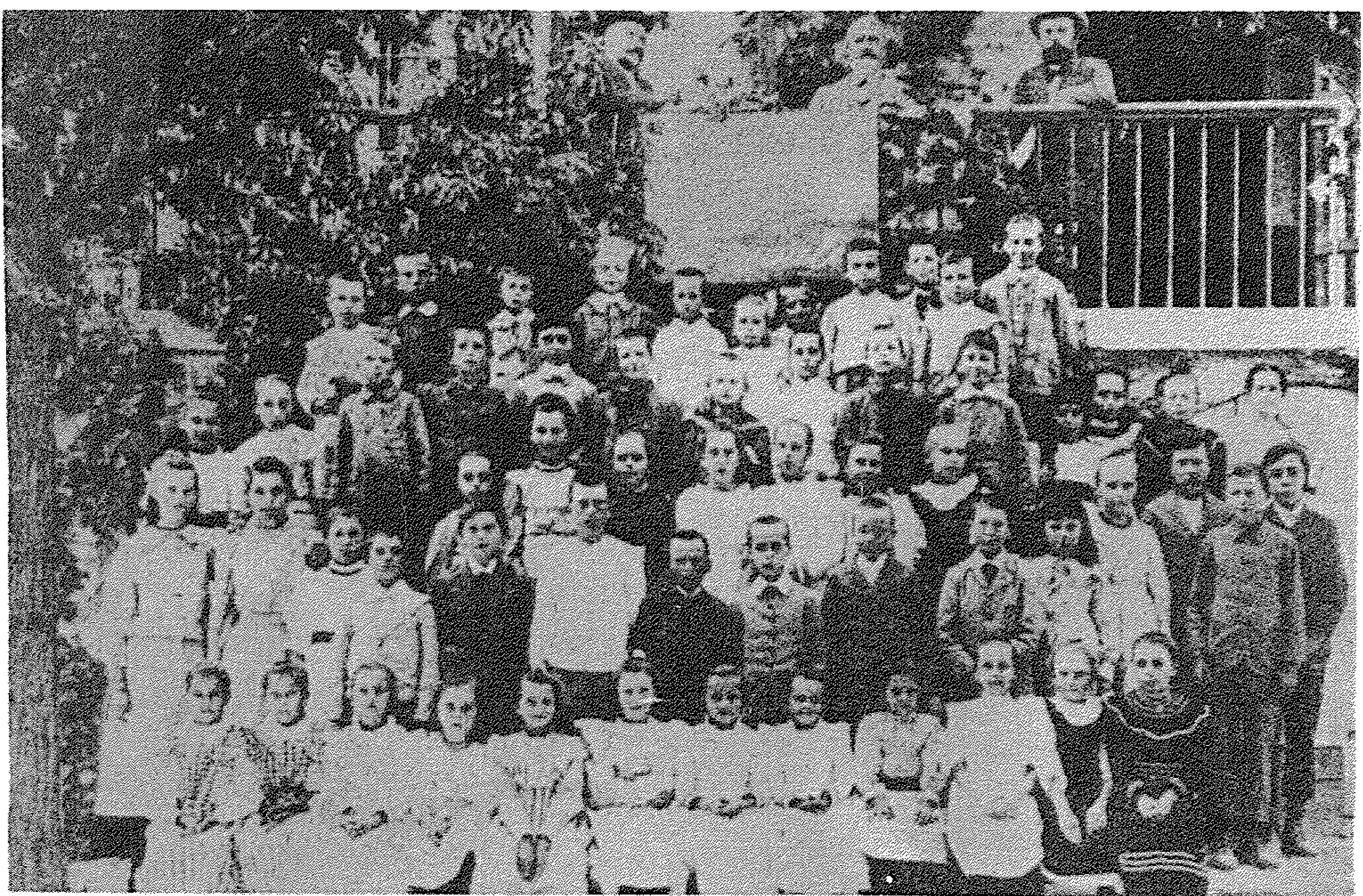
قاعة للصلاة في سارونا عام ١٩٠٠



المطلوبون للخدمة العسكرية من الالمان الهيكلية حيفا في ٤/٨/١٩١٤



بعد الانتهاء من الصلاة في مستعمرة فيلهلما عام ١٩١٤



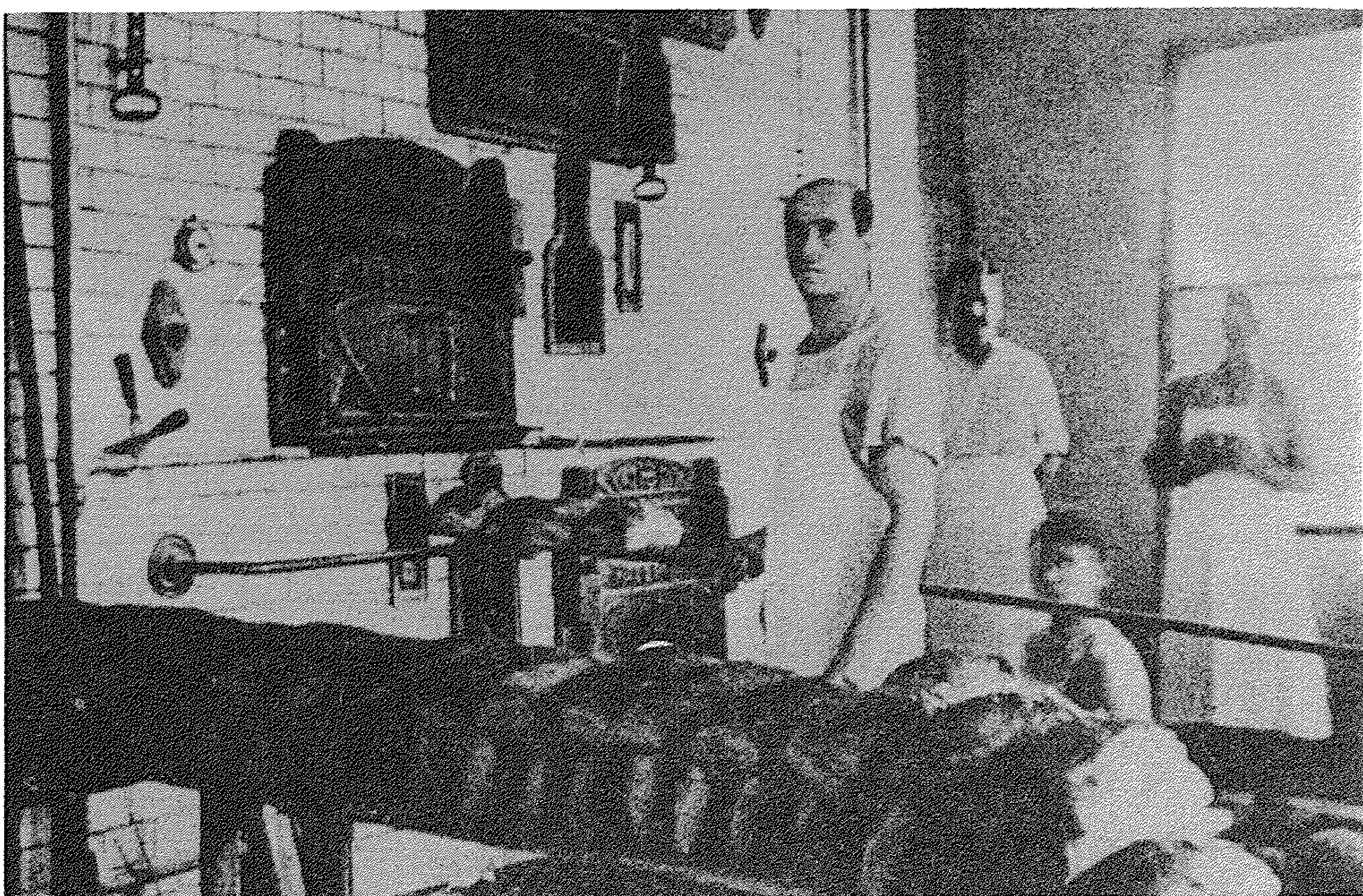
المدرسة في مستعمرة الهيكلية الالمان في حيفا عام ١٩١٠



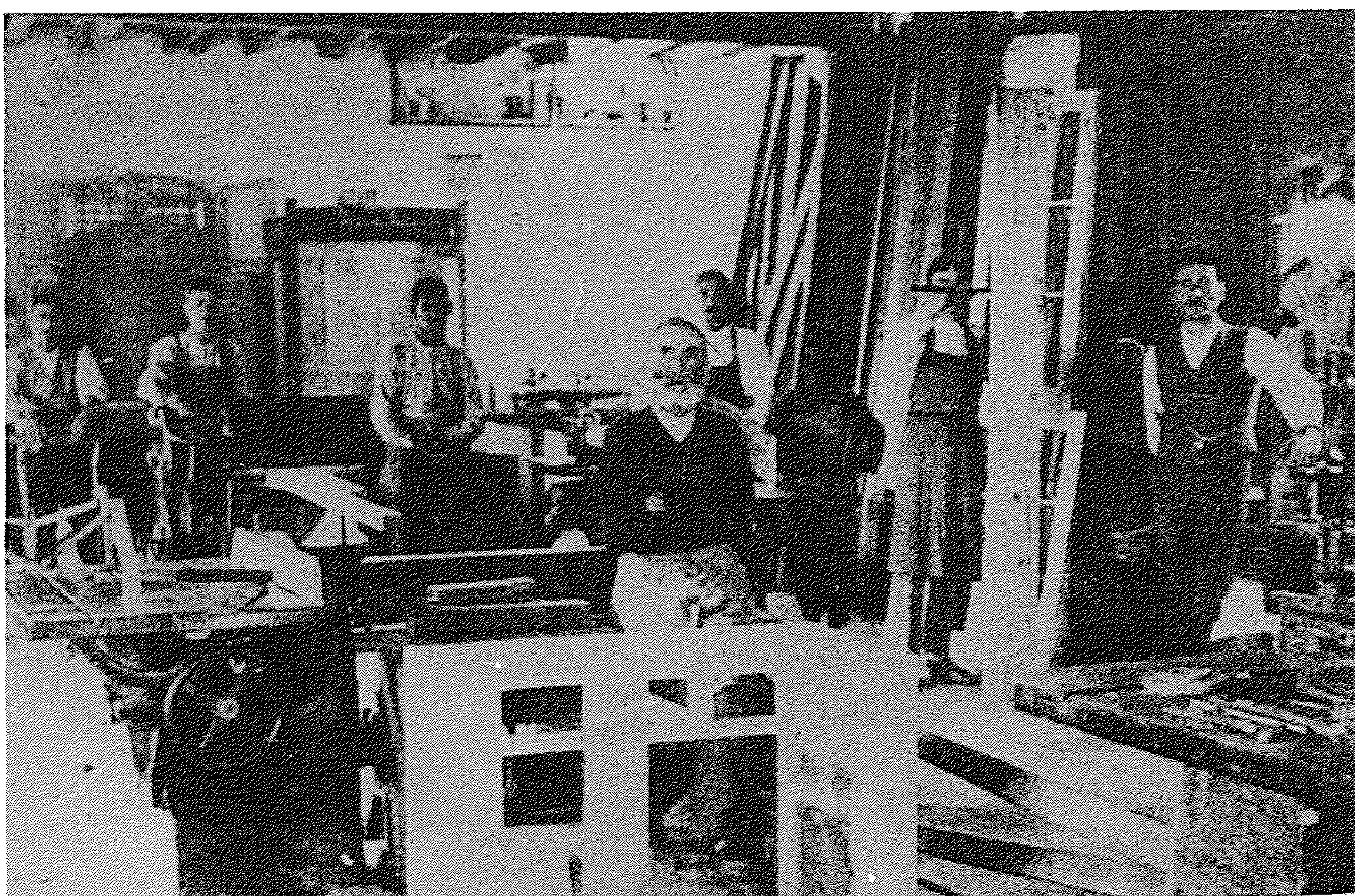
صورة القيصر فيلهلم الثاني امبراطور المانيا أمام خيمته المنصوبة قرب القدس في ٣١ تشرين الأول ١٨٩٨ (ممهورة بتوقيعه)



مستعمرون المان في مستعمرة حيفا الهيكلية عام ١٨٨٠



مخبز حديث في مستعمرة الهيكلية في حيفا عام ١٩٠٠



معمل رخام في مستعمرة الهيكلية في حيفا عام ١٩٠٠

العلاقات الألمانية ـ الفلسطينية

١٨٤١ ـ ١٩٤٥

تشمل هذه الدراسة في ما تشمل بيان دور المانيا في النشاط التبشيري البروتستانتي والكاثوليكي في الأرض المقدسة ، ومدى صلة هذا النشاط بالسياسة الخارجية الألمانية ومواقف السلطات العثمانية والسكان العرب من هذا النشاط . كما تتناول انشاء المستعمرات الألمانية في فلسطين والدوافع الدينية والسياسية والاقتصادية التي كانت وراءها ، وعلاقة هذه المستعمرات بالمخططات السياسية الألمانية في الدولة العثمانية ، ونوعية العلاقات التي نشأت بين المستعمرين الالمان والسكان العرب وبينهم وبين المستعمرين اليهود .

وتستعرض هذه الدراسة أيضاً النشاط الصهيوني في المانيا وتنظيماته ، والمساعي التي بذلتها الحركة الصهيونية من اجل الحصول على دعم المانيا لخططها الرامية إلى استعمار فلسطين تحت الحماية الالمانية ، ومدى استجابة المانيا القيصرية للضغوط الصهيونية ، وممارسة نفوذها لدى الحكومة العثمانية من اجل تحقيق بعض المطالب الصهيونية .

وتكشف هذه الدراسة ، أخيراً ، عن طبيعة العلاقة بين الحركة الوطنية العربية في فلسطين والرايخ الثالث ، وتطور هذه العلاقة خلال السنوات الاثنتي عشرة من الحكم النازي في ألمانيا .

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير - ت ٨٠٧٩٠٠/١
برقياً - موكيالي - بيروت - ص. ب : ٥٤٦٠ /١١ بيروت

الثمن : ٢٠ ل . ل .